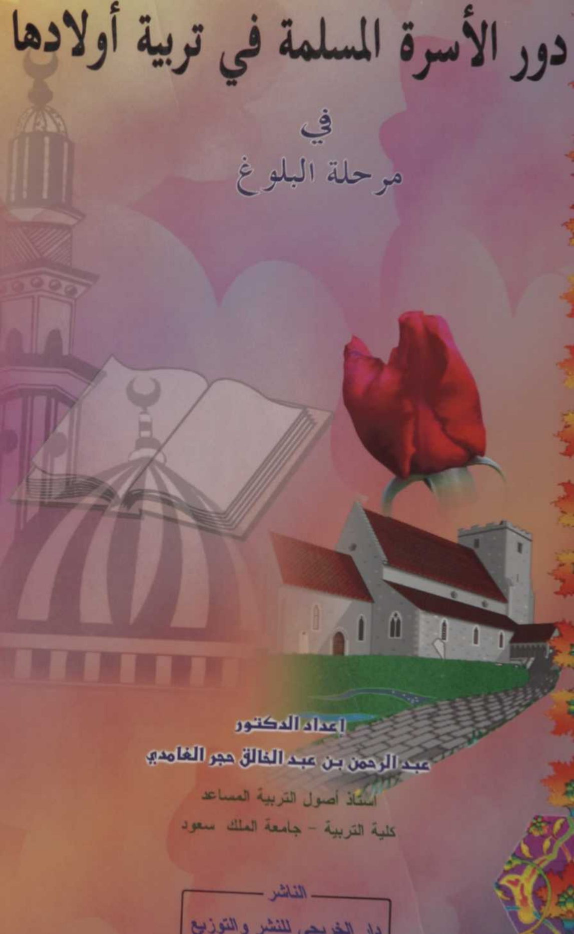

دور الأسرة المسلمة في تربية أولادها
في
مرحلة البلوغ
إعداد الدكتور
عبد الرحمن بن عبد الخالق حجر الغامدي
أستاذ أصول التربية المساعد
كلية التربية - جامعة الملك سعود
الناشر
دار الخريجي للنشر والتوزيع



دور الأسرة المسلمة في تربية أولادها في مرحلة البلوغ

إعداد الدكتور :

عبد الرحمن بن عبد الخالق بن حجر الغامدي

أستاذ أصول التربية المساعد

كلية التربية - جامعة الملك سعود

الرياض : ١٤١٨هـ

ⓒ دار الخريجي للنشر والتوزيع ، ١٤١٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الغامدي ، عبدالرحمن بن عبدالخالق بن حجر
دور الأسرة المسلمة في تربية أولادها في مرحلة البلوغ - الرياض
... ص ؛ .. سم
ردمك ٨ - ٠٦ - ٦٨١ - ٩٩٦٠
١ - التربية الإسلامية أ - العنوان
ديوي ٣٧٧.١ ١٨/٢٤٧٤

رقم الإيداع : ١٨/٢٤٧٤
ردمك : ٨ - ٠٦ - ٦٨١ - ٩٩٦٠

الناشر
دار الخريجي للنشر والتوزيع
AL-KHERAIJI
الرياض – العليا – طريق مكة المكرمة
ت : ٤٦٤٦٢٥٨ – ٤٦٤٤٣٨٤ – فاكس : ٤٦٤٩٩٢٨
قسم الجملة – ت / ٤١١٧٨٤٦ – الديرة – شارع العطايف
ص.ب ١٧٧٣٢ – الرياض ١١٤٩٤
جدة – شارع الأمير ماجد
ت / ٦٧٦٠٠٦٨ – فاكس / ٦٧٦٠٠٥١
ص.ب : ٥٠٦١٣ – جدة : ٢١٥٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، وبعد فإنه :

في عام ١٤١١/١٤١٢هـ الجامعي ، تقدمت بهذا البحث إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية العلوم الاجتماعية ، لنيل درجة الدكتوراه في التربية ، ونُوقشت الرسالة بتاريخ ١٤١١/١٢/٣هـ ، ومن ثم حصلت على درجة الدكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى ، وقد أوصت لجنة المناقشة بطبع الرسالة ، كما طلب مني بعض الإخوة الإذن بطباعتها من أجل انتفاع الأسرة المسلمة بها .

وأنني إذ أقدم هذا البحث في صورة كتاب لأرجو الله العلي القدير أن ينفع به الآباء والأمهات في تربية أولادهم ورعايتهم ، نظراً لأن التربية الأسرية في الوقت الحاضر لم تعد تربية عادية كما كانت عليه في السابق ، وإنما أصبحت متطورة ومتقدمة . وصارت الأبوة والأمومة في البلاد المتقدمة علماً وفناً يتعلمها الآباء والأمهات في المدرسة والمؤسسات المتخصصة ، لأن جهل الأسر بدورها التربوي وتخليها عنه له الأثر الكبير على زيادة جنوح الأولاد وانحلالهم وتشريدهم وضياعهم . وهذا الأمر لم يقتصر ضرره على الأبناء فحسب ، بل يشمل الآباء والأمهات والمجتمع بأسره .

والأسرة المسلمة في وقتنا الحاضر بحاجة إلى فهم ودراية بتربية أولادها بمعناها الدقيق نهجاً وأسلوباً أكثر من أي وقت مضى .

وأنني لأرجو الله أن يعين الأسرة المسلمة على أداء واجبها الديني نحو رعاية أولادها وتربيتهم تربية إسلامية ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

الرياض في : ١٤١٨/٧/١هـ

د/ عبد الرحمن بن عبد الخالق حجر الغامدي

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	•
الفصل الأول : مدخل عام للبحث	١
أولاً - خطة البحث	٣
ثانياً - الدراسات السابقة	١٧
- مراجع الفصل الأول	٢٥
الفصل الثاني : خصائص الأسرة المسلمة	٢٩
أولاً - معنى الأسرة لغة واصطلاحاً	٣١
ثانياً - وظائف الأسرة المسلمة	٣٤
ثالثاً - المبادئ التي تقوم عليها الأسرة المسلمة....	٥٢
- مراجع الفصل الثاني	٨٧
الفصل الثالث : مرحلة البلوغ وخصائصها	٩٧
أولاً - حدود مرحلة البلوغ	٩٩
ثانياً - خصائص مرحلة البلوغ	١٠١
- مراجع الفصل الثالث	١٤٠
الفصل الرابع : دور الأسرة المسلمة في التربية الإيمانية	١٤٥
أولاً - مفهوم الإيمان والعقيدة وما يتعلق بهما.....	١٤٧

الموضوع	الصفحة

ثانياً - مفهوم التربية الإيمانية وأهميتها	١٥٥
ثالثاً - أهم الوظائف التي يجب أن تقوم بها الأسرة في التربية الإيمانية	١٥٧
رابعاً - الأساليب والوسائل التي تساعد الأسرة على تحقيق وظائفها في التربية الإيمانية	١٥٨
- مراجع الفصل الرابع	١٩٠
الفصل الخامس : دور الأسرة المسلمة في التربية الروحية	١٩٧
أولاً - الروح مفهومها وصفاتها	١٩٩
ثانياً - التربية الروحية مفهومها وأهميتها وعناية الإسلام بها	٢٠٤
ثالثاً - أهم وظائف الأسرة التي يجب القيام بها في التربية الروحية	٢٠٩
رابعاً - الأساليب والوسائل التي تساعد الأسرة على تحقيق وظائفها في التربية الروحية	٢٠٩
- مراجع الفصل الرابع	٢٤٥
الفصل السادس : دور الأسرة المسلمة في التربية العقلية	٢٥٣
أولاً - العقل ومفهومه وخصائصه ومجالاته	٢٥٥
ثانياً - مفهوم المعرفة وأهميتها ومصادرها	٢٦٥
ثالثاً - التربية العقلية مفهومها وأهميتها	٢٦٩
رابعاً - أهم وظائف الأسرة التي يجب القيام بها في التربية العقلية	٢٧٣

الموضوع | الصفحة

خامساً – الأساليب والوسائل التي تساعد الأسـرة لتحقيق وظائفها في التربية العقلية ٢٧٣
– مراجع الفصل السادس ٣١٠

الفصل السابع : دور الأسرة المسلمة في التربية الأخلاقية والاجتماعية ٣١٧
أولاً – مفهوم الأخلاق وأهميتها وغايتها ٣١٩
ثانياً – النزعة الأخلاقية والاجتماعية ٣٢٧
ثالثاً – مجالات الأخلاق الإسلامية وأقسامها ٣٣٢
رابعاً – مفهوم التربية الأخلاقية وأهميتها وعلاقتها بالتربية الاجتماعية ٣٣٥
خامساً – أهم وظائف الأسرة التي يجب القيام بها في التربية الأخلاقية والاجتماعية ٣٤١
سادساً – الأساليب والوسائل التي تساعد الأسـرة في تحقيق وظائفها في التربية الأخلاقية والاجتماعية ٣٤٢
– مراجع الفصل السابع ٣٩٨

الفصل الثامن : دور الأسرة المسلمة في التربية الصحية ٤٠٩
أولاً – مفهوم الصحة ٤١١
ثانياً – مفهوم التربية الصحية وأهميتها ٤١٢
ثالثاً – أهم وظائف الأسرة التي يجب القيام بها في التربية الصحية ٤١٥

الموضوع	الصفحة

رابعاً – الأساليب والوسائل التي تساعد الأسرة في تحقيق وظائفها في تربية الجانب الصحي.. ٤١٥
– مراجع الفصل الثامن ٤٧٣

الفصل التاسع : نتائج البحث وتوصياته ٤٨٣
أولاً – نتائج البحث ٤٨٥
ثانياً – التوصيات ٤٩٣

الفصل الأول
مدخل عام للبحث

أولاً : خطة البحث

ثانياً : الدراسات السابقة

أولاً - خطة البحث :

(أ) مقدمة البحث :

الأسرة هي النواة الأولى للمجتمع، والخلية الأولى لسائر الهيئات الأخرى، والمجتمع بوجه عام يتكون من أسر ولم يوجد مجتمع- عبر التاريخ - أقام بناءه على غير الأسر، والأسرة تعدّ عنوان قوة تماسك المجتمع أو ضعفه.

والأسرة منذ نشأتها كانت تقوم بوظائف عديدة، منها ماهو تربوي، ومنها ماهو اقتصادي، ومنها ماهو سياسي، ومنها ماهو اجتماعي. ونظراً لتطور المجتمعات وبخاصة مع الثورة الصناعية وزيادة التخصص خاصة؛ فقد أنشئت بعض المؤسسات لتقوم ببعض الوظائف التي عجزت الأسرة عن أدائها، مثل الوظائف الاقتصادية والسياسية والحربية والتعليمية، إلا أن هناك وظيفة هامة لاغنى عن الأسرة فيها -بالرغم من كثرة وجود المؤسسات التعليمية في وقتنا الحاضر- وهي «التربية والتنشئة الاجتماعية»، بل أصبح دور الأسرة في هذا الجانب أكثر عمقا ودقة واتساعاً من أي وقت مضى، حتى صارت «الأبوة والأمومة في البلاد المتقدمة علمًا وفنا يتعلمهما الآباء والأمهات في المدرسة والمؤسسات المتخصصة»(١).

فالبيئة العائلية هي الوعاء الذى تنمو فيه الشخصية الثقافية والاجتماعية والأسرة هي المسؤولة الأولى عن أولئك الناشئين قوة أو ضعفا، وهي مصدر الأخلاق، والدعامة الأولى لضبط السلوك، والإطار الذى يتلقى فيه الإنسان أول دروس الحياة الاجتماعية(٢). وللأسرة دور بارز في بناء الأجيال، وتشكيل اتجاهاتها، وإرشادها وعلاج مشكلاتها، وتقويم سلوكها، وتكوين شخصياتها الاجتماعية في ضوء التراث الاجتماعي السائد في المجتمع، فإنها تقوم بتشريب الناشئة المثل والقوانين والعادات والمبادئ، وتعرفهم الأخلاق الفاضلة، وتعودهم على التحلي بها، وتشجعهم على التمسك بها، وتحسن توجيههم، وتضرب لأولادها المثل الطيب من نفسها في

التمسك بتلك الأخلاق، وهي تزودهم بالمعارف الدينية والثقافية المناسبة لسنهم في مجالات العقيدة والعبادات والمعاملات - وتعرفهم الطرق الصحيحة لتأدية الشعائر والواجبات الدينية، وكذلك للأسرة دور في مساعدة أولادها على النمو الاجتماعي السليم، وتنمية استعداداتهم وقابلياتهم الفطرية نحو الاجتماع، وبناء علاقات اجتماعية مع من حولهم، كما أن لها دورا في مساعدة أولادها على النمو الجسمي السليم، وعلى تحقيق الصحة البدنية الجيدة، وعلى اكتساب العادات الضرورية لسلامة أبدانهم، وكذلك في مساعدتهم على اكتساب وتفتيح وتنمية استعداداتهم ومواهبهم وميولهم وقدراتهم العقلية، وتستطيع الأسرة أن تساعد أولادها على تحقيق النمو الانفعالي السليم، وتحقيق التكيف النفسي السليم مع أنفسهم أولا ثم مع مجتمعهم ثانيا.

والتربية الإسلامية تؤكد أهمية الدور التربوي للأسرة، وتحمل الآباء والأمهات مسؤولية كبرى في تربية أولادهم والإسهام الفعّال في إعدادهم الإعداد الكامل للحياة الدنيا والآخرة. قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة﴾ (التحريم : ٦). وقال تعالى: ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها﴾ (طه : ١٣٢)، ومربي هذه الأمة محمد ﷺ قد أكدّ في أكثر من أمر وأكثر من وصيّة للآباء والأمهات ضرورة العناية بتربية أولادهم ويكفينا في هذا المكان حديثه الشريف « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راع، والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته »(٣)، ويكفينا من هذا الحديث كلمته الجامعة وهي « الرعاية » ولو تتبعنا معاني هذه الكلمة في اللغة العربية، لوجدنا لها معاني عديد؛ فهي تدل على ماياتي:

(١) الحفظ والحماية. (٢) التقويم.
(٣) الائتمان . (٤) الملاحظة .
(٥) المراقبة. (٦) مراعاة الحقوق.
(٧) التكفل بأمور الغير(٤).

ولهذه الكلمة – الرعاية ، معان عديدة في مجال التربية والتعليم، فهي تعني «المسؤولية والإشراف والحرص والرقابة والمساعدة والإرشاد والتوجيه ومراقبة الطفل والسهر عليه وقد تعني التنشئة والتربية والتعليم»(٥).

ورعاية الأولاد واجب ديني يقرّه الإسلام على الآباء والأمهات، ومن أهمل رعاية أولاده أو فرّط فيها، فإن له الجزاء الأوفى والعقوبة الشديدة في الآخرة لقول رسول الله :«مامن عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه لم يجد رائحة الجنة»(٦).

وقد طبقّ – رسول الله ﷺ -التربية الأسرية على بناته وأولاد بناته، واتبّعه أصحابه رضوان الله عليهم، الذين كانوا يفضلون تعليم أولادهم وتأديبهم على أثمن شيء في الحياة، وها هو ذا عمر بن الخطاب يقول لابنه عبد الله عندما طرح الرسول مسألة على أصحابه ليختبر ماعندهم من العلم والذكاء -وعرف عبد الله الإجابة ولكن منعه الحياء من التلفظ بها أمام الحاضرين الكبار في مجلس رسول الله – يقول «لأن تكون قلتها أحب إليّ من أن يكون لي كذا وكذا»(٧)، وهناك العديد من الآباء الذين أحسنوا تربية أولادهم في مختلف مراحل العمر، يقول أبو الأسود الدؤلي لأولاده «لقد أحسنت إليكم صغاراً وكباراً وقبل أن تولدوا»(٨)، وهناك العديد من النصائح القيمة من الآباء لأولادهم أو لمن يقوم بتربيتهم، وقد حوت منهاجاً قيما وأساليب وطرقا تربوية جيدة منها -على سبيل المثال لا الحصر- وصية الخليفة هارون الرشيد(٩) إلى معلّم ولده، ووصية طاهر بن الحسين(١٠) لولده، ولم يقتصر ذلك على الآباء فحسب بل هناك وصايا قيمة من الأمهات، منها وصيّة الخنساء(١١) لأولادها الأربعة.

ودور الأسرة المسلمة في تربية أولادها -أيا كانت المرحلة العمرية التي يمرون بها- يختلف عن دور الأسرة غير المسلمة اختلافا أساسيا في أمور تربوية وغير تربوية؛ وذلك بحكم مابين الإسلام والملل والديانات والمذاهب الأخرى من تباين،

والأسرة المسلمة تستقي سلوكها، وأعمالها، مشاعرها وأفكارها، ماديتها ومعنوياتها، مبادئها ونظمها من أصول الإسلام وأصول التربية الإسلامية ومن بدهيات الأسرة المسلمة أن تكون سائرة في طريق الإسلام والتربية الإسلامية، فدورها التربوي فريد في شموله، وفريد في أثره في داخل نفوس الناشئة وفي واقع حياتهم.

ودور الأسرة المسلمة في تربية أولادها لايقتصر على مرحلة معينة، بل يشمل مراحل نموهم المختلفة، إلا أن هذا الدور يختلف باختلاف مرحلة النمو وخصائصها. وقد أظهرت بعض الدراسات -مثل دراسة حسن عبد العال(١٢)، ودراسة خيرية حسين صابر(١٣)، -دور الأسرة المسلمة في مرحلة الطفولة، ولئن كانت تلك الدراسات قد أبرزت الدور التربوي للأسرة المسلمة في مرحلة تعد من أهم مراحل نمو الفرد، إلا أن هناك حاجة ضرورية إلى مواصلة الدراسة في مرحلة لاتقل أهمية عن المرحلة السابقة، إن لم تكن أكثر منها أهمية وهي «مرحلة البلوغ»، نظرا لما تتميز به من سرعة نمو في جوانب عديدة، وهذا النمو يؤدي إلى إحداث تغيرات عضوية ونفسية في حياة الفرد. إنها مرحلة ولادة ثانية، لأنها تعدّ ولادة في قيم الفرد وخلقه وعاداته وتقاليده وديانته. وإذا كان الطفل في سنواته المبكرة «يقبل كل مايلقن لسذاجته، ويعتقد ذلك صحيحاً، وهذا مما يجعل التربية في هذه المرحلة ميسورة بالتلقين والإيحاء والقدوة الحسنة ممن حوله»(٤)، فإن الفرد في هذه المرحلة - أعني مرحلة البلوغ- لم يعد طفلا ساذجا يقبل كل مايلقى له دون فهم أو إدراك، ولذا تكون التربية في مرحلة البلوغ مختلفة عما هي عليه في مرحلة الطفولة، فهي مرحلة تأديب وتوجيه وبيان وإقناع وإرشاد وتصحيح أخطاء في جوانب شخصية الفرد كافة.

وإذا كانت فترة الطفولة «في حاجة إلى رعاية شديدة من الأسرة، لأنها الفترة التي توضع فيها الأسس التي ترتكز عليها الشخصية فيما بعد»(١٥)، فإن مرحلة البلوغ أشد حاجة إلى الرعاية لأنها تكوّن منعطفا هاما في حياة الفرد فإما استقامة يكون الانحراف بعدها نادرا، وإما انحراف تكون معالجته صعبة وشاقة.

والقضية في عالمنا الإسلامي المعاصر ليست قضية تربية أسرية أو لاتربية أسرية، ولكن القضية ماذا ينبغي للأسرة المسلمة أن تقوم به من دور تربوي تجاه أبنائها، فقد كشفت بعض الدراسات - مثل دراسة حسن عبد العال- «أن عددا كبيرا من الأطفال ينشأ في كنف والدين أميين، وفي معظم الأحوال تجهل أمهاتهم القراءة أو الكتابة، ... ولاتملك الأسرة من شأن الطفولة إلا مابقي من تقاليد متوارثة بخيرهاوشرّها»(١٦).

فكثير من الأسر تستخدم أساليب ووسائل خاطئة في تربية الأولاد، فبعضها يستخدم أساليب التخويف والتهديد والإذلال والتسلط والاستبداد والقسوة وفرض الطاعة العمياء، وبعضها الآخر يستخدم أساليب التدليل والإفراط والمغالاة في التساهل والاتكالية، وآخر يركّز اهتمامه على جانب من جوانب تربية الناشئة دون مراعاة الجوانب الأخرى، أو قد يكون ذلك على حسابها، ناهيك عن بعض الأسر التي تعامل أولادها معاملة تكاد تكون متماثلة غير مبالية باختلاف مراحل السن أو الفروق الفردية. كما أن كثيرا من الآباء والأمهات « لم يعودوا يفهمون من مهامهم تجاه الأبناء إلا مسؤولية المصروف والكسوة وتوفير أسباب الراحة، وحسبوا أنهم بذلك قد أدوا الأمانة واستحقوا تكريم وتقدير المجتمع لهم»(١٧)، وأخذت بعض الأسر في التخلي عن الكثير من وظائفها التربوية- وبخاصة في مرحلة البلوغ- فتتركها للمدرسة أو للإعلام أو للنادي أو لسواها من المؤسسات الأخرى.

إن جهل بعض الأسر بدورها التربوي وتخليها عنه في مرحلة البلوغ، له الأثر الكبير في زيادة جنوح الأولاد وانحلالهم وتشردهم وضياعهم. وقد أثبتت بعض الدراسات العلمية مثل دراسة «بيرت»(١٨) ودراسة «كولر»(١٩) ودراسة «شازال»(٢٠) - التي أجريت على بعض الأولاد الجانحين، أن نسبة كبيرة من الجانحين تتراوح مابين (٧٠-٨٠٪) تأتي من أسر مفككة تكون فيها الأم مطلّقة، أو يكون فيها الأب قليل العناية ببيته، أو تكون الأم مهملة كثيرة الخروج من البيت،

قليلة العناية بأولادها، أو من أسر تكون فيها التربية شديدة التزمّت والقسوة، أو شديدة التراخي والضعف.

إن هذا الجنوح والانحلال وتمرد الأبناء على الآباء والثورة في وجوههم - في مرحلة البلوغ بخاصة - لم يقتصر ضرره على الأبناء فحسب، بل يشمل الآباء والأمهات والمجتمع أيضا، وما وصل إليه المجتمع الأوربي في هذا الشأن خير شاهد على ذلك. فقد أصبحت القاعدة الأسرية عندهم «أن الأبوين كلما كبرت سنهما قلّت منزلتهما، وهانت على المجتمع بل على أبنائهما، وأصبح منتهى مايتمنيان ملجأ مناسبا للعجزة يأويان إليه، وقد يكون لهما من الأبناء من هم في قمة الوظائف والمراكز في الدولة، إنهم يعاملون الآباء والأمهات كما عاملوهم، وكما تدين تدان»(٢١). وها هو ذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشير إلى قضية تخلي الأسرة عن دورها التربوي وما يترتب على ذلك من عواقب سيئة. عندما جاء رجل يشكو إليه عقوق ابنه -وقد كان الأب سببا في ذلك- يقول :«جئتني تشكو عقوق ابنك وقد عققته قبل أن يعقك، وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك»(٢٢).

(٢) مشكلة البحث :

للأسرة المسلمة دور كبير في تربية الناشئين تربية إسلامية، هذا الدور رسمه القرآن الكريم، وشرحته السنة النبوية الشريفة، وقد أشار إليه بعض علماء المسلمين. وتزداد أهمية هذا الدور في مرحلة هامة من مراحل نمو الإنسان وهي مرحلة البلوغ، وفي مرحلة هامة من تاريخ البشرية نعيشها الآن، إذ سيطرت على العالم فيها أفكار وفلسفات، وأثّر ذلك بدوره سلبا في قيم وأخلاق المجتمعات بعامة، هذا لأمر الذى يزيد من أعباء الأسرة المسلمة تجاه تربية أولادها على قيم وأخلاق الإسلام، وعلى روح التضحية من أجل التقدم العلمي، وفي هذا الإطار تأتي هذه الدراسة لتوضح دور الأسرة المسلمة في تربية أولادها تربية إسلامية في مرحلة البلوغ، وتتلخص مشكلة الدراسة في السؤال الآتي:

ما الدور التربوي الذى يجب أن تقوم به الأسرة المسلمة في تربية أولادها في مرحلة البلوغ ؟

ويتفرع من هذا السؤال أسئلة فرعية يمكن حصرها في الآتي:

١- ما دور الأسرة المسلمة في تربية الجانب الإيماني والروحي في مرحلة البلوغ؟
٢- ما دور الأسرة المسلمة في تربية الجانب العقلي والعلمي في مرحلة البلوغ؟
٣- ما دور الأسرة المسلمة في تربية الجانب الأخلاقي والاجتماعي في مرحلة البلوغ ؟
٤- ما دور الأسرة المسلمة في تربية الجانب الصحي في مرحلة البلوغ ؟
٥- ما الأساليب والوسائل المحققة لدور الأسرة المسلمة في تربية البالغين؟

(٣) أهداف البحـــث :

١- الوقوف على الدور التربوي للأسرة المسلمة - كما يجب أن يكـون- وإبراز ملامح هذا الدور، وتأثيره على جوانب الشخصية المسلمة في مرحلة البلوغ، وكيف يرسم الإسلام سبل تحقيق هذا الدور.

٢- تكوين الوعي بخطورة إهمال الأسرة دورها التربوي في مرحلة البلوغ.

٣- تبصير الآباء والأمهات بمسؤولياتهم التربوية، وبالدور التربوي الذى يستطيعون القيام به في هذه المرحلة.

(٤) أهمية البحـث :

١- إبراز الأدوار التربوية المختلفة للأسرة المسلمة لتنمية وتوجيه ورعاية شخصية مسلمة في جوانب متعددة، وهي الجانب الإيماني الروحي والعقلي والأخلاقي والاجتماعي والصحي.

٢- تنمية وعي الأسرة المسلمة وتبصيرها بمسئولياتها تجاه تربية أولادها البالغين وبخطورة تخليها عن واجبها أو إهمالها القيام بمسئولياتها التربوية، وجهلها بأساليب ووسائل تربيتها.

٣- يتناول البحث مرحلة من مراحل نمو شخصية الإنسان وهي مرحلة البلوغ، التي تعد من المراحل الهامة، نظرا لما ينتاب الفرد فيها من التغيرات الجسمية، والعقلية والروحية والاجتماعية، وتتفتح فيها معظم جوانب الشخصية وترتسم ملامحها وتتحدد مقوماتها، فيحتاج الفرد فيها إلى مزيد من الرعاية الأسرية من حماية وتوجيه وعلاج وتنمية، لعدم قدرة الولد في هذه المرحلة على مواجهة الحياة بنفسه.

(٥) حدود البحـث :

اقتصرت هذه الدراسة على دور الأسرة المسلمة في تربية أولادها -ذكوراً وإناثا- في مرحلة البلوغ وهي التي تبدأ من سن العاشرة إلى سن الثامنة عشرة وذلك من الناحية العقدية والروحية والعقلية والأخلاقية والاجتماعية والصحية، مع توضيح خصائص الأسرة المسلمة، وخصائص مرحلة البلوغ.

(٦) مصادر البحـث :

عمد الباحث في جمع المعلومات المتعلقة ببحثه إلى المصادر العامة الأساسية للتربية الإسلامية وهي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ثم إلى المصادر التخصصية وهي كتابات في العلوم الإنسانية وخاصة كتب التربية الإسلامية.

(٧) منهج البحـث :

أعتمد الباحث على المنهج الوصفي القائم على الوصف وجمع المعلومات، ثم تصنيف هذه المعلومات وتنظيمها وتحليلها، ويعد هذا المنهج -كما يشير إليه بعض الباحثين بأنه - : «الأسلوب الأكثر استخداما في الدراسات الإنسانية حتى الآن»(٢٣)، وقد رأى الباحث أن هذا المنهج لايكفي وحده في هذا البحث، وقد أكدّ أحد

الباحثين المختصين في مجال مناهج البحث في التربية وعلم النفس :«أن جمع الحقائق وحده لايكفي، فبدون الاستنباط تكون معظم معالجتنا للحقائق غير مثمرة»(٢٤)، لهذا فقد استخدم الباحث المنهج الاستنباطي، واستنبط آراء وأحكاما تربوية من النصوص الشرعية حسب القواعد والضوابط ودلالات النصوص المتعارف عليها لدى علماء المسلمين، والمنهج الاستنباطي لايقل استخداما عن المنهج السابق في الدراسات الإنسانية فقد «تغلغل المنهج الاستنباطي في كل دوائر العلم والمعرفة الإنسانية»(٢٥). وهذا المنهج له مرحلتان، المرحلة الأولى مرحلة المسلمات التي يفترض صوابها بدون برهان، والمرحلة الثانية هي النتائج التي تستخرج من تلك المسلمات . فالعلوم الإسلامية كما قال أحد الباحثين: «تقوم على النصوص المقدسة من القرآن الكريم والسنة الصحيحة، ومايشتق منها من القواعد الشرعية، وتلك النصوص، وهذه القواعد تعد من القضايا المسلم بها لدى الباحث المسلم، فهي كالبديهيات يفترض صوابها بغير برهان، ولاتخضع للنقد في ذاتها، ومن ثم تكون النتائج التي تشتق منها أو تستنبط في ضوئها -مادامت جاءت وفقا للقواعد المنهجية السليمة - ملزمة بالضرورة، ولايجوز علميا رفضها أو اتهامها بالخطأ»(٢٦). كما استخدم الباحث المنهج التاريخي الذي من خلاله استفاد من التراث التربوي لدى بعض العلماء المسلمين.

(٨) مصطلحات البحـــث :

ا- البلوغ :

تأخذ كلمة « بلغ » في اللغة العربية عدة معان ، فيقال :« بلغ الشيء: وصل وانتهى، والإبلاغ: الإيصال، وبلغ الغلام: احتلم كأنه بلغ وقت الكتاب عليه والتكليف، وشيء بالغ: أي جيد، وأمر بالغ: أي نافذ، ويمين بالغة: أي مؤكدة»(٢٧)، « وبلغ الرجل بلاغة فهو بليغ، وهذا قول بليغ»(٢٨).

أما تعريف «البلوغ» اصطلاحا، فهو «مرحلة من مراحل النمو الفسيولوجي

العضوي.. وفيها يتحول الفرد من كائن لاجنسي إلى كائن جنسي قادر على أن يحافظ على نوعه واستمرار سلالته»(٢٩). ويعرف محمد قطب مرحلة البلوغ بأنها :« مرحلة بداية النضج، يتفجر فيها الكيان البشري بكامله لينضج بكامله، ومن هنا يتم -في بناء الفطرة السليم- إنطلاق شحنة الجسد وشحنة الروح في دفعة واحدة»(٣٠).

ويعرف الباحث «البلوغ» بأنه مرحلة من مراحل النمو، يتحول فيها الفرد من مرحلة الطفولة إلى مرحلة يصبح فيها قادرا على المحافظة على نوعه، واستمرار سلالته، والاعتزاز بأفكاره، والاعتماد على نفسه، ومعايشة الحياة.

٣- الدور :

لكلمة « دور » معان عديدة في كتب اللغة العربية، منها «عود الشيء إلى ماكان عليه، والنوبة، والمرّة، والحركة»(٣١) وتأتي بمعنى « الطبقة من الشيء المدار بعضه فوق بعض»(٣١).

أما مصطلح «الدور» في علم الاجتماع وعلم النفس فيتخذ معاني عديدة أيضا، فيعرف «الدور» بأنه «نموذج يتركز حول بعض الحقوق والواجبات، ويرتبط بوضع محدد للمكانة داخل جماعة، أو موقف اجتماعي معين، ويتحدد دور الشخص في أي موقف عن طريق مجموعة توقعات يعتنقها الآخرون كما يعتنقها الشخص نفسه»(٣٣). ويعتقد «رالف لينتون» أن المكانة هي مجموعة الحقوق والواجبات وأن الدور هو المظهر الدينامي للمكانة فالسير على هذه الحقوق والواجبات معناه القيام بالدور، وهذا التعريف استخدمه عدد من علماء الاجتماع(٣٤).

أما الباحث فيعرف الدور التربوي الإسلامي على النحو التالي ؛ بأنه مجموعة من الممارسات التربوية الإسلامية يمكن أن يقوم بها فرد أو جماعة لإحداث تغيير أو آثار في بناء شخصية المسلم.

٣- التربية الإسلامية :

إن هذا المصطلح من المصطلحات الأساسية والمهمة، ولابد من تحديده بدقّة وإيضاح، في النقاط التالية :

(أ) التربية في اللغة؛ تعني التنمية، يقال؛ رباه: نماه، وربي فلانا: غذاه ونشاه وربى: نمى قواه الجسدية والعقلية والخلقية (٣٥).

وتتلخص الأصول اللغوية لكلمة تربية في ثلاثة أصول هي:-

الأصل الأول : ربا، يربو : بمعنى نما، ينمو

الأصل الثاني : ربي، يربى بمعنى نشأ وترعرع

الأصل الثالث : ربّ.. يربّ.. بمعنى أصلحه، وتولى أمره، وساسه وقام عليه، ورعاه.(٣٦).

وبالرجوع إلى الأصلين اللغويين - الأول والثاني لكلمة التربية تبيّن أن تلك الكلمة تأخذ المعاني التالية :

الزيادة والنمو، النشأة والترعرع، التغذية.

أما عن الأصل اللغوي الثالث فإنها تأخذ المعاني التالية:

السياسة والتفوق، إصلاح الشيء ورعايته، حفظ الشيء، حسن القيام على الطفل ، الجمع والنمو، التعليم، التكفل بأمور الصغير.

(ب) التربية في الاصطلاح : أما مصطلح «التربية» عند رجال التربية والتعليم، فهو لايخضع لتعريف محدد ، بسبب تعقد العملية التربوية من جانب، وتأثرها بالعادات والتقاليد والقيم والأديان والأهداف من جانب أخر. بالإضافة إلى أنها عملية متطورة متغيرة بتغير الزمان والمكان، ويمكن القول إن التربية تدخل في عداد المسائل الحيّة لأنها تتسم بخاصية النمو، وسيورد الباحث بعضا من مصطلحات كلمة «التربية» مستشهدا ببعض الأقوال والآراء من الشرق والغرب، ثم بعد ذلك يورد ماقاله علماء المسلمين المعاصرين عن معنى التربية الإسلامية لكي يتضح معنى التربية عامة والتربية الإسلامية خاصة، وفيما يلي عرض لذلك :

١- تعرف التربية بأنها عملية نمو. حيث يعرفها «جون هنري يستالوتزي» بأنها: «نمو جميع قوى الإنسان نموا طبيعيا تقدميا منسجما»(٣٧)، أي تنمية جميع جوانب الشخصية في تكامل وتوازن بحيث يتكامل الجانب الجسمي مع الجانب العقلي مع الجانب الوجداني والروحي والأخلاقي والاجتماعي.

٢- التربية عملية إعداد «تهيئة»، سواء كان هذا الإعداد في جانب من جوانب شخصية الإنسان كما يقول «ارسطو» : «التربية إعداد العقل للتعليم كما تعدّ الأرض للبذرة»(٣٨)، أو كان هذا الإعداد لكافة جوانب الشخصية كما يقول «هربارت سبنسر»: «إن التربية هي إعداد المرء لأن يحيا حياة كاملة»(٣٩).

٣- التربية عملية ترويض. وهذا ما أشار إليه «جان جاك روسو» في حديثه عن الطبيعة والتربية(٤٠).

٤- التربية عملية ترقيه وتطوير، يقول « فروبل»، «إن التربية عملية نمو وتطور ورقي نحو السمو والكمال الروحي أو الوحدة المقدسة»(٤١).

٥- التربية عملية تهذيب، يقول «جون لوك» : «التربية عملية تهذيب أخلاقي أكثر منها تدريب عملي»(٤٢).

٦- التربية عملية توجيه وإرشاد ، يقول «فروبل»، «إن التربية عملية توجيه الطفل نحو النمو الكامل المتكامل الذي يشمل جسمه وعقله ووجدانه وروحه»(٤٣).

٧- التربية عملية بناء، يقول «هربارت» في تعريف آخر للتربية أن «التربية عملية بناء الأخلاق وتكوين الشخصية المتكاملة»(٤٤).

٨- التربية عملية تكيف، يقول فاخر عاقل: «إن التربية تكيف قبل كل شيء، تكيف وتكييف»(٤٥).

٩- التربية عملية ذاتيه، يقول «هربارت»: «التربية تكوين الفرد من أجل ذاته»(٤٦).

١٠- التربية عملية اجتماعية، يقول «دور كايم»، «التربية تكوين الطفل تكوينا اجتماعيا»(٤٧).

١١- التربية عملية تدريب وعادة، كان «أفلاطون» ينظر إلى التربية على أنها عملية تدريب أخلاقي(٤٨).

١٢- التربية عبارة عن أفعال وآثار، يقول «أوبير»: «التربية جملة الأفعال والآثار التي يحدثها بإرادته كائن إنساني في كائن إنساني آخر، وفي الغالب راشد في صغير، والتي تتجه نحو غاية قوامها أن نكوّن لدى الكائن الصغير استعدادات منوعة تقابل الغايات التي يعد لها حين يبلغ طور النضج»(٤٩).

١٣- التربية هي الحياة، وهذا المعنى يشمل جوانب عديدة ، حيث يقول «جون ديوي»: «التربية هي الحياة نفسها، وليست مجرد إعداد للحياة، وبأنها عملية نمو، وعملية تعلّم، وعملية بناء وتجديد مستمرين للخبرة، وعملية اجتماعية»(٥٠).

من التعريفات السابقة يتضح عدم ملائمة أي تعريف منها للتربية الإسلامية؛ لأنه كما أوضح الباحث سابقاً، أن مفهوم التربية يتأثر بالعامل الفلسفي والاجتماعي والديني والعلمي والثقافي، الذي يسود مجتمع واضعي تلك المفاهيم، ويود الباحث أن يشير إلى ماذكره أبو الحسن الندوي من أنه: «لايخفى على المطلّع الجيد أن نظام التعليم روح وضمير، وأن روح نظام التعليم وضميره، إنّما هو ظل لعقائد واضعيه ونفسيتهم وغايتهم من العلم ودراسة الكون ووجهة النظر إلى الحياة ومظهر لأخلاقهم»(٥١). ولعل ذلك يبدو واضحا ، فالتعريفات السابقة الذكر لم تكن مصبوغة بالصبغة الإسلامية، ولم تكن وجهتها وجهة إسلامية، ولهذا لايعد أي تعريف منها تعريفا صالحا للتربية الإسلامية، لأن التربية الإسلامية تستقي نظامها من تشريعات وتعليمات فرضها اللّه على المسلمين، كي يربوا الناشئة عليها. نعم قد يكون هناك اتجاهات صائبة في بعض مفاهيم التربية السابقة، إلا أنها لاتمثل إلا جزءاً من حقيقة التربية الإسلامية، وهذا ماستكشفه تعريفات التربية الإسلامية التالية لدى بعض علماء المسلمين .

(ج) تعريف التربية الإسلامية : أورد بعض علماء المسلمين المعاصرين تعاريف للتربية الإسلامية من بينها مايلي:

١- تعرف التربية الإسلامية بأنها: «تلك المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في إطار فكري واحد، يستند إلى المبادئ والقيم التي أتى بها الإسلام، والتي ترسم عددا

من الإجراءات والطرائق العملية يؤدي تنفيذها إلى أن يسلك سالكها سلوكا يتفق وعقيدة الإسلام»(٥٢).

٢- وتعرف التربية الإسلامية أيضا بأنها «مجموعة التصرفات العملية والقولية المأخوذة من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية أو الاجتهاد في ضوئهما، والتي يمارسها إنسان بإرادته مع إنسان آخر، يهدف مساعدته في اكتمال جوانب نموه وتفتيح استعداداته وتوجيه قدراته وتنظيم طاقاته، ليتمكن من ممارسة النشاطات وتحقيق الغايات التي يحددها الإسلام»(٥٣).

٣- كما يعرف أحد الباحثين التربية الإسلامية بأنها: «علم إعداد الإنسان المسلم لحياتي الدنيا والآخرة إعداداً كاملاً من الناحية الصحية والعقلية والعلمية والاعتقادية والروحية والأخلاقية والاجتماعية والإرادية والإبداعية في جميع مراحل نموه في ضوء المبادئ والقيم الإسلامية وفي ضوء أساليب ووسائل وطرق التربية التي بينها الإسلام»(٥٤).

والباحث يرجح التعريف الأخير ويعتبره تعريفا مناسبا للتربية الإسلامية للأسباب التالية:

١- إنه مصبوغ بالصبغة الإسلامية، فهو يشير إلى أن تكون تنشئة وتربية الفرد في «ضوء المبادئ والقيم التي أتى بها الإسلام».

٢- إنه تعريف شامل لجميع جوانب الشخصية فقد نوه التعريف بالجوانب الأساسية وهي الجانب الصحي والعقلي والاعتقادي والروحي والأخلاقي والإرادي والإبداعي.

٣- إنه يشير إلى أن التربية الإسلامية عملية مقصودة لتحقيق هدف معين وهو «تنشئة وتكوين إنسان مسلم»، وهذا يتضمن إعداد الفرد لدنياه؛ ليتمكن من حمل الأمانة التي حمله الله إياها، وإعداده لآخرته التي وعده الله بها.

٤- إنه يشير إلى استمرارية التربية الإسلامية ويذكر: «في جميع مراحل نموه».

٥- إنه يشير إلى أن التربية الإسلامية لها أساليبها وطرقها المستمدة من تعاليم الإسلام كما في قوله: «أساليب وطرق التربية التي بينها الإسلام».

٦- ولأن اتجاه هذه الدراسة يتفق مع مضمون أو محتويات هذا التعريف.

٧- يشير التعريف إلى أن التربية الإسلامية علم وليست مجرد تصرفات أو أفكار.

إلا أن الباحث يختلف في الرأي الوارد بالتعريف، وهو أن التربية الإسلامية هي «إعداد الإنسان المسلم»، فالباحث يرى أنها تعدّ الإنسان - على وجه الخصوص - ليكون مسلماً.

ثانياً: الدراسات السابقة:

لقد اطلع الباحث على فهارس الرسائل العلمية بجامعات المملكة كافة وقرأ معظم الرسائل التي لها علاقة ببحثه، كما اطّلع على بعض فهارس الرسائل العلمية بجامعات الدول العربية، ورأى الباحث أن موضوع «دور الأسرة المسلمة في تربية أولادها تربية إسلامية في مرحلة البلوغ» لم تتناوله أية رسالة سابقة متخصصة، في حدود علم الباحث من خلال قراءاته واتصاله وتفاهمه مع كثير من أساتذة التربية في المملكة.

ولكن هناك بعض من الدراسات في مجال التربية الإسلامية تناولت دور الأسرة المسلمة في تربية أولادها في بعض جوانبها. وقد استطاع الباحث الحصول على تلك الرسائل التي لها علاقة بموضوعه، وقد كابد بعض المشاق في الحصول على بعضها، ويود أن يستعرض تلك الرسائل مرتبة حسب أهميتها للدراسة الحالية في رأيه.

أ- **دراسة حسن إبراهيم عبد العال**، وعنوانها: «أصول تربية الطفل في الإسلام» وهي رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية التربية بجامعة طنطا بمصر عام ١٩٨٠م، وتتألف هذه الدراسة من فصل تمهيدي وثلاثة أبواب تقع في ثلاثة عشر فصلا، وقد حدد الباحث مشكلته في ضرورة الكشف عن أصول تربية الطفل في

الإسلام، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي القائم على الوصف والبحث والتحليل، كما استخدم المنهج التاريخي.

والفصول التي لها علاقة بالدراسة الحالية هي الفصل الأول الذي تناول عناية الإسلام بالأسرة والعلاقة بين الزوجين في الإسلام وأثرها في نمو الطفل، وكذلك الفصل الخامس والسادس والسابع والثامن، وقد تناول الباحث في هذه الفصول التربية الجسدية والتربية الاجتماعية والتربية الوجدانية والتربية الأخلاقية على التوالي، وقد توصل الباحث إلى العديد من النتائج والتوصيات، وأشارت الدراسة إلى أن عددا كبيرا من الأطفال يعيشون في كنف والدين أميين، ولا تملك الأسرة من شأن الطفولة إلا مابقي من تقاليد متوارثة بخيرها وشرها، وأن أغلبية قطاعات المجتمع العربي تعاني من نقص شديد في الوعي بمراحل نمو الطفل واحتياجاته. ومع الملايين الكثيرة من الأموال التي تنفق من أجل تنظيم الأسرة لم يوجه أيّ جهد منظم لنشر الوعي بحقائق الإنجاب والطفولة، وأن مجهودات التنمية العربية في المدة الأخيرة تميزت بتبني مفهوم غربي، وبالتالي فإن مفاهيم وأساليب الخدمات الأساسية للطفولة في وطننا العربي مقتبسة أساسا من المجتمعات الغربية، وينصح الباحث بإعداد الآباء والأمهات للأبوة من الوجهة السليمة الصالحة، وأن تشجع مراكز البحوث والدراسة في الجامعات وغيرها لإجراء البحوث والدراسات في مجالات الطفولة .

مما سبق يتضح أن دراسة حسن عبد العال تناولت بعضا من جوانب تربية الطفل، وأبرزت نظرة الإسلام إلى تربية هذه الجوانب في مرحلة الطفولة.

أما الدراسة الحالية فتناولت خصائص الجوانب الأساسية لشخصية البالغ الروحية منها والعقلية والأخلاقية والاجتماعية والصحية، كما عمدت إلى إبراز دور الأسرة المسلمة في تربية هذه الجوانب وفق نظرة الإسلام لها، وفي حين اقتصرت الدراسة السابقة على مرحلة الطفولة فإن الدراسة الحالية قد تناولت مرحلة البلوغ.

٢- **دراسة خيرية حسين طه صابر**، وعنوانها «دور الأم في تربية الطفل المسلم» وهي رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى بمكة المكرمة عام ١٤٠٣هـ ونشرت لأول مرة عام ١٤٠٥هـ نشرتها دار المجتمع للنشر والتوزيع بجدة، وقد تألفت الرسالة من مقدمة وأربعة فصول، وحدّدت الباحثة مشكلة الدراسة في التساؤلات الآتية:

١- هل الأم قادرة على تربية طفلها تربية إسلامية صحيحة ؟
٢- هل حققت مناهج تعليم البنات بالمملكة العربية السعودية أهدافها ؟
٣- هل أعدت المعلمة الإعداد الجيد بخاصة في المرحلة الابتدائية ؟

وقد استخدمت الباحثة في دراستها المنهج التاريخي والوصفي، وقد تحدثت الباحثة في الفصل الثاني عن أهمية الأسرة في الإسلام وأهدافها، ثم تحدثت عن حقوق الطفل في الإسلام، واختتمت الباحثة الفصل بالحديث عن تربية الطفل من خلال طاقاته، وتناولت التربية الجسمية والعقلية والروحية، وفي الفصل الرابع تحدثت الباحثة عن طريقة الأم في تربية الطفل المسلم وتضمن هذا الفصل الحديث عن القدوة والقصة، ووسائل الترويح.

إن الدراسة المذكورة قد تناولت جانبا من دور الأسرة المسلمة في تربية الطفل، إلا أنها لم تتناول الدور التربوي للأسرة بشكل عام بل تناولته في جوانب معينة، واقتصرت كذلك على مرحلة الطفولة. أما الدراسة الحالية فاختلفت عنها في كونها تناولت مرحلة البلوغ وحوت جوانب إضافية متعددة سبقت الإشارة إليها في الكلام على الدراسة السابقة.

٣- **دراسة فائقة عباس سنبل**، وعنوانها: «دور الأسرة والمدرسة في عملية التوجيه التربوي للطفل»، وهي رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة لجامعة أم القرى بمكة المكرمة عام ١٤٠١هـ. والرسالة تتكون من خمسة فصول، وتهدف إلى إبراز دور الأسرة والمدرسة في عملية التوجيه التربوي، وقد استخدمت الباحثة

المنهج التاريخي ، وبيّنت الدراسة أهمية الترابط بين عمليتي التربية والتوجيه وأشارت إلى أنه إذا كانت التربية والتعليم عملية تحقق للفرد نمواً متكاملاً، فالتوجيه وسيلة تربوية تساعد الإنسان على حسن التكيف في البيئة. وقد تناولت الباحثة موقف الأسرة من توجيه أبنائها عبر التاريخ، وتطرّقت الباحثة إلى ضرورة التكامل بين البيت والمدرسة في عملية توجيه الطفل، وأشارت إلى أن هذا التكامل ضروري لتحقيق النمو، كما أنه ضروري لتحقيق الأهداف التربوية، ومواجهة التغير، وهو ضروري أيضا لتجنب الصراع وليقلل من الإهدار في العملية التربوية.

وهذه الدراسة اقتصرت على توجيه الطفل في المرحلة الابتدائية كما أنها في عمومها دراسة تاريخية اهتمت بالأحداث التاريخية للأسرة وانعكاسها على التوجيه.

أما الدراسة الحالية فقد اشتركت معها في كون توجيه الأسرة لأولادها يعد من الأدوار التربوية الهامة التي تقوم بها الأسرة. ولكنها أختلفت عنها في كون الدراسة الحالية تناولت توجيه الأسرة لأولادها في مرحلة البلوغ، وعمدت إلى كشف ماينبغي أن يقوم به الوالدان من توجيه في الجوانب المختلفة لشخصية البالغ في هذه المرحلة كل جانب على حدة.

٤- **دراسة علي خليل أبو العينين**، وعنوانها: «فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم» ، وهي رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية بجامعة طنطا عام ١٩٧٨م، ونشرت لأول مرة عام ١٩٨٠م، نشرتها دار الفكر العربي بالقاهرة.

وقد هدفت الدراسة إلى الكشف عن إطار فلسفي للتربية العربية الإسلامية المعاصرة يتفق والحاضر، ويحقق آمال المستقبل، وذلك على أساس دراسة شاملة لفلسفة الحياة في القرآن الكريم تمثل الإطار العام للمجتمع الإسلامي، ومن الممكن الاستفادة من هذا الإطار الفلسفي في التربية. وقد تكونت الرسالة من ستة فصول.

أما ماله علاقة بالدراسة الحالية من هذه الرسالة فهو الفصل الثالث، وقد تطرّق الباحث فيه إلى مجالات التربية الإسلامية فتناول الجانب الجسمي، والجانب العقلي، والجانب العقائدي، والجانب الوجداني، والجانب الاجتماعي، مبينا ماتشير إليه بعض الآيات الكريمة من مدلولات تربوية في هذه المجالات، وأشار الباحث إلى أن القرآن الكريم يتعامل مع الإنسان كلاً متكاملاً من جميع جوانبه، العقدية والفكرية والعقلية والوجدانية والاجتماعية والأخلاقية والجمالية ، وقد بين الباحث أن كل جانب من جوانب الإنسان يكمل الجوانب الأخرى، وأن كل هذه الجوانب تنمو في وقت واحد، وفي تكامل متزن، إذ تتكامل الشخصية الإسلامية في الإسلام، حيث تجد كل قوة من قواها الفطرية مجالا يتسق مع مجالات قواها الأخرى، ومن ثم لاتهدر قوة من هذه القوى ولاتتعاظم عليها.

ودراسة على خليل تتفق مع الدراسة الحالية في تربية جوانب شخصية الفرد تربية إسلامية، إلا أن دراسته أبرزت نظرة الإسلام إلى تربية هذه الجوانب دون تحديد مرحلة نمو معينة، أما الدراسة الحالية فعمدت إلى إبراز دور الأسرة في تربية هذه الجوانب في مرحلة البلوغ وفق نظرة الإسلام لها.

٥- **دراسة أحمد عبد اللطيف وحيد**، وعنوانها: «دراسة مقارنة في الانصياع الاجتماعي بين المراهقين وأبائهم»، وهي رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية التربية بجامعة بغداد، عام ١٤٠٤هـ، وهي تهدف إلى التعرف على مدى انصياع المراهقين (ذكوراً وإناثاً) لقيم أبائهم، وكذلك التعرف على مدى الفروق بين المراهقين والمراهقات في الانصياع لقيم أبائهم. ولتحقيق ذلك قام الباحث بإعداد استبانة من سبعين فقرة، وشملت فقراته المجالات الخمسة الآتية (حقوق الأبناء، حقوق الآباء، العلاقات مع الآخرين، الزواج، العمل ، الجوانب الاقتصادية). وقد طبّق البحث على طلبة الصف السادس من المدارس الإعدادية والثانوية العامة وأبائهم في مركز مدينة بغداد للعام الدراسي ١٩٨٢/١٩٨٣م، وقد توصل الباحث إلى النتائج الآتية :

١- فيما يخص هدف البحث الأول المتعلّق بالتعرف على مدى انصياع المراهقين لقيم آبائهم، أظهرت النتائج أن الأبناء قد انصاعوا لقيم آبائهم في أربعة مواقف، بينما هناك اثنان وعشرون موقفا كانت مواقف الأبناء فيها تختلف عن مواقف آبائهم.

٢- أما هدف البحث الثاني المتعلّق بالتعرف على الفروق بين المراهقين والمراهقات في الانصياع لقيم آبائهم، فقد أوضحت الدراسة بشأنه أن هناك خمسة مواقف كان المراهقون الذكور قد انصاعوا فيها لقيم آبائهم. وأن واحداً وعشرين موقفاً كانت مواقف المراهقين فيها تختلف عن مواقف آبائهم، بينما هناك تسعة مواقف كانت المراهقات فيها منصاعات إلى قيم آبائهن وأن ستة عشر موقفا كنّ يختلفن فيها عن مواقف آبائهن.

وأشار الباحث في توصياته إلى ضرورة الإفادة من وسائل الإعلام المختلفة من خلال الإعلام الهادف في زيادة وعي الآباء وتثقيفهم على ضرورة تحسين تعاملهم مع أبنائهم أثناء عملية التنشئة الاجتماعية، وإلى إسهام المدرسة من خلال مجالس الآباء والمعلمين في توعية الأسرة بأهمية توفير الأجواء التربوية التي تكفل تنشئة الأبناء وفق الأساليب التربوية الصحيحة.

ودراسة عبداللطيف تختلف عن الدراسة الحالية في أهدافها، فبينما دراسة عبداللطيف تسعى إلى إبراز المواقف التي انصاع فيها المراهقون لقيم آبائهم، وتلك التي يختلف فيها المراهقون عن مواقف آبائهم، فإن الدراسة الحالية تهتم بالتعرف على الدور الأمثل للأسرة في تربية البالغين، بمعنى أن دراسة عبد اللطيف في مجال ماهو قائم، أما الدراسة الحالية مجالها مايجب أن تكون عليه التربية الأسرية.

٦- دراسة عباس علوان داود، وعنوانها: «مخاوف المراهقين في مرحلة الدراسة المتوسطة في مدينة بغداد»، وهي رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى كلية التربية بجامعة بغداد، عام ١٤٠٢هـ .

وقد هدفت الدراسة إلى الإجابة عن السؤالين التاليين :

١- ما المخاوف التي يعاني منها المراهقون من طلبة المدارس المتوسطة؟

٢- هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية حسب متغيري:

أ) الجنس (ذكور وإناث).

ب) الصف (طلبة الصف الأول متوسط، وطلبة الصف الثالث متوسط)

ولتحقيق ذلك قام الباحث بإعداد استبانة تتكون من (٧٩) فقرة، وقد أجريت الدراسة على طلبة المدارس المتوسطة النهارية في مدينة بغداد عام ١٩٨١/١٩٨٢م وكشفت نتائج البحث مايلي:

١- وجد أن المخاوف التي تضمنتها فقرات الاستبانة البالغ عددها (٧٩) فقرة تراوحت درجات حدتها بين (١ر٨.٨ و ٨٢.ر٠) ، وبلغ عدد المخاوف التي اعتبرت حادة (٤١) خوفا، يأتي على رأسها المخاوف التالية: أخاف من عقاب الله، أخاف أن أفقد شخصا عزيزا، أخاف من عذاب النار، أخاف أن تمرض أمي، أخاف أن يمرض أبي، أخاف من الرسوب، أخاف أن أطرد من المدرسة، أخاف أن يحدث الطلاق بين والدي، أخاف من النسيان أثناء الامتحان، أخاف من الإخفاق في حياتي، أخاف من القتل ، أخاف أن ارتكب خطأ، أخاف من كثرة المشكلات العائلية، أخاف من حصول حوادث غير متوقعة، أخاف أن يتوقف عمل والدي، أخاف من تشويه قامتي، أخاف أن افترق عن أصدقائي، . . ، وتراوحت حدتها بين (١ر٨.٨ و ٨.٠ر١) .

٢- أظهرت النتائج أن مخاوف البنات أكثر من مخاوف البنين، وكانت الفروق بمستوى(٠٥.ر٠)

٣- أظهرت النتائج أن لمتغير الصف أثرا على المخاوف، فقد كانت هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين مخاوف طلبة الصف الأول وطلبة الصف الثالث.

وقد أوصى الباحث بأن يتجنب الآباء والأمهات أسلوب التخويف والزجر والنقد والسخرية في تنشئة الأبناء، لأن هذه الأساليب تقلل الثقة بالنفس، ومن المحتمل أن تسهم في تضخيم الخوف والقلق.

وإذا كانت هذه الدراسة قد كشفت المخاوف التي يعاني منها المراهقون من طلبة المدارس المتوسطة، فإن الدراسة الحالية استفادت من هذه النتائج، وخاصة عندما تناول الباحث الأساليب والوسائل التربوية التي ينبغي للوالدين اتباعها في تربية أولادهما، للتغلب على هذه المخاوف أو الإقلال من حدتها.

علاقة الدراسات السابقة بالدراسة الحالية :

تلتقي هذه الدراسات جميعا في الإشارة إلى دور الأسرة في تنشئة الأطفال وتربيتهم. إلا أنها لم تعرض الدور التربوي للأسرة المسلمة في تربية أولادها تربية إسلامية في مرحلة البلوغ بشكل عام وشامل، يمكن معه التعرف على هذا الدور في جوانبه كافة. فقد اهتّم أغلبها بالحديث عن دور الأسرة التربوي في مرحلة الطفولة واكتفى البعض الآخر بالحديث عن دور الأسرة التربوي في جوانب محددة من جوانب تربية الفرد، كما اكتفى بعض آخر بالجانب التاريخي عن التربية الأسرية وعن نظم الأسرة وقوانينها، ولم تعالج واحدة من هذه الدراسات موضوع «دور الأسرة المسلمة في تربية أولادها تربية إسلامية في مرحلة البلوغ» معالجة مستقلة، بل عولج في إطار موضوعات عدة، ولم تعالج كل الجوانب ولكن عولج بعضها دون بعض. وقد أبرزت تلك الدراسات من خلال مواضيعها أن الدور التربوي للأسرة المسلمة بحاجة إلى مواصلة الدراسة في مرحلة البلوغ بخاصة، وما هذه الدراسة الحالية إلا مواصلة لما سبق عرضه من الدراسات السابقة. وقد استفاد الباحث من اطلاعه على هذه الدراسات؛ إذ ساعدته في تكوين إطار شامل لموضوع دراسته، واختيار المنهج، الملائم للدراسة، واعتبار ماتوصلت إليه هذه الدراسات من نتائج أساسا للانطلاق في دراسته.

مراجع الفصل الأول :

(١) د. فاخر عاقل. معالم التربية. ط٢، بيروت، دار العلم للملايين ، ١٩٦٨م، ص ٥٨.

(٢) د. سناء الخولي، الأسرة والحياة العائلية، بيروت ،دار النهضة العربية، ١٤٠٤هـ، ص٣٧.

(٣) محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تركيا، استنبول، المكتبة الإسلامية، كتاب النكاح، ج٦، ١٩٨١م، ص ١٥٢.

(٤) ابن منظور. لسان العرب، بيروت، دار لسان العرب، ١٩٧٠، ج١، ص١١٨٧-١١٨٩.

(٥) الاستيرهيرون. التخطيط لرعاية الطفولة وتربيتها في البلدان النامية. (ترجمة مكتب اليونسكو)، الرياض:، مطابع مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٢هـ.

(٦) البخاري. صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الأحكام، ج٨، ص ١٠٧.

(٧) ابن حجر، فتح الباري، شرح صحيح البخاري، بيروت ، دار المعرفة، ج١، بدون تاريخ، ص ١٤٦.

(٨) د. علي حسب الله. الزواج في الشريعة الإسلامية. القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧١م، ص ١٧.

(٩) د. محمد عطية الإبراشي. الطفولة صانعة المستقبل. القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٣م، ص ١٦٩.

(١٠) د. عمر الشيباني. من أسس التربية الإسلامية. ط٢، طرابلس، المنشأة العامة للنشر،١٣٩١هـ، ص٤٣٨.

(١١) د. محمد أمين المصري. لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها.ط٤، القاهرة، دار الفكر١٣٩٨هـ،ص٦٢.

(١٢) حسن إبراهيم عبد العال. أصول تربية الطفل في الإسلام. رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة لجامعة طنطا، ١٩٨٠م.

(١٣) خيرية حسين طه صابر. دور الأم في تربية الطفل المسلم. ط١، جدة،دار المجتمع للنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ.

(١٤) د. مقداد يالجن. التربية الأخلاقية الإسلامية. ط١، مصر، مكتبة الخانجي، ١٩٧٧م، ص ٤٦٣.

(١٥) محمد قطب. منهج التربية الإسلامية.ط٢، القاهرة، دار الشروق،، ١٤٠٠هـ ، ج٢، ص ٢٥٢.

(١٦) حسن عبد العال. أصول تربية الطفل في الإسلام، مرجع سابق، ص ٤٢٥.

(١٧) د. عجيل جاسم النشمي. معالم في التربية. ط١، الكويت، مكتبة المنار الإسلامية، ١٤٠٠هـ، ص٥٨.

(١٨) محمد أحمد غالي. ديناميات السلوك غير السوي. (بدون ناشر)، ١٣٩١هـ، ص ٢٦.

(١٩) فخري الدباغ. جنوح الأحداث. جامعة الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، ١٣٩٥هـ، ص ٧٠.

(٢٠) المرجع السابق، ص ٧٠.

(٢١) د. عجيل جاسم النشمي. معالم في التربية ، مرجع سابق، ص ٦٠.

(٢٢) عبد الغني الخطيب. الطفل المثالي في الإسلام. ط٢، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٢هـ، ص١٣١.

(٢٣) د. ذوقان عبيدات، وآخرون. البحث العلمي. عمّان، دار الفكر للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م، ص ١٨٧.

(٢٤) فان دالين. مناهج البحث في التربية وعلم النفس. (ترجمة الدكتور محمد نوفل وآخرين)، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٧م، ص ٣١.

(٢٥) الدكتور محمد الدسوقي. منهج البحث في العلوم الإسلامية. دار الأوزاعي، ١٤٠٤هـ، ص١٠٤.

(٢٦) المرجع السابق، ص ١٠٥.

(٢٧) ابن منظور . لسان العرب . ج١، بيروت ، دار لسان العرب، ١٩٧٠م، ص ٢٥٨.

(٢٨) جار الله أبو القاسم الزمخشري. أساس البلاغة، بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٨٥هـ، ص٥٠.

(٢٩) د. محمد عماد الدين اسماعيل. النمو في مرحلة المراهقة، ط١، الكويت، دار القلم، ١٤٠٢هـ، ص٣٣.

(٣٠) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٢٢٦.

(٣١) د. خليل الجرّ. المعجم العربي الحديث. لاروس، مكتبة باريس، ١٩٧٣م، ص ٥٤٧.

(٣٢) جار الله أبو القاسم الزمخشري. أساس البلاغة. مرجع سابق، ص ١٩٧-١٩٨.

(٣٣) محمد علي السيد، وآخرون. قاموس علم الاجتماع.(مراجعة محمد عاطف غيث)، القاهرة، مطابع الهيئة المصرية، مصر، ١٩٧٩م، ص ٣٩١.

(٣٤) محمد علي السيد وآخرون . قاموس علم الاجتماع.مرجع سابق،، ص ٣٩٠.

(٣٥) إبراهيم مصطفى وآخرون. المعجم الوسيط. معجم اللغة العربية. مرجع سابق، ج١، ص ٣٢٦.

(٣٦) عبد الرحمن توفيق الباني. مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام. ط٢، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ، ص٧.

(٣٧) د. عمر الشيباني . تطور النظريات والأفكار التربية. ط٢، ليبيا، الدار العربية للكتاب، ١٣٩٧هـ، ص٢١٤.

(٣٨) أمين مرسي قنديل. أصول التربية وفن التدريس. القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٢٨م، ص ٢٣.

(٣٩) د. ابراهيم ناصر. مقدمة في التربية. ط٢، عمان، جمعية عمال المطابع التعاونيه، ١٩٧٩م، ص١٢.

(٤٠) جان جاك رسو. أميل (ترجمة نظمي لوقا)، ط١، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٥٨م، ص ٢٣.

(٤١) د. عمر الشيباني. تطور النظريات والأفكار التربوية . مرجع سابق، ص ٢٧٠.

(٤٢) المرجع السابق، ص ١٣٧

(٤٣) المرجع السابق، ص ٢٧٠

(٤٤) المرجع السابق، ص ٢٤٤.

(٤٥) د. فاخر عاقل. معالم التربية. ط٢، بيروت. دار العلم للملايين، ١٩٦٨م، ص ١٨.

(٤٦) رونيه أوبير. التربية العامة، (ترجمة عبدالله عبد الدائم)، ط٥، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٢م، ص٢٣.

(٤٧) المرجع السابق ، ص ٢٣.

(٤٨) د. عمر الشيباني. تطور النظريات والأفكار التربوية، مرجع سابق، ص٣٢.

(٤٩) رونيه أوبير. التربية العامة ، مرجع سابق، ص ٢٧.

(٥٠) د. عمر الشيباني. تطور النظريات والأفكار التربوية، مرجع سابق، ص ٣٤٩.

(٥١) أبو الحسن علي الندوي. التربية الإسلامية الحرة، ط٤، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ، ص ٢٣.

(٥٢) د. سعيد اسماعيل علي. أصول التربية الإسلامية. القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٣٩٦هـ، ص ٥.

(٥٣) د. محب الدين وآخرون. مذكرة أصول التربية الإسلامية. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٢هـ، ص ٧.

(٥٤) د. مقداد يالجن. منابع مشكلات الأمة الإسلامية والعالم المعاصر ودور التربية الإسلامية وقيمها في معالجتها. الرياض ، دار عالم الكتب، ١٤١١هـ، ص ٧١-٧٢.

الفصل الثاني
خصائص الأسرة المسلمة

أولاً : معنى الأسرة لغة واصطلاحاً .

ثانياً : وظائف الأسرة المسلمة .

ثالثاً : المبادئ التي تقوم عليها الأسرة المسلمة .

إن الحديث عن دور الأسرة التربوي يتطلب أولا الحديث عن خصائص الأسرة المسلمة؛ لأن تربية الأولاد تتأثر بمفاهيم الأسرة وقيمها ومبادئها، ومن الصعوبة بمكان تحديد الدور التربوي للأسرة دون أن يحدّد مفهوم الأسرة ووظائفها ومبادئها، ولهذا كان لزاما على الباحث أن يتناول خصائص الأسرة المسلمة في النقاط التالية.

أولا - معنى الأسرة لغة واصطلاحا:

معنى الأسرة في اللغة : الدرع الحصين، والأسرة عشيرة الرجل وأهل بيته، وأسرة الرجل: عشيرته ورهطه الأدنون(١). والأسر يعني: القيد، يقال: أسره، أسرا، وإسارا: قيده، وأسره أخذه أسيرا(٢). « وفي الوقت الذى نجد أصل (الأسرة) في اللغة العربية وفي غيرها من اللغات الشرقية، هو (القيد) بكل ماتحمله هذه الكلمة من ظلال وإيحاءات نفسية.. نجد الأسرة في الإسلام لاتحمل هذا المعنى على الإطلاق، ومن ثم لم ترد كلمة (الأسرة) إطلاقا -بهذا اللفظ- في القرآن الكريم وإنما نجد كتاب الله الحكيم يستخدم كلمة (الأهل) بمعنى الأسرة »(٣).

وقد استطاع ابن القيم أن يفرّق بين لفظ «الزوج» و«المرأة» في التعبير القرآني، فقال: «إن لفظ (الزوج) حينما جاء في التعبير القرآني جاء لمعنى تكون فيه المشابهة واضحة، والمشاكلة ظاهرة، والتساوي بين الطرفين موجودا، والتناسب بين الجانبين مشاهدا»(٤) مستدلا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وإذا النفوس زوجت﴾ (التكوير: ٧)، وقوله تعالى: ﴿ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾(الأعراف:١٩).

وقوله تعالى : ﴿أمسك عليك زوجك﴾(الأحزاب : ٣٧)) أما لفظ (المرأة) «فجاء في التعبير القرآني حينما كانت المشابهة بين الجهتين غير ممكنة، والتناسب غير واقع، والتساوي مستحيلا، والمشاكلة غير وارده»(٥)، مستدلا على ذلك بأن فرعون لما كان مشركا وامرأته مؤمنة لم يسمها زوجا له، قال تعالى: ﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون﴾(التحريم : ١١)، ومستدلاً كذلك بامرأة نوح وامرأة لوط فلما كانتا

مشركتين أوقع عليهما اسم المرأة، قال تعالى :﴿ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط﴾(التحريم : ١٠) ومن جهة أخرى فإن كلمة (زوج) في القرآن الكريم تطلق على الأنثى والذكر.

وقد يستنبط من مدلولات بعض الآيات الكريمات ثلاثة تقسيمات للأسرة وهي:

١- الأسرة التي تتكون من الزوج والزوجة، كما في قوله تعالى : ﴿ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾(الأعراف : ١٩) وقال تعالى: ﴿هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها﴾(الأعراف : ١٨٩).

٢- الأسرة التي تتكون من الزوج والزوجة والذرية، كما في قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية﴾(الرعد : ٣٨).

٣- الأسرة التي تتكون من الزوج والزوجة والأولاد والأقارب، كما في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾(التحريم : ٦)، والأهل في الآية الكريمة تعنى : «قرابة الفرد وإماءه وعبيده»(٦). ولعل هذا المفهوم أوسع المفاهيم في الإسلام، فالأسرة لاتقتصر فقط على الزوجين والأولاد، بل تشمل أيضاً «الأصول من الآباء والأمهات، فيدخل في هذا الأجداد والجدات، وتشمل أيضا فروع الأبوين، وهم الإخوة والأخوات وأولادهم، وتشمل أيضا فروع الأجداد والجدّات، فتشمل العمّ والعمة وفروعهما والخال والخالة وفروعهما»(٧).

أما في المعنى الاصطلاحي: فإن مصطلح «أسرة» أو «عائلة» ليس له تعريف ومعنى محدد واضح يتفق عليه علماء الاجتماع بسبب اختلاف نظرتهم إلى الأسرة(٨). فقد عرّف «ماكيفر» الأسرة بأنها «جماعة تعرف على أساس العلاقات الجنسية المستمرة على نحو يسمح بإنجاب الأطفال ورعايتهم»(٩). وهذا التعريف ينصب على الوظائف البيولوجية، وعرّف «روبرت لوي» الأسرة بأنها « الوحدة الاجتماعية القائمة على الزواج»(١٠)، وهذا التعريف يجعل من الأسرة ظاهرة ثقافية

خالصة، وقد حاول «جيلين» أن يحدد أهم خصائص الأسرة من خلال وضعها في الإطار البيولوجي الثقافي الملائم في النقاط التالية:

١- تتميز بوجود رابطة زواجية بين عضوين على الأقل من جنسين مختلفين.
٢- تسير إلى شكل معين من أشكال الإقامة.
٣- تعترف ببعض صلات الدم التي تنبني عليها مصطلحات القرابة وإلزاماتها.
٤- تقوم على مجموعة وظائف شخصية ومجتمعية تمارسها الأسرة (١١).

ثم جاء تعريف «بيرجس» و «لوك» مشتملا على معظم هذه الخصائص، فقد عرّفا الأسرة بأنها «جماعة من الأشخاص يرتبطون بروابط الزواج والدم أو التبني ويعيشون معيشة واحدة، ويتفاعلون كل مع الآخر في حدود أدوار الزوج والزوجة الأم والأب والأخ والأخت، ويشكلون ثقافة مشتركة»(١٢).

كما تعرّف الأسرة بأنها «جماعة اجتماعية أساسية ودائمة ونظام اجتماعي رئيسي وهي ليست أساس وجود المجتمع فحسب بل هي مصدر الأخلاق، والدعامة الأولى لضبط السلوك، والإطار الذي يتلقى فيه الإنسان أول دروس الحياة الاجتماعية»(١٣). كما تعرّف الأسرة أيضا بأنها: «الوحدة الأولى للمجتمع وأولى مؤسساته التي تكون العلاقات فيها في الغالب مباشرة، ويتم داخلها تنشئة الفرد اجتماعيا، ويكتسب منها الكثير من معارفه ومهاراته، وميوله وعواطفه واتجاهاته في الحياة، ويجد فيها أمنه وسكنه»(١٤).

من التعريفات السابقة اتضح للباحث عدم وجود تعريف مناسب للأسرة المسلمة مصبوغ بالصبغة الإسلامية، لأن الأسرة المسلمة أسرة متميزة بأسسها وأهدافها ونظمها ومبادئها المنبثقة من تعاليم دينها. ولهذا يعرّف الباحث الأسرة المسلمة من وجهة نظره بالتعريف التالي: «الأسرة المسلمة هي جماعة اجتماعية إنسانية وأخلاقية وروحية وتربوية تتكون أولا من رجل وامرأة -وفي حالات أخرى امرأتين إلى أربع- يرتبطون برباط عقد زواج إسلامي ينبني عليه حقوق وواجبات

وصلة رحم، ويسمح لهم بالاتصال الجنسي والتعايش الذي تسوده المودة والرحمة، ومايُنجبونه من أطفال يعد ضمن تكوين هذه الجماعة، ومن أهم وظائفها الإنجاب وتهيئة المناخ الاجتماعي والثقافي الملائم لرعاية الذريّة وتنشئتهم وتوجيههم ونقل التراث إليهم وتربيتهم تربية إسلامية، ويترتب عليهم الالتزام ببر الوالدين».

ثانيا : وظائف الأسرة المسلمة :

الزواج في الإسلام، وبناء الأسرة المسلمة، شرع لوظائف ومقاصد سامية، فهو لم يقتصر على إشباع الدوافع وإنجاب الأولاد والتكاثر فحسب؛ بل شمل جوانب عديدة، فشمل الجانب الروحي والتعبدي، والاجتماعي والأخلاقي، والاقتصادي والجسمي. والمتأمل في تعاليم الإسلام تتجلى له تلك الوظائف يمكن إيجازها في النقاط التالية :

١- الأسرة المسلمة تحقق الحاجات الدينية:

يعد الزواج في الإسلام نصف الإيمان، فقد قال رسول الله: «من تزوج فقد استكمل نصف الإيمان فليتق الله في النصف الباقي»(١٥). لأن الحياة الزوجية من أولها الى آخرها عبادة، لأنه بذلك يحقق واجباً من الواجبات الشرعية ويحقق سنّة من سنن الله في خلقه، وذلك إذا قام بكل الواجبات بنية خالصة لوجه الله وهناك الآيات الصريحة في ربط أحكام الأسرة المسلمة بعبادة الله، كما في قوله تعالى: ﴿واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى﴾(النساء : ٣٦)، وهناك الصلة الوثيقة بين أحكام الأسرة والعقيدة من حيث الحل والحرمة، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولاتعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن﴾(النساء : ١٩). ومن ذلك أيضا ربطها بالبر، قال تعالى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبّه ذوي القربى﴾(البقرة : ١٧٧).

كما أن حياة الرجل مع زوجته تشمل الكثير من الفضائل الإنسانية، وتعد من أفضل القربات إلى الله تعالى، فالنفقة على الزوجة والأولاد صدقة؛ بل هي عالية الأجر والثواب، وتأتي في مقدمة الإنفاق قال رسول الله: «أفضل الدنانير دينار ينفقه الرجل على عياله، ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه الرجل على أصحابه في سبيل الله عزّ وجل»(١٦) . وقال رسول الله: «مهما أنفقت فهو لك صدقة، حتى اللقمة ترفعها في فِي امرأتك»(١٧).

كما أن مباشرة الرجل لأهله صدقة، ومؤانسته وملاطفته لهم صدقة، لقول رسول الله : «إن من أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله»(١٨) . فجميع الأعمال التي يقدمها المسلم إلى أهله تعد صدقة عليهم لقول رسول الله : « كل ما صنعت إلى أهلك فهو صدقه عليهم»(١٩).

كما أن الأجر والثواب يمتد إلى مابعد موت الزوج المسلم، عندما يبقى بعده ولد صالح يدعو لوالديه. قال رسول الله: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة؛ صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»(٢٠).

ب - الأسرة المسلمة تحقق الحاجات العاطفية والنفسية:

تعمل الأسرة من خلال نظامها في الزواج المشروع على تلبية الحاجات العاطفية عند الإنسان، وتتمثل هذه الحاجات العاطفية في المودة والتراحم والسكن الروحي والسكن النفسي. ويعد هذا الهدف من أهم الأهداف التي تسعى الأسرة المسلمة إلى تحقيقها، لأن الأصل في التقاء الزوجين السكن والاطمئنان النفسي والأنس والاستقرار للأرواح والضمائر. وصدق الله حين يقول: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾(الروم : ٢١). والقرآن الكريم يصور العلاقة بين الزوج وزوجته في الآية السابقة بأدق العبارات العاطفية، فيقول «وجعل بينكم مودة ورحمة»، «والمودة هنا ليست من نوع المودة بين الآباء والأبناء ولا من نوع المودة التي توجد بين الأصدقاء، وكذلك الرحمة هذه

الرحمة الخاصة بين الزوجين غيرها بين الناس الآخرين»(٢١). والإسلام يجعل المودة والرحمة من أهم الأسس التي تبنى عليها الحياة الزوجية، إذ بدونهما يتحول لقاء الزوج بزوجته كأي لقاء بين حيوانين لقضاء الحاجة الجنسية، «فالكائنان اللذان ارتبطا تحت وطأة الحاجة الجنسية يبتعد كل منهما عن الآخر بعد أن يرتوي. أما إذا انضاف الحنان إلى هذا فإنهما يظلان متحدين بفضل عرفان متبادل ينبعث حتى في الرغبة نفسها»(٢٢).

لهذا قال بعض علماء النفس «إن الاتصال غير الشرعي بين الرجل والمرأة يتم فيه اتصال الجسد بالجسد ولايتم فيه اتصال الروح بالروح لأن الزانية تعطي بضعها ولاتعطي قلبها وروحها، ولتتم السعادة لابد من الاتصال الجسمي والروحي»(٢٣).
والزواج في نظر الإسلام يعد من أهم سبل السعادة في الحياة، إذا كان هذا الزواج مبنيا على أسس سليمة؛ لأن الزواج الموفق يولّد للزوجين السعادة في حياتهما الزوجية، لقوله ﷺ : «أربع من السعادة؛ المرأة الصالحة، والمسكن الواسع،والجار الصالح، والمركب الهنيء، وأربع من الشقاء؛ المرأة السوء، والجار السوء، والمركب السوء، والمسكن الضيق»(٢٤).

وقد حثّ الإسلام على هذا الجانب في تكوين الأسرة المسلمة، قال رسول اللّه ﷺ: «تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم»(٢٥) وهي الزوجة التي تتودد إلى زوجها وتتحبب إليه، والإسلام عندما ينصح بالتزوج من الودود لم يقصر مودة المرأة على زوجها فحسب؛ بل يهتم أيضا بما هو أهم من ذلك وهي المودة والرحمة بالأبناء، وهذا مانلحظه من دقّة التعبير مع حسن التوجيه والإرشاد -في الحديث السابق- فذكر الودود قبل الولود بالرغم من أن الإنجاب هو مطلبٌ أساسيٌ في الزواج، إلا أن المودة والرحمة يجب أن تتصف بهما المرأة قبل أن تصبح أماً، بل أيضا يجب أن يتصف الرجل بالعطف والمودة قبل أن يصبح أباً، فقد نصح النبي ﷺ فاطمة بنت قيس بأن لاتتزوج من رجل كان معروفا بعنفه وشدته وغلظته، فهي لما ذهبت تستشيره قائلة : يارسول اللّه، إن معاوية وأبا الجهم خطباني، فمن أتزوج منهما؟ فقال لها: «أما أبو

الجهم فرجل لايرفع عصاه عن النساء، وأما معاوية فصعلوك لامال له، ولكن انكحي أسامة »(٢٦).

وبتطبيق تعاليم الإسلام يكون الزوجان قد حققا مايهدف إليه الإسلام في تهيئة المناخ المناسب للذريّة من مودة ورحمة وعطف متبادل بين أفراد الأسرة، وهذا الجانب يؤثر في تربية الأولاد وتنشئتهم، يقول سيد قطب: «إن امتناع نمو وجوه النشاط العاطفي والجمالي أو الديني يخلق أشخاصا في المرتبة الدنيا ذوي عقول ضعيفة غير سليمة ، وبالرغم من أن التعليم العقلي يهيأ الآن لكل فرد، إلا أننا مازلنا نشاهد أمثال هؤلاء الأشخاص في كل مكان »(٢٧).

ج - الأسرة المسلمة تحقق الحاجات الاقتصادية:

لاشك في أن تكوين الأسرة يحقق أهدافا اقتصادية لها قيمتها في حياة الفرد، ولها فاعليتها في كيان الأمّة، ويعد الزواج أساس عمارة الكون، والقيام بوظيفة الخلافة في الأرض، والإسلام يهدف من وراء تكوين الأسرة إلى التكاثر ودوام التناسل، وهو يعد من أكبر العطاءات للمجتمع، وأي عطاء أثمن وأغلى من بقاء النوع الإنساني بالتناسل والتكاثر.

إن قوة وعتاد أيّة أمة من الامم يعتمد بعد الله على العنصر البشري، لهذا فالإنجاب يعد إلى جانب كونه ضرورة من ضرورات الحياة واستمرارها، فهو ضرورة اقتصادية أيضا إذا أُعِد الأفراد إعداداً قادرين على التنمية الاقتصادية.

والقرآن الكريم والسنة المطهرة يوصيان الأسر بذلك، قال تعالى: ﴿فالآن باشروهن وابتغوا ماكتب الله لكم﴾(البقرة : ١٨٧) وقال عدد من المفسرين «يعني الولد» (٢٨) وقال رسول الله ﷺ : «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم»(٢٩)، فالإسلام يربط بين الزواج وبين التناسل والتكاثر. وإضافة إلى أن الأطفال المنشئين التنشئة الصالحة ثروة في حد ذاتها للمجتمع وللأسرة، فهم مبعث الطاقة للوالدين

في العطاء والبذل والسعي والطموح في هذه الحياة، وهم زينة هذه الحياة الدنيا وبهجتها، قال تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾(الكهف : ٤٦).

كما أن الزواج يجدد نشاط الفرد -الرجل والمرأة- وحماسته وعطاءه في الحياة، لأن طبيعة الفرد تحتاج إلى راحة ومؤانسة وترفيه خلال عمله في الحياة، وهذه الأمور لها الأثر الكبير في فعالية وإنتاج الفرد في عمله، ويعد الاستئناس بالنساء بالطريقة المشروعة من أفضل السبل التي تريح القلوب، وتزيل الهمّ والكرب عن صاحبها، قال رسول الله ﷺ «حُبِّب إليّ من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة»(٣٠).

والعمل يعد حقا وواجبا على الأسرة، وهو خير مايقدمه الزوجان لنفع أنفسهما وذريتهما وصونهم عن الحاجة للآخرين، لقول رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله، فيحتطب على ظهره، خير له من أن يأتي رجلا فيسأله ، أعطاه أو منعه»(٣١).

والأسرة كما نشاهدها في حياتنا اليومية تحقق الشيء الكثير من التوفير والاقتصاد خلافاً لما لو كان عاش كل فرد من أفراد الأسرة مستقلاً عن الآخر، فنفقة الزوج وزوجته أقل بكثير من نفقة كل واحد على حدة، والانتاج المشترك بين الزوجين أفضل من الانتاج المنفرد. والمتتبع لتعاليم الإسلام يجد التعاليم الكفيلة لكي تحقق الأسرة أهدافها الاقتصادية، فالإسلام يلزم الزوج بالإنفاق على أهله وأن يكون هذا الإنفاق معتدلاً ، لا إفراط فيه ولاتفريط، قال تعالى : ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتُروا وكان بين ذلك قواما﴾ (الفرقان : ٦٧) كما يوصي النساء بالمحافظة على مال الزوج من التبذير والإسراف والضياع، وقد استحقت نساء قريش ثناء المصطفى عليه الصلاة والسلام وتقديره، لما يتمتعن به من مراعاة لمال أزواجهن، وتعاطفهن مع قدراتهم وإمكاناتهم المادية، فقال: «خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده»(٣٢)، أي أحفظ وأصون لمال زوجها بالأمانة والصيانة، وترك التبذير في الإنفاق. ويضع الإسلام

القاعدة التي لها أكبر الأثر في الارتقاء بالمستوى المعيشي للفرد والأسرة، وهذا ماتشير إليه الآية الكريمة: ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قُدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلّف الله نفسا إلا ما آتاها﴾(الطلاق : ٧)، وهي الموازنة بين الدخل والاستهلاك، فالنفقة على قدر حاجة البيت، وعلى قدر حالة الزوج، وعلى قدر دخله إعسارا أو إيسارا، فهو لايكلّف الزوج أن ينفق فوق طاقته، ولايقبل منه أقل من متطلبات حياة أسرته، واجتناب التبذير والإسراف وتضييع الأموال وصرفها في أمور لاتستحق الصرف، قال تعالى: ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾(الإسراء:٢٧) وفي المقابل يأمره الحق سبحانه وتعالى باجتناب البخل والتقتير على من يعول قال تعالى: ﴿ولايحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم، سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير﴾(آل عمران : ١٨٠). وينهى عن وضع المال في أيدي السفهاء الذين لايحسنون صنعا به، ولايعرفون طريقة الأخذ والعطاء بالمال، كالأطفال أو أي فرد من أفراد الأسرة لايحسن طريقة الإنفاق، قال تعالى: ﴿ولاتؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا﴾(النساء : ٥).

د - الأسرة المسلمة تحقق القيم الأخلاقية:

يعد الإسلام بناء الأسرة وسيلة فعّالة لحماية الشباب من الفساد، ووقاية المجتمع من الفوضى، فهو يهذّب النفس، ويكبح جماحها، ويدرأ عنها الانحلال والتحلل من الفضيلة، «فالزواج يؤدي إلى إيصاد باب الغواية على المسلم، ويحفظ كرامته وشرفه، ويقيه من الهبوط والتحلل الخلقي، وبغيره تنتهك الأعراض، وتضيع الأنساب، ويستباح الشرف، وتهان الكرامة وتنعدم الغيرة والرجولة»(٣٣). والزواج يقضي على الكثير من أماكن الشرور والفساد -أماكن الدعارة- هذه الأماكن التي تنمو فيها الجرائم والشرور، وتقضي على وقت مرتاديها، وعلى أموالهم وأجسامهم، وتهدم أسرا، وتغير مروءات، بل تؤدي إلى ضياع قيمة الحياة، «إن تحكّم الشهوات في

حياة الإنسان يضيع السمو الروحي والاهتمامات اللائقة بالإنسانية فيضيع العمل الجاد المخلص من أجل المجتمع ومن أجل الوطن ومن أجل الإنسانية جمعاء، ومن ثم تختفي الجوانب الرفيعة من الحياة وتتحول الحياة إلى حياة نتنة وإلى وباء مستفحل وإلى ظلام دامس يقعون فيه ثم يحاولون الخروج فلا يستطيعون» (٣٤) ولهذا فقد اختص الإسلام الشباب بقسط أوفر من الدعوة إلى الزواج، فقال ﷺ «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»(٣٥). وقد عبّر الغزالي عن أهمية الزواج بقوله في باب فوائد النكاح «التحصن من الشيطان، وكسر التوقان، ودفع غوائل الشهوة، وغضّ البصر، وحفظ الفرج»(٣٦)، والحياة دون زواج حياة محفوفة بالمخاطر والمزالق في حمأة الرذيلة، لقول رسول الله :« شراركم عزابكم وأراذل موتاكم عزابكم»(٣٧).

والمتأمل في أحكام الأسرة المسلمة يجد الارتباط الوثيق بين تلك الأحكام التي تقوم عليها الأسرة المسلمة وبين الأخلاق، وقد حرص الإسلام على أن تكون حياة الأسرة المسلمة من أولها إلى آخرها قائمة على الأخلاق والمعاملة الحسنة، فحرص الإسلام على اختيار الزوجة صاحبة الخلق، قال تعالى ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصّالحين من عبادكم وإمائكم﴾(النور : ٣٢)، وكما أن الإسلام يوصي الرجل بالبحث عن صاحبة الخلق فإنه أيضا يوصي المرأة ووليها بذلك، يقول رسول الله ﷺ «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه، إن لاتفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد»(٣٨). ويواصل الإسلام تعاليمه في هذا الجانب حول تعامل الزوجين بعضهما مع بعض، وآداب عشرتهما من أقوال وأفعال وتهيئة وصدق الله حين يقول ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾(النساء : ١٩)، وحتى في الفراق بين الزوجين إذا لم يتفقا يطلب الإسلام أن لايسيء أحدهما الأدب مع الآخر، قال تعالى : ﴿أو فارقوهن بمعروف﴾ (الطلاق : ٢)، في هذه الحدود ينبغي أن تكون الحياة الزوجية على درجة عالية من الأخلاق. فإن بغى أحدهما على الآخر، أو غدر به أو خفر ذمته، فإن هذا لايعود إلا على نفسه. قال تعالى: ﴿يا أيها النّاس إنّما بغيكم على أنفسكم﴾(يونس : ٢٣)، وقال تعالى:

﴿فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه﴾(الفتح : ١٠)، وقال تعالى: ﴿ولايحيق المكر السيّئ إلا بأهله﴾ (فاطر : ٤٣) وإذا كان مدلول الآيات الكريمات يوضح لعامة الناس مايجب عليهم أتيانه في معاملة بعضهم بعضا، فإن الزوجين أولى بتطبيق تعاليم القيم الإسلامية.

وفي ظل الأسرة ينشأ ويترسخ العديد من القيم والمثل العليا عند أفراد الأسرة، فالأب والأم عندما يبذلان الجهد الكبير في سبيل مستلزمات حياتهما وحياة ذريتهما، ينشأ عندهما خلق «التضحية والإيثار» وعندما يحتملان المشاق والمصاعب، ويحتمل كل منهما زلل الآخر، ينشأ عندهما خلق «الصبر والاحتمال»، وعندما يحافظ كل منهما على شرف الآخر وكرامته وحبه له، ينشأ عندهما خلق «الغيرةالممودة»، وعندما يقوم كل من الزوجين ببعض الأعمال التي استجدت عليه في حياته الزوجية، مثل قيام الرجل ببعض خدمة أهله وقيام المرأة بخدمة زوجها وأطفالها، عندئذ ينشأ عندهما خلق «التواضع واللين» وعندما يشعر كل واحد منهما بمسؤوليته في الحياة الزوجية، ينشأ عندهما «حب النظام والطاعة» وغير ذلك من الفضائل».

والزواج في الإسلام عون على التهذيب الخلقي ؛ فعندما يمنع الإسلام الفسقة بالتزوج بالصالحات العفيفات، ويمنع الصالحات العفيفات أن يتزوجن بالزناة، كما في قوله تعالى: ﴿ الزاني لاينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لاينكحها إلاّ زان أو مشرك، وحرّم ذلك على المؤمنين﴾(النور : ٣)، الزاني إذا عرف أن لن ترضى به فتاة شريفة عفيفة ذلك يكون رادعا، وشديدا على نفسه فيتوب، وكذلك الفاسقة إذا عرفت أن الشباب الصالح سيعافها ولايلتفت إليها، فذلك يغريها بالتوبة، ويحملها على الاستقامة وعلى ترك حياة الرذيلة.

هـ - الأسرة المسلمة تحقق الحاجات الاجتماعية:

الإنسان يمتاز بنزعته الاجتماعية، حتى قال بعض العلماء عن الإنسان إنه «اجتماعي بطبعه أو مدني بطبعه»(٣٩)، وبحكم هذه النزعة فهو لايستطيع أن

يعيش منعزلا عن المجتمع، أو يعيش بمفرده، بل يحتاج إلى الحياة الاجتماعية، وإلى بناء علاقات مع أفراد مجتمعه، والأسرة من خلال نظامها في الزواج المشروع تعمل على تلبية الجانب الاجتماعي، «ذلك أنه عن طريق الزواج تتكون الأسرة، وعن طريقه أيضا تتكون الروابط بين الأسر ثم بين المجتمع ثم بين المجتمع والأجناس والشعوب والقبائل»(٤٠)

والإسلام يهدف من تكوين الأسرة إلى تحقيق تماسك المجتمع وترابطه وتضامنه وتراحمه وتعاونه، وفي سبيل هذه الغاية اعتبر الإسلام المسلمين أمة واحدة على اختلاف ألوانهم، وأجناسهم ولغاتهم، فأجاز التزاوج بين العربي والعجمي، وبين الأبيض والأسود، والقرآن الكريم يشير إلى حقيقة هامة وهي أن هذه البشرية منشؤها من رحم واحد، والشواهد على ذلك من الكتاب والسنة عديدة، قال تعالى: ﴿يا أيّها النّاس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾(الحجرات: ١٣) قال رسول الله ﷺ : «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه إن لاتفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد»(٤١)، وقال تعالى: ﴿ يا أيّها النّاس اتّقوا ربّكم الّذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالا كثيرا ونساء﴾(النساء :١). والزواج في الإسلام يقضي على الطبقية الاجتماعية والعنصرية، والعصبية بين الناس، وحوّل الولاء الغاشم الأعمى للعرف والدم، إلى ولاء مستنير للعقيدة التي تقرر أن الناس متساوون في الخلق وفي القيمة الإنسانية، فأباح للرجل الصالح الذي لانسب له ولاجاه ولامال التزوج بالمرأة النسيبة ذات المال والجاه -مادام مسلما عفيفا- وكذلك بالنسبة للمرأة مادامت مسلمة عفيفة، قال تعالى: ﴿فانكحوا ماطاب لكم من النّساء﴾(النساء : ٣).

ومن الشواهد السابقة يتضح أن أساس تكوين المجتمع هو الأسرة، فهي نواة المجتمع، وهي قاعدة الحياة البشرية، والزواج يعد أقوى رباط اجتماعي، وأفضل سبل التعارف وإقامة علاقات وصلات بين الناس على اختلاف قبائلهم وأجناسهم وألوانهم،

ولهذا فقد حرّم الإسلام التزوج من بعض القريبات قال تعالى:﴿حرّمت عليكم أمّهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت﴾ (النساء:٢٣) إلى آخر الآية.

و«التعارف» عن طريق الزواج في الإسلام ليس مطلقاً وإنما حددت دائرة التعارف بشعوب الأمة الإسلامية؛ لكي يحفظ للمسلمين تكافلهم وتلاحمهم، ونبذ بذور الشرك والنفاق التي تأتي إلى مجتمعاتهم عن أي طريق، وأخطرها بناء العلاقات الزوجية. فيأمر الإسلام بأن لايكون هناك ترابط أسري بين المجتمع المسلم والمجتمع المشرك، فيمنع تزويج مسلم بمشركة أو مشرك بمسلمة فيقول: ﴿ولاتنكحوا المشركات حتّى يؤمنّ ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولاتنكحوا المشركين حتّى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم﴾ (البقرة:٢٢١).

كما أن قوانين الأسرة في الإسلام تحمل بين طيّاتها أسمى صورالتكافل الاجتماعي، وتهدف إلى كل ما من شأنه تحقيق ذلك داخل الأسرة وخارجها سواء أكان ذلك التكافل الاجتماعي معنويا كالمشاعر والعواطف المتبادلة بين أفراد الأسرة وخارجها، أو ماديا في التزام الموسر من أفراد الأسرة بالنفقة على المحتاج من أفراد تلك الأسرة وأقاربها، وهذا ماتشير إليه الشواهد من القرآن الكريم والسنة المطهرة في رحمة الزوج بزوجه قال تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة﴾ (الروم : ٢١)، ورحمة الأبناء بآبائهم، قال تعالى: ﴿واخفض لهما جناح الذلّ من الرّحمة وقل ربّ ارحمهما كما ربيّاني صغيرا﴾(الإسراء : ٢٤)، ورحمة الأسر بأقاربهم وذويهم، قال تعالى : ﴿ فهل عسيتم إن تولّيتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم. أولئك الذين لعنهم اللّه فأصمّهم وأعمى أبصارهم﴾ (محمد : ٢٢-٢٣)، وقال تعالى: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾(الأحزاب : ٦)، لهذا فإن الأسرة المسلمة تجعل حفظ الأنساب من الأهداف

الاجتماعية الجليلة التي تعرض عليها، لأن «النسب سبيل إلى خصلة اجتماعية عظيمة هي صلة الرحم، وأداء حق القرابة»(٤٢). كما جاء في قوله ﷺ : «تعلموا من أنسابكم ماتصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبّة في الأهل مثراة في المال، منسأة في الأثر»(٤٣).

و - الأسرة المسلمة تحقق الحاجات الصحية:

يهدف الإسلام من تكوين الأسرة المسلمة إلى صيانة الأفراد والمجتمع من الأمراض الخبيثة، والأوبئة الجنسية التي تنتشر في المجتمعات التي تظهر فيها الفاحشة، وتشيع فيها المنكرات، فتفتك بصحة الشباب وقوتهم، لقول الرسول ﷺ : «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلافشا فيهم الطاعون والأوجاع»(٤٤)، ولهذا قال تعالى: ﴿ولاتقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾(الإسراء : ٣٢)، وهذا ماقرره الطب الحديث بأن «أمراض أعضاء التناسل عند الرجال والسيدات عديدة، منها ما هو معدٍ ومعروف باسم الأمراض السرية، ومنها ماهو التهابات أو أورام، أو تشوهات، أو غير ذلك، مما يصيب أي عضو آخر من أعضاء الجسم، وإن معظم هذه الأمراض تنشأ من الجري خلف المتعة الجنسية، وتنتقل بسرعة من المصاب إلى السليم، مثل السيلان والقرحة والزهري ، فقلما ينجو من الإصابة بها أو بواحد منها على أقل تقدير من يرتكب هذه الفاحشة (الزنى). »(٤٥) ونسمع عن الجديد من الأمراض الجنسية يظهر بين حين وآخر، بسبب الإباحية، والاتصال الجنسي غير المشروع، وتأثير هذه الأمراض على صاحبها يختلف عن غيرها، فهي تولد الحقد في نفس صاحبها، ويتمنى أن ينقل مرضه إلى أكبر عدد من الأشخاص ، بعكس الأمراض الأخرى، وحتى إذا سلم -وهذا نادر الحدوث- صاحب الاتصال الجنسي غير المشروع من بعض الأمراض الجنسية منها، فإنه لن يسلم من آثار سيئة أخرى على صحته. لأن الشهوة تعتبر طاقة للإنسان، فعندما يرى المرأة التي يعجب بها «يحاول قضاء وطره منها، وإذا هي لم ترغب فيه يجد الكآبة في نفسه؛ لأنه لم يستطع تحقيق غرضه،

وإشباع دافعه، وإذا تحقق مطلبه في كل مرة فإنه يبدد قواه ويفقد صحته»(٤٦).
والإسلام عندما يقصر علاقة الرجل بزوجته، ويأمر بالعفة الجنسية، يريد أن يقي المجتمع من شرور جراثيم هذه الأمراض المخيفة، التي تجعل صاحبها في ذعر وخوف شديدين.

وفي ظل الأسرة المسلمة وفي ظل بيت الزوجية، يجد الزوجان الراحة الجسدية والدفء والحنان، فيأخذالجسد كفايته من الراحة والتلذذ والاسترخاء. كما يجد كل من الزوجين حاجته في الطعام والشراب وسائر مطالب الجسد، والزوج يجد من زوجته النظافة في الأكل والشرب والمسكن، بجانب النظافة الجسدية في المباشرة. وفوق هذا وذاك يجد الزوجان الاستقرار النفسي والمتعة والمودة التي لها الأثر الكبير على الناحية الجسدية.

والإسلام يقرر أمرًا ثابتًا علميًا، وهو مبدأ أثر العامل الوراثي على الأجيال، فهناك العديد من الصفات الخَلْقية والخُلُقية تنتقل من الآباء إلى الأبناء عن طريق الوراثة، لقول رسول اللّه : «تخيروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء، وأنكحوا إليهم»(٤٧).
وقد أقرّ علماء الصحة بأن:«الصفات الخلقية والمواهب والجمال تنتقل بالوراثة»(٤٨).

ز - الأسرة المسلمة تحقق الدوافع الفطرية :

إن اللّه خلق هذا الإنسان وأودع فيه حاجات أولية من بينها «الدافع الجنسي».
ويعد هذا الدافع من أقوى الدوافع عند الإنسان، وحب الفرد له أقوى من حبه للمال والبنين، كما في قوله تعالى: ﴿ زيّن للنّاس حبّ الشّهوات من النّساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذّهب والفضّة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدّنيا واللّه عنده حسن المآب﴾(آل عمران : ١٤)، فبدأت الآية به قبل ذكر البنين والمال والخيل والأنعام. وتعاليم الإسلام تبين أن هذه الفطرة الجنسية لاغنى للإنسان عنها، مهما حصل على مال وراحة وترف وجميع متطلبات حياته، وهذا ما نلحظه من قوله تعالى: ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنّة وكلا منها رغدا حيث

شيئتما﴾(البقرة : ٣٥)، فبالرغم من نعيم الجنة ومقامها لم يدخل الله سيدنا آدم وحده الجنة، وإنما أسكنه وزوجه لتتم السعادة. «ومامن فطرة هي أعمق في طبائع الأحياء عامة من فطرة الجنسين، والتقاء الذكر والأنثى، فهي الغريزة التي تلهم الحي، في كل طبقة من طبقات الحياة، مالاتلهمه غريزة أخرى»(٤٩).

وجاء الإسلام بسماحته ونظامه العادل «الذي يقبل الإنسان كما هو بميوله وضروراته؛ لايحاول أن يحطم فطرته باسم التسامي والتطهر؛ ولايحاول أن يستقذر ضروراته التي لابد له منها»(٥٠)، والزواج في الإسلام يمثل الإشباع لهذه الحاجات وهذه الغريزة بالطريقة المشروعة. «وما الزواج في واقعه، إلا ظاهرة من ظواهر التنظيم لفطرة أودعت في الإنسان»(٥١).

والإسلام بتعاليمه الخالدة جاء ليوجه الناس إلى التوفيق بين الإغراق في تحريم الملذات الجنسية والإباحيّة التي فيها، هذه الإباحية انتشرت بين كثير من الشعوب قديما وحديثا، فقد لوحظ في بعض الشعوب البدائية من إباحية في العلاقات الجنسية، ففي بعض المجتمعات، كان يباح للزوجة أن يكون لها بجانب زوجها أزواج غيره، وفي البعض الآخر كان يباح للإخوة أن يتزوجوا عددا من النساء على أن يكنّ مشاعات بينهم، وكان يباح للزوج أن يعير زوجته أو يؤجرها لشخص آخر أو يقدّمها لضيوفه، وفي بعض القبائل كان يجوز لطائفة من الرجال أن يتزوجوا طائفة من النساء عن طريق الشيوع، وغير ذلك من الإباحيّة الجنسية.(٥٢) وعلى ضوء ذلك انطلقت بعض المذاهب المعاصرة تبني مذاهبها على التشايع الجنسي، فالماركسيه مثلا، تدعي بأن «البشرية عاشت في حالة (مشايعة) جنسية في عصورها الأولى.. (فالفوضوية) الجنسية هي الأصل. وتسافد الرجال والنساء على قارعة الطريق أو فوق أغصان الأشجار هو القاعدة»(٥٣)، وجاء الإسلام ليوفق بين ذلك وبين التشدد والتصلب والرهبنة، فوقف موقفا وسطا بين اتجاهين، يحمل كل منهما بذور الفتنة والخطر على الفرد والمجتمع، فأباح الإسلام الاستمتاع بطيبات الحياة، ولكنه يأمر الإنسان ألاينساق وراء هذه الشهوات إلى درجة العبودية، بحيث يفقد قدرته

على ضبط شهواته ودوافعه. فالإسلام يلبي طلب الدوافع الجنسية عند الإنسان تلبية طاهرةمهذبة، بالزواج المشروع. قال تعالى: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون. إلا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين﴾ (المعارج : ٢٩-٣٠) ويعترف بالإحساس الجنسي ويعتبره من متع الحياة المحببة للنفس ، قال رسول الله ﷺ : «حبب إليّ من دنياكم النساء والطيب»(٥٤) . بل إن الإسلام يدعو إلى إشباع هذا الدافع الغريزي دعوة صريحة، فيقول محمد ﷺ موجه هذه الأمة «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»(٥٥).

والشارع لم يهمل هذا الجانب عند اختيار الزوج، فإن بعض الفقهاء يرى أن كل مايؤثر في فتور العلاقة الجنسية يؤثر في الكفاءة(٥٦). وقد أعطى الإسلام الزوج حق فسخ الزواج إذا كان بالزوجة عيب جنسي يمنع من المعاشرة كالرتق والقرن، كما أعطى الزوجة أيضا حق فسخ الزواج لعيب الزوج الجنسي كالجبب والعنّة(٥٧). وفي سبيل تحقيق هذا الهدف، أوجب الإسلام على الزوجة طاعة زوجها إذا دعاها إلى المضاجعة، كما في قوله تعالى: ﴿فالصّالحات قانتات﴾(النساء : ٣٤)، أي مطيعات، ويدخل في حدود الطاعة التي أمر الله بها ، أن تستجيب الزوجة لدعوة زوجها إذا دعاها إلى المضاجعة، ولايحق لها أن تعصي له طلبا في هذا الشأن؛ إلا بعذر شرعي - كالمرض والنفاس والحيض وخلافه، فيقول الرسول ﷺ «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء، لعنتها الملائكة حتى تصبح»(٥٨)، ويشير ابن حجر إلى استنتاج هام من هذا الحديث، فيقول: «إن صبر الرجل على ترك الجماع أضعف من صبر المرأة»(٥٩)، وهذا ماقرره علم الطب من أن الرجل أكثر توقانا وأشد رغبة في العلاقة الجنسية من المرأة، وما أيده بعض علماء الاجتماع من أن «الدافع الجنسي عند الرجل يكون أكثر الحاحا عنه في المرأة. ويمكن للدافع الجنسي عند المرأة أن يكون قويا مثل الرجل عندما تكون الظروف مناسبة. إلا أن الدافع الجنسي عندها لايكون له الأولوية كما هو الحال عند الرجل، فالرجال أكثر رضوخا للدافع الجنسي»(٦٠)، وبالرغم من أن الزوج هو الذي يطلب زوجته للمضاجعة غالباً، إلا أن ذلك لا يعني أن

عدم طلب الزوجة للمضاجعة راجع لضعف الشهوة ، ولكنه قد يرجع إلى وجود الحياء عند المرأة، فالإسلام يضع الحيطة في حالة طلب المرأة ذلك ، ويجعل هذا الجانب حقا مشتركا للطرفين فيقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ولهنّ مثل الذي عليهنّ بالمعروف﴾ (البقرة : ٢٢٨). فلها الحق أن تطلب من زوجها مايطلبه هو منها، بل أوجب على الزوج – إن قدر على ذلك- أن يضاجع زوجته في كل طهر مرة على الأقل، ليعفّها، فيقول تعالى: ﴿فإذا تطهّرن فأتوهنّ من حيث أمركم الله﴾(البقرة : ٢٢٢). وها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يولي هذه القضية أهمية، ويحسب لها الحساب، حتى في أحلك الأوقات وأصعبها، في مغازي أصحابه رضوان الله عليهم، فيروي لنا زيد بن أسلم قال: بينما عمر بن الخطاب يحرس المدينة، فمر بامرأة في بيتها وهي تقول أبياتا من الشعر تصف اشتياقها لزوجها البعيد عنها ، فسأل عنها عمر، فقيل له: هذه فلانة، زوجها غائب في سبيل الله، فأرسل إليها تكون معه، وبعث إلى زوجها فاقفله، ثم دخل على حفصة، فقال: يابنية ، كم تصبر المرأة عن زوجها؟ فقالت : سبحان الله: مثلك يسأل مثلي عن هذا؟! فقال: لولا أني أريد النظر للمسلمين ما سألتك قالت :خمسة أشهر ، ستة أشهر ، فوقّت للناس في مغازيهم ستة أشهر(٦١) .

والإسلام بهذه التعاليم الخالدة يشبع هذا الميل الفطري عند كل من الرجل والمرأة عن طريق الزواج المشروع. ومن بين نظرات الإسلام في الجنس اعتباره تصريف الشهوة في الحلال من الأعمال الصالحة التي يستحق صاحبها الأجر والثواب، كما في قول رسول الله: «وفي بضع أحدكم – أي الجماع- صدقة، قالوا يارسول الله: أياتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر!! قال عليه الصلاة والسلام : أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له فيها أجر»(٦٢)، وفي المقابل اعتبر الإسلام تصريف الشهوة في الحرام من أعظم الفواحش، فليس في الذنوب ولافي الفواحش بعد الشرك بالله وقتل النفس أعظم ولا أخطر من الزنى، قال تعالى: ﴿ولاتقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾ (الإسراء: ٣٢)، وقال النبي ﷺ : «لايزني العبد حين يزني وهو مؤمن ولايسرق حين

يسرق وهو مؤمن ولايشرب حين يشرب وهو مؤمن ولايقتل وهو مؤمن قال عكرمة: قلت لابن عباس كيف ينزع منه الإيمان قال هكذا وشبّك بين أصابعه ثم أخرجها، فإن تاب عاد إليه هكذا وشبّك بين أصابعه»(٦٣)

ك - الأسرة المسلمة تحقق الحاجات التربوية :

لو تتبعنا الوظائف السابقة للأسرة لوجدناها جميعا لها علاقة كبيرة بتحقيق الوظيفة التربوية، أي أن الوظائف المتعددة للأسرة المسلمة تسهم جميعا في تهيئة وإعداد المحضن الصالح لتنشئة ذريّة صالحة، كي تكوّن أمّة صالحة؛ بمعنى أنه إذا كان إنجاب الذرّية يعد من الأهداف الهامة في الأسرة المسلمة، فإن تربيتهم وتنشئتهم التنشئة الصالحة يعد أسمى وظائف الأسرة المسلمة، لأن التكاثر والتناسل دون تربية إسلامية، ودون استقامة لافائدة منه، بل الأولى أن يتوقف هذا التكاثر وهذا التناسل، وصدق اللّه العظيم حين يقول: ﴿ وقال نوح ربِّ لاتذر على الأرض من الكافرين ديّارا . إنّك إن تذرهم يضلّوا عبادك ولايلدوا إلا فاجراً كفّارا﴾(نوح : ٢٦-٢٧).

والأسرة هي المدد الطبيعي، والمصدر الأساسي لإنجاب النشء الذي يعتبر الركن الأساسي في عملية التربية والتعليم، ومن المعروف أن هذا النشء لايستطيع أن يعيش بمفرده دون مساعدة خارجية، وخاصة في السنوات الأولى من عمره، فهو يحتاج إلى رعاية ومساعدة، ويحتاج إلى عطف وحنان، وتغذية ووقاية، وكساء ونظافة ومحافظة، ويحتاج إلى توجيه وإرشاد، وتهذيب وتقويم، ويحتاج إلى تنمية مواهبه واستعداداته. لهذا حثّ الإسلام الآباء والأمهات، على تنشئة الأولاد وتربيتهم، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا، وقودها الناس والحجارة﴾(التحريم : ٦).

وهناك الكثير من الأحاديث التي تشجع على التربية، منها قوله ﷺ : «مانحل والد ولد أفضل من أدب حسن»(٦٤) وتعتبر تربية الأولاد واجبا دينيا، كلّف اللّه به

كل أب وكل أم. فهما مسؤولان عن تربية ذريتهما، قال رسول الله ﷺ : «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راع، والرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»(٦٥)، وقال رسول الله : «إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه، أحفظ ذلك أم ضيعه؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته»(٦٦)، فالأسرة مسؤولة عن الرحمة بالأولاد ومحبتهم، والعطف عليهم، والشفقة والرفق بهم، لما لذلك من أهمية بالغة في بناء شخصية الأولاد، وقد جاءت دعوته ﷺ إلى الرحمة المرتبطة بالعطف والرعاية صريحة حاسمة يقول «من لايرحم لايرحم» (٦٧). وهذا مايهدف إليه الإسلام في جعل الحياة الزوجية تقوم على المودة والرحمة، ويوصي بعدم مضايقة أو تنغيص حياة الزوجة خاصة أثناء الحمل أو الولادة، كما تشير إلى ذلك الآيتان الكريمتان ﴿أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولاتضارّوهنّ لتضيقّوا عليهنّ وإن كنّ أولات حمل فأنفقوا عليهنّ حتى يضعن حملهن﴾(الطلاق : ٦)، ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتّم الرّضاعة، وعلى المولود له رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف، لاتكلف نفس إلا وسعها، لاتضارّ والدة بولدها ولامولود له بولده﴾(البقرة : ٢٣٣).

وقد توصلت الدراسات الحديثة إلى أن الاضطرابات الانفعالية للأم لها تاثير على الجنين ونشاطه، وقد لوحظ « أن أطفال الأمهات السعيدات اللاتي تمر فترة الحمل عليهن بسلام، أظهروا ميلا إلى سرعة النمو في مرحلة الرضاعة»(٦٨) وإذا كان علماء النفس والتربية يرون أن حنان الأم وعطفها ومودتها يؤثر على سلوك الطفل، وأن حاجة الطفل إلى الحنان كحاجته إلى الطعام والشراب، فإن التربية الإسلامية تقرر هذا المبدأ، فها هو ذا خريج المدرسة المحمدية، أبوبكر الصديق رضي الله عنه، يدلي بهذه النظرية التربوية لصديقه العبقري، عمر بن الخطاب رضي اللهّ عنهما، عندما فارق امرأته، أم ابنه عاصم، وكان يريد أن يأخذ ابنه عاصما منها، قال له أبوبكر: «خلّ بينه وبينها، ريحها ومسّها ومسحها وريقها خير له من الشهد عندك»(٦٩).

والأسرة هي المسؤول الأول عن تحديد مستوى أولئك الناشئين قوة أوضعفا «وهي مصدر الأخلاق والدعامة الأولى لضبط السلوك والإطار الذي يتلقى فيه الإنسان أول دروس الحياة الاجتماعية»(٧٠)، والأسرة مسؤولة عن فطرة الطفل، وعن الانحراف الذي يصيبها؛ لأن المولود يولد وهو صافي السريرة سليم الفطرة، قال رسول الله ﷺ : «مامن مولود يولد إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجسّانه»(٧١)، وهذا ماعرفه علماء التربية المحدثون من أن الأسرة شديدة التأثير من ناحية القدوة «إذ يتشربها الأولاد ويتطبعون بها، وأعظم قدوة هي أداء حق الله من صلاة وصوم وزكاة وتعاون على البر والتقوى، ومدارسة لكتاب الله وسنة رسوله وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر»(٧٢).

وقد شاءت حكمة الله أن يودع في نفوس الأبوين حبا عظيما لأولادهما، وجعلهم قرّة أعين والديهم، وراحة نفسيهما وزينة حياتهما، وهذه النزعة أكسبت الوالدين دافعا قويا نحو تربية أبنائهم، قال تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدّنيا﴾(الكهف : ٤٦)، وقال تعالى : ﴿والذّين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين واجعلنا للمتقّين إماما﴾(الفرقان : ٧٤). والتربية الإسلامية هي التي تجعل من الأولاد قرّة أعين في الدنيا والآخرة.

والإسلام بتعاليمه الحكيمة يوجه الأسرة إلى أن دورها التربوي لايبدأ بعد الولادة، أو أثناء الحمل كما يقوله بعض رواد التربية المحدثين(٧٣)، بل إن التربية الإسلامية تهتم بتربية الأطفال منذ التفكير في الزواج، واختيار الزوجة التي ستصبح أمّا ومعلّمة ومربية ، واختيار الأب الذي سيصبح كذلك معلّما ومربيا لهؤلاء الأطفال. وها هي ذي كلمة أبي الأسود الدؤلي وقد تضمنت تلك القاعدة التربويه في الإسلام، يقول لأولاده: «لقد أحسنت إليكم صغارا وكبارا وقبل أن تولدوا، فقالوا: وكيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟ قال: أخذت لكم من الأمهات من لاتسبون بها»(٧٤). ويستمر هذا الدور التربوي إلى اللحظات الأخيرة من حياة الأسرة ، وإن جاز التعبير فإن هذا الدور يستمر حتى بعد وفاة الوالدين، وهذا مانشاهده في

حياتنا الواقعية حيث نرى العديد من المتوفين - والذين تركوا ذرية- أكثر وصاياهم تدور حول أبنائهم، ومربي هذه الأمة يشير إلى دور الأسرة المسلمة التربوي بعد نهاية حياتها، فيقول ﷺ : «أنك أن تدع ورثتك اغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم»(٧٥).

وقد بيّن الإسلام جانبا من جوانب التربية الأسرية . يقول الحق سبحانه : ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنيّ لاتشرك بالله إنّ الشّرك لظلم عظيم﴾ (لقمان:١٣) ويقول: ﴿يابنيّ أقم الصّلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إنّ ذلك من عزم الأمور . ولا تصعّر خدّك للنّاس ولا تمش في الأرض مرحا إنّ اللّه لايحبّ كل مختال فخور . واقصد في مشيك واغضض من صوتك إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾(لقمان : ١٧-١٩)، ورسم الخطوات الرئيسة والعلاقات الاجتماعية لصلة البالغ بأهله وذويه، قال تعالى: ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبيّن اللّه لكم آياته واللّه عليم حكيم﴾(النور : ٥٩)، والحديث عن هذه الوظيفة يطول ولايتسع المجال لذكر كل ما يتعلّق بها، وقد تناول الباحث بعضا من ذلك في الباب الثالث من هذه الرسالة.

ثالثا - المبادئ التي تقوم عليها الأسرة المسلمة:

من سنة الله في الوجود الإنساني أن جعل الأسرة هي السبب في هذا الوجود ، وقد شرع الله أحكام الأسّرة وبيّنها رسوله ﷺ ، وقد ميز الإسلام الأسرة المسلمة بمميزات خاصة تباين بها غيرها من الأسر. والحديث عن هذا الموضوع واسع ومتفرع، ولكن الباحث سيعمد باختصار إلى بيان المبادئ التي أكدها الإسلام لتدعيم تماسك وحدة الأسرة وقوتها، وإلى الركائز الأساسية التي تقوم عليها الأسرة، والعلاقة التي تربط أفراد الأسرة، والمكانة التي تحتلها الأسرة في المجتمع الإسلامي، والخصائص المميزة للأسرة المسلمة، وغير ذلك من الجوانب ذات الصلة بالأسرة. وهذه المبادئ هي كمايلي:

المبدأ الأول : مبدأ وجوب التشجيع على الزواج، والترغيب فيه:

فالإسلام يحرص على إتاحة فرص الزواج لكل الرجال والنساء القادرين. وقد رغّب الإسلام في الزواج، وحث عليه جميع من كان لديهم القدرة، إحياء لسنة نبيهم ﷺ ، وتلبية لحاجة فطرية أودعها الله في الإنسان، وإعفافا لأنفسهم، وصونا لمجتمعاتهم من الفساد والفوضى، وإبقاء للنوع الإنساني واستمراره، وتعميرا للكون والخلافة فيه.

ومن النصوص الدينية التي حثت على الترغيب في الزواج، قوله تعالى: ﴿فانكحوا ماطاب لكم مّن النّساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألاّ تعدلوا فواحدة﴾(النساء : ٣). وقال رسول الله ﷺ : « تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم» (٧٦) .

وقد دعا الإسلام الشباب إلى المسارعة في الزواج، قال رسول الله ﷺ : «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج»(٧٧). ودعا أولياء الأمور إلى المسارعة في تزويج النساء، وإزالة كل مايعترض طريق زواجهن من عقبات ومصاعب. قال رسول الله ﷺ : «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه، إن لاتفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد»(٧٨)، وقال: «ثلاث لاتؤخرهن، ومنها الأيم إذا وجدت كفءا»(٧٩)، وحث الآباء وأولياء الأمور على عرض بناتهم وأخواتهم على أهل الخير، إسهاما منهم في تسهيل زواجهن. وها هو القدوة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد عرض ابنته حفصة على أهل الدين والخلق فقال عمر بن الخطاب: «أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقال سأنظر في أمري، فلبثت ليالي ثم لقيني فقال قد بدالي أن لا اتزوج يومي هذا، قال عمر فلقيت أبا بكر الصديق فقلت، إن شئت زوجتك حفصه بنت عمر فصمت أبوبكر فلم يرجع إلى شيئا، وكنت أوجد عليه منّي على عثمان، فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ ، فانكحتها إيّاه»(٨٠) .

ويواصل الإسلام تعاليمه في تيسير وتذليل سبل الزواج، حتى يصبح الحلال أسهل منالا من الحرام، فحذّر أولياء الأمور من التشدد والتغالي في المهور، والابتعاد

عن الشروط القاسية التي تثقل كاهل الزوج، وأخبر أنّه كلما كان المهر قليلا، كان الزواج مباركا، قال رسول الله ﷺ : «خير النكاح أيسره»(٨١) .

وقد طبقّ رسول الله درسا عمليا في تيسير المهور عندما طلب أحد أصحابه زواج امرأة وهبت نفسها لرسول الله، حيث قال الصحابي: «يا رسول الله انكحنيها، قال: هل عندك من شيء . قال: لا قال: اذهب فاطلب ولو خاتما من حديد فذهب وطلب، ثم جاء فقال ماوجدت شيئا ولاخاتما من حديد، فقال: هل معك من القرآن شيء . قال: معي سورة كذا وسورة كذا . قال: اذهب فقد انكحتكها بما معك من القرآن»(٨٢).

ومن يسر تعاليم الإسلام في الزواج أن الشارع لم يحدد مقدار المهر وجعل ذلك متروكا لقدرة وحالة الخاطب، فالناس يختلفون في الغنى والفقر ويتفاوتون في السعة والضيق «واتفق الفقهاء على أنّه ليس للمهر حد أعلى يقف عنده فلا يصح تجاوزه، فيجوز بأي مقدار بالغاً مابلغ»(٨٣)، ولايشترط في المهر إلا أن يكون شيئا له قيمة بغض النظر عن القلة أو الكثرة، والدليل من السنة على قلة الصداق هو ماسبق ذكره من حديث الرسول وقوله ﷺ : «قال لرجل تزوج ولو بخاتم من حديد»(٨٤).

والإسلام يحذّر الرجال والنساء من العزوف عن الزواج أو تأخيره، لأن له عواقبه السيئة على الفرد والجماعة، فهو قد يؤدي بصاحبه إلى الوقوع في حمأة الرذيلة ، وإلى ضعف الوازع الديني، والاندفاع وراء إشباع الدافع الجنسي بصورة حيوانية، ومايترتب على ذلك من أضرار خلقية ودينية ونفسية ومعنوية واجتماعية واقتصادية. ومن هنا كان موقف الإسلام معاديا للذين يحرمون على أنفسهم الزواج، لقول رسول الله ﷺ : «انتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله واتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»(٨٥) .

وقد منع الإسلام ولي الأمر من عضل موليته، ومنعها من الزواج، إذا أراد أن يتزوجها رجل كفء لها، بدون عذر شرعي، وفي حالة إصرار الولي على ذلك فإن للشرع حق التدخل في تزويجها، لأن ذلك يعد ظلما عليها، قال تعالى: ﴿وإذا طلّقتم النّساء فبلغن أجلهنّ فلا تعضلوهنّ أن ينكحن أزواجهنّ﴾(البقرة : ٢٣٢). وليس هذا الحكم قاصرا على النساء المطلقات وإنما حكم عام لجميع النساء اللاتي يعضلن من الزواج وقد «اتفق العلماء على أنه ليس للولي أن يعضل موليته، ويظلمها بمنعها من الزواج، إذا أراد أن يتزوجها كفء بمهر مثلها؛ فإذا منعها في هذه الحال كان من حقها أن ترفع أمرها إلى القاضي ليزوجها»(٨٦).

المبدأ الثاني : الإيمان بأن التشريعات الإسلامية الأسرية نظام رباني يجب الالتزام به:

الإيمان بأن التشريعات التي جاء بها الإسلام من الترغيب في الزواج والإنجاب، والغاية منهما، واختيار الزوج، والكفاءة في الزواج، والمهر، والخطبة، وعقد الزواج والمحرمات من النساء، والحقوق والواجبات الزوجية ماكان منها مشتركا بين الزوجين أو كان حقا لأحدهما على الآخر، والمعاشرة، وتعدد الزوجات، والطلاق والتوارث وكل مايتعلق بأحكام الأسرة والمولود، ركن أساسي من الأركان التي تقوم عليها حياة الأسرة المسلمة وخاصة واجبات الآباء نحو الأبناء وواجبات الأبناء نحو الآباء مما يساعد على الإسهام في نجاح التربية.

والنصوص الدينية التي تبيّن وتوضح هذه الأحكام -أحكام الأسرة في الإسلام- من كتاب الله، وسنة نبيه، وآثار السلف الصالح، أكثر من أن يتسع المجال لذكرها، فضلا عن شرحها وتفسيرها، وسيكتفي الباحث بما يورده من تلك النصوص خلال مناقشته لهذا الموضوع.

والأسرة المسلمة تعطي للدين مكانة كبرى في أنظمتها وفي تعاملها في كل شؤون حياتها، وترد كل ماتنازعت فيه أو اختلفت فيه في حياتها إلى الله وإلى

الرسول - لا إلى الأنظمة التي جاء بها البشر والتي لاتوافق الكتاب والسنة- استجابة لقول الحق سبحانه وتعالى في قوله ﴿يا أيها الذّين آمنوا أطيعوا اللّه وأطيعوا الرّسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى اللّه والرّسول إن كنتم تؤمنون باللّه واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾(النساء : ٥٩) .

وها هو ذا عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه الذي يعد من رواد مصلحي الأمة الإسلامية وضع درسا عمليا بنفسه، معترفا بأن أحكام الأسرة المسلمة مشرعة من الخبير العليم، ولايحق لأي من كان أن يبدل أو يغير من أحكامها شيئا، فعنه رضى اللّه عنه :« أنه نهى وهو على المنبر أن يزاد في الصداق على أربعمائة درهم ثم نزل، فاعترضته امرأة من قريش، فقالت: أما سمعت اللّه يقول: ﴿وآتيتم إحداهنّ قنطاراً﴾ (النساء : ٢٠).

فقال: اللهم عفوا، كل الناس أفقه من عمر، ثم رجع، فركب المنبر، فقال: «إني كنت قد نهيتكم أن تزيدوا في صدَقُاتهن على أربعمائة درهم، فمن شاء أن يعطي من ماله ماأحب»(٨٧).

وعمر بن الخطاب وغيره من علماء المسلمين، يجمعون على أن القرآن الكريم والسنة النبوية والاجتهاد – في ضوء القرآن الكريم والسنة – هي المصادر التشريعية لجميع الأنظمة التي يسير عليها المجتمع المسلم، ويعد نظام الأسرة جزءا من نظام المجتمع لأن الأسرة نواة المجتمع. لذا كان طبيعيا أن يكون القرآن الكريم، والسنة المطهرة، والمصادر التشريعية الأخرى، مثل الإجماع ، والقياس، والاستحسان، والمصلحة المرسلة وغيرها هي المصادر التي تستمد منها الأسرة المسلمة أحكامها ونظمها. فنظام الأسرة «نظام رباني في مصدره، رباني في غايته، رباني في جميع فروعه وجزئياته، وهو مرتبط بالعقيدة والتصورات الإيمانية ارتباطا عضويا لا انفكاك له عنه في شيء من أحكامه وتوجيهاته»(٨٨).

فالأسرة المسلمة هي تلك الأسرة التي تطبّق الإسلام عقيدة وعبادة، وشريعة ومعاملة، والإسلام يرى بأنه لاحياة زوجية بدون إقامة حدود اللّه، وتحقيق شرع اللّه ومرضاته في كل شؤون الزوجين، وفي كل علاقتهما الزوجية، تمشيا مع قوله تعالى:

﴿فإن خفتم ألاّ يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به، تلك حدود الله فلا تعتدوها﴾(البقرة : ٢٢٩).

المبدأ الثالث : وجوب اختيار الشريك الصالح في ضوء التعاليم الإسلامية:

الإيمان بأن اختيار الزوج الملائم يعد من أهم مبادئ الأسرة المسلمة فاختيار الزوج هو من أهم القرارات المتعلقة بالزواج، ويشكل منعطفا هاما وخطيرا في حياة الزوجين المستقبلية، وقد أشار أحد الباحثين إلى «أن أغلب مشكلات البيت ناتجة عن سوء الاختيار»(٨٩)، فيجب أن لايخضع الاختيار لحكم الهوى، بل ينبغي أن يتم بحكمة وروية، وأن يراعى فيه الانسجام الروحي والاتفاق بين الزوجين في العقيدة والقيم والميول والاتجاهات والاتفاق على معظم جوانب الحياة. لهذا فالإسلام يحرص على أن تبدأ الحياة الزوجية باختيار موفّق يكفل للأسرة حياة هانئة وادعة مستمرة. فقد حوت نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة العديد من التعاليم والتوجيهات التي ينبغي مراعاتها في اختيار الزوج المناسب، وينبغي للمسلم مريد الزواج «أن يضع نصب عينه وهو يفكر ويقلب الأمور ليختار زوجة أنه ليس بصدد عملية شخصية دنيوية، بل هو أمام موقف تعبدي»(٩٠)، أمام موقف أداء واجب ديني ينبني عليه النجاح في القيام بالمهام الدينية والاجتماعية والتربوية الكثيرة. والإسلام يأمر باختيار الزوجة الصالحة قال تعالى: ﴿وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم﴾(النور : ٣٢)، وذكر القرآن الكريم بعض أوصاف الصالحات كما في قوله تعالى: ﴿فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله﴾ (النساء : ٣٤) وبيّن رسول الله بعض أوصاف الصالحات أيضا فقال: «خير النساء التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولاتخالفه في نفسها ولامالها بما يكره»(٩١).

من هذا يتضح أن الدين يجب أن يكون رائد الزوج وهو يختار الزوجة، وأن يكون الدين مطمع نظر الزوج. أما الذي يضع الاعتبارات المادية، والحسابات الدنيوية نصب عينيه عندما يقرر الزواج، ويندفع وراء الشهوات العارمة،

والعاطفة المتذبذبة ويغفل الجانب الديني فإنه لن تتحقق له بدونه السعادة الزوجية والهدوء النفسي والاستقرار البيتي. يقول الإمام الغزالي للذي اختار زوجة من هذا النوع: «إنها إن كانت ضعيفة الدين في صيانة دينها وفرجها أزرت بزوجها، وسودت بين الناس وجهه وشوشت بالغيرة قلبه، وتنغص بذلك عيشه، فإن سلك سبيل الحمية والغيرة لم يزل في محنة وبلاء، وإن سلك سبيل التساهل كان متهاونا في دينه وعرضه، ومنسوبا إلى قلة الحمية والأنفة، وإن كانت مع الفساد جميلة كان بلاؤها أشد، إذ يشق على الزوج مفارقتها، فلا يصبر عنها، ولا يصبر عليها»(٩٢) .

وإذا كان الدين هو رائد الزوج وهو يختار، فإنه إيضا يجب أن يكون رائد الزوجة ووليها عند الاختيار، فإن المرأة ستجد من صاحب الدين أطيب معاملة، وأحسن عشرة، وأكثر عاطفة وحماية لها ولأولادها، وسيقود هذه الأسرة بإذن الله إلى الخير والصلاح، وها هو الحسن بن علي رضي الله عنه، يستنصحه رجل فيقول: «إن لي بنتا، فمن ترى أن أزوجها له؟ قال: زوجها لمن يتقي الله، فإن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها»(٩٣). إنّ مقياس التقوى والعمل الصالح يأتي في مقدمة المقاييس الأخرى مثل المال، والنسب ، والجاه ، والحرفة، وغير ذلك ، بل عندما يكون المتقدّم للزواج صاحب دين، وكان فيه نقص من حيث الجوانب المادية فإن هذا لايعني أنه غير صالح للزواج. وقد قال الرسول ﷺ في هذا الشأن: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه»(٩٤).

وها هو مربي هذه الأمة محمد ﷺ يطبقّ ذلك عمليا على أصحابه رضوان الله عليهم، فيقول سهل «مرّ رجل على رسول الله ﷺ فقال: ماتقولون في هذا قالوا حريّ إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفّع وإن قال أن يسمع. قال ثم سكت فمرّ رجل من فقراء المسلمين فقال ماتقولون في هذا قالوا حريّ إن خطب أن لاينكح وإن شفع أن لايشفع وإن قال أن لايسمع، فقال رسول الله ﷺ . هذا خير من ملء الأرض مثل هذا»(٩٥). من هذا يتضح أن مقياس الإيمان هو المقياس الأول في الاختيار، ولأهمية هذا الجانب عند اختيار الزوج، وما يترتب عليه من أثار على الحياة الزوجية، فالإسلام يحرم على الرجل والمرأة الزواج بمن لا دين له، ويرى علماء المسلمين أنه

لايحل التزوج بالوثنية، والزنديقة ، والمرتدة عن الإسلام، وعابدة البقر، والملحدة(٩٦). قال تعالى:﴿ولاتنكحوا المشركات حتّى يؤمنّ ولأمة مّؤمنة خير من مّشركة ولو أعجبتكم ولاتنكحوا المشركين حتّى يؤمنوا ولعبد مّؤمن خير من مّشرك ولو أعجبكم﴾(البقرة : ٢٢١) .

وهنا نلمح توجيهات الإسلام الصائبة في تشدده وحرصه على اختيار المرء القرين المتحد معه في العقيدة والفكر « والقول بأن التوافق بين الرجل والمرأة في المعتقد والفكر هو أساس الاختيار السليم وبالتالي سبب نجاح الحياة الزوجية ليس رأي الدين فحسب بل هو مايقول به ويؤكده علماء النفس والاجتماع من مسلمين وغيرهم»(٩٧) والإسلام دين فطري وواقعي، وعندما دعا الإسلام إلى مراعاة الجانب الديني والخلقي في اختيار الزوج زوجته، فإنه لم ينبذ الجوانب المادية من مال أو جمال أو جاه وما إلى ذلك؛ بل يرى أنه كلما اجتمعت جوانب مادية في الزواج بجانب الجانب الديني والخلقي، زاد الزواج والحياة الزوجية صلاحا ووئاما وسعادة وهناء، وهذا ما ينصح به الإسلام. وقد استدل ابن حجر العسقلاني في هذا الموضوع بحديث أبي هريرة رضى اللّه عنه عن النبي ﷺ قال: «تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها، ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»(٩٨)، يقول ابن حجر: «يؤخذ منه أي من لفظ جمالها» استحباب تزوج الجميلة إلا أن تعارض الجميلة الغير دينة والغير جميلة الدينة، نعم لو تساوتا في الدين فالجميلة، أولى، ويلتحق بالحسنة الذات الحسنة الصفات»(٩٩).ولهذا بيّن الإسلام الصفات المادية والمعنوية التي يستحسن مراعاتها عند اختيار الزوج، فأشار إلى المال والحسب والجمال، وأن تكون من أسرة صالحة ومنبت طيب، وأن تكون ذات مستوى جيد من العقل والذكاء، وعدم الاقتران بالحمقاء، وأن تكون بكرا – إذا أمكن ذلك – وأن تكون ولودا وودوداً، وذات صحة جيدة وخالية من العيوب الخَلْقيه والخُلُقيّه ويستحسن أن يكون الزوجان متقاربين في السن، ومتكافئين–بقدر الإمكان–في المال والجمال والجاه والنسب والعلم والعمل والاتجاه والميول والبدانة وما شابه ذلك من الصفات. وهناك شواهد من القرآن والسنّة، وقد تناولها كثير من الباحثين بشيء من التفصيل.(١٠٠)

ولتحقيق هذا المبدأ وتلافيا لوجود صفة في أحد الزوجين لايرغبها الآخر، ينبغي على كل منهما التحرى والتثبت عن وجود تلك الصفات التي يرغبها في شريك حياته بل أيضا يتأكد من عدم وجود صفات قد تنفر الزوج من زوجه، ويستعين في هذا الجانب بإحدى قريباته لأن المرأة يتكشف لها الشيء الكثير مع بنات جنسها. وقد وضّح مربي هذه الأمة محمد ﷺ في درسه العملي، عندما أرسل أم سليم تنظر إلى جارية، فقال: «شمي عوارضها وانظري إلى عرقوبها»(١٠١) . وفوق هذا وذاك أجاز الإسلام رؤية كل من الزوجين الآخر، فرؤية الخاطب لمخطوبته أفضل بكثير من وصف المخطوبة للزوج أو أن يراها الخاطب بعين أمه أو بعين أخته، أو إحدى قريباته، لأن وجهات النظر تختلف، وذلك في جمال المرأة خاصة، لأن الجمال - بمعناه الواسع- وهو المقصد الرئيسي من رؤية المخطوبة، أمر نسبي يختلف باختلاف الأذواق والأشخاص. لذا كان العامل الأهم في هذا المجال هو رؤية المخطوبة «فهو من خلال هذه الرؤية يعرف خصوبة اليدين من عدمها، ويعرف من خلال الوجه والكفين لون بشرتها، كما يعرف من خلال الرؤية العامة حال جسمها من النحافة أو الامتلاء، ومعرفة طولها من قصرها وشكلها العام، وربما يعرف أيضا طريقة مشيتها وطريقة حديثها»(١٠٢).

والإسلام يأمر بذلك تفاديا لوقوع الزوجين ضحية وصف غير صحيح. والإسلام يحيط هذا الأمر -رؤية المخطوبة- بضوابط وضمانات حتى يمنع إباحة المتحللين والمحتالين على أعراض المسلمين، فيحرم الخلو بالمخطوبة من غير محرم، لأنها محرّمة على الخاطب حتى يعقد عليها، قال رسول الله ﷺ : «لايخلونّ رجل بامرأة إلا مع ذي محرم»(١٠٣). ويجوز للخاطب أن ينظر إلى مخطوبته في وجود المحرم، مرة أو مرات، والمخطوبة كذلك تتعرف على مخطوبها، تراه ويراها تنظر إليه وينظر إليها، يتحدث كل منهما للآخر بماليديه، ومايريده في الحياة الزوجية المستقبلية بصدق وصراحة لكي يكون كل واحد منهما على بيّنة من الآخر، وحتى يقتنع كل منهما بالآخر شكلا ومضمونا.

من هذا نجد أن الإسلام جاء بحل وسط بين المتشددين والإباحيين بشأن رؤية الخاطب مخطوبته: «فإن فيه الرعاية لحق كلا الزوجين في رؤية كل منهما الآخر، مع تجنب الخلوة، حماية للشرف وصيانة للعرض»(١٠٤)

المبدأ الرابع : ممارسة الحرّية في ضوء القيم الإسلامية :

الإسلام يمنح كلاً من الزوجين الشعور بالتمتع بالحرية المعتدلة، لأن نظرة الإسلام إلى الإنسان مبنية على الكرامة والحرية المعتدلة، فلا إباحية كما حدث في بعض الأسر الغربية بأن لايسأل الزوج عن زوجته والزوجة لا تسأل عن زوجها « فلم يعد للأسرة تقاليد ترعى ، ولم يعد الزوج أو الزوجة يطالبان نفسيهما بالإخلاص بعضهما لبعض أو للأخلاق والتقاليد»(١٠٥)، ولا العبودية بمعنى أن الزوجة ليست ملكا للرجل، وتكاد المرأة في بعض المجتمعات أن تكون مسلوبة الإرادة تماما، وبعض الأحكام العرفية لدى بعض الشعوب «تقضي أن تفقد المرأة اسمها واسم أسرتها، بمجرد زواجها وتكتسب اسم زوجها واسم أسرته»(١٠٦).

والمتتبع لأحكام الأسرة في الإسلام يجدها موافقة لحرية كل من الرجل والمرأة وقد أعطى الإسلام المرأة حرية اختيار زوجها، كما أعطى الزوج ذلك ، لهذا فإن الإسلام جعل عقد الزواج يستند بصورة أساسية إلى عامل الرضا بين الزوجين، فرضا الزوج بزواجه من شريكة عمره، ورضاها عن هذا الشريك يعد شيئا أساسيا يقوم عليه عقد الزواج، بل يعتبر الركن الحقيقي للزواج(١٠٧). والنصوص من السنة المطهرة حول تأكيد ذلك عديدة، قال رسول الله ﷺ : «لاتنكح الأيم حتى تستأمر ولاتنكح البكر حتى تستأذن، قالوا يا رسول اللهّ وكيف إذنها قال أن تسكت»(١٠٨)، وقد أفاد أحمد البنا أن للمرأة في نفسها في النكاح حقا ولوليها حقا «فحقه أن لاتزوج إلا بواسطته كما ذهب إليه الجمهور، وحقها أن لاتجبر على الزواج إذا لم تقبله، وحقها أوكد من حقه»(١٠٩). والإسلام يجعل زواج الفرد- ذكرا أم أنثى - مبنيا

على رغبته المطلقة، وعلى رضاه المطلق من غير قسر ولا إكراه. وقد قدّم رسول الله ﷺ درسًا عمليًا لأصحابه في النساء اللواتي يُكرهن على الزواج، موضحا لأولياء الأمور أن ليس لهم شيء من أمر الإكراه. فتأتيه خنساء بنت خدام الأنصارية، وتقول: إن أباها زوّجها وهي ثيّب فكرهت ذلك ، فرد رسول الله ﷺ نكاحها «(١١٠).

فالأسرة المسلمة منذ بدايتها حتى نهايتها تقوم على أساس الحرية والإرادة الحرة للزوجين، ولكن في حدود فهي ليست حرية بلاقيود فالزوجة لها حرية الاشتراط في عقد النكاح -مالم يكن شرط أحل حراما أو حرّم حلالاً - لقول الرسول ﷺ « أحق ما أوفيتم من الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج «(١١١). وللزوجة إذا كانت من أهل الكتاب الحرية الدينية في ممارسة شعائرها الدينية، وعدم إكراهها على ترك دينها وإجبارها على عقيدة أخرى، فلاخير في تدين يقوم على الإكراه، قال تعالى: ﴿ولو شاء ربّك لامن من في الأرض كلّهم جميعا، أفأنت تكره النّاس حتّى يكونوا مؤمنين﴾(يونس : ٩٩)، - ولكن ينبغي على الزوج في مثل هذه الحالة أن يعرّف زوجته حقائق الإسلام ومبادئه ومثله العليا.

كما أعطى الإسلام حرية مفارقة الزوج زوجه، إذا كانت الحياة الزوجية بينهما حياة كره وبغض، أو كانت هناك أضرار من أحدهما على الآخر ويصعب عليه تحملها، للزوج أن يفارق زوجته بالطلاق، كما في قوله تعالى: ﴿الطّلاق مرّتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾(البقرة : ٢٢٩). وللزوجة أن تفارق زوجها بتطليقها من قبل القاضي. وقد طبّق مصلح هذه الأمة محمد ﷺ تلك الأحكام عمليا على حياة زوجية يسودها الكره والبغض، فتأتي جميلة بنت عبد الله بن أبّي بن سلول زوجة ثابت بن قيس، تأتي إلى الرسول وتقول: «يارسول الله ما أنقم على ثابت في دين ولاخلق، إلا أني أخاف الكفر. فقال رسول الله ﷺ ، فتردين عليه حديقته؟ قالت: نعم، فردت عليه وأمره ففارقها «(١١٢). وصدق الله العظيم حين يقول: ﴿ولايحلّ لكم أن تأخذوا ممّا آتيتموهنّ شيئا إلاّ أن يخافا ألاّ يقيما حدود الله فإن خفتم ألاّ يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾(البقرة ٢٢٩) كما أعطى الإسلام لكل من

الزوجين حرّية التملك والتصرف فيما يملك، والحرية في التعبير عن الرأي، وكان موقف عمر مع المرأة، عندما كان يتحدث عن غلاء المهور، لهو أصدق مثال لحرية الفكر للمرأة.

المبدأ الخامس : تقرير الحقوق والواجبات الزوجية :

الإسلام كما يؤكد مبدأ الشعور بالتمتع بالحرية المعتدلة لكل من الزوجين، فإنه يؤكد أيضا ، مبدأ الحقوق والواجبات الزوجية، ومبدأ توزيع العمل والمسؤولية، وهذا المبدأ مرتبط بالمبدأ السابق، فبقدر الحرية تكون المسؤولية والحقوق والواجبات، لأن كل حرية في الإسلام منوطة بمسؤولية ما، فهناك حقوق مشتركة فرضها الإسلام بين الزوجين، كما أن هناك واجبات وحقوقاً فرضها الإسلام على الزوج نحو زوجته، فهناك واجبات وحقوق أخرى على الزوجة نحو زوجها، وقد تناول علماء المسلمين هذا الموضوع بالشرح والتوضيح(١١٣)، وسيقتصر الباحث على ذكر أهم هذه الحقوق التي أشار إليها الإسلام.

ومن أهم الحقوق المشتركة بين الزوجين، حق الاستمتاع وهذا حق للزوجين ولايحصل إلا بمشاركتهما معا،وحق حرمة المصاهرة فيحرم على كل منهما التزوج بأي من أصول وفروع الأخر،وحق التوارث بينهما، وثبوت نسب الولد، والتعاون على طاعة الله،وحسن المعاشرة، والقيام بواجبات الأبناء،من تربية وتعليم ومعاملة عادلة بينهم، أما حقوق الزوجة على زوجها، فتتلخص في حقوق مالية، وهي أن يوفيها مهرها كاملا،والإنفاق عليها بالمعروف، وحقوق غير مالية وهي أن يعاشر الزوج زوجته معاشرة حسنة، وأن يغار عليها، وأن لايتحدث إلى الناس بما يجري بينه وبين زوجته، وأن يحتمل بعض اخطائها، ويتغافل عن كثير مما يبدر منها، وأن يمازحها ويداعبها، وأن يتلطّف ويتودد لأقاربها، وأن يعدل بين زوجاته إذا كان متزوجا أكثر من واحدة، وأن يسعى إلى تعليمها العلوم الدينية.

ومن حقوق الزوج على زوجته، أن تطيعه في كل ما يأمرها به، مالم يكن معصية للّه تعالى، أو يكون الأمر فوق طاقتها، وأن تكون بارة بزوجها، ودودة له ولأقربائه، وأن تقوم بتدبير المنزل، وتدبير مال زوجها، وأن لاتحمل زوجها النفقات التي لاطاقة له بها، وأن تعمل جهدها في خدمة البيت، وأن لا تخرج من بيت زوجها إلا بإذنه، وأن تحفظ نفسها عفيفة شريفة في حالة غيابه، وأن تقيم الحداد في حالة وفاة زوجها أربعة أشهر وعشرا، وللزوج حق تأديبها في حالة نشوزها أو ارتكابها أخطاء تستحق التأديب.

وقد بيّن الإسلام حقوق وواجبات كل فرد من أفراد الأسرة، ولم تقتصر هذه الحقوق والواجبات على الزوج والزوجة فقط، بل شملت بقية أفراد الأسرة، فهناك حقوق وواجبات الآباء نحو أبنائهم، وكذلك حقوق وواجبات الأبناء نحو آبائهم، وحقوق وواجبات من له صلة رحم، وحقوق وواجبات الجار. وحمّل الإسلام كلا من الزوجين مسؤولية، يقول الرسول ﷺ «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راع، والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»(١١٤).

والإسلام وهو يحدد واجبات ومسؤولية كل فرد من أفراد الأسرة المسلمة، مما يعد من أهم مقومات الحياة المتزنة والبعيدة عن حياة الفوضى والهمجية، فإنه ينصح أن تكون الحياة الزوجية مشتركة ، وأن يتعاون الزوجان على الحياة، ومن لديه القدرة والاستطاعة على القيام بعمل شريكه فليقم به منهما. وهذا يقود كلا من الزوجين إلى الاعتراف بفضل وجميل كل منهما على الآخر، لأن الواحد منهما عندما يعرف واجبه أولا، ثم يأتي الثاني لمساعدته في واجبه، يكبر احترامه وتقديره ومحبته له في نفسه، وهاهو ذا مربي الأمة محمد ﷺ، يطبّق ذلك عمليا على نفسه ومع أسرته، فعندما سئلت عائشة رضي اللّه عنها: ماكان النبي ﷺ يصنع في البيت؟ قالت كان في مهنة أهله، فإذا سمع الأذان خرج »(١١٥).

المبدأ السادس : مبدأ العدالة والمساواة بين الزوجين :

وهذا المبدأ من أبرز مايقرره الإسلام بين الناس عموما، ولذلك عندما سئل رسول الله عن كلمة جامعة لمعاني الإسلام تلا قوله تعالى : ﴿إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلّكم تذكرون﴾(النحل : ٩٠)، والنصوص الدينية التي تحث على العدل بين الناس عديدة، كما أن العدل الذي ينادي به الإسلام عدل مطلق عدل بين الناس جميعا، حتى مع الأعداء والخصوم قال تعالى﴿ولايجر منكم شنآن قوم على ألاّ تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتّقوى﴾(المائدة : ٨).

وإذا كان الإسلام يوجب العدل حتى مع الخصوم والأعداء، فإنه من باب أولى أن يوجبه بين الزوج وزوجه. لقد قرر الإسلام العدالة بين الأزواج فساوى بينهما في الكرامة الإنسانية، فكل من الرجل والمرأة أدمي مكرّم، قال تعالى ﴿ولقد كرّمنا بني أدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم مّن الطّيبات وفضّلناهم على كثير مّمن خلقنا تفضيلا﴾(الإسراء : ٧٠)، وفي وحدة الجنس البشري في المنشأ والمصير وفي المحيا والممات، فالرجل والمرأة ينسلان من مصدر واحد ﴿يا أيها النّاس اتقوا ربّكم الّذي خلقكم مّن نّفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالا كثيرا ونساء واتّقوا الله الّذي تساءلون به والأرحام﴾(النساء : ١)، والمساواة في الحفاظ على حياتهما، لأن الدم البشري محرم في كل حال، ولايجوز سفكه إلا بالحق، قال تعالى ﴿ولا تقتلوا النّفس الّتي حرّم الله إلا بالحقّ﴾(الإسراء : ٣٣).

وقد حث الإسلام على العدل بين الزوجين منذ البدء في تكوين العلاقة الزوجية بينهما، وقد عرف في الفقه الإسلامي مايسمى «بالكفاءة في الزواج»، والمقصود بذلك في الزواج، «أن يكون الزوج كفؤا لزوجته»، «أي مساويا لها في المنزلة ونظيرا لها في المركز الاجتماعي، والمستوى الخلقي والمالي»(١١٦). وعدل الإسلام بين المرأة والرجل في اختيار كل منهما الآخر في الزواج دون إكراه، وعدل

في توزيع الحقوق والواجبات، ماكان منها مشتركا بينهما أو ماكان على الزوج وحده أو الزوجة وحدها، وصدق الله حين يقول: ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾(البقرة : ٢٢٨).

والإسلام لم يمّيز بين المرأة والرجل في مزاولة العقود من بيع وإجارة ورهن ووكالة، وللمرأة ما للرجل في التملك وطريقة الكسب، ولها كامل التصرف فيما تملك.

وعدل الإسلام بين المرأة والرجل في العمل، وفي حق التعليم وتحصيله، وفي حق التربية والتهذيب.

كما عدل الإسلام بين المرأة والرجل في الميراث ، وقد يسأل سائل ويقول أين المساواة هنا والمرأة تأخذ نصف ما يأخذه الرجل؟ كما في قوله تعالى: ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾(النساء : ١١)، ولكن لهذا التقسيم حكمته في الإسلام، فقد اعتمد في ذلك « على مقدار تكاليف الأفراد وحاجياتهم وهذه النظرة دقيقة إذ على أساسها أعطى للذكر مثل حظ الأنثيين لا على أساس إنها ناقصة الإنسانية كما ظن ذلك البعض ،فإن الإسلام رأى أن المرأة غير مكلّفة بالعمل والإنفاق على نفسها ولهذا فإنها لاتحتاج إلى مال لأن كل نفقاتها مفروضة على الرجل وكل الأتعاب والمشقات يتحملها الرجل»(١١٧)، ثم إن المرأة لو قامت بعمل للمجتمع،أوللدولة لأخذت حقها بمثل ما يأخذ الرجل من العمل نفسه .

والإسلام ساوى بين المرأة والرجل في التدين والعبادة ومايترتب على ذلك من ثواب وجزاء، وكثيرا ما يأتي التكليف موجها للرجل والمرأة على حد سواء، قال تعالى: ﴿من عمل صالحا مّن ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيّبة ولنجزينّهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون﴾(النحل : ٩٧). والرجل والمرأة متساويان أمام شرع الله، وأحكام الشرع تطبّق عليهما دون استثناء، قال تعالى﴿والسّارق والسّارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا مّن الله﴾(المائدة : ٣٨) ، وقال تعالى: ﴿الزّانية والزّاني فاجلدوا كلّ واحد مّنهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾

(النور: ٢)، بل حتى في تحمل أمانة الإصلاح والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نجد الإسلام يكلّف المرأة والرجل على حد سواء في ذلك كما في قوله تعالى:﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصّلاة ويؤتون الزّكاة ويطيعون الله ورسوله﴾(التوبة : ٧١) .

وما من حكم من أحكام الأسرة المسلمة إلا ويجد المتأمل المنصف العدل بين طيّاته، حتى في الأحكام التى يثير أعداء الإسلام حولها الشبهات، مثل حكم تعدد الزوجات حيث إن الشريعة الإسلامية أباحت للرجل -وفق شروط وحدود معينة- أن يتزوج أكثر من واحدة إلى أربع، قال تعالى:﴿فانكحوا ماطاب لكم مّن النّساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألاّ تعدلوا فواحدة﴾(النساء : ٣) ، ومما يتضح من هذه الآية «أن جواز التعدد في الإسلام ليس على إطلاقه بل إنه مشروط بشرط قاس .. وهو شرط العدالة»(١١٨)، فمجرد خوف الجور وعدم العدل يمنع التعدد، وما أدق أحكام الإسلام، والعدل المطلوب في الإسلام يكون في الأمور الظاهرية والتي يملكها بإرادته، أما مالا يستطيعه وهو الميل القلبي والمحبة فهذا خارج عن إرادته ولاحرج عليه، وإذا نظرنا إلى الحالات والضرورات التي يبيح الإسلام فيها التعدد -مثل أن الزوجة قد تصاب بمرض ما أو تكون عقيمة، أو تصل إلى سن اليأس، أو يكون الرجل كثير الأسفار، ويصعب نقل أهله، إلى غير ذلك من دواعي التعدد - نجد أنه من باب الإنصاف والعدالة للمرأة والرجل أن يسمح للرجل بتعدد الزوجات. وهذا الحكم يعد أكثر عدلا وإنصافا مما أقدمت عليه بعض الشعوب من وضع القوانين التي بموجبها «لايصح للرجل أن يتزوج أكثر من واحدة»(١١٩)، ونظرا لظهور بعض المشكلات الناجمة من الحالات والضرورات التي أجاز الإسلام تعدد الزوجات فيها، أباحوا في قوانينهم أن يتخذ الرجل خليلة، وله أن يتخذ من الخليلات ماشاء بدون قيد ولاشرط، وبالمقارنة فإن «المرأة في الإسلام في حالة التعدد زوجة مع الحقوق الزوجية الكاملة أما هناك فهي زوجة من غير حقوق»(١٢٠).

أما الحكم الثاني من أحكام الأسرة المسلمة التي يثار حوله الشبهات فهو الطلاق؛ حيث زعم خصوم الإسلام أيضا «أن في إباحة الطلاق هضما لحقوق المرأة وهدرا لكرامتها وإنسانيتها»(١٢١). وعند التأمل في بعض الآيات التي تشير إلى هذا الحكم -الطلاق- نجد مايؤكد تكريم المرأة وإنصافها، حيث طلبت من الزوج أن يعاشر زوجته بإحسان ومعروف أو أن يفارقها بإحسان ومعروف، كما في قوله تعالى: ﴿الطَّلاق مرَّتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾(البقرة : ٢٢٩)، وحين أباح الإسلام الطلاق فإنه قد بغّض على الزوج أن يطلق لغير سبب حتى لايقع ظلم أو إساءة بالمرأة، وقد بغّض الرسول ﷺ الطلاق وجعله أبغض الحلال إلى اللّه، قال « أبغض الحلال إلى اللّه الطلاق »(١٢٢)، وهو لايباح إلا للضرورة، ولايستخدم حلاً أولاً للمشكلات التي يمكن أن تتعرض لها العلاقات الزوجية، فهناك أساليب أشار إليها الإسلام ينبغي على الزوج استخدامها قبل الإقدام على الطلاق، وهي متنوعة ومتدرجة لكي تتناسب مع نوع المشكلات الزوجية، وقد تناولها الباحث بشيء من الإيضاح في موطن آخر.

أما الطلاق لحياة زوجية تحكمها الضغينة والتنازع والكيد، لهو عين العدالة لكل من الزوجين وأن الذين ينادون بما ورد في بعض القوانين الأوربية، بأن لايسمح بالطلاق مادامت المرأة لاتريد ذلك، يخطئون طريق العدل. فأي عدل في إلزام رجل قد لم يوفق في الاقتران بزوجة صالحة بالنفقة عليها ومعاشرتها وعدم مفارقتها؟ ومما هو واضح «أن واضع هذا القانون راعى مصلحة المرأة فقط دون مراعاة الرجل ومصلحته إطلاقاً. وهذا ليس بعدالة ولايعتبر قانونا عادلا. كما لايعتبر قانونا اجتماعيا صالحا، لأنه لايراعي الحالات الاجتماعية القاسية التي يحتمل أن تحدث »(١٢٣)، لأن المرأة في حالة طلاقها دون رضاها تأخذ نفقتها وتعيش بعيداً عن البيت كيفما تشاء.

وإذا كان الإسلام قد عدل بين المرأة والرجل في الأمور التي أوجزها الباحث آنفا، فإن الإسلام يقرر أيضا بأنهما «غير متشابهين من حيث أن لكل منهما عمله

ووظيفته وتركيبه الفطري الخاص به، فالمرأة تختلف عن الرجل في بنيتها الجسمية وتكوينها النفسي، ويتبع ذلك اختلاف المهمة والعمل الذي أعدته لها الحكمة الإلهية»(١٢٤). وقد كشف البحث العلمي الكثير من طبيعة الفروق والاختلاف بين الجنسين «من النواحي البيولوجية والفسيولوجية والسيكولوجية»(١٢٥) .

ومن منطلق هذا المفهوم نجد عدالة الإسلام في جعل بعض واجبات الرجل تختلف عن المرأة، وجعل القوامة للرجل لما يتميز به من خصائص تساعده في تحمل ذلك، قال تعالى: ﴿الرِّجال قوّامون على النِّساء بما فضّل اللّه بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾(النساء : ٣٤)، كما أسند إلى الرجل الجهاد وحمل السلاح، وجعل الطلاق بيد الرجل لما يتصف به من التروي وضبط النفس، أكثر من المرأة المفطورة على العاطفة وسرعة الانفعال، إلا إذا كان هناك ضرر على الزوجة فقد أباح لها الإسلام تطليق نفسها من زوجها بطلب التفرقة عن طريق المحكمة، كما عدل الإسلام بين المرأة والرجل في الإرث والدية والشهادة ، ولكل حكم من هذه الأحكام الثلاثة مبرراته، وأسند للمرأة أعمالا تتناسب وتكوينها الفطري من حمل وولادة وغير ذلك.

المبدأ السابع: الإيمان بأن عقد الزواج في الإسلام هو أساس العلاقة المشروعة بين الرجل والمرأة:

إن كل اتصال بين رجل وامرأة لايقوم على عقد مشروع هو اتصال ممنوع في الإسلام، وبعقد الزواج تنتقل العلاقة بين رجل وامرأة من التحريم إلى التحليل. قال تعالى: ﴿والّذين هم لفروجهم حافظون. إلا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فإنّهم غير ملومين﴾(المؤمنون : ٥-٦). ووصف الحق سبحانه هذا الرباط وهذه العلاقة المشروعة بين المرأة والرجل بالميثاق الغليظ، قال تعالى: ﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميّثاقا غليظا﴾(النساء : ٢١)، والمراد بالميثاق الغليظ عند بعض المفسرين هو العقد (١٢٦).

وعقد الزواج في الإسلام يختلف عن غيره من العقود ، فله أركانه وشروطه وواجباته. ومن ثم يقول الفقهاء إن أركان الزواج « الإيجاب، والقبول »(١٢٧) ومعنى الإيجاب: هو ماصدر أولا من أحد المتعاقدين للتعبير عن إرادته في إنشاء الصلة الزوجية، ويصح بلفظ النكاح والتزويج وما اشتق منهما مثل زوجتك أو انكحتك.

ومعنى القبول : هو ماصدر ثانيا من المتعاقد الآخر من العبارات الدالة على الرضا والموافقة، ويتحقق بأي لفظ يدل على الموافقة والرضا، مثل قبلت، وافقت(١٢٨) وقد تناول العلماء هذه الأركان والشروط والواجبات بالشرح والتوضيح.

وعقد الزواج في الإسلام يسبقه مقدّمات لابد منها وهي اختيار الزوج والتعرف على الزوج، والخطبة، وتحديد المهر. وبمجرد أن يستكمل عقد النكاح سائر الأركان والشروط، فإنه يترتب عليه حل الاستمتاع على الوجه المشروع بين الزوجين، واستحقاق المهر المسمى بالعقد، واستحقاق النفقة متى توفرت شروط وجوبها للزوجة، وحرمة المصاهرة بين الزوجين، وثبوت نسب الولد إلا إذا نفاه الزوج، والتوارث بين الزوجين، والتزام كل من الزوجين بحسن معاشرة الآخر، والقيام بالحقوق التي رتبها الشارع عليه للآخر(١٢٩) . وبموجب هذا العقد تنشأ العلاقة المشروعة بين الرجل والمرأة، ولايفصل بينهما أو يفرقهما، أو يلغي أي شيء ترتب عليه العقد أحد، إلا إذا وجدت أسباب تدعو إلى ذلك، مثل خلل وقع في العقد، أو سبب طاريء عليه يمنع بقاءه، وهذا يؤدي إلى حل الرابطة التي تربط بين الزوجين ويسمى (فسخ العقد)(١٣٠). وقد تكون هناك أسباب خارجية، وعوامل لاصلة لها بصلب العقد وجوهره تجعل أحد الزوجين لايستطيع الحياة الزوجية مع الآخر ، فيحق له حل الرابطة التي تربط بين الزوجين، ويسمى «طلاقا» إذا كان حل العقد من قبل الرجل أما إذا كان من قبل المرأة فيسمى «خلعا».

وعقد الزواج يعد من أجّل العقود وأهمها آثارا، وقد أشار الباحث سابقا إلى أنه يختلف عن بقية العقود الأخرى؛ فعقد الزواج في الشريعة الإسلامية لايعني التملك المعروف للمرأة، فالمرأة بهذا العقد ليست ملكا للرجل شأنها شأن ممتلكاته الأخرى. فهو لايملك عين المرأة، ولايملك منافعها، وإنما يملك الاستمتاع بها بالصورة

التي تقرهاً الفطرة، ويملك ماترتب على العقد من حقوق وواجبات للزوجين سبق ذكرها. وبالمثل بالنسبة للمرأة. إلا أن مايثبت للمرأة في حق الاستمتاع يختلف عما يثبت للرجل، فالمرأة يثبت لها حل الاستمتاع أما الرجل فيثبت له ملك الاستمتاع. بمعنى أن الرجل يحق له الاستمتاع بثلاث غيرها، أما المرأة فلايصح لها أن تستمتع برجل غيره. وإذا اقترن العقد ببعض الشروط الصحيحة مثل اشتراط الزوجة أن تقيم في سكن خاص بها، أو خادمة، أو اشتراط الزوج على زوجته أن تنتقل إلى بيته إلى غير ذلك من الشروط، فإنه يجب الوفاء بها من قبل الطرف الثاني، لقول رسول الله ﷺ : «أحق ما أوفيتم من الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج»(١٣١)

والإسلام يحرص على إضفاء طابع القدسية على عقد الزواج، ولعقد الزواج خطبة تسمى «خطبة عقد الزواج»، يستحب أن يتلوها العاقد عند عقده الزواج للعروسين كما وردت بها السنة، وهي تحوي العديد من النصائح الدينية للزوجين من كتاب الله وسنة رسوله، ثم «تقول الزوجة أو وليها أو وكيلها: زوجتك نفسي أو ابنتي أو موكلتي على مهر معجله كذا، ومؤجله كذا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فيجيب الزوج: وأنا قبلت زواجك على المهر المذكور على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ»(١٣٢) وبهذه الكلمات الدينية البسيطة تكون علاقة الرجل بالمرأة علاقة زواج شرعي لأن عقد الزواج بينهما قد تمّ بهذه الصورة الروحانية. وبعد هذا الارتباط الشرعي ينبغي على الحاضرين تهنئة الزوجين والدعاء لهما بالبركة، لقول رسول الله ﷺ : «إذا تزوج أحدكم فليقل له: بارك الله لك، وبارك عليك»(١٣٣).

وعقد الزواج في الإسلام من العقود التي يجب إعلانها، ويجب أن يشيع أمره في المجتمع علنا تمييزا بينه وبين الفعل الذي حرمه الله -وهو الزنى- الذي يعمل في الخفاء، يقول الرسول ﷺ : «أعلنوا النكاح»(١٣٤) وهنا نلمح أن الشرع يشترط أن يكون هناك شاهدان عند عقد الزواج، تلافيا للتهمة التي ربما تلحق بالزوجين اللذين كونا علاقتهما الزوجية على شرع الله، وقطع السبيل على ألسنة السوء، ودفع الشبهات، وعن طريقهما يتحقق إعلان الزواج.

المبدأ الثامن : مبدأ حسن المعاشرة بين الزوجين :

دعا الإسلام الزوجين أن يحسنا المعاشرة فيما بينهما، وأن يعامل كل منهما الآخر بالحسنى والمعروف، وأن ذلك مطلوب من الزوج والزوجة على حد سواء، قال تعالى: ﴿ ولهنّ مثل الذّي عليهنّ بالمعروف﴾ (البقرة : ٢٢٨)، وأن تكون حياتهما الزوجية منذ بدايتها حتى نهايتها في حدود قوله تعالى:﴿وعا شروهنّ بالمعروف﴾ (النساء : ١٩)، وقال تعالى: ﴿ أوفار قوهنّ بمعروف﴾ (الطلاق : ٢).

إن حسن المعاشرة بين الزوجين يعد ركنا أساسيا في إقامة الحياة الزوجية، وبدونه لن يكتب لتلك الحياة البقاء والاستمرار، وفي حالة استمرارها فهي حياة زوجية خائبة. ولأهمية ذلك فالإسلام وضع التعاليم والتوجيهات الصائبة، وبيّن للزوجين أن هناك آداب للعشرة الزوجية تضمن لهما حسن معاشرتهما، ويود الباحث أن يوجز بعضا منها في النقاط الآتية :

(١) **تعاون الزوجين على طاعة اللّه** : أي أن يتعاون الزوجان على طاعة الله، وأن يأمر كل منهما الآخر بالمعروف، وينهاه عن المنكر، وينصح كل منهما الآخر، ويذكره بالله إذا أخطأ أو نسي، وأن يتعاونا على أداء العبادات، وفعل الخيرات، والقربات إلى الله، قال تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾ (التوبة : ٧١)وإن كانت الآية موجهة لعموم الناس، فإن الزوجين هما أولى الناس بالعمل بها؛ لأنهما أساس بناء المجتمع، إنها سعادة للزوجين في الحياة الدنيا، وثواب عند الله في الحياة الآخرة، فما أسعد أيام رمضان ولياليه على الزوجين المسلمين، وما أسعد أوقات الفجر من صبيحة كل يوم عندما ينهض الزوجان لتأدية الصلاة، وما أسعد أوقات العبادة جميعها على الأسرة المسلمة، وما أسعد الحياة الزوجية إذا كان هدفها هو مرضاة الله،

وصدق الله العظيم حين يقول:﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ (النحل : ٩٧).

(٢) **الطاعة:** من آداب العشرة الزوجية طاعة الله ثم طاعة الزوجة لزوجها وبالمثل طاعة الزوج لزوجته. وهذه - الطاعة- لها دور فعّال في جعل جو الحياة الزوجية أكثر صفاء ووئاما، وتسهم في جعل كل واحد منهما يتقبل مايصدر عن الآخر بروح طيبة. وأن تكون هذه الطاعة مبنية على حب واحترام وتقدير لا الطاعة المبنية على الإكراه والقسر. وقد أشار القرآن الكريم إلى أن الزوجات قسمان، قسم فيه الصالحات الطائعات المؤمنات، وقسم الناشزات النكدات، ووصف الصالحات بأنهن مطيعات لله ثم لإزواجهن، ولايكفي في المرأة الصالحة أن تكون مطيعة لله ثم تسيء عشرة زوجها، بل لابد من الأمرين، طاعة الله ثم طاعة الزوج. قال تعالى: ﴿فالصّالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله﴾(النساء: ٣٤)، ومعنى قانتات مطيعات لأزواجهن(١٣٥). والطاعة المطلوبة للزوج في حدود مايرضي الله سبحانه وتعالى، وهذه كافية لإرضاء الزوج المنصف. أما خارج تلك الحدود فلاسمع ولاطاعة للزوج، وقد روى أنّ امرأة من الأنصار طلب منها زوجها أن توصّل شعرها، فقال رسول الله ﷺ : «لا، إنه قد لعن الموصّلات»(١٣٦).

وكذلك ينبغي على الزوج طاعة زوجته في حدود شرع الله، طاعتها فيما تطلبه من نفقة ومسكن وتمتع، قال تعالى: ﴿ولهنّ مثل الّذي عليهنّ بالمعروف﴾ (البقرة : ٢٢٢).

إلا أننا نجد أن النصوص الدينية تدور حول تعاليم إطاعة الزوجة لزوجها وتشدّدالإسلام في ذلك، أكثرمما تدور حول إطاعة الزوج لزوجته. وذلك لاختلاف طبيعة المرأة عن طبيعة الرجل في النواحي العاطفية، فهي ضعيفة التحمل والصبر وشديدة الحساسّية والتأثر، فعندما تبدر من الزوج زلّة أو حدث ما، فإن تحملها لهذا

الحدث أقل من تحمل الرجل لزوجته لو بدر منها ذلك، فهي تثور وتغضب وتجحد الإحسان والعشرة الزوجية، وتنكر ذلك كله، وقد أشار مربي هذه الأمة إلى هذا الطبع في بعض النساء، فقال: «يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأت منك شيئا قالت: ما رأيت منك خيرا قط»(١٣٧). كما أن هذه التعاليم تكشف لنا عن واقعية نشاهدها في حياتنا اليومية، وهي أن الطاعة الزائدة من قبل الزوجة لزوجها لها أكبر الأثر في سعادة الحياة الزوجية، أما بالنسبة للرجل فيجب أن لاتتجاوز الطاعة حدودها، فمطالب المرأة كثيرة، وأهواؤها أكثر منها عند الرجل، ومن الصعب تحقيق جميع أهواء ورغبات الزوجة، والطاعة في مثل هذه الحالة ستؤثر على حياة الأسرة.

(٣) **آداب الدخول على الأهل** : من آداب العشرة الزوجية أن يقابل كل من الزوجين الآخر بوجه طلق، ينبغي على الرجل إذا دخل على أهله أن يذكر اسم اللّه ثم يسلّم عليهم، وقد أمر الرسول ﷺ بـ«إفشاء السلام»(١٣٨)، وأن يقابل أهله بوجه طلق وباش، وكلمات طيبة ، والزوجة تقابله بالمثل، ترد على سلامه بتحية أفضل وأحسن ﴿وإذا حيّيتم بتحيّة فحيوًا بأحسن منها أو ردّوها﴾ (النساء : ٨٦) والمقابلة الطيبة والتلطف للزوج عند قدومه تحطّ الشيء الكثير من متاعب الزوج، وتدخل إلى نفسه السرور والبهجة. وهاهي ذي المرأة التي تربّت على مائدة الإيمان، وهي أم سليم زوجة أبي طلحة قدّمت لنساء المسلمين سلوكا رائعا عند مقابلتها لزوجها من سفره، مع ما يعصر فؤادها من ألم وحزن وأسى على فراق فلذة كبدها. كما يروي «أنس»، قال «مات ابن لأبي طلحة من أم سليم، فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدّثه قال: فجاء فقرّبت إليه عشاء فأكل وشرب، قال ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك فوقع بها، فلّما رأت أنه قد شبع وأصاب منها، قالت: يا أبا طلحة أرأيت أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت وطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا، قالت فاحتسب ابنك»(١٣٩).

ومن آداب العشرة الزوجية، أن لايدخل الزوج على أهله في غير موعد دخوله يخوّنهم ويتجسّس عليهم، ويتحسّس ماذا يفعلون وماذا يقولون، وهذا العمل غير الأخلاقي ليس من آداب العشرة الزوجية، وليس من تعاليم مربي هذه الأمة محمد ﷺ ، فما كان يفجأ أهله بالدخول عليهم بغتة ليتخوّنهم، وإنما كان يدخل البيت على علم منهم بدخوله، فيقول عليه الصلاة والسلام: «إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلا»(١٤٠)، وقد أورد ابن حجر أنه قد جاء في رواية وكيع قال: «نهى رسول اللّه ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلا يتخونهم أو يطلب عثراتهم»(١٤١)، لأن الرجل إذا دخل على زوجته بدون علم، فقد تقع عينه على أمر ينفر نفسه من زوجته.

(٤) **الغيــرة** : من مظاهر إكرام الزوج وحبه واحترامه لزوجته أن يغار عليها، فلايسكت على اختلاطها وجلوسها مع غير المحارم، أو مع من لايطمئن إلى خلقها من النساء، ولا يأذن لها بالخروج إلى الأماكن العامة سافرة، أو السماح لها بمشاهدة ما يثير فيها دواعي الإغراء، وهذه الطباع كانت تتمثل في أصحاب رسول اللّه ﷺ ، وها هو ذا سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج رضي اللّه عنه ، يقول: «لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح. فقال النبي ﷺ أتعجبون من غيرة سعد ؟ لأنا أغير منه؛ واللّه أغير مني»(١٤٢).

وإن الذي يقر الخبث والفحشاء في أهله، ويرضى بذلك من زوجته ومحارمه لايدخل الجنة أبدا، قال رسول اللّه ﷺ « ثلاثة قد حرّم اللّه عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاقّ، والديوث الذي يقر في أهله الخبث»(١٤٣) والخبث يعد من الرذائل «والغيرة من الأمور التي يقر الإنسان بفطرته أنها فضيلة، وهي تستمد قوتها من الروح والإيمان، كما أن الإباحية والتحرر تستمد قوتها من الشهوة الجسمانية، وإن دعاة السفور والاختلاط يتكلفون إسكات صوت الغيرة بدليل أنهم لايسمحون بالدخول على نسائهم إلا لمن يسمح لهم بالدخول على نسائه. فلوا صدقوا في دعوتهم بنبذ

الغيرة إلى تحرير المرأة من أسر الحجاب لماحافظوا على شرط المعاوضة في سفور نسائهم أمام أي رجل من معارفهم»(١٤٤) .

والغيرة إذا لم تأخذ شكلها الذي حدده الإسلام، فإنها تؤدي إلى قلق الزوجين وتعاستهما وتنغّص حسن عشرتهما. إن من الغيرة لغيرة يحبها اللّه وإن منها ما يبغضه اللّه، فالغيرة التي يحبها اللّه، غيرة الرجل على أهله إذا كان هناك قرائن تدل على انحرافهم، فمثلا عندما تخرج المرأة متعطرة متزيّنة متبرجة ﴿ولا تبرجْن تبرّج الجاهليّة الأولى﴾(الأحزاب : ٣٣)، فهذه قرينة ينبغي عندها للرجل أن يغار على عرضه، أو عندما تخضع المرأة بالقول فيطمع الذي في قلبه دغل وانحراف بسبب الكلام الرقيق ﴿فلا تخضعن بالقول فيطمع الّذي في قلبه مرضٌ﴾(الأحزاب : ٣٢)، فهذه قرينة أيضا، أو عندما تمشي المرأة وتدب قدميها أو تتحرك بحركة لتظهر ما هو خفي من زينتها ﴿ ولا يضربن بأرجلهنّ ليعلم ما يخفين من زينتهنّ﴾ (النور:٣١)، فهذه من ضمن القرائن. أما الغيرة التي يبغضها اللّه ورسوله فهي الغيرة التي تنقلب إلى سوء ظن بالزوجة وتجسس عليها، وهي الغيرة في غير ريبة، يقول الرسول ﷺ : «من الغيرة مايحب اللّه، ومنها مايكره اللّه، فأما مايحبّ، فالغيرة في الريبة، وأما مايكره فالغيرة في غير ريبة»(١٤٥)، ومعنى الريبة التهمة؛ أي إذا كانت الزوجة محل تهمة فيجب على الزوج أن يغار على زوجته، ويتحرى صحة تلك التهمة.

والغيرة توجد عند النساء والرجال على حد سواء، فالزوجة تغار على زوجها، وقد حدث ذلك من إحدى أمهات المؤمنين، فعن أنس رضي اللّه عنه قال: «كان النبي ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربت التي النبي ﷺ في بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبي ﷺ فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول: غارت أمكم، ثم حبس الخادم حتى أتي بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة الى التي كسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت فيه»(١٤٦).

وإذا اشتدت هذه الغيرة عند المرأة فإنها تسبب لها الشك والارتياب في زوجها وتعيش في قلق دائم، وتصبح في « حالة اعتلال عاطفي عصبي يعود بالعذاب على المرأة، وهي تكون ضحيتها، وهي من أهم العوامل التي تجلب العداوة في الزواج »(١٤٧)، وهذا ما أوصى به السلف الصالح بناتهم من تجنب هذا الطباع، وذكروا مالها من عواقب وخيمة، فقد أوصى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ابنته فقال: « إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق »(١٤٨).

وينبغي على كل من الزوجين أن يتجنب مايثير الغيرة في نفس الآخر، وعليهما أن يستعيذا بالله من الوسواس الخناس، فإنّه يشكك في أمور لاينبغي الشك فيها، وأن يحسن كل منهما الظن بالآخر، ويجتنب الشك في الآخر مادام على خير، ويترك إثارة هذه الشكوك إذا لم تكن هناك قرائن، وعلى كل من الزوجين الاقتداء بتوجيهات المصطفى ﷺ حينما قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولاتجسسوا ولاتحسسوا ولاتنافسوا ولاتحاسدوا ولاتباغضوا ولاتدابروا وكونوا عباد الله إخوانا »(١٤٩).

(٥) **الصبر** : يرشد الإسلام الأزواج إلى خصلة هامة في العشرة الزوجية وهي أن لايطمع الأزواج في إصلاح الزوجات الإصلاح كلّه، أو الاستقامة كلها، قال رسول الله ﷺ : «المرأة كالضلع: إن أقمتها كسرتها وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج »(١٥٠). وفي رواية «خلقت المرأة من ضلع، فإن تقمها تكسرها، فدارها تعش بها »(١٥١). ويستدل ابن حجر بهذا الحديث على الندب إلى «المداراة لاستمالة النفوس وتآلف القلوب، وفيه سياسة النساء بأخذ العفو منهن، والصبر على عوجهن، فكأنه قال: الاستمتاع بها لايتم إلا بالصبر عليها »(١٥٢). والإسلام يحث على الصبر والتحمل، إن حدثت من زوجته زلّة أو كره شيئا منها، فعليه بالصبر، وعدم الاستجابة للبغض الطاريء، كما يوصي به الحق ﴿فإن كرهتموهنّ فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرًا﴾ (النساء : ١٩).

وكما يطلب الإسلام من الزوج أن يتحمل ويصبر على أذى زوجته، ومايصدر منها من سلوك يكرهه في بعض الأحيان، فإنه يطلب من الزوجة أيضا أن تصبر على أذى زوجها أو على سوء خلقه، ولو تطلّب الأمر التنازل عن بعض حقوقها المادية الواجبة على الزوج في سبيل دوام العشرة الزوجية، قال تعالى: ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلاجناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير﴾ (النساء : ١٢٨). فالصبر وتحمل العشرة الزوجية واجب على الزوج والزوجة.

وتعاليم الإسلام في هذا الخصوص تقودنا إلى حقيقة علمية. وهي أن الشريك لايطمع في أن يجد شريكا في الزواج يتفق معه في جميع الميول والرغبات والطباع «وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج»(١٥٣) وهذا ماتشير إليه الدراسات الحديثة، وهو «أن الناس يختلفون فيما بينهم في كثير من صفاتهم الموروثة والمكتسبة، نتيجة لاختلاف العوامل الوراثية والبيئية التي يخضعون لتأثيرها منذ بداية تكوينهم، يختلفون في أبعادهم وقواهم وسماتهم وصفاتهم الجسمية وفي استعداداتهم وقدراتهم وميولهم العقلية، وفي نوازعهم واتجاهاتهم ودوافعهم وفي أهدافهم»(١٥٤). فالتوافق الكامل أو التطابق الكامل بين الزوجين في الصفات يستحيل توفرهما، فخير وسيلة للتغلب على ذلك هو صبر كل منهما على الآخر، ومداراة كل من الزوجين الآخر.

(٦) **تأديب الرجل أهله وإصلاحهم** : إرشاد الزوجة وتوجيهها وتأديبها إذا بدر منها سلوك غير سوي له دور فعّال في حسن المعاشرة، وعندما ذكر الحق سبحانه قوامة الرجل أسند إليه دور الإصلاح في الأسرة وعهد إليه بهذه المهمة. ﴿الرجال قوّامون على النساء﴾(النساء : ٣٤)، وقد استنبط ابن حجر من قول رسول الله ﷺ «واستوصوا بالنساء خيرا»، معنى دقيقا فقال «كان فيه رمزاً إلى التقويم برفق بحيث لايبالغ فيه فيكسر ولايتركه فيستمر على عوجه»(١٥٥) .

والإسلام يرشد الرجل الذي أوكل إليه دور الإصلاح إلى المبادرة في تقويم ما

أعوج من سلوك زوجته، وقد حرص الإسلام على وضع التدابير الوقائية في مرحلة سابقة قبل أن يستفحل الداء، قال تعالى: ﴿واللّاتي تخافون نشوزهن﴾ (النساء : ٣٤) فمجرد الخوف، ومجرد لمح الزوج علامة التغير في سلوك زوجته، يستدعي منه المبادرة إلى العلاج ليقوّم ما أعوجّ. وبعد أن أوصى الإسلام بالمبادرة، وترك تخلي الزوج عن دوره حتى يقع البلاء ويصعب العلاج، بعد هذا كله يرشد الإسلام الأزواج الذين بدأت أعراض الخلاف تفتك بعشرتهم الزوجية يرشدهم إلى العلاج الأمثل الذي سيقضي على كثير من الخلافات الزوجية إذا طبّق حسبما شرعه الله، فالقرآن الكريم يشير إلى أن أول علاج يبدأ به الرجل عندما يلحظ تغيرا في سلوكها، هو الوعظ ﴿واللّاتي تخافون نشوزهنّ فعظوهنّ﴾(النساء : ٣٤). فالنساء درجات؛ فبعضهن رقيقات الطبع يتأثرن بالكلمة الطيّبة والنصيحة، وعلى الزوج أن يعظها ويذكرها بالله وبسنّة رسوله، وبما ورد فيهما من حقوق الزوج وواجباته، ويذكرها بحسن المعاشرة وبالأيام السالفة، وأن يبصّرها ويوضح لها أثر الخلاف الذي بدر منها، وأضراره وخطورته على كل فرد ينتمي إلى هذه الأسرة، إذا هي استمرت في خلافها، عليه أن يعظها بكل هذا، وعلى الزوج أن لايستخدم أسلوب الشدة والقسوة في الموعظة، أو التلفظ بالكلمات الجارحة، أو يجعل الموعظة في صورة أمر وتوعد إذا لم تنفّذ مطالبه، متعاليا متكبرا على زوجته. إن الموعظة الفعّالة المؤثرة هي الموعظة التي يختار لها الوقت المناسب، الذي تكون النفوس فيه قد هدأت، ويستخدم فيها الأسلوب الرقيق والكلمات الهادفة. إن مراعاة مثل هذه الأمور في الموعظة تكسب الزوجة ارتياحا للوعظ والإرشاد، وتقبلا لهما، ولنافي مربي هذه الأمة محمد ﷺ أسوة حسنة في طريقة موعظته التي يصفها الحق سبحانه وتعالى: ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ (آل عمران : ١٥٩).

وإذا لم يؤثر الوعظ والإرشاد في تقويم سلوكها يأتي العلاج الثاني وهو الهجر ﴿واهجروهنّ في المضاجع﴾(النساء : ٣٤). فبعض النساء لاتؤثر فيهن الموعظة فتستعلي إحداهن على الرجل وتتحكم فيه، بما تملكه من سلاح الغريزة، فالعلاج الناجع لمثل هؤلاء الهجر، فإذا هجر الزوج زوجته-أي لم يراجعها، حطّم سلاح

كبريائها، - ولايحق للزوج أن يسيء استخدام هذا العلاج، فلايحق له أن يشتم أو يخاصم أو يقبّح وأن يكون الهجر في البيت، وقد أورد ابن حجر تعليلا في هجره النساء في بيوتهن وقال: «إن هجرانهنّ مع الإقامة معهنّ في البيوت آلم لأنفسهنّ وأوجع لقلوبهنّ بما يقع من الإعراض في تلك الحالة»(١٥٦) .

فإن تمادت المرأة في الإعراض عن زوجها ولم تعد إلى العشرة الحسنة، يأتي العلاج الثالث وهو الضرب ﴿واضربوهنّ فإن أطعنكم فلاتبغوا عليهنّ سبيلا﴾ (النساء: ٣٤) ولكن هذه المرحلة من العلاج تختلف عما سبقها من المراحل، فليس كل النساء يضربن؛ بل القلة النادرة منهن، ولايستخدم في جميع الأحوال؛ بل في مواقف يندر وجودها ولايستخدم هذا الحق إلا في حدوده . فليكن التأديب بالضرب اليسير بحيث لايحصل منه النفور التام، وأن لايخلّف عاهة، أو يجرح أو يكسر عضوا، وأن يكون ضربا غير مبرّح، وأن لايضرب الوجه. وأن يتقيد بتعاليم المصلح الأول محمد ﷺ «لايجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها في آخر النهار»(١٥٧)، ومتى صلحت المرأة وعادت إلى رشدها وسلوكها السوي فلا هجر ولا ضرب بعد ذلك.

ومع أن الإسلام يسند دور الإصلاح إلى الرجل، فإن هذا لايعني أن جميع الرجال يستطيعون القيام بهذا الدور على الوجه المطلوب؛ وأنهم يستطيعون القضاء على جميع الخلافات الزوجية، بل يضع الإسلام الحيطة لمثل هؤلاء الذين يتعذّر عليهم حلّ خلافاتهم العائلية. إن العلاج في هذه الحالة يتعدى مقدور الزوج، وينتقل إلى الجماعة، وهنا يتدّخل المصلحون، منهم حكم ثقة من أهل الزوج، ومنهم حكم ثقة من أهل الزوجة، ولابد أن يحسن اختيار الحكمين، بأن يكونا صالحين من ذوي المروءة والاستقامة، لكي ينظرا في القضية بعين الإنصاف والعدل، ويعيدا للحياة الزوجية عشرتها الحميدة، قال تعالى: ﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفّق الله بينهما إنّ الله كان عليما خبيرا﴾ (النساء : ٣٥)وإذا لم يفلح الحكمان في التوفيق بينهما، فالشقاق والخلاف بين الزوجين عظيم وخطير، وحياتهما الزوجية لن تسودها المودة والرحمة بعد ذلك، والحل الوحيد بعدنفاد هذه الحلول والأساليب هو ما قاله الحق ﴿ وإن يتفرّقا يغن الله

كلا مّن سعته وكان اللّه واسعا حكيما﴾(النساء : ١٣٠).

(٧) **الاعتدال في الإنفاق** : الاعتدال في الإنفاق يعد من آداب العشرة الزوجية، والإسلام يطلب من الزوج والزوجة أن يعيشا في هذه الحياة، حياة وسطا بين طرفي الإفراط والتفريط. ونظرا لما يترتب من خلاف وشقاق وتنافر بين الزوجين بسبب الناحية المادية، فإن الإسلام يقدّم التعاليم الكفيلة باستتباب توافق الزوجين في هذه الناحية، إذا طبقت هذه التعاليم كما رسمها الإسلام. فالإسلام يلزم الزوج الإنفاق على أهله، ويطلب من الزوج أن لايقسوا على أهله قسوة تجعله سلبيا في الحياة، ولايعطيهم أكثر من حقهم في التمتع، ولهذا يقول الحق سبحانه ﴿والذّين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾ (الفرقان : ٦٧). وأجر الإنفاق على الأهل عند اللّه من الأمور العالية الثواب، قال رسول اللّه ﷺ : «أفضل الدنانير دينار ينفقه الرجل على عياله، ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل اللّه ودينار ينفقه الرجل على أصحابه في سبيل اللّه عز وجل»(١٥٨). وكما أن الحق سبحانه لايضيع أجر الإنفاق ، فإنه لايهمل جزاء البخل والشح ، يقول : ﴿ولايحسبنّ الذّين يبخلون بما أتاهم اللّه من فضله هو خيرا لّهم بل هو شرّ لهم ، سيطوّقون مابخلوا به يوم القيامة﴾ (آل عمران : ١٨٠).

وفي المقابل فالإسلام يوصي النساء بالمحافظة على مال الزوج من التبذير والإسراف والضياع، وأن تدبر الزوجة منزلها بكل ما تعنيه كلمة التدبير. وللزوجة أن تأخذ من مال زوجها مايكفيها للأكل والشراب والملبس ومادعت الحاجة إليه، والأدلة على ذلك، قوله ﷺ : «خير نساء ركبن الإبل نساء قريش أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده»(١٥٩)، وقال رسول اللّه ﷺ : لهند بنت عتبه زوجة أبي سفيان «خذي مايكفيك وولدك بالمعروف»(١٦٠)

ومن آداب العشرة الزوجية أن لا يتقول الزوج على صداق زوجه فيأخذه منها عن طريق الحيل الماكرة، فيدفع صداقها باليمين ويسترده بالشمال، ويشير القرآن

إلى ذلك، موضحا أن صداق المرأة لها، وتتصرف في هذا المال حسب رغبتها ورضاها ﴿وآتوا النساء صدقاتهنّ نحلة فإن طبن لكم عن شيء منّه نفسا فكلوه هنيئا مّريئا﴾ (النساء : ٤). فإن تنازلت عن شيء منه للزوج فبها ونعمت، وإلا فلايحق له إكراهها لدفع صداقها، أو حتى الدفع منه في سبيل النفقة على نفسها، وحذّر الإسلام من التضييق عليها أو إيقاع الضرر بها، يقول الله ﴿ولاتضارّوهنّ لتضيّقوا عليهنّ﴾ (الطلاق: ٦).

(٨) **المداولة والمشاورة بين الزوجين** : عندما يمنح الزوج زوجته شيئا من النفوذ والصلاحية ، فإن ذلك يدخل إلى نفسها السعادة والسرور، ويجعلها أكثر حيوية ونشاطا، ويجعلها أكثر قربا وطاعة ومحبة للزوج. وذلك بالاستماع إلى حديثها، والإقبال عليها إذا تحدثت، والأخذ برأيها ومشورتها إذا كان فيهما الصواب والخير، وإذا كان الرأي غير ذلك فالأحرى أن يجاريها ويوجهها إلى الخير والمصلحة برفق ولباقة. ومن الخطأ أن يستبد كل واحد من الزوجين برأيه ويترك شريك حياته دون علم أو مشورة، إن هذا التصرف غير الخلقي يعد سببا رئيسا في تنافر الزوجين وتباعد بعضهما عن بعض.

وكما أشار الباحث إلى أن العلاقة الزوجية في الإسلام تختلف عن أي علاقة أخرى، فالسكن الذي يجمع بين الزوجين هو «سكن روحي وقلبي، سكن روح إلى روح من جنسه وسكن قلب إلى قلب من جنسه، فتصبح الروحان روحا واحدا، ويصبح القلبان قلبا واحدا»(١٦١). ولهذا فالزوجة أقرب إنسان لزوجها تطلّع على أسراره وهو بالمثل، تتكشف لها أمور كثيرة عنه، وهو كذلك أيضا. وقد أشار سيد قطب إلى أن كلمة «أفضى»، والتي وردت في قوله تعالى: ﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم مّيثاقا غليظاً﴾(النساء:٢١) لاتقف عند حدود الجسد وإفضاءاته، بل تشمل «العواطف والمشاعر، والوجدانات والتصورات، والأسرار والهموم والتجاوب»(١٦٢). وإذا كان هذا حال العشرة الزوجية في الإسلام فمن الخطأ أن

يستبد ويترفع الرجل برأيه عن زوجته، ويتركها دون أن يخبرها بماليديه، وإذا كانت المرأة ذات رأي سديد، فلا بأس أن يأخذ الزوج برأيها. ثم إن هناك أمورا كثيرة -لايتسع المجال لتعدادها فضلا عن شرحها وتوضيحها- فعلى أية حال لاتستقيم الحياة الزوجية دون مشاورة كل من الزوجين الآخر في أموره، وإبداء كل واحد منهما رأيه حيالها، وطرحها على مائدة المفاوضات بين الزوجين.

(٩) **المحافظة على أسرار الزوجية** : سبق أن ذكرنا أن الزوجين يتبادلان من الأسرار مالايتبادله أي فرد مع فرد آخر. فللحياة الزوجية والبيوت أسرار ينبغي أن تصان، ومن آداب العشرة الزوجية حفظ سرّ الآخر. فلا الزوج يفشي سرا لزوجته، ولا الزوجة تفشي سرا لزوجها، وقد ذكر الحق سبحانه وتعالى كلمته الجامعة في هذا الشأن : ﴿هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهنّ﴾ (البقرة : ١٨٧) أي أن يكون كل من الزوجين سترا وغطاء ووقاية للآخر في كل شؤون الحياة، ومن صفات الزوجات الصالحات، أنهن حافظات للغيب ﴿فالصّالحات قانتات حافظات لّلغيب بما حفظ اللّه﴾ (النساء : ٣٤). فالمرأة تحافظ على أمور عديدة، منها المحافظة على أسرار البيت وأسرار زوجها. فكم من عواقب سيئة تعود على الأسرة بسبب كلمة يفضيها أحد الزوجين للآخر فلا تجد سراً عنده، فهو «ينذر بالقطيعة ويخلق الحقد والضغينة ولأنه يعتبر من سوء الخلق»(١٦٣). وإفشاء الأسرار الزوجية خلق يكرهه الإسلام، وإن من أبغض الناس إلي اللهّ، ومن شر الناس منزلة عند اللهّ يوم القيامة من يفشي الأسرار الزوجية، يقول ﷺ : «إن من أشر الناس عند اللهّ منزله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها»(١٦٤).

(١٠) **احترام كل واحد من الزوجين مشاعر الآخر** : على كل واحد من الزوجين أن يراعي مشاعر وأحاسيس شريك حياته؛ لأن «كثيرا من أسباب الخلاف والمشكلات

والنزاع والخصومات تنشأ نتيجة عدم احترام أحدهما شعور الآخر»(١٦٥)، مثال ذلك إظهار أي من الزوجين اهتماما بآخر أكثر من زوجه، كأن يمدح الزوج امرأة أمام زوجته ويذكر شيئا عن محاسنها وجمالها وخلقها، ويكثر من ذلك الإطراء إلى درجة تشعر الزوجة بأنه يفضلها عليها، أو العكس، تذكر الزوجة محاسن رجل ما أمام زوجها، وكذلك ذكر أحد الزوجين عيوب الآخر، ومساوئه أمام الآخرين، أو عدم احترام أحد منهما أصدقاء الآخر، هذه وغيرها تسيء إلى حسن المعاشرة بين الزوجين، وينبغي على الزوجين أن يكرم كل منهما أهل الآخر وأصدقاءه، وأن يحسن وفادتهم إذا دخلوا منزله، لقول رسول الله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»(١٦٦). وأن يشكر كل منهما صنيع الآخر عند إتقان عمل، أو تقديم مساعدة أو هدية وغير ذلك، وأن لايذم أحد منهما الآخر بعيب يكون في صاحبه، سواء أكان عيبا خَلْقيا، أم خُلُقيا وأن يشاطر كل منهما الآخر أفراحه حال فرحه، وأحزانه، حال حزنه وأن يحفظ كل منهما كرامة الآخر، وأن يناديه بأحب الأسماء إليه.

(١١) الشعور بالمسؤولية المشتركة إزاء الحياة الزوجية : الزوجان شريكان في القيام بجميع متطلبات الحياة الزوجية، من توفير احتياجات حياتهما، ومتطلبات أبنائهما وتربيتهم، ومن إسعاد الأسرة أن يتعاون الزوجان على أداء واجبهما، وينبغي أن لا تستبد الأنانية بأحدهما فينصرف إلى راحة نفسه، تاركا الآخر يواجه وحده متاعب الحياة. وإذا كان الإسلام قد بيّن مسؤولية كل من الزوجين «فإن تقسيم الأعمال بين أفراد البيت ينبغي أن يكون وسيلة لتيسير العملية لا التخصص الروتيني الجامد؛ إذ لامانع من أن يقوم الرجل بعمل المرأة وأن تقوم المرأة بعمل الرجل إذا احتاج كل واحد إلى الآخر»(١٦٧). وبذلك يكون الزوجان قد تحليا بأفضل آداب العشرة الزوجية، وهي فضيلة الإيثار؛ التي هي عنوان قوة المودة والرحمة بين الزوجين، ولنا في رسول الله أسوة حسنة، عندما سئلت عائشة عن عمل الرسول ﷺ في بيته قالت : «كان في مهنة أهله فإذا سمع الآذان خرج»(١٦٨).

(١٢) المودة والرحمة : إن المودة والرحمة تعدان من أفضل آداب العشرة الزوجية السابقة الذكر، وينظر الإسلام إليهما نظرة إكبار وتعظيم من بين العلاقات القائمة بين الزوجين، ويعدهما المحور الأساسي لتلك العلاقة الزوجية منذ بدايتها حتى النهاية. ولهذا فإن الإسلام جعل عقد الزواج يستند بصورة أساسية إلى عامل الرضا بين الزوجين، ثم شاءت حكمة الله بأن جعل المودة والرحمة أساس حياة الزوجين قال تعالى:﴿ومن آياته أن خلق لكم مّن أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مّودّة ورحمة﴾ (الروم : ٢١). وبدون المودة والرحمة المتميزتين حيث لايجدهما الإنسان في غير الزواج، لاتستقيم الحياة الزوجية ولايصلح شأنها .

من هذا يتضح أن المودة والرحمة مطلب أساسي في عشرة الزوجين، وعلى كل منهما أن يتودد ويتلطّف للآخر في جميع الأقوال والأفعال، وفي جميع مناحي حياتهما الزوجية، وإذا حدثت من أحدهما هفوة أو زلّة يتحملها الآخر ويتجاوز عنها، لاسيما إذا وقعت منه عفو الخاطر، وعلى المسيء أن يطلب العذر من الآخر. وأن لايركّز كل منهما نظره دائما على نقاط الضعف عند الآخر أو على شيء بدر منه أو ناحية لاتعجبه فيه، أو غير ذلك من الجوانب السلبية في شريك حياته، بل ينبغي الإقلاع عن ذلك والبحث عن الجوانب الحسنة، وسيجدها أكثر من الجوانب السلبية يقول ﷺ :«لايفرك مؤمن مؤنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر»(١٦٩).

ويعد مبدأ حسن المعاشرة داخل الأسرة ، من أهم المبادئ التي تسهم إسهاما طيبا في تربية الأولاد وتنشئتهم، لأنه من شروط التربية الصالحة وجود البيئة الصالحة ، والبيئة الصالحة لاتتحقق إلا إذا كانت هناك عشرة صالحة بين الزوجين، فالبيئة التي يسودها الشقاق والخلاف والخوف والرعب والأذى داخل المنزل بيئة غير صالحة للتربية، ولهذا فقد حذّر الإسلام من بعض تلك المعاملات داخل الأسرة ، كي لاتؤثر على تربية الأولاد وتنشئتهم في مختلف مراحل نموهم قبل الولادة وبعدها، كما في قوله تعالى: ﴿أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضارّوهن لتضيقوا عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم

فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف﴾(الطلاق : ٦) وقال تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لاتكلّف نفس إلا وسعها لاتضار والدة بولدها ولا مولود له بولده﴾(البقرة : ٢٣٣).

والباحث إنما يورد هذا الباب الموجز عن خصائص الأسرة المسلمة، لغرض تأسيس وتكوين أسرة على ضوء تلك التشريعات، والآداب الإسلامية؛ لأن تكوين الأسرة تكويناً سليماً هو أساس نجاح التربية الأسرية، ثم إن الأسرة الإسلامية باعتبارها المدرسة الأولى لتنشئة أبناء المسلمين . فتلك القيم الأسرية وتشريعاتها بمثابة مواصفات المدرسة ونظامها العام، فبقدر ماتكون تلك المواصفات سليمة ونظامها كذلك تساعد على نجاح التربية، فكل ما تنبني عليه الأسرة من مكارم الأخلاق، ومحاسن الصفات، أو من بذور الشر والفساد، تؤتي أكلها في مستقبل حياة أولادها. فأساس تكوين الأسرة هو مصدر العادات السارّة أو الضارة للأولاد، والأخلاق الكريمة أو الذميمة لهم، والاتجاهات الصحيحة أو الفاسدة وقد أنكر قوم مريم على مريم عندما جاءت تحمل ولدها عيسى عليهَ السلام قبل أن يعرفوا الحقيقة، أنكروا هذا العمل الشنيع، معترضين عليها ومبينين لها أن والديها كانا على غاية من طهارة النفس وطيب السمعة ونبل الأخلاق، وأن أخاها كان على غاية من الصلاح وحسن السلوك، يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿قالوا يامريم لقد جئت شيئا فريا، يا أخت هارون ماكان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا﴾ (مريم : ٢٧-٢٨).

وإذا كان إعداد الأسرة وتكوينها وفق منهج تعاليم الإسلام يعد من أولى مراحل تربية الأولاد وتنشئتهم، فإن لمعرفة خصائص مرحلة النمو أهمية في ذلك أيضا، ومن الصعوبة بمكان أن تقوم الأسرة بدورها التربوي ما لم تع تلك الخصائص، ولهذا فقد عمد الباحث أيضاً إلى إبراز خصائص مرحلة البلوغ في الفصل القادم.

مراجع الفصل الثاني :

(١) الزبيدي. تاج العروس. بنغازي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، ١٩٦٦م، ج٢، ص ١٢-١٣ .

(٢) ابراهيم مصطفى، وآخرون. المعجم الوسيط، (إشراف عبد السلام هارون)، القاهرة، مجمع اللغة العربية، ١٩٦٠، ج١، ص١٧ .

(٣) د. عبد الغني عبود. الأسرة المسلمة والأسرة المعاصرة، ط١، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٩م، ص٢٠.

(٤) د. عبد الفتاح لاشين. ابن القيم وحسّه البلاغي في تفسير القرآن، ط١ ، بيروت، دار الرائد العربي، ١٤٠٢هـ، ص ١٣٢.

(٥) المرجع السابق، ص ١٣٢.

(٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم. بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٢هـ، ج٤، ص ٣٩١.

(٧) د. عمر الشيباني. فلسفة التربية الإسلامية، ط٥، طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، ١٩٨٥م، ص١٤٩.

(٨) دينكن ميشيل . معجم علم الاجتماع. (ترجمة إحسان محمد الحسن)، بغداد، دار الرشيد، ١٩٨٠م، ص١٣٩.

(٩)، (١٠) محمد علي السيد وآخرون. قاموس علم الاجتماع.(مراجعة محمد عاطف غيث)، القاهرة، مطابع الهيئة المصرية، ١٩٧٩م، ص ٣٩٠.

(١١) المرجع السابق ، ص ١٧٧.

(١٢) دينكن ميشيل. معجم علم الاجتماع.مرجع سابق ، ص ١٤٠.

(١٣) د. سناء الخولي. الزواج والعلاقات الأسرية. الأسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٧٩م، ص ٣٢.

(١٤) د. عمر الشيباني، من أسس التربية الإسلامية، ط٢، طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، ١٣٩١هـ، ص ٤٩٧.

(١٥) جلال الدين السيوطي، صحيح الجامع الصغير وزيادته. (تحقيق محمد ناصر الدين الألباني). ط٢، بيروت ، المكتب الإسلامي، ١٩٧٩م، رقم الحديث(٦٠٢٤) ، ج٥، ص ٢٦٩.

(١٦) المرجع السابق، رقم الحديث(١١١٤)، ج١، ص ٣٦٢.

(١٧) البخاري، صحيح البخاري. تركيا ، استنبول، المكتبة الإسلامية، كتاب النفقات، ج٦، ص ١٨٩.

(١٨) جلال الدين السيوطي. ضعيف الجامع الصغير وزيادته. (تحقيق محمد ناصر الدين الألباني)، ط ٢، بيروت، المكتب الإسلامي، رقم الحديث (١٩٨٨)، ١٩٧٩م، ج٢، ص ١٩٢.

(١٩) جلال الدين السيوطي. صحيح الجامع الصغير وزيادته. مرجع سابق، رقم الحديث(٤٤٢٢)، ج٤، ص١٧٨.

(٢٠) المرجع السابق، رقم الحديث (٨٠٥)، ج١، ص ٢٧٩.

(٢١) د. مقداد يالجن. بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام. الرياض، دار المريخ، ١٤٠٨هـ، ص ٦٤.

(٢٢) رونيه أوبير. التربية العامة. ترجمة (عبد الله عبد الدائم)، ط ٥، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٢م، ص ٥٣٣.

(٢٣) د. مقداد يالجن. بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام. مرجع سابق، ص ٦٤.

(٢٤) جلال الدين السيوطي.صحيح الجامع الصغير وزيادته. مرجع سابق، رقم الحديث (٩٠٦)، ج١، ص٣٠٧.

(٢٥) المرجع السابق، رقم الحديث (٢٩٣٧)، ج٣، ص ٤٠.

(٢٦) الترمذي.سنن الترمذي. (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، القاهرة، مطبعة مصطفى الحلبي، رقم الحديث (١١٣٤)، ج٣، ص٤٤١.

(٢٧) سيد قطب. الإسلام ومشكلات الحضارة ، ط٥، القاهرة، دار الشروق، ١٣٩٩هـ، ص ١٢٦.

(٢٨) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم.بيروت ، دار المعرفة ، ١٤٠٢هـ ، ج١، ص ٢٢١.

(٢٩) جلال الدين السيوطي. صحيح الجامع الصغير وزيادته. المرجع السابق، رقم الحديث(٢٩٣٧)، ج٣، ص٤٠.

(٣٠) المرجع السابق، رقم الحديث (٣١١٩)، ج٣، ص ٨٧.

(٣١) المرجع السابق، رقم الحديث (٦٩٤٦)، ج٦، ص ٩٧.

(٣٢) البخاري. صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب النكاح، ج٦، ص ١٢٠.

(٣٣) د. محمد عقله. نظام الأسرة في الإسلام، ط١، عمان، مكتبة الرسالة الحديثة، ١٩٨٣م، ج١، ص٨٢.

(٣٤) د. مقداد يالجن . بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام. مرجع سابق، ص ٧١.

(٣٥) البخاري. صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب النكاح، ج٦، ص ١١٧.

(٣٦) الإمام الغزالي. إحياء علوم الدين. القاهرة، مكتبة مصطفى البابى الحلبي، ١٩٣٩هـ، ج٢، ص٣٥.

(٣٧) جلال الدين السيوطي، ضعيف الجامع الصغير وزيادته. مرجع سابق، رقم الحديث (٢٣٨٧)، ج٥، ص٢٤٦.

(٣٨) البخاري . صحيح البخاري. مرجع سابق، كتاب النكاح، ج ٦ ، ص ١٢٣.

(٣٩) د. عمر الشيباني. فلسفة التربية الإسلامية . مرجع سابق، ص ٩٠.

(٤٠) د. مقداد يالجن. بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام. مرجع سابق، ص ٦١.

(٤١) البخاري، صحيح البخاري. مرجع سابق، كتاب النكاح، ج٦، ص ١٢٣.

(٤٢) د. محمد عقلة. نظام الأسرة في الإسلام. مرجع سابق، ج١، ص ٢٤.

(٤٣) جلال الدين السيوطي. صحيح الجامع الصغير وزيادته. مرجع سابق. رقم الحديث (٢٩٦٢)، ج٣، ص٤٦.

(٤٤) ابن ماجه، سنن ابن ماجه. (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي وآخرون) ، القاهرة ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، بدون تاريخ . كتاب الفتن، رقم الحديث (٤٠١٩)، ج٢، ص ١٣٣٣.

(٤٥) د. مقداد يالجن. التربية الأخلاقية الإسلامية. مصر ، مكتبة الخانجي ، ١٣٩٧هـ ، ص ٢٤١.

(٤٦) د. مقداد يالجن. بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام. مرجع سابق، ص ٧٠.

(٤٧) جلال الدين السيوطي. صحيح الجامع الصغري وزيادته. مرجع سابق، رقم الحديث(٢٩٢٥)، ج٣، ص٣٧.

(٤٨) د. عبد الرزاق الشهرستاني. أسس الصحة والحياة، ط١، العراق، مطبعة الآداب، ١٩٧١م، ص٣٣٦.

(٤٩) عباس محمود العقاد . عبقرية محمد. القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٣٨٥هـ، ص ١١٨.

(٥٠) سيد قطب. في ظلال القرآن. طه ، دار احياء التراث العربي، ١٣٨٦هـ، ج٢، ص ٣٥٣.

(٥١) محمود شلتوت. الإسلام عقيدة وشريعة، ط١٢، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٥م، ص ١٤٢.

(٥٢) د. علي عبد الواحد وافي. الأسرة والمجتمع . ط٦، القاهرة، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، ١٣٨٦هـ، ص٨٨-٩٢.

(٥٣) د. عبد الرحمن عميره. المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها. ط٥، الرياض، دار اللواء، ١٤٠٤هـ،ص١٦٦-١٦٧.

(٥٤) جلال الدين السيوطي. صحيح الجامع الصغير وزيادته. مرجع سابق، رقم الحديث (٣١١٩)، ج٢، ص ٨٧.

(٥٥) البخاري. صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب النكاح، ج٦، ص ١١٧.

(٥٦) د. محمد عقلة. نظام الأسرة في الإسلام، مرجع سابق، ج١، ص ٣١٠.

(٥٧) د. محمد عقلة. المرجع السابق، ج ٢، ص ١١.

(٥٨) البخاري. صحيح البخاري. مرجع سابق، كتاب النكاح، ج٦، ص ١٥٠.

(٥٩) ابن حجر . فتح الباري. شرح صحيح البخاري ، بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بدون تاريخ، ج٩ ، ص ٢٩٤.

(٦٠) د. سناء الخولي. الأسرة والحياة العائلية. مرجع سابق ، ص ١٩.

(٦١) السيد سابق. فقه السنّة. مرجع سابق، ج٢، ص ١٨٨-١٨٩.

(٦٢) مسلم. صحيح مسلم (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي). ط١، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٤هـ، ج٢، ص ٦٩٧.

(٦٣) البخاري. صحيح البخاري. مرجع سابق ، كتاب الحدود، ج٨، ص ٢٠ .

(٦٤) جلال الدين السيوطي. ضعيف الجامع الصغير وزيادته. مرجع سابق، رقم الحديث (٥٢٣١)، ج٥، ص ١٢٧.

(٦٥) البخاري. صحيح البخاري. مرجع سابق، كتاب النكاح، ج٦، ص ١٥٢.

(٦٦) جلال الدين السيوطي. صحيح الجامع الصغير وزيادته. مرجع سابق، رقم الحديث(١٧٧٠)، ج٢، ص١١٤.

(٦٧) البخاري. صحيح البخاري. مرجع سابق ، كتاب الأدب، ج٧، ص٧٥.

(٦٨) د. رجاء محمود أبو علام. علم النفس التربوي، ط٣، الكويت،دار القلم، ١٤٠٤هـ، ص ١٠٥.

(٦٩) د. محمد عقله. نظام الأسرة في الإسلام.مرجع سابق، ج٢، ص ٢٦٧.

(٧٠) د. سناء الخولي. الأسرة والحياة العائلية.مرجع سابق، ص٣٧.

(٧١) مسلم. صحيح مسلم.مرجع سابق، كتاب القدر، ج٤، ص ٢٠٤٧.

(٧٢) د. أحمد عبد الرحمن عيسى. في أصول التربية وتاريخها. ط١، الرياض، دار اللواء للنشر والتوزيع، ١٣٩٧هـ، ص ١٧٣.

(٧٣) د. محمد ناصر. قراءات في الفكر التربوي. ط١، الكويت، وكالة المطبوعات ، ١٩٧٣م، ج١، ص٢٥٨.

(٧٤) د. علي حسب الله. الزواج في الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٧.

(٧٥) البخاري. صحيح البخاري. مرجع سابق، كتاب الوصايا، ج٣، ص١٨٦.

(٧٦) جلال الدين السيوطي. صحيح الجامع الصغير وزيادته. مرجع سابق، رقم الحدث (٩٢٢٨)، ج٣، ص٤٠.

(٧٧) البخاري. صحيح البخاري. المصدر السابق.كتاب النكاح، ج٦، ص١١٧.

(٧٨) المرجع السابق، ج ٦، ص ١٢٣.

(٧٩) جلال الدين السيوطي. ضعيف الجامع الصغير وزيادته، مرجع سابق. رقم الحديث (٢٥٦٢)، ج٣، ص ٦٠.

(٨٠) البخاري. صحيح البخاري. مرجع سابق . كتاب النكاح، ج٦، ص ١١٧.

(٨١) جلال الدين السيوطي. صحيح الجامع الصغير وزيادته. مرجع سابق، رقم الحديث (٣٢٩٥)، ج٣، ص١٢٦.

(٨٢) البخاري. صحيح البخاري. مرجع سابق، كتاب النكاح، ج٦، ص١٣٨.

(٨٣) د. محمد عقلة. نظام الأسرة في الإسلام. مرجع سابق، ج٢، ص٦٠.

(٨٤) البخاري. صحيح البخاري. مرجع سابق، كتاب النكاح، ج٦، ص١٣٨.

(٨٥) المرجع سابق، ص ١١٦.

(٨٦) السيد سابق. فقه السنّة . مرجع سابق، ج٢، ص ١٣٦.

(٨٧) السيد سابق. فقه السنّة. مرجع سابق، ج٢، ص ١٥٨.

(٨٨) د. محمد عقلة. نظام الأسرة في الإسلام. مرجع سابق، ج١، ص٤٩.

(٨٩) د. مقداد يالجن. بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام. مرجع سابق، ص ٢٥.

(٩٠) د. محمد عقلة. نظام الأسرة في الإسلام . مرجع سابق، ج١، ص ١٢٨.

(٩١) جلال الدين السيوطي. صحيح الجامع الصغير وزيادته. مرجع سابق، رقم الحديث (٣٢٩٤)، ج٢، ص١٢٦.

(٩٢) الإمام الغزالي. إحياء علوم الدين. مرجع سابق، ج٢، ص ٤٨.

(٩٣) السيد سابق. فقة السنة. مرجع سابق، ج٢، ص ٢٤.

(٩٤) البخاري. صحيح البخاري. مرجع سابق، كتاب النكاح، ج٦، ص ١٢٣.

(٩٥) المرجع السابق .كتاب النكاح، ج٦ ، ص ١٢٣.

(٩٦) السيد سابق، فقة السنّة. مرجع سابق، ج٢، ص ٩٩.

(٩٧) د. محمد عقلة. نظام الأسرة في الإسلام. مرجع سابق، ج١، ص ١٣٤.

(٩٨) البخاري. صحيح البخاري. مرجع سابق، ج٦، ص ١٢٣.

(٩٩) ابن حجر. فتح الباري. مرجع سابق، ج٩، ص ١٣٥.

(١٠٠) انظر كتاب(أ) د. محمد عقلة. نظام الأسرة في الإسلام، ج١، ص ١١٧-١٢٤.

(ب) د. مقداد يالجن. بناء البيت السعيد، ص ٢٥-٥٢ .

(ج) السيد سابق. فقه السنة، ص ٢٠-٢٤.

(١٠١) أحمد البنا . الفتح الرباني. مرجع سابق، ج١٦، ص ١٤٦.

(١٠٢) د. عبد الله عبد المحسن التركي. توجيهات الإسلام في نطاق الأسرة، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠٤هـ، ص ٤٠-٤١.

(١٠٣) البخاري، صحيح البخاري. مرجع سابق، كتاب النكاح، ج٦، ص١٥٩.

(١٠٤) السيد سابق. فقه السنّة. مرجع سابق، ج٢، ص ٣١.

(١٠٥) محمد قطب. الإنسان بين المادية والإسلام. ط٧، القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٢هـ، ص ١١٨.

(١٠٦) توفيق علي وهبه. الإسلام شريعة الحياة، ط١، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٥م، ص ٣١.

(١٠٧) السيد سابق، فقة السنّة. مرجع سابق، ج٢، ص ٣٤.

(١٠٨) البخاري. صحيح البخاري. مرجع سابق، كتاب النكاح، ج٦، ص ١٣٥.

(١٠٩) أحمد البنا . الفتح الرباني. مرجع سابق، ح١٦، ص ١٥٧.

(١١٠) البخاري. صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب النكاح، ح٦، ص ١٣٥

(١١١) المرجع السابق، ص ١٣٨.

(١١٢) البخاري. صحيح البخاري. مرجع سابق. كتاب الطلاق، ج٦، ص١٧١

(١١٣) انظر كتاب : (أ) السيد سابق. فقه السنة. مرجع سابق، ص ١٥٣-٢٠٩.

(ب) د. محمد عقلة. نظام الأسرة في الإسلام. مرجع سابق، ص ١٦-١٢٥.

(ج) د. مقداد يالجن. بناء البيت السعيد. مرجع سابق، ص ١٠٥-١٢٢.

(١١٤) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب النكاح، ج٦، ص ١٥٢.

(١١٥) البخاري، صحيح البخاري ، مرجع سابق، كتاب النفقات ، ج ٧، ص ٨٤.

(١١٦) السيد سابق. فقه السنة . مرجع سابق، ج٢، ص ١٤٣.

(١١٧) د. مقداد يالجن. بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام . مرجع سابق ، ص ١٠٢-١٠٣.

(١١٨) المرجع السابق، ص ٢٢٨.

(١١٩) المرجع السابق، ص ٢٢٩.

(١٢٠) المرجع السابق، ص ٢٣٠.

(١٢١) د. عبد الكريم عثمان. معالم الثقافة الإسلامية. ط٥، الرياض، مؤسسة الأنوار، ١٣٩٨هـ، ص٣٧٨.

(١٢٢) جلال الدين السيوطي. ضعيف الجامع الصغير وزيادته. مرجع سابق، رقم الحديث(٤٥)، ج١، ص٦٦.

(١٢٣) د. مقداد يالجن. بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام. مرجع سابق، ص ٢٢٤.

(١٢٤) د. محمد عقلة. نظام الأسرة في الإسلام . مرجع سابق، ج٢، ص ٤٦.

(١٢٥) د. مقداد يالجن. بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام، مرجع سابق، ص ٨٥-٩١.

(١٢٦) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. مرجع سابق. ج١ ، ص ٤٦٧.

(١٢٧) السيد سابق. فقة السنّة. مرجع سابق، ج٢، ص ٣٤.

(١٢٨) المرجع السابق، ج٢، ص ٣٤.

(١٢٩) د. محمد عقلة. نظام الأسرة في الإسلام. مرجع سابق، ج١، ص ٣١٤.

(١٣٠) المرجع السابق ، ص ٣١٤.

(١٣١) البخاري، صحيح البخاري.مرجع سابق ، كتاب النكاح، ج٦، ص١٣٨.

(١٣٢) د. محمد عقله. نظام الأسرة في الإسلام.مرجع سابق ، ج٢١، ص ٣٢٥.

(١٣٣) جلال الدين السيوطي. صحيح الجامع الصغير وزيادته.مرجع سابق، رقم الحديث(٤٢١)، ج١، ص١٧٦.

(١٣٤) المرجع السابق، رقم الحديث(١٠٨٣)، ج١، ص٣٥٢.

(١٣٥) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم.مرجع سابق . ج١، ص ٤٩١.

(١٣٦) البخاري. صحيح البخاري.مرجع سابق ، كتاب النكاح، ج٦، ص ١٥٣.

(١٣٧) المرجع السابق ، كتاب الكسوف، ج٢، ص ٢٨.

(١٣٨) المرجع السابق ، كتاب الاستئذان، ج٧، ص ١٢٨.

(١٣٩) أحمد البنا . الفتح الرباني.مرجع سابق، ج١٩، ص ١٤٥-١٤٦.

(١٤٠) البخاري، صحيح البخاري.مرجع سابق ، كتاب النكاح، ج٦ ، ص١٦١.

(١٤١) ابن حجر. فتح الباري .مرجع سابق ، ج٩ ، ص ٣٤٠.

(١٤٢) البخاري ، صحيح البخاري.مرجع سابق . كتاب النكاح ، ج ٦ ، ص ١٥٦.

(١٤٣) جلال الدين السيوطي. صحيح الجامع الصغير وزيادته.مرجع سابق ، رقم الحديث (٣٠٤٧)، ج٣ ، ص٦٩.

(١٤٤) مصطفى صبري. مشكلاتنا الاجتماعية في ضوء الإسلام. حلب، المكتبة العربية، بدون تاريخ، ص٣١-٤٣.

(١٤٥) جلال الدين السيوطي. صحيح الجامع الصغير وزيادته.مرجع سابق ، رقم الحديث (٧٥٨١)، ج٥، ص ٢١٥.

(١٤٦) البخاري. صحيح البخاري.مرجع سابق ، كتاب النكاح، ج ٦ ، ص ١٥٧.

(١٤٧) د. محمد عقله . نظام الأسرة في الإسلام .مرجع سابق، ج ٢ ، ص ٥٤.

(١٤٨) السيد سابق . فقه السنّة .مرجع سابق . ج٢ ، ص ٢٣٣.

(١٤٩) جلال الدين السيوطي. صحيح الجامع الصغير وزيادته.مرجع سابق ، رقم الحديث (٢٦٧٦)، ج٢، ص ٣٨٥.

(١٥٠) البخاري. صحيح البخاري.مرجع سابق ، كتاب النكاح، ج ٦ ، ص ١٤٥.

(١٥١) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري .مرجع سابق . ج٩ ، ص ٢٥٢.

(١٥٢) المرجع السابق . ج٩ ، ص ٢٥٤.

(١٥٣) البخاري· صحيح البخاري·مرجع سابق ، كتاب النكاح، ج ٦ ، ص ١٢٥٠

(١٥٤) د· عمر الشيباني · فلسفة التربية الإسلامية ·مرجع سابق ، ص ١٠٦٠

(١٥٥) ابن حجر العسقلاني· فتح الباري ·مرجع سابق ، ج ٦ ، ص ٢٥٤٠

(١٥٦) المرجع السابق · ج ٩ ، ص ٣٠١·

(١٥٧) البخاري · صحيح البخاري ·مرجع سابق · كتاب النكاح ، ج ٦ ، ص ١٥٣٠

(١٥٨) جلال الدين السيوطي· صحيح الجامع الصغير وزيادته·مرجع سابق ، رقم الحديث (١١١٤)، ج١، ص٣٦٢·

(١٥٩) ، (١٦٠) البخاري· صحيح البخاري، مرجع سابق · كتاب النفقات ، ج ٦ ، ص ١٩٣·

(١٦١) د· مقداد يالجن· بناء البيت السعيد في الإسلام ·مرجع سابق ، ص ٦٤·

(١٦٢) سيد قطب · في ظلال القرآن ·مرجع سابق · ج ١ ، ص ٦٠٦٠ .

(١٦٣) د· مقداد يالجن· بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٠٨·

(١٦٤) مسلم· صحيح مسلم بشرح النووي· مرجع سابق، كتاب النكاح، ج١٠، ص٨·

(١٦٥) د· مقداد يالجن· بناء البيت السعيد·في ضوء الإسلام ، مرجع سابق، ص ١٩١·

(١٦٦) البخاري · صحيح البخاري ·مرجع سابق · كتاب الأدب ، ج ٧ ، ص ١٠٤.

(١٦٧) د· مقداد يالجن· بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام ·مرجع سابق ، ص ١٩٢·

(١٦٨) البخاري · صحيح البخاري ·مرجع سابق، كتاب النفقات، ج٦، ص١٩٣·

(١٦٩) جلال الدين السيوطي · صحيح الجامع الصغير وزيادته·مرجع سابق، رقم الحديث (٧٦١٨)، ج٦، ص ٢٤٢·

الفصل الثالث
مرحلة البلوغ وخصائصها

أولاً : حدود مرحلة البلوغ

ثانياً : خصائص مرحلة البلوغ

إن أهمية دراسة مرحلة البلوغ وخصائصها تكمن في أنها موضوع الدراسة أساساً أولاً، وباعتبار أن التربية صناعة فإن الصانع لابد من أن يعرف خصائص الشيء الذي يريد أن يصنع منه مايريد، فبقدر معرفة خصائصه ينجح في صناعته هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن التربية تنجح بقدر مسايرتها لمراحل النمو، ولهذا فقد قرر معظم علماء التربية المحدثين على أن التربية الصالحة هي التربية المتمشية مع مراحل نمو الفرد، أي « أن تساير عملية التربية مراحل النمو الطبيعي بصفة عامة، ونمو الميول والاستعدادات والاهتمامات بصفة خاصة وإلا فسوف يؤدي الأمر إلى أضرار بالغة الخطورة لايدركها إلا التربويون »(١).

لهذا كان لزاما على الباحث أن يفرد فصلا مستقلا عن مفهوم مرحلة البلوغ وخصائصها، كي يكون عونا للأسرة المسلمة في تربية أولادها البالغين، وفي تحديد أساليب التربية الأسرية التي تناسب خصائص نموهم.

أولا - حدود مرحلة البلوغ :

تخضع أطوار النمو لتتابع منتظم، وكل طور يعتمد على الطور الذي يسبقه ويسهم في الطور الذي يليه، وهذه المراحل والأطوار « ليست منفصلة تماما، ولكنها متداخلة متصلة، وأن الأعمار التي تحدد بدء ونهاية كل مرحلة ماهي في جوهرها إلا متوسطات عامة، تخضع في جوهرها للفروق الفردية القائمة بين الأفراد »(٢). ويختلف المدى الزمني لمرحلة البلوغ تبعا لاختلاف العوامل الوراثية التي تحدد السلالة التي ينحدر منها الفرد، والبيئة الجغرافية التي يعيش فيها، وتبعا لاختلاف الجنس ذكراً كان أم أنثى؛ فقد لوحظ أن البنات ينضجن جنسيا قبل البنين بعامين تقريبا « فالبنت تبلغ الطمث الأول في سن « ١٢-١٤ » أما البنون فيبلغون مرحلة البلوغ الجنسي في سن « ١٤-١٦ » من العمر »(٣). وكذلك باختلاف نوع الغذاء وكميته، « فكثرة البروتين تؤدي إلى التبكير بالبلوغ، وكثرة المواد الكربوهيدراتية تؤدي إلى تأخير البلوغ، ونقص الغذاء يؤخر بدء البلوغ »(٤). لذا فإن فترة البلوغ أو سن

البلوغ لم تحدد بزمن معين في القرآن الكريم، وهذا مانلمحه في قوله تعالى: ﴿حتّى إذا بلغوا النّكاح﴾ (النساء : ٦)، وفي قوله تعالى: ﴿ولاتقربوا مال اليتيم إلا بالّتى هي أحسن حتّى يبلغ أشده﴾ (الأنعام : ١٥٢)، وفي قوله تعالى: ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم﴾(النور : ٥٩).

لهذا نجد أراء متعددة لبعض علماء المسلمين حول تحديد سن البلوغ من بينها مايلي:

الرأي الأول :

منهم من يحدد سن البلوغ بالاحتلام استنادا لقوله تعالى: ﴿حتى إذا بلغوا النّكاح﴾(النساء : ٦)، قال مجاهد « يعني الحلم»(٥).

الرأي الثاني :

منهم من يحدد سن البلوغ باتمام خمس عشرة سنة، ويستدلون على ذلك بحديث ابن عمر رضي اللّه عنه، قال: «إن رسول اللّه ﷺ عرضه يوم أحد، وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني، ثم عرضني يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني، قال نافع: فقدمت على عمر بن عبد العزيز وهو خليفة فحدثته هذا الحديث فقال: إنّ هذا الحد بين الصغير والكبير وكتب إلى عمّاله أن يفرضوا لمن بلغ خمس عشرة»(٦)، ومنهم من يحدده بسبع عشرة سنة وفي رواية عند أبي حنيفة بتسع عشرة سنة(٧).

الرأي الثالث :

نبات الشعر حول بعض الأطراف المعروفة مستدلين بالحديث الذي رواه الإمام أحمد عن عطية القرظي، قال: «عرضنا على النبي ﷺ يوم قريظة فأمر أن ينظروا من أنبت قتل ومن لم ينبت خلي سبيله فكنت فيمن لم ينبت فخلي سبيلي»(٨).

وكذلك الشأن عند علماء النفس فهم لم يتفقوا على زمن محدد ثابت لهذه المرحلة، فمنهم من قال: «إن الفتاة تبلغ مثل الفتى وتمتد بها مرحلة البلوغ من حوالي سن العاشرة إلى أن يصل عمر الفتاة إلى ثلاث عشرة سنة، ويتخلّف الفتى عنها فلا يبلغ حتى يصل عمره إلى اثنتي عشرة سنة وتمتد به هذه المرحلة إلى أن يصبح عمره مساويا لأربع عشرة سنة»(٩)، ومنهم من قال إن «البنات يتراوح سن البلوغ الجنسي عندهن بين «٩-١٨» سنة، وعند البنين يتراوح بين «١١-١٨» سنة»(١٠)، ومنهم من قال : إن ظهور الخصائص الأساسية والثانوية للبلوغ يتوزع ظهورها « بين سن « ١٠-١٦ » سنة »(١١)، وقد وجدت « فاوست » « أن المدى الذي يتراوح فيه بداية البلوغ يمتد من سن السابعة والنصف إلى مايقرب من سن السادسة عشرة »(١٢).

في ضوء ماسبق يتضح أن مرحلة البلوغ لم يتفق على تحديد زمن معين لها، وذلك راجع إلى أن المدى الزمني لمرحلة البلوغ، يتوقف على عوامل عديدة سبق أن أشار الباحث إلى بعضها. ولهذا فإن الباحث سيحدد مرحلة البلوغ من حوالي سن العاشرة إلى حوالي سن الثامنة عشرة للأسباب التالية :

١- إن هذه الفترة تعد أكثر الفترات المتفق عليها عند الفقهاء وكذلك عند علماء النفس.

٢- إن معظم الظواهر الأساسية والثانوية للبلوغ يتوزع ظهورها في هذه الفترة من عمر الفرد.

٣- إن الفرد في هذه الفترة يتحول من شكل الطفولة، في جميع مظاهر نموه الخلقي والاجتماعي والروحي والإيماني والجسمي والعقلي.

ثانيا - خصائص مرحلة البلوغ :

تتميز هذه المرحلة بأنها مرحلة انتقال جسمي وعقلي وإيماني وروحي واجتماعي وأخلاقي بين مرحلة الطفولة ومرحلة الرشد، ولهذه المرحلة أهميتها في

حياة الإنسان، وفي تكوين شخصيته، ولهذه المرحلة مميزات خاصة، ولها علامات واضحة في شتى أبعاد الإنسان، ومن أهمها علامات البلوغ نفسها، أن للبلوغ علامات وصفات متنوعة، منها ماهو صفات أساسية، وهي إفراز الغدد الجنسية في الأعضاء التناسلية المختلفة عند الذكور والإناث، ومنها ماهو صفات ثانوية مثل خشونة الصوت عند الذكور، وظهور الشعر حول بعض الأطراف عند الذكور والإناث، وبروز الثديين عند الإناث وغيرها.

وهذه العلامات لاتظهر في وقت واحد، كما أن البعض منها لايظهر فجأة بل يأخذ في التدريج إلى أن يكتمل نموه، كما أن النمو في بعض الأحيان لايسير في توازن تام، فقد ينضج جانب من جوانب البالغ بينما لاتزال الجوانب الأخرى في دور النمو، فنجد مثلا فردا قد تم نموه الجسمي، بينما مازال نموه الاجتماعي والعقلي والعاطفي لم ينضج بعد.

لهذا فإن البلوغ لايحدث بين عشية وضحاها، إلا إذا قصرنا البلوغ على حدوث «الحيض» عند الإناث، و «الإمناء» عند الذكور، فالبلوغ عندئذ يصبح حالة وليس مرحلة. ثم أن هاتين الحالتين «الحيض والإمناء» اللتين تحدثان للإناث والذكور لاتحدثان فجأة؛ بل إن هناك غددا تبدأ عملها في تنشيط الغدد التناسلية في وقت مبكر، وذلك «مايقرب من خمس سنوات قبل البلوغ»(١٣). ومهما يكن من أمر فإن «فترة البلوغ ليست حادثا بقدر ماهي عملية تشمل في الواقع عدة سنوات من دور النمو»(١٤).

ويود الباحث أن يشير إلى أن هناك مصطلحا عند علماء النفس النمائي، وهو «المراهقة» وهذه الكلمة لاتينية، وتعنى «التدرج نحو النضج الجسمي والعقلي والانفعالي والاجتماعي»(١٥)، وقد شاع استخدام هذا المصطلح كثيرا في كتب علم النفس والتربية والاجتماع، وهناك من يفصل بين مرحلة البلوغ، ومرحلة «المراهقة»- وهم قليلون- ويجعل مرحلة البلوغ تسبق مرحلة «المراهقة»، إلا أنهم مع

ذلك يشيرون إلى أن خصائص المرحلتين متساويتان تقريبا(١٦). والبعض الآخر يدمج مرحلة «البلوغ»، ومرحلة «المراهقة» في مرحلة واحدة(١٧). ويرى بعضهم أن فترة البلوغ و «المراهقة» تمتد من سن الحادية عشرة لدى البنات وسن الثانية عشرة أو الثالثة عشرة لدى البنين إلى سن العشرين تقريبا»(١٨). والبعض يخصص هذه الفترة بفترة المراهقة؛ فقد أشارت بعض المراجع إلى أن المراهقة تبدأ «مابين «١١-١٣» سنة من العمر لدى البنات، وعند البنين مابين «١٢-١٤» سنة وتمتد مع البنات إلى السنة السابعة عشرة تقريبا. أما لدى البنين فإنها تمتد إلى حوالي الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة والمراهقة في أساسها عملية عضوية حيوية»(١٩). والباحث لايريد أن يفصل بين مرحلة البلوغ ومرحلة «المراهقة»، والبلوغ و«المراهقة» في نظر الباحث تعني التدرج في نضج جوانب الشخصية، انتقالاً من مرحلة الطفولة، ووصول الفرد إلى درجة الرشد. والذي يهم الباحث في موضوعه، هو إبراز أهم الخصائص التي تظهر على الفرد خلال فترة نموه مابين عشر سنوات إلى ثمان عشرة سنة لجميع جوانب شخصيته، لكي تكون عوناً في تحديد دور الأسرة في تربية أبنائها في هذه المرحلة، لأنه من الصعوبة بمكان تربية الناشئة في أي مرحلة من مراحل حياتهم مالم تُراعَ خصائص نمو تلك المرحلة. وتتصف هذه المرحلة كما أسلفنا بخصائص أساسية تميزها عن مرحلتي الطفولة والرشد في نمو الجانب الجسمي والعقلي والاجتماعي والاخلاقي والروحي والعقائدي. وفي هذه المرحلة وخاصة بعد الاحتلام يصبح الفرد في نظر الإسلام مسؤولا عن تصرفاته ويدخل تحت طائلة التكليف في التشريع الإسلامي، لقول رسول اللّه ﷺ: «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يشبّ وعن المعتوه حتي يعقل»(٢٠)، وفي رواية: «رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم»(٢١).

والإسلام يشير إلى أن الإنسان يتدرج في نموه شيئا فشيئا خلال سنوات حياته الأولى إلى أن يكتمل نضج جميع أجزائه. وعملية النمو تبدأ منذ التكوين، أي منذ عملية الخلق ذاتها، قال تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم جعلناه

نطفة في قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ (المؤمنون : ١٢-١٤). ونمو الإنسان ظاهرة أمامنا نحس بها سواء أثناء فترة الحمل أم بعد الولادة، كما في قوله تعالى: ﴿ثم نخرجكم طفلا، ثم لتبلغوا أشدكم﴾ (الحج : ٥)، ومعناها: «نخرجكم لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا إلى الأشد، والأشد هو كمال العقل وكمال القوة والتمييز»(٢٢).

وإن نمو الإنسان يتم بصورة رائعة، وفي تناسق بديع، وتوازن دقيق ليصبح في النهاية ذا صورة حسنة وتكوين رائع، قال تعالى: ﴿الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ماشاء ركّبك﴾ (الانفطار : ٧-٨).

والإسلام يدعونا إلى دراسة المراحل التي يمر بها الإنسان، والنظر إلى خصائصه ، قال تعالى : ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ (الذاريات : ٢١). وقد بيّن العلم الحديث بعضاً من خصائص نموّ مرحلة البلوغ نوجزها في الجوانب الآتية:

1 - الجانب الجسمي:

تمتاز هذه المرحلة بنمو فسيولوجي بدني سريع، وتعتبر المرحلة الثانية التي تصل فيها سرعة النمو إلى أقصاها، وهي مرحلة («طفرة» أو «وثبة» في النمو الجسمي)(٢٣)، فإنه يلاحظ ازدياد سرعة النمو، ويقترب تناسب أعضاء الفرد من تناسب أعضاء الراشد، ويمكن إيضاح خصائص النمو الجسدي ومايصاحبه من تغيرات في الآتي:

١- نمو الجهاز العظمي:

يصل الطول إلى حدّه الأقصى تقريبا، وتبلغ سرعة النمو العظمي «أقصاها عند البنين فيما بين «٥ر١٣-٥ر١٤» سنة، وعند البنات فيما بين «٥ر١٠-١٤» سنة»(٢٤). ويكون النمو غالبا في الأجزاء العليا من الجسم، قبل أن تنمو الأجزاء

السفلي. فيتسع الكتفان ومحيط الأرداف، ويزداد طول الجذع وطول الساقين، وتزداد العظام صلابة وقوة، ويلاحظ أن اتساع الكتف والصدر عند البنين أكثر منه عند البنات، وفي المقابل يكون اتساع الحوض والأرداف لدى البنات أكثر منه عند البنين وهذه تساعد كلا منهما في القيام بدوره في الحياة.

٢- نمو الجهاز العضلي:

ويصاحب نمو العظام نمو العضلات أيضا، إلا أنه «يتأخر توافق النمو في الجهاز العضلي عن نمو الجهاز العظمي مقدار سنة تقريبا»(٢٥)، وفي الغالب يكون البنون أقوى من البنات، كما أن نمو الجهاز العضلي عندهم أكثر منه عند البنات وتقاس القوة بمقدار مايسجله الفرد من قوة ضغط بالكيلوجرامات على جهاز خاص، وتبلغ «زيادة الفتى عن الفتاة «٤» كيلو جرامات في سن «١١» سنة، ثم يزداد هذا الفرق حتى يصل إلى «٢٠» كيلو جراما في سن «١٨» سنة»(٢٦)، ونتيجة لنمو العضلات والعظام يزيد وزن الفرد في هذه المرحلة، وهذه الزيادة في الوزن هي أكثر وضوحا لدى الإناث منها لدى الذكور، بسبب مايتراكم من دهن حول بعض الأماكن من جسمها.

٣- نمو الأجهزة الداخلية :

ينمو الجهاز الهضمي ، وبالتالي تزيد رغبة الفرد في الطعام؛ لحاجته إلى كمية كبيرة من الغذاء «وتظل هذه الحاجة الملحة للطعام مهيمنة على حياته مايقرب من ثلاث أو أربع سنوات»(٢٧)، من مرحلة البلوغ. فتنمو المعدة وتتسع، وتنمو بقية أعضاء الجهاز الهضمي بالنسبة نفسها، وينمو جهاز الدورة الدموية، فينمو القلب، وتنمو الشرايين، ويزيد ضغط الدم، كما أن هناك اختلافاً في درجات الضغط الدموي بين الجنسين حيث «يزداد ضغط الدم من «٨٠» مليمترا للطفل في السادسة من عمره

إلى «١٢٠» مليمترا عند البنات في أوائل المراهقة ثم يعود إلى «١٠٥» مليمترا في التاسعة عشرة. أما البنون فيصل إلى «١٢٠» مليمترا في أوائل المراهقة ولكنه يعود إلى «١١٥» مليمترا في منتصف التاسعة عشرة»(٢٨)، وكذلك الشأن لبقية الأجهزة الداخلية حيث تأخذ في النمو لكي تتناسب في نموها مع بقية الأجهزة.

٤- النمو الغدي :

لهرمونات الغدد التي تفرزها الغدد الصماء تأثير كبير على نمو جسم الإنسان، لأن هذه الهرمونات هي مواد كيميائية معقدة التركيب؛ تصب مباشرة في الدم، والنمو يتأثر في معظم مظاهره تأثراً كبيرا بها. وتتميز هذه المرحلة بضمور بعض الغدد الصماء الموجودة في جسم الإنسان، وتنشيط غدد أخرى وهاتان العمليتان تؤديان إلى قلة بعض الهرمونات التي كانت تؤثر على جسم الفرد قبل هذه المرحلة من جهة، وظهور هرمونات جديدة ستؤثر تأثيراً مغايراً عن الهرمونات السابقة من جهة أخرى. ومن أهم هذه الغدد التي تضمر في هذه المرحلة مايلي:

أ) الغدة الصنوبرية: وهذه الغدة توجد بأعلى المخ، وهي تضمر عند البلوغ، حيث تضمر «تماما في حجمها حين يبلغ عمر الفرد «١٧» سنة، هذا ويبدأ تكوينها في حوالي الشهر الخامس من حياة الجنين»(٢٩)، وتدل بعض الدراسات على أن وظيفة هذه الهرمونات تتلخص «في سيطرتها على تعطيل الغدد التناسلية حتى لاتنشط قبل المراهقة»(٣٠)، وأي اختلال في هرمونات هذه الغدد يؤدي إلى عدم التناسب بين نمو الفرد ومراحل حياته.

ب) الغدة التيموسية: وهي موجودة داخل تجويف الصدر وفي الجزء العلوي منه، وتقع خلف عظمه القص، وقد تسمى هذه الغدة بغدة الطفولة، لأنه يبدأ تكوينها في الجسم منذ الولادة، وتبقى حتى سن البلوغ، ثم ينقص حجمها بعد ذلك عندما تبدأ الغدد التناسلية بالإفراز. ومن أهم وظائف هذه الهرمونات العمل على تنظيم بناء المناعة في الجسم.

أما الغدد التي تنشط أثناء مرحلة البلوغ، أو تبقى على حالها دون ضمور فأهمها مايلي:

أ) الغدة النخامية: وهذه الغدة توجد في منتصف الرأس بين نصفي الكرتين المخيتين، وتوجد في جيب إحدى عظام الجمجمة، وهي صغيرة الحجم يبلغ وزنها نصف جرام تقريبا. وهي تعتبر «من أعقد الغدد وأهمها، إذ يسميها البعض سيدة الغدد»(٣١)، لأنها تنظم عمل معظم الغدد الصماء في الجسم، حيث تسهم في تنشيط الغدد التناسلية وفي نمو الأعضاء التناسلية الذكرية منها والأنثوية، وعلى إتمام البلوغ، وكذلك تؤثر في الغدد الدرقية، والفوق الكلوية والبنكرياس.

ب) الغدة الدرقية: وهذه الغدة من أكبر الغدد الصماء حجما، وتتكون من فصين يقعان على جانبي القصبة الهوائية في منطقة العنق، وتقوم الهرمونات التي تفرزها الغدة الدرقية «بتنظيم نشاط الأنسجة من هدم وبناء»(٣٢).

إن نقص إفرازات هرمونات الغدة الدرقية في سن مبكرة يجعل «نمو الهيكل العظمي يقف في الطول، لكن العظام تنمو في العرض. وتؤدي هذه الظاهرة إلى السمنة الزائدة»(٣٣)، أما نقص إفراز هذا الهرمون في مرحلة البلوغ فيؤدي إلى السمنة المفرطة، وهبوط في مستوى التمثيل الغذائي، وتأخر تدريجي في القوى العقلية والتناسلية، وإلى الكسل والخمول، وتنقص درجة حرارة الجسم قليلا، أما إذا زاد إفراز الدرقية عن الحد العادي في المرحلة السالفة الذكر فإن ذلك يؤدي إلى زيادة ضربات القلب، وارتفاع ضغط الدم، ويخف الوزن، ويصاحب ذلك انفعالات شديدة، وارتفاع درجة الحرارة للجسم عن الدرجة العادية.

ويوجد بالقرب من الغدة الدرقية أربع غدد صغيرة الحجم، تدعى جارات الدرقية، ووظيفتها «تمثيل الكلسيوم والفوسفور وهي تعادل بعملها نشاط الغدة الدرقية»(٣٤).

ج) الغدة فوق الكلوية أو الكظرية: توجد في جسم الإنسان غدتان فوق الكليتين، تقع كل منهما فوق كلية. وتتكون كل غدة من جزء خارجي يدعى القشرة الخارجية،

وداخلي يدعى النخاع أو اللب. ويفرز كل منهما هرمونات تختلف في تكوينها الكيميائي ووظائفها عن الأخرى .

فالجزء الداخلي «اللب» تعمل هرموناته على قبض الأوعية الدموية، والشعيرات الدموية في الأحشاء، وتوسيعها في العضلات والجلد، وزيادة نبض القلب، وزيادة التنفس لتزويد الدم بكمية كافية من الأكسجين، وزيادة نسبة السكر في الدم، ويسهم في تكوين حمض أميني يعد ضمن مكونات البروتينات. وإذا ارتفعت نسبة هرمونات الجزء الداخلي في الدم فإن ذلك يؤدي إلى شحوب اللون، والقشعريرة والغثيان وإلى حالات مرضية مختلفة.

أما قشرة الغدد الكظرية فتفرز العديد من الهرمونات؛ التي تعمل على تنظيم عمليات التمثيل الغذائي للماء والأملاح والمواد الكربوهيدراتية، وتسهم في إزالة الشعور بالألم، ويؤدي نقص هذه الهرمونات في الدم إلى ظهور أعراض الأنيميا على الفرد «وتفتر همته بعد أي مجهود يسير يبذله، ويفقد رغبته للطعام، ويحس بضعف ينتاب قلبه، وباضطرابات معدية مختلفة ويتغير لون بشرته وتضعف قوته التناسلية»(٣٥) أي ينتابه هبوط عام في حيويته، وفي معظم جوانب شخصيته. أما إذا زادت نسبة هرمونات القشرة الكظرية عن نسبتها العادية، فإن النمو يتأثر بهذه الزيادة وخاصة النمو الجنسي، وتؤثر على شخصية الفرد.

د) الغدد التناسلية : توجد في كل فرد غدتان تناسليتان «وتختلف الغدد الذكرية عن الغدد الأنثوية في مكانها التشريحي بالجسم وفي وظائفها الأولية والثانوية ، وفي تأثيرها على شخصية الفرد»(٣٦)، والغدتان التناسليتان في الذكر هما الخصيتان وفي الأنثى هما المبيضان.

وهذه الغدد يظل نشاطها كامنا حتى مرحلة البلوغ، وعندئذ يبدأ نشاطها عن طريق تأثير هرمونات بعض الغدد السالفة الذكر، فتتكون الهرمونات التناسلية في الخصية بالنسبة للذكر، وفي المبيض بالنسبة للأنثى وتسيطر هذه الهرمونات على نشاط وظهور الصفات الجنسية الأساسية منها والثانوية في كلا الجنسين؛ فإنها

تساعد في إفراز النطفة المنوية بالنسبة للذكر وإفراز البويضة الأنثوية بالنسبة للأنثى، وتسهم في ظهور الصفات الجنسية الثانوية عند الذكور، مثل ظهور الشعر على بعض أطراف الجسد وخشونة الصوت، والشدة والفلظة، والميل إلى الاستقلال والمخاطرة والاعتداء، وحب الزعامة، والميل نحو الجنس الآخر.

أما بالنسبة للصفات الجنسية الثانوية عند الإناث فتسهم هرمونات الغدد الجنسية في تجمع الدهن في أماكن خاصة من جسم الفتاة، وإنبات الشعر في أماكن معلومة أيضا من الجسم، وتنشيط الغدد اللبنية، ونعومة الصوت والرقة والاستحياء، والميل نحو الجنس الآخر، ويصبح لدى كل من الذكور والإناث القدرة على الإنجاب والتكاثر.

٥ - النمو الحسي :

في هذه المرحلة تزداد الحواس دقة وإرهافا، ويكتمل نموها، وتصل إلى نضجها النهائي، فالفرد يستطيع ممارسة الأشياء القريبة من بصره بدقة أكثر، ولمدة أطول مما سبق، وتزداد دقة السمع فيميز الأنغام والألحان بدقة أكثر مما سبق ، وكذلك بالنسبة للذوق واللمس حيث «تتحسن الحالة العضلية باطراد حتى سن« ١٢) »(٢٧).

٦- النمو الحركي :

نظرا لما يعتري الجسم من مظاهر نمو عدة، مثل النمو الغدي، ونمو الأعضاء والأجهزة الداخلية، ونمو الجهاز العظمي والعضلي ومايصاحبها من زيادة في الطول والوزن، ونظرا لتأخر نمو الجهاز العضلي عن الجهاز العظمي بمقدار سنتين تقريبا، لهذا وغيره تكون حركات البالغ في هذه المرحلة غير دقيقة وخاصة في بداية المرحلة، فهو كثير الارتباك والتعثر، يصطدم بالأثاث وتسقط الأشياء منه، ويميل إلى الخمول والكسل والتراخي، فقد يشعر البالغ بالإجهاد ونقص الطاقة وعدم الرغبة في العمل.

إلا أن البالغ في نهاية هذه المرحلة تصبح حركاته أكثر توافقا وانسجاما مما سبق، ويستطيع أن يتقن بعض المهارات الحركية مثل الكتابة على الآلة الكاتبة واستخدام بعض الآلات الموسيقية وممارسة الألعاب الرياضية، وتزداد «سرعة زمن الرجع وهو الزمن الذي يمضي بين المثير وبين الاستجابة لهذا المثير»(٣٨) ويزداد نشاط الفرد.

٧- النمو البدني الجنسي ودوافعه :

يعد هذا الجانب من أبرز مظاهر النمو في هذه المرحلة، وهو يرتبط ارتباطا مباشرا بوظائف الأعضاء التناسلية، ويلاحظ في أوائل هذه المرحلة شعور البالغ بالدافع الجنسي، ولكنّ استجابته لهذا الدافع تختلف باختلاف تقدّم سنه، ففي بداية هذه المرحلة يلاحظ على البالغ مايسمى «بالجنسية المثالية»(٣٩)، بمعنى أن الاختلاط إن وجد بين الفتى والفتاة يمتاز بالبراءة الجنسية، وأنه خال في العادة من أي إثارة جنسية جانحة، ويلاحظ أن ظاهرة ميل الفرد إلى الجنس الأخر تزداد مع تقدّم العمر، حيث تزداد الانفعالات الجنسية، وينتقل البالغ من «الجنسية المثالية إلى الجنسية الغيرية»(٤٠) وهنا يزداد حب الفتى لإحدى الفتيات ويتعلق قلبه بها، وكذلك الشأن بالنسبة للفتاة. وهنا يكون الاختلاط بين الجنسين له آثاره السلبية، ونتائجه السيئة ليس على البالغين فحسب بل على المجتمع أيضا.

ويميل كل من الجنسين إلى التعرف على حقيقة الحياة الجنسية، والتحدث والقراءة عنها بلهف واشتياق، والاستفسار وكثرة الأسئلة لاسيما بين جماعات الرفاق ، وبين الذين لديهم دراية بذلك، ويميل الفتى إلى النظر إلى مفاتن الفتاة، وإلى أعضاء جسمها بنظرة رغبة وشهوة، ويكون الاهتمام الجنسي عند البنين موجها أكثر نحو الاتصال الجنسي، أما الاهتمام الجنسي عند البنات فيكون موجها أكثر نحو الاتصال الانفعالي، وينشغل معظم البالغين بحجم وشكل أعضائه التناسلية، وقد يصاحب البالغ القلق والخوف نتيجة التغيرات غير المألوفة عنده، وقد يواجه البالغ

بعضا من الصراعات النفسية بين ماتفرضه التعاليم الدينية والنظم الاجتماعية، وبين إشباع دوافعه الجنسية. وقد يندفع بعض البالغين -الذين يهملون تربويا ونفسيا- وراء إشباع ميولهم الجنسية العارمة بطرق منحرفة وغير مشروعة ، لايقرها الدين ولا العادات والتقاليد ولا النظم الخلقية والاجتماعية، ويتجلى هذا الانحراف الجنسي في الأشكال التالية:(٤١).

(١) اتصال جنسي مع أفراد الجنس نفسه .

(٢) اتصال جنسي مع أفراد الجنس الآخر دون زواج شرعي.

(٣) إشباع جنسي ذاتي للفرد في نفسه وذلك باستثارة أحاسيس اللذة في تلمس أعضائه التناسلية والعبث بها. وذلك مايسمى (بالعادة السرية) أو الاستمناء.

وتعد الحالة الأخيرة أكثرها شيوعا بين البالغين، حيث يلجأ البالغ إلى مزاولة النشاط الجنسي الذاتي تخفيفا من التوتر الجنسي لديه، وقد دلّت بحوث «كنزي»، «أن حوالي ٩٠٪ من البنين يتعلمون العادة السرية سواء من تلقاء أنفسهم أو من أقرانهم منذ سن التاسعة حين يعمدون إلى تناول أعضائهم التناسلية بأيديهم بغية الحصول على الاستمتاع الجنسي، وتزداد النسبة كل سنة بعد هذه السن حتى سن «١٥» حيث وجد أن حوالي ٩٨٪ من البنين قد زاولوا العادة السرية في وقت من الأوقات، وأن حوالي ٦٢٪ من البنات قد مارسنها في وقت من الأوقات»(٤٢).

وهذه العادة الخاطئة التي تنتشر بين البالغين، أي الاستمناء، أو النشاط الجنسي الذاتي لها ضررها النفسي على البالغ، فقد أكدّت بعض البحوث: «أن الإفراط في مثل هذا النشاط وإدمانه يصاحبه مشاعر الإثم والذنب والخطيئة والصراع النفسي ، مضافا إليه الاعتقاد في هذه الأفكار الخاطئة والخوف من المضاعفات والقلق النفسي»(٤٣). وتتجلى هذه الأعراض بوضوح لدى الأفراد الذين يزاولون هذه العادة بكثرة.

٨- تغير شكل الوجه :

يتغير شكل الوجه في مرحلة البلوغ إلى حد كبير ، وتزول ملامحه الطفولية، ويقترب من ملامح شكل الراشد، حيث تزداد مساحة الجبهة ويغلظ الأنف ويتسع الفم، وتتصلب الأسنان وتغلظ ويكتمل ظهور الأسنان الدائمة حيث «تظهر في السنوات من «١٠-١٢» ثماني أضراس أمامية أولى تحل محل الأضراس المؤقتة، وتظهر كذلك أربع أنياب تحل محل الأنياب المؤقتة»(٤٤).

وتظهر في الغالب حبوب على الوجه والذراعين، وبقية الجسم عامة، وتسمى «حب الشباب» أو «بثور الشباب»، ويكون ذلك نتيجة للنشاط العام الزائد للغدد في هذه المرحلة، وتظهر هذه الحبوب عند كل من البنين والبنات، ولها أنواع وأشكال متعددة «ومن أنواع بثور الشباب النوع ذو النقط، وهو الذي تكثر فيه البثور ذوات الرؤوس السوداء، والنوع الحبيبي، والنوع البثوري، والنوع العقدي، والنوع الحويصلي وبه أكياس ، والنوع الضامر ، وبه ندب منخفسه»(٤٥). والبثورشيء طبيعي في هذه المرحلة معظمها يزول بعد نهاية هذه المرحلة.

ب - الجانب العقلي :

للنمو العقلي لدى الإنسان مستويات متتابعة خلال مراحل نموه ، فيبدأ الإنسان حياته منذ أن كان وليدا لايعقل شيئا إلى أن يصبح راشدا، ويتفاعل مع بيئته، ويتكيف معها وذلك بفضل عمليات عقلية، وتعد مرحلة البلوغ من أهم المراحل لتطور الحياة العقلية المعرفية، فيتجه فيها النشاط العقلي نحو التركيز والتبلور، والقدرة على القيام بأنواع معينة من العمليات العقلية تختلف عما كان يقوم بها الفرد في مرحلة طفولته.

وتتميز هذه المرحلة بخواص أساسية منها النمو في العمليات العقلية العليا أو «مستوى العمليات الكلية»، والنمو العقلي العام أو «نمو الذكاء»، ونمو القدرات وتمايزها في هذه المرحلة.

وسيعمد الباحث إلى توضيح هذه الخصائص بإيجاز في النقاط التالية:

١) نمو العمليات العقلية العليا :

ومن بين هذه العمليات العقلية العليا مايلي:

(أ) الانتباه : يزداد الانتباه في هذه المرحلة في الزمن وفي الموضوع، بمعنى أن البالغ يستطيع أن يستوعب مشكلة طويلة معقدة، وفي زمن أطول فإن الفرد يستطيع أن يركز انتباهه في الموضوع الواحد لمدة أطول، بعكس المرحلة السابقة، إذ كانت قدرته على الانتباه محدودة، كما تقل شدة الإعاقة في استيعاب ماتعلمه عندما ينتقل إلى موضوع آخر، وبفضل خاصة التركيز في الانتباه التي تعد من أهم مظاهر الانتباه في مرحلة البلوغ؛ فإن البالغ يستطيع أن ينتقل إلى موضوع جديد بعد إجادة الموضوع السابق، كما أنه يستطيع «أن ينتبه إلى موضوعين في وقت واحد، إذا ارتبطا من قريب ارتباطا كليا أو جزئيا، أو إذا قامت بينهما علاقات قوية تهدف إلى تنظيمها في وحدة عامة»(٤٦) بمعنى أن الإعاقة تكون يسيرة عندما يعطى البالغ موضوعا ما مزوّداً بالمعلومات والصورة.

(ب) التذكر: تنمو عملية التذكر، وتنمو معها القدرة على الاستدعاء والتعرف «ويصل نمو التذكر إلى ذروته»(٤٧)، في هذه المرحلة، ويستطيع الفرد أن يتذكر ماتعلمه بعد فترة زمنية أطول من السابق - من تاريخ تعلمه-، كما يستطيع استدعاء موضوعات عدة حدثت له في الماضي، بمعنى أن الفرد في هذه المرحلة يزداد عنده باع الذاكرة في نوعه ومداه، وتؤكد الأبحاث الحديثة «خطأ الرأي القائل بأن الطفولة هي المرحلة الذهبية للتذكر»(٤٨).

كما أن التذكر في هذه المرحلة يختلف عن مرحلة الطفولة. فالبالغ ينتقل في تذكره إلى مرحلة أفضل، كالتذكر غير المباشر، والتذكر المعنوي، فالفرد «لايتذكر

موضوعا إلا إذا كان حفظه له قائما على أساس الفهم وربطه بغيره مما سبق أن مرّ به في خبرته السابقة»(٤٩). وهذا مغاير لما كان عليه في المرحلة السابقة حيث كانت لديه قدرة على التذكر عن طريق الحفظ دون الفهم الكامل لعناصر الموضوع. كما أنه في هذه المرحلة تقل أهمية التذكر المباشر للأرقام والألفاظ، ويستمر نمو التذكر المعنوي طوال هذه المرحلة.

(ج) التخيل أو التصور :

يعرّف التصور العقلي « بأنه استرجاع الخبرات الحسية التي تمر بالفرد على شكل صور عقلية تكون ماثلة لعين العقل»(٥٠)، والفرد في هذه المرحلة تصبح لديه القدرة على تصور الأمور، وعلى بناء علاقات غير موجودة. والتصور عند المراهق يختلف عما كان عليه في الطفولة، فالتصور في المرحلة السابقة يقوم على أساس الأشياء المحسوسة. أما في البلوغ فإنه يقوم في معظم الأحيان على التجريد، أي «أنه يتحول من الاعتماد على الصور البصرية إلى الاعتماد على الصور اللفظية»(٥١)، وقد بيّنت دراسات «فالنتز»(٥٢) التي أجراها على عدد من الذكور والإناث تتراوح أعمارهم بين «٩ ، ١٨» سنة، وطلب منهم إكمال قصة عرضها عليهم، أن البالغ يستطرد في إكمال قصته فيضفي عليها جوا خصبا عاطفيا، بينما يلتزم الطفل الحدود الضيقة للقصة، ولايكاد يحيد عنها، ويتميز أسلوب البالغ بطابع فني جمالي، بينما يخلو أسلوب الطفل من هذا اللون الجمالي. وقد أشارت الدراسة إلى أن إجابة الفتيات تدل على خيال خصب يفوق في مراميه خيال الفتيان.

(د) التفكير : يعد هذا الجانب من أهم الجوانب التي تتصف بها العمليات العقلية في هذه المرحلة. ومن أهم مظاهر النمو العقلي التي تميزهذه المرحلة عن مرحلة الطفولة، فإن البالغ يبدأ يفكر تفكيراً مجردا مخالفا لما كان عليه في المرحلة السابقة

- مرحلة الطفولة -، والاختلاف في التفكير بين المرحلتين يتأتى من كون مادة التفكير عنده في مرحلة الطفولة هي الأشياء المحسوسة، وليست الأفكار المجردة، وهناك فرق كبير بين التفكير المبني على المحسوسات والتفكير المبني على المجردات.

والتفكير المجرد لايظهر عند الفرد -في معظم الحالات- قبل مرحلة البلوغ، إلا أن ذلك لايعني أن جميع البالغين يستطيعون أن يستخدموا التفكير المجرد بكفاية، نظرا لما تتأثر به هذه الظاهرة من عوامل عديدة منها ماهو وراثي، ومنها ماهو بيئي ومنها ماهو اجتماعي.

والتفكير المجرد يرتبط ارتباطا وثيقا بالعمليات العقلية التي سبق ذكرها.« والتفكير يستخدم الكليات الذهنية وجميع ماتحصّل لدى الفرد في مراحله التكوينية العقلية السابقة من إحساس وإدراك وتذكر وتصور، فالتفكير-هو الذي يمثل مستوى العلاقات الكلية التي يقوم عليها- إنما هو نشاط جديد مركز »(٥٣).

وللإيضاح يود الباحث أن يشير إلى بعض العمليات التي يتضمنها التفكير المجرد، والتي تظهر في مرحلة البلوغ في النقاط التالية :

(أ) التمييز بين الواقع والممكن: يستطيع الفرد في هذه المرحلة أن يستنتج معظم الاحتمالات الممكنة أو كلها لحل مشكلة ما، قبل أن يقرر حلا بعينه ينطبق بالفعل على ذلك الموقف أو تلك المشكلة. وتؤكد دراسات «ميلر» و «تانير»(٥٤) أن البالغ يميل في حل مشكلاته إلى فروض مختلفة يمكن أن يفسر في ضوئها بعض جوانب المشكلة، ثم يختبر هذه الفروض ليرى ما إذا كانت هذه الفروض صحيحة أم لا. ويصطبغ استدلال الفرد في أوائل بلوغه بالصبغة الاستنباطية، ثم يتدرج حتى تغلب الناحية الاستقرائية على استدلاله، ثم يتطور به النمو حتى يصل إلى درجة يسهل عليه استخدام الاستدلال الأنجع حسبما يتطلبه الموقف استنباطا أم استقراء.

والفرد الذي يستطيع أن يقوم بعملية التفكير المجرد يستطيع أيضا أن يضع احتمالات لموقف ما مخالفة أو مضادة للواقع دون أن يخلط بين ماهو موجود فعلا وبين مايحتمل وجوده. فالبالغ يمكنه أن يتصور عائلات مثالية ويقارنها بما هو واقعي في الأسر. كذلك يستطيع البالغ أن يفكر في عكس الواقع فمثلا «لو أنك موجود في غرفة وقلت نفترض أننا لسنا موجودين في غرفة {فإن البالغ يستطيع أن يفكر معك} بعكس الطفل في المراحل السابقة يقول لك (لكن نحن موجودون في الغرفة)»(٥٥). كما يستطيع البالغ أن يميز بين الممكن وغير الممكن، ويصل إلى إدراك السببية ونتائجها، أي أنه يستطيع أن يقول لو عملت كذا! سيحدث كذا! فهناك سبب ونتيجة.

(ب) استخدام الرموز للتعبير عن رموز أخرى: يستطيع الفرد في هذه المرحلة فهم الرموز أكثر مما سبق، ويعبر بالرموز عن رموز أخرى، وبهذا يصبح التفكير أكثر مرونة، لأنه يستطيع أن يستخدم مثلا «س ، ص» لكي يعبر عن أعداد «١ . ٢»، وبهذا يستطيع أن يستخدم نظاما رمزيا من الدرجة الثانية؛ لهذا يمكنه أن يتعلم الجبر. كما أن الكلمات يمكن أن تتخذ أكثر من معنى عند البالغ، لذا فهو يستطيع أن يفهم التعبير المجازي والصور البلاغية الأخرى، كما تنمو المفاهيم المعنوية لديه، ويتضح إدراك معاني المجردات مثل الصدق والأمانة والعدل والظلم والصواب والخطأ والسلطة والحرية، وحب الله وحب الوالدين وحب الوطن، وتنمو عنده مفاهيم المسافة والمساحة والحجم والكثافة والحرارة والسرعة وغيره.

(ج) الربط بين المتغيرات : فالبالغ الذى يستطيع أن يقوم بعمليات التفكير المجرد يمكنه اتخاذ عدة متغيرات في الاعتبار في وقت واحد، فمثلا حركة البندول يستطيع أن يربط بين زيادة السرعة بـ طول الخيط، الدفع الأول الثقل، كذلك يمكن أن يربط بين المسافة والسرعة والزمن، وكذلك بين الحجم والضغط . أى أنه يستطيع أن يتعلم قوانين الطبيعة.

كما أنه يستطيع أن يميز ما إذا كان هذا التغيير طرديا أم عكسيا، ومعنى التغير الطردي أنه كلما زاد أو نقص أحد المتغيرين، زاد أو نقص المتغير الثاني. أما التغير العكسي فإنه إذا حدث زيادة في التغير الأول، حدث نقص في التغير الثاني أو العكس.

٢- **النمو العقلي العام أو الذكاء** : يشمل النمو العقلي العام جميع نواحي النشاط العقلي من إدراك وإحساس وتصور وتفكير وتخيل، وقد «اصطلح علماء النفس على تسمية ذلك المستوى العقلي العام (بالذكاء)»(٥٦)، وقد أسفرت أبحاث «سبيرمان» عن «وجود الذكاء من حيث كونه قدرة عقلية عامة تهيمن على جميع ألوان النشاط العقلي بنسب مختلفة»(٥٧). وللذكاء تعريفات عديدة والسبب في تعددها يكمن في صعوبة إبراز حقيقة الذكاء، لأنه لايخضع للملاحظة المباشرة، فالقدرة الفطرية لاتزال غامضة، والتعاريف عموما تنحصر في إظهار بعضا من جوانب آثار هذه القدرة الفطرية. «وقد دعت الجمعية الوطنية في الولايات المتحدة الأمريكية لدراسة التربية لجانها في عام ١٩٤٠م لكتابة تقرير عن هذا الموضوع، فكانت خلاصته أن العلماء يختلفون في تحديد ماهية الذكاء وطبيعته، فبعض العلماء يعرّفه بأنه القدرة على التفكير المجرد، وآخر يعرفه بأنه القدرة على حل المشكلات الراهنة، والتنبؤ بالمشكلات المقبلة، وإيجاد الحلول لها، ومنهم من يراه بأنه القدرة على التعلم وكسب المعرفة، ومنهم من يجعله قدرة الفرد على التكيّف»(٥٨)، ومنهم من يعرف الذكاء بأنه «القدرة على معالجة الرموز، وإدراك العلاقات والاستدلال توصلا لتعميمات حقيقية صحيحة، ويرى آخرون أن الذكاء هو القدرة على التكيف الاجتماعي. ويذهب فريق آخر إلى أنه الفطنة والنباهة»(٥٩). ومنهم من قال «بأن الذكاء أو القدرة العقلية لها صفات منها الإدراك بوجه عام واستيعاب المعلومات، وحفظها والعمل بمقتضى هذا الإدراك وبمقتضى تلك المعلومات»(٦٠).

ولعل أنسب تعريف يوافق دراسة هذا الموضوع هو أن الذكاء «استعداد عقلي فطري عام، يشترك في جميع العمليات المعرفية، على جميع المستويات التي تبدأ بالإدراك الماسي وتنتهي بالتفكير الكلي المجرد»(٦١).

وفي هذه المرحلة تخف سرعة نمو الذكاء قياسا بمرحلة الطفولة وقد توصل «فيرنون» في دراسته إلى أن نموّ الذكاء العام «يتناقص في سرعته فيما بين ١٤ و ١٧ سنة وخاصة عند الفتيان الذين يتركون المدرسة في هذا المدى من العمر»(٦٢).

٣- نمو القدرات الخاصة وتمايزها :

من أهم ظواهر النمو العقلي في مرحلة البلوغ ظهور القدرات العقلية الخاصة واستمرارها في النمو والتباين، وتظهر الفروق الفردية وتصبح واضحة في هذه المرحلة، فيلاحظ أن الفرد في هذه المرحلة يتفوق في ناحية معينة، كأن يتفوق في النواحي اللغوية، أو النواحي الرياضية، أو النواحي الفنية، بعكس ماكان عليه في مرحلة الطفولة، فهو إما أن يكون متفوقا دراسيا بشكل عام، أو متخلفا بشكل عام. وقد أكدّت دراسات «ثورندايك» أن القدرات الخاصة تظهر بوضوح في «حوالي سن «١٦» من العمر، وتشتد وضوحا في «١٥-١٧» سنة »(٦٣). أي أن القدرات عند البالغ يقل ارتباطها بعضها ببعض عما كانت عليه في مرحلة الطفولة، وتدل الدراسات التي قام بها «بالينسكي» على أن هذه القدرات «يقترب بعضها من بعض في الطفولة المتأخرة ويبلغ ارتباطها ٤٣ر. حتى مطلع المراهقة، ثم تقل هذه الصلة، وتتمايز القدرات تمايزا قويا خلال المراهقة والرشد ولايكاد ارتباطها يزيد على ١٨ر. »(٦٤).

والأفراد لايختلفون فيما يتمتعون به من قدرات، وإنما يكون الاختلاف والتفاوت في القدرة الواحدة من حيث مقدارها؛ بمعنى أن كل فرد تكون لديه قدرة عددية مثلا، ويكون، الاختلاف والتفاوت في مقدرة بعض الأفراد على إجراء العلميات الحسابية. أي أنه في مرحلة البلوغ تتضح الفروق الفردية العقلية بين الأفراد.

ويود الباحث أن يشير إلى أن كلمة «قدرة» قد يقصد بها جوانب عديدة من جوانب شخصية الإنسان، فقد يقصد بالقدرة المهارة الجسمية، وقد يقصد بها أيضا الموهبة الابتكارية، أو يقصد بها ناحية التفوق الاجتماعي. فالقدرة إذن هي «ماتستطيع ان تقوم به بدرجة تفوق معظم الآخرين»(٦٥).

والفرق بين القدرات العقلية والذكاء هو «أن مانسميه ذكاء إن هو في حقيقة الأمر إلا مجموع هذه القدرات العقلية الأولية»(٦٦). وبتعبير آخر «يدل الذكاء على محصلة النشاط العقلي كله، وتدل كل قدرة طائفية على نوع ما من أنواع هذا النشاط العقلي»(٦٧).

وقد استطاع علماء النفس تحديد بعض القدرات العقلية، ومن أهم هذه القدرات مايلي:

(أ) القدرة اللغوية : وتسمى بالفهم اللغوي، أي أن البالغ يستطيع أن يفهم الأفكار التي تعبر عنها الكلمات، كما يستطيع أن يعبر عن نفسه كتابة أو مشافهة باللغة التي يتلقاها عمن حوله، ويعرف مترادفات الكلمات وأضدادها، وقد يميل في بداية هذه المرحلة إلى اصطناع لغة خاصة هي أشبه برموز يستخدمها لغة تخاطب بينه وبين أصدقائه، إلا أن ظهورها لايستمر طويلا، وليست عامة بين كل البالغين.

كما تشمل هذه القدرة الطلاقة اللفظية، وتتضمن السرعة والسهولة في استخدام الكلمات التي تعلمها البالغ.

(ب) القدرة العددية : يستطيع البالغ معالجة الأرقام، والقيام بالعمليات الأساسية وهي الجمع والطرح والضرب والقسمة بسهولة ودون خطأ، كما يستطيع حلّ المسائل المطولة من العمليات السابقة الذكر.

(ج) القدرة الاستنباطية: في بداية مرحلة المراهقة يستخدم البالغ هذه القدرة في كثير من استدلالاته، وتبدو في سهولة معرفة الجزئيات التي تشملها قاعدة معروفة،

أي أنه يستطيع الانتقال من الكلّي إلى الجزئي.

(د) القدرة الاستقرائية : وبتقدم البالغ في مرحلته يصطبغ استدلاله بالصبغة الاستقرائية، وتبدو في استطاعة البالغ استخراج القاعدة من جزئياتها بعد ضرب الأمثلة، أي الانتقال من الجزئي إلى الكلّي، وتعد هذه تطوراً من الاستدلال بالاستنباط إلى الاستدلال بالاستقراء.

(هـ) القدرة المنطقية الاستدلالية : وتبدو في استطاعة البالغ استخدام القدرتين الاستنباطية والاستقرائية في وقت واحد، ويصبح لدى الفرد مرونة عقلية أكثر مما سبق.

(و) القدرة المكانية : وتبدو في مقدرة البالغ على تصور ماقد يبدو عليه الشيء إذا ماتغير وضعه، أي تصور حركات الأشكال والمجسمات وعلى فهم الأشكال الهندسية. ويصاحب هذه المظاهر الأساسية - السالفة الذكر - لنمو الجانب العقلي لدى البالغ مظاهر أخرى تؤثر وتتأثر بالمظاهر السابقة .

نموّ مظاهر الشخصية : ونذكر أهمها فيمايلي:

(أ) الميول : تتباين الميول في أنواعها نظرا لاختلاف موضوعاتها وأهدافها، فإنها تشمل ميولا عقلية، ودينية، وخلقية، واجتماعية، ومهنية، كما تتباين في اتساع ميدانها، فقد يتسع ميدان الميل عند فرد ما حتى يكاد يهيمن على أي مظهر عام من مظاهر النشاط النفسي، أو يكون مقتصراً على ناحية خاصة، كما يتفاوت كل نوع من الميول في مداه الزمني، فمنها مايمتد طوال حياة الفرد، ومنها مايظهر بوضوح في مرحلة خاصة من مراحل العمر ثم يختفي بعد ذلك، كما يتفاوت في شدته وقوته ومن الناس من يفضل ميلا على ميل آخر.

والميول ترتبط بمظاهر الحياة العقلية في مرحلة البلوغ، ولهذا يمكن أن يعرف الميل «بأنه شعور يصاحب انتباه الفرد واهتمامه بموضوع ما وهو في جوهره اتجاه نفسي، يتميز بتركيز الانتباه في موضوع معين أو في ميدان خاص»(٦٨)، من ذلك يتضح أن الانتباه يعد عنصرا هاما من عناصر الميل. وقد أوضحت الدراسات التي قام بها «ثورنديك» و«لويس» أن الميول تتأثر إلى حد كبير في تطورها بدرجة ذكاء الفرد، حيث «تتميز ميول الأذكياء بأنها متنوعة واسعة خصبة عميقة، بينما تتصف ميول الأغبياء بالضيق والفقر والضحالة»(٦٩).

وتتباين ميول البالغ عن ميول الطفل. وتؤكد أبحاث «ديموك» أن أهم الميول التي تظهر في مرحلة البلوغ تتلخص في «قراءة الصحف والمجلات والكتب، والاستماع للبرامج الإذاعية، ومشاهدة القصص السينمائية وقيادة السيارات، والألعاب الرياضية المختلفة»(٧٠). ويميل البالغ في هذه المرحلة، وخاصة في نهايتها، إلى القراءات المتخصصة، والاهتمام بالموضوعات السياسية والأسس الفلسفية، والقراءة عن حياة الشخصيات البارزة من أدباء ومؤرخين ومفكرين وعلماء ورجال دين، وقد توصل كل من «تيرمان» و«ليماء» في دراستهما على أن «الذكور يميلون إلى قراءة الموضوعات التي تدور حول الآلات الميكانيكية، والهوايات العلمية والاختراعات الحديثة، وخاصة فيما بين السنة «١٤-١٥»، وأنهم يميلون إلى قراءة الأخبار المحلية والعالمية وجمع المعلومات المختلفة فيما بين السنة «١٥-١٦»، ثم يستطرد بهم النمو حتى يميلون إلى القصص الغرامية في أواخر المراهقة، أما الإناث فيملن في السنة (١٤) إلى القصص الغرامية، ثم يتطور بهن النمو حتى يملن إلى القصص التاريخية والمسرحيات المختلفة والشعر العاطفي قبيل الرشد»(٧١).

(ب) حب الجدل والمناقشة يتجلى لدى البالغ حب النقاش والجدل، محاولا الدفاع عن بعض الأفكار والتصورات المتعلقة بالحياة والمجتمع، سواء أوجدها من نفسه أو تبناها من غيره، ويظل مخلصا لهذه الأفكار والمبادئ ويتميز البالغ بالمناقشة المنطقية نوعا ما، وإقناع الآخرين مستخدما الأدلة في ذلك.

(ج) التجديد والابتكار : يستطيع البالغ أن يبتكر أو يكتشف أشياء جديدة في حياته، ولايعني هذا كل البالغين، ولكن من كان يستطيع أن يوجد متغيرات جديدة من تفكيره وخياله، ويفترض افتراضات جديدة أيضا من تفكيره وخياله، وهذه وغيرها قد تكشف له أشياء جديدة.

(د) الجانب الأخلاقي والاجتماعي:

والنمو الأخلاقي والاجتماعي يتأثر كغيره من جوانب شخصية الفرد في هذه المرحلة، فهو يؤثر ويتأثر بنمو الجوانب الأخرى.

وتعتبر مرحلة البلوغ استمراراً للمرحلة السابقة في النمو الأخلاقي والاجتماعي، إلا أنه بالتدريج تظهر خصائص ومميزات هذا الجانب وقد عمد الباحث إلى إيضاح خصائص كل جانب على حدة فيمايلي:

(١) الجانب الأخلاقي :

تعد هذه المرحلة منعطفا خطيرا في الجانب الخلقي للفرد. فهي إما استقامة يكون الانحراف بعدها ضعيفا عند الفرد، أو انحراف يكون معه تعديل السلوك وتوجيهه من الأمور الشاقة على المربين والمصلحين. وفي هذه المرحلة تتولد الدوافع الجنسية عند الفرد وتنمو ، كما رأينا، ونذرا لما يحدث لبعض البالغين في هذه المرحلة نتيجة لبعض الانزواء «العزلة»، أو العدوان، أو الخجل وعدم القدرة على مواجهة الآخرين، أو المعاناة من مشاعر النقص، أو سوء التصرف والتفكير، الأمر الذي يؤثر على سلوك الفرد وأخلاقه. وقد يؤدي ذلك بالبالغ إلى الجنوح أو الانحراف، وقد يعمد بعض البالغين «إلى الغش أو الخداع، أو الخروج على القانون وآداب المجتمع في سلوكه، أو قد يعمد إلى السرقة رغم أنه ليس في حاجة إلى مال»(٧٢).

والبالغ في هذه المرحلة، تتسع أمامه بالطبع مجالات التصرف والسلوك، باتساع دائرة معارفه وأصدقائه، والجماعات والمؤسسات التي ينتمي إليها، ولهذا فإنه يعاني من الخلط والاضطراب نتيجة لما يجده من تفاوت واختلاف في هذا المجتمع الواسع، ولاشك أن البالغ «في كل هذه الحالات قد يقع فريسة لصراع أساسه عدم وجود تحديد واضح لنظام ثابت من القيم يوجهه في أحكامه وسلوكه»(٧٣). ومن الخطورة بمكان ترك البالغ وشأنه حتى يصبح مخلبا في أيدي جماعات السوء والانحراف.

وهناك العديد من العوامل التي تؤثر على تكوين الخلق وتطويره، وقد دلّت أبحاث «هافيهجهرست» و «هيرلوك» على أن أهم العوامل المؤثرة في تطوير وتكوين الخلق هي «الثواب، والعقاب، والتقليد، والتفكير التأملي»(٧٤).

وفي هذه المرحلة يتضح للبالغ معنى الفضائل والرذائل، مثل الصدق والكذب، والأمانة والخيانة، والعدل والظلم، والكرم والبخل، والشجاعة والجبن. وتتولد لديه الشفقة والإحسان والرحمة والحنان وسائر العواطف الرقيقة، ويزداد نمو الوازع الداخلي الذي يراقب الفرد فيحكم له أوعليه، أي أنه يستطيع أن يحكم على أعماله بالخير أو الشر، وكذلك ينمو عند البالغ احترام سلطة الجماعة لاسيما جماعة الرفاق.

ومن ناحية أخرى فإن البالغ يرى أن حسن الخلق من أهم الأساليب التي تكسبه شعبية اجتماعية؛ فنجد بعض البالغين يميلون إلى المثالية في كثير من سلوكهم وتصرفاتهم، ويلاحظ «أن المشاركة الوجدانية تصل إلى قمتها بين الأصدقاء من المراهقين»(٧٥). ولذلك فإن البالغ يجد نفسه -تدريجيا- مدفوعا لاتباع تلك القواعد الخلقية.

فيبدأ البالغ بالالتزام بالقواعد الخلقية والعمل بمقتضاها، ويشعر بالتدريج أنه مسؤول عن أفعاله وأقواله، وفي نهاية هذه المرحلة يترتب الجزاء الخلقي تبعا لأفعال البالغ بالخير أو الشر من ثواب أو عقاب، أي أنه يتحمل النتيجة الطبيعية لعمله صالحا كان أم طالما.

أهم الخصائص الانفعاليه التي يتميز بها سلوك البالغ:

(أ) الحساسية الانفعالية:

وقد تسمى (بالرهافة)، فالبالغ قد يثور لأتفه الأسباب، وبخاصة في المدة الأولى من مرحلة البلوغ، فهو سريع التأثر بالمثيرات الانفعالية المختلفة، وهو لهذا مرهف الحس، قد يذوب أسى وحزناً، إذا تعرض لنقد من الآخرين، وتشتدّ هذه الحساسية الانفعالية في الإناث أكثر من الذكور، وقد يشعر البالغ بالضيق والحرج عندما يتحدّث أمام الجمهور، أو أمام جماعة مدرسته، «وهو شديد الحساسية بما يسمعه من مواعظ دينية أو خلقية أو قصص تاريخية أو بطولية أو آثار أدبية»(٧٦).

وقد تكون انفعالات البالغ عنيفة لاتتناسب مع مثيراتها، وإذا استثير أو غضب، فإنه قد لايستطيع التحكم في بعض انفعالاته، فقد يوقع الأذى بالآخرين، أو يحطم ماحوله من أشياء، أو قد يوقع الأذى على نفسه؛ فقد يشد شعره، أو يمزّق ملابسه، وهذا راجع إلى عدم استطاعة البالغ تحقيق التوافق بينه وبين بيئته المحيطة به، وعدم قدرته على تكييف نفسه.

(ب) الاكتئاب واليأس والقنوط :

يتعرض بعض البالغين لحالات من الاكتئاب واليأس والقنوط، لما يلاقونه من صراع بين دوافعهم وبين تقاليد المجتمع وقيمه ومعاييره، أو بين دوافعهم وبين

السلطة والنظام والقانون، أو تسلّط الآباء وفرض الطاعة العمياء على أبنائهم، فيعاني من انفعالات متضاربة، ويحاول أن يكتم ذلك خشية أن يثير نقد الناس، وهذه الظاهرة لها عواقبها السيئة إذا اشتدّت عند البالغ، وقد تؤدي إلى «القلق والسلوك القسري والسلوك العصابي بصفة عامة، وإلى تفكك الشخصية أو اضطراب عقلي مثل الفصام»(٧٧).وقد تولد عند البالغ الانطواء الذاتي، ويرى أن هذه وسيلة قد تساعده على التخلّص من القلق الذي يعانيه، فيعمد إلى تجنب مصاحبة الناس وإيثار الانفراد، «والمراهق الذي يتخذ هذا الأسلوب هو في العادة ذلك الذي تكرر إخفاقه في المواقف الاجتماعية، كما تكرر إخفاقه أيضا في اتخاذ أي أسلوب آخر، وبعبارة أخرى فإن المراهق المنزوي هو شخص لاقى في تعامله مع المجتمع صدا وإحباطا مستمرين»(٧٨).

وفي العادة لايستمر المراهق في عزلته عن المجتمع مدة طويلة، ولكن يكون ذلك لبعض الوقت ثم يعود للتفاعل الاجتماعي المعتاد. إلا أن الخطورة هي أن يستمر البالغ في الانعزال والانزواء عن المجتمع بحيث «يصعب بعد ذلك الخروج من العزلة التي قد تتطور إلى مرض نفسي أو عقلي خطير»(٧٩).

(ج) انطلاق انفعالات البالغ:

قد يندفع البالغ وراء انفعالاته بدلا من ضبطها، وقد تسيطر عليه نزوة من نزوات انفعالاته، فينفعل انفعالا شديدا يلفت انتباه الراشدين من حوله، كأن يفرط في الضحك لسبب ما في موقف لايستحق الضحك، وعلى الراشدين أن لايقابلوا انطلاق البالغ الانفعالي بالشدة والقسوة «ذلك بأنه مظهر من مظاهر تأثره السريع، وأثر من آثار طفولته القريبة وعلامة من علامات سذاجته البريئة في المواقف العصيبة؛ التي لم يألفها من قبل وصورة من صور التخفف من شدة الموقف المحيط به ووسيلة لتهدئة التوتر النفسي في مثل هذه المواقف الشاذة»(٨٠).

(د) التناقض الانفعالي وعدم استقراره،أو مايسمى "بثنائية المشاعر":

تتصف انفعالات البالغ بالتناقض والاضطراب، وهذا نتيجة طبيعية لما يعانيه من تغيرات جسمية داخلية وخارجية، فهو متناقض في بعض التصرفات، فتتذبذب انفعالاته بين الحب والكره مثلا، وبين الشجاعة والخوف، وبين الانشراح والاكتئاب، إلى غير ذلك من التناقضات، «فهو حينا يتبرم بالحياة وأعبائها، ويتمنى الموت سبيلا للخلاص والراحة، وينتقد نفسه وأهله ومجتمعه والإنسانية كلها. وأحيانا يزهو بجسمه أمام المرآة إذا خلا بنفسه أو أمام الناس»(٨١).

(هـ) أحلام اليقظة :

وهذه ظاهرة عامة عند معظم البالغين، وأحلام اليقظة هي «سرحات ذهنية يحلّق بها الإنسان بعيدا عما حوله ليعيش في نعيمها»(٨٢). وتعد أحلام اليقظة متنفسا لانفعالات البالغ المقيدة والمحبوسة، فيجد فيها مهربا من المواقف التي لايستريح إليها، وأحلام اليقظة عادة تكون مليئة بالخيال عن المستقبل، وعن أعمال البطولة والفروسية وإنقاذ الضعيف والمغامرات الغرامية والزواج، وماشابه ذلك، وأحلام اليقظة إذا كانت طبيعية وعادية، أي إذا كانت لاتقطع البالغ عن العمل وأداء الواجب، فهي لاتؤثر عليه بل تعد من باب التنفيس الانفعالي للفرد، فيجد فيها راحة وإشباعا لما فقده في الحياة الواقعية. أما إذا زادت عن الحد واستغرق البالغ فيها وقتا طويلا فإن الفرد «يتعود الهرب من مواجهة مطالب المواقف في الحياة الواقعية، وإذا استغرق فيها المراهق بشكل واضح فإنها تنبئ عن اضطراب في الشخصية وعن سوء التوافق النفسي»(٨٣).

وقد يتخذ البالغ طريقا أكثر إيجابية للتعبير عن أحلامه وخياله، كالرسم والشعر وغيرها من الفنون، وبالتالي فإن تنمية هذه الميول والاهتمامات واستغلال هذه المواهب، لها أكبر الأثر في هذه المرحلة بالذات.

(و) المبالغة في المثالية :

قد يخلص بعض البالغين في عمله، ويتفانى في إتقانه، ويبالغ في أن يكون خيرا في سلوكه، ولو على حساب صحته وإنتاجه، ويعمد إلى ترتيب الأشياء وتنظيفها وتنظيمها، «وقد يظهر مثل هذا السلوك المبالغ فيه في الاتجاه المثالي أحيانا في دور المراهقة عندما تنشط الدوافع الجنسية»(٨٤).

وقد يعمد البالغ إلى اتخاذ المثالية وسيلة للتخفيف عما يصاحبه من قلق، وشعور بالذنب عندما تنشط دوافعه الجنسية، وقد ينهمك في أعمال لامعنى لها بغية التغلب على مشاعره

٢- الجانب الاجتماعي :

يتسع ميدان التفاعل الاجتماعي للفرد في هذه المرحلة، ويتسع الأفق والنشاط الاجتماعي، ويدرك العلاقات القائمة بينه وبين الأفراد الآخرين ويدرك حقوقه وواجباته ، ويقترب بسلوكه من معايير الناس والمجتمع. ومن بين مظاهر نمو الجوانب الاجتماعية مايلي :

(أ) الاختلاف مع الأسرة :

معظم البالغين يمرون بأزمة اختلاف في بعض وجهات النظر بينهم وبين الوالدين، أو بعض أفراد الأسرة كالإخوة مثلا، ولكن حدة الاختلاف تختلف باختلاف الجماعات والثقافات، وكذلك باختلاف الجنس من ذكر أو أنثى. كما أن حالات الاختلاف لاتحدث بالحدة نفسها على طول مرحلة البلوغ، فقد «تتزايد حدة هذه الخلافات حتى تصل إلى نهايتها العظمى فيما بين سن الرابعة عشرة والخامسة عشرة ثم تهدأ حدتها بعد ذلك بالتدريج»(٨٥).

وترجع أسباب الخلاف بين البالغين وآبائهم إلى عوامل عديدة، لهذا فقد تعددت

وجهات نظر العلماء في تفسير هذا الخلاف والعوامل المؤدية إليه، فمنهم من يرى أن الخلاف ظاهرة اجتماعية حيث يعتقد «دافيز» أن «وجود فجوة جيلية (أي بين جيل الآباء وجيل الأبناء) أمر حتمي في مجتمع سريع التغير. فالآباء ينشئون أبناءهم بناء على خبرتهم هم (أي خبرة الآباء)، ولكن هذه الخبرة سرعان ماتصبح شيئا عفا عليه الزمن»(٨٦). وهناك من الاجتماعيين من يعزو ذلك إلى عزلة البالغين عما يدور في المجتمع، فالبالغون في مدارسهم يكونون بعيدين كل البعد عما يدور في مجتمعاتهم وعن فرص العمل، لأن معظم وقتهم يصرفونه لدراستهم، وبالتالي فإن هذه العزلة تقود البالغ إلى التباعد والانفصال وبالتالي إلى التمرد، كما أن بعض المدارس تفتقد التربية الدينية، التي من جوانبها الطاعة للوالدين . وقد يكون للعوامل الاجتماعية والثقافية والرفاق دور كبير في وجود اختلاف بين الآباء والأولاد. كل هذه وغيرها تجعل الأولاد في خلاف مع آبائهم.

والنظريات التي تفسر الخلاف بين المراهق والأسرة: «على أساس أنه عملية نفسية داخلية -سواء في ذلك ما إذا كان الأبناء هم الذين يرفضون الآباء أو الآباءهم الذين يرفضون الأبناء- هذه النظريات ترى في الوقت نفسه أن هذا الخلاف ليس فقط عملية حتمية بل إنها أيضا عملية ضرورية للنمو الإنساني نحو الاستقلال وتحديد الذات»(٨٧). أي أن لهذه الظاهرة محاسنها إذا وجهت التوجيه السليم ولها مساوئها إذا أهملت.

(ب) تكوين الجماعات:

تزداد آفاق الحياة الاجتماعية للبالغ، ويأخذ في التعامل والاتصال من قريب وبعيد بالأفراد المختلفين، ومن أهم مايميز النمو الاجتماعي في هذه المرحلة الميل الشديد عند معظم البالغين إلى الانخراط بعضهم مع بعض في جماعات، لأن الفرد في هذه المرحلة لم يعد طفلا، ولم يصبح راشدا، فهو لذلك في حاجة إلى جماعة يتفاعل معها، ويجد مكانته الحقيقية عندها. ولذلك تعرف «سنوات المرحلة المتوسطة

بأنها سن (العصابات) أو الجماعات»(٨٨)، وتعد صحبة الرفاق علامة مميزة من علامات النمو الاجتماعي في هذه المرحلة، فبعد أن كانت صحبة الوالدين في المرحلة السابقة أهم بكثير من صحبة الرفاق، فإنه «يحدث تحول تدريجي فيما بين الثانية عشرة والثامنة عشرة بحيث تصبح المجموعة أو الرفاق أكثر جاذبية من الوالدين الذين تقل أهميتهم تدريجيا من هذه الناحية»(٨٩).

وجماعة الرفاق يأتون في الغالب من الوسط الاجتماعي نفسه، ويكون هناك نوع من التشابه في كثير من صفاتهم الشخصية مثل أعمارهم الزمنية والعقلية. ولجماعات الرفاق أشكال متنوعة، ويختلف كل شكل منها عن الآخر باختلاف طبيعة العلاقات التي تربط بين أفراد الجماعة . وهذه الأنواع من الجماعات لكل منها تأثيره المتميز في سلوك البالغ. لأن البالغ يخضع لأساليب أصدقائه وخلّانه ومسالكهم ومعاييرهم، وقد يتعصب لآرائهم وأفكارهم وأساليبهم.

ونظرا لأهمية الجماعة في نظر البالغ فإننا نجده إذا نشأ تعارض بين مطالب الجماعة ومطالب الآباء، فإن البالغ غالبا مايضحي بمطالب الآباء في سبيل تحقيق مطالب الجماعة، وهذا ما أشارت إليه بحوث كل من «كولمان» و «إيرسون»(٩٠). إلا أن هذا لايعني أن البالغ لايأبه لرأي أبويه إذا ماتعارض مع رأي الجماعة، وقد دلت بعض البحوث على أن تأثر البالغ العادي برأي الرفاق لايعني فقدانه لتقدير والديه، وقد وجد «كورنيس» «أن أحكام المراهقين على والديهم تكون أكثر إيجابية في المرحلة الأخيرة للمراهقة»(٩١). أي أن المراهق يخفف بعد ذلك من تبعيته لهذه الجماعة كلما اقترب من سن الرشد.

وللجماعات والرفاق دور هام في النمو الاجتماعي للفرد في هذه المرحلة، فهي تنمي فيه روح الانتماء للجماعة، وتبرز مواهبه الاجتماعية، وزيادة فهمه لنفسه، وتؤثر في نموه الخلقي، وعلى درجة قبوله للمعايير والتقاليد في المجتمع، وتهيّىء له المناخ المناسب لتكوين علاقات اجتماعية، وغير ذلك من الآثار الإيجابية في تنمية الجانب الاجتماعي في الفرد. إلا أن بعض الجماعات قد تنحدر بأفرادها إلى

مسالك خاطئة، فتنمي في أفرادها روح العدوان والانحراف والتعصب وتخريب ممتلكات الاخرين والتعدي على حقوقهم، والقيام ببعض الانحرافات التي لايرضى عنها المجتمع، مثل معاكسة الآخرين، والتدخين وشرب المخدرات وغير ذلك من المحظورات .

(ج) التطبع بالعادات والتقاليد الاجتماعية:

وتتميز هذه المرحلة بأنها «مرحلة المسايرة والمجاراة والموافقة والامتثال والقبول والاتساق ومحاولة الانسجام مع المحيط الاجتماعي، وقبول العادات والمعايير الاجتماعية الشائعة بغية تحقيق التوافق الاجتماعي »(٩٢) فالبالغ يتطبع بكثير من العادات والتقاليد، أي أنه يتقيد ببعض المعايير السلوكية لتلك العادات والتقاليد، مثل عادات وتقاليد الزواج والولائم والعزاء، وزيارة المرضى والأعياد. وينمو عنده الوعي الاجتماعي والمسؤولية الاجتماعية، وفي هذه المرحلة تتضح عملية التنميط الجنسي «وهو عملية التوحد مع شخصية الجنس نفسه، واكتساب صفات الذكورة بالنسبة للبنين وصفات الأنوثة بالنسبة للبنات »(٩٣) ويفضل كل من البنين والبنات في هذه المرحلة ولاسيما في أوائلها اختيار اصدقائهم من الجنس نفسه. كما أن الفرد في هذه المرحلة يقوم بأنشطة كثيرة، ويشارك في الألعاب، ويحضر الحفلات وبعض أوجه النشاط الاجتماعي ولاسيما التجمعات التي يلتقي فيها برفاق سنه. كما يشارك في الأعمال المنزلية، ويقوم بشراء بعض المستلزمات اليسيرة التي يحتاجها أو التي تحتاجها أسرته.

والبالغ يتقبل الكثير من العادات والتقاليد، إلا أنه لايكون مقلداً أعمى في جميع المواقف؛ بمعنى أنه لايتقبل في جميع الأحوال العادات والتقاليد والنظم المعمول بها في مجتمعه دون روية وتمهل وتفكير. بل نجده أحيانا ينقد تلك الأشياء، وقد يسخر من بعضها لبعدها عن المثل والقيم التي يؤمن بها ويدعو إليها، وقد يميل إلى تقويم بعض التقاليد في ضوء خبراته الشخصية وخاصة في نهاية المرحلة.

وهذه هي المرحلة المناسبة لتدريب البالغ، وإكسابه المهارة لتنقية تراثه وغربلته، والنظر إلى الأمور بمنظار العقل والتبصر والروية ، والابتعاد عن التعصب والتبعية. لبعض العادات والتقاليد الخاطئة التي ورثها الآباء عن الأجداد .

(د) المنافسة :

وتعد المنافسة من مظاهر العلاقات الاجتماعية في هذه المرحلة، فالبالغ يقارن في العادة نفسه بغيره من الرفاق، ويحاول أن يكون مثلهم، أو أحسن منهم، ويقارن قدراته بقدرات الآخرين، ويمكن ملاحظة هذه الظاهرة في بعض الألعاب والتحصيل الدراسي وفي الملبس وفي بعض الممتلكات، وللمنافسة أشكال صحيحة وأخرى غير صحيحة، ومن محاسنها أن البالغ بهذا «يدعم ذاته ويثري مفهوم الذات»(٩٤). أي تعزز ذاته وقيمته في نظر الجماعة ، وتجعله أكثر جدية في مجال حياته، ومن أشكال المنافسة غير الصحيحة تلك التي «تقوم أساسا على الأنانية، أو التي يصاحبها الشعور بالخوف والخجل، أو الشعور بالإثم والعدوان أو التي تنتهي بالعداء وحب الانتقام»(٩٥). ومثل هذه المنافسة تؤدي إلى المعاناة والتوتر والضياع. وهناك العديد من العوامل تدفع بالبالغ إلى المنافسة، منها الأسرة والمدرسة والمجتمع.

وأول مايبدأ البالغ بالمسايرة أي يبدأ التطابق مع النماذج السلوكية التي يجدها البالغ في أسرته ومدرسيه ورفاقه، ومع النمو يحاول البالغ أن يستقل بذاته ويبرز كيانه، وبالتالي تشترك المسايرة مع التنافس ذلك أن البالغ «يحكم على سلوكه في كل منهما حسب المعايير السلوكية التي تحددها الجماعة»(٩٦).

(هـ) التمركز حول الذات :

مما يشغل بال البالغ هو مظهره الخارجي، وسلوكه، فهو يتصور أنه محطّ أنظار الآخرين في جميع حركاته وسكناته، ويبدو ذلك واضحا في اهتمام البالغ

بملابسه، كما يهتم بالألوان اللافته للنظر، والإناقة والنظافة ، واختيار الأنواع الجيدة الجميلة من الملبوسات، ويميل إلى لبس الأشياء الحديثة، وقد تتأثر انفعالات بالملاحظات –ولو كانت غير مقصودة– والتي يسمعها من أفراد مجتمعه حيال مظهره الخارجي، أو تعامله مع الآخرين، أي أن البالغ يكون حسّاسا بشدة لفكرة الآخرين عنه، وتصل الحساسية نحو الذات عند البالغ إلى «الحد الذي يتوهم معه باستمرار وكأن هناك شخصاً يشاهده في حركاته وفي سكناته، وفي مظهره وفي كلامه، وفي تصرفه ، سواء كان وحده أو وسط جماعة»(٩٧).

وهذه الظاهرة لها بعض المحاسن إذا كانت معتدلة، فهي تجعل البالغ يراجع نفسه في كل تصرف يعمله قبل أن يقدم عليه، وفي كل مظهر قبل أن يواجه المجتمع، أي أنها تسهم في إعداد الضمير عند البالغ. ولكنها إذا وصلت إلى درجة المبالغة فإنها قد تؤثر أثراً سيئاً على البالغ، وتوقعه في أزمات انفعالية عنيفة، فقد يصرف الوقت الكثير في تصفيف شعره، أو إصلاح هندامه، ثم ينفعل ويثور ويغضب عندما يقابل بالنقد ممن حوله، وتشتد هذه الظاهرة عند الإناث أكثر منها عند الذكور.

وقد يرى البالغ أن مايعانيه أو ما مرّ به من خبرات لم يحدث لأحد غيره، وأنه المتميز أو الذي ينفرد بهذا النوع وحده، لدرجة أن بعض البالغين يرددون هذه العبارات «لايوجد من يفهمني» أو «لا أحد يفهمني» وهذا التمركز حول الذات «لايلبث حتى يذوي في حوالي الخامسة عشرة أو السادسة عشرة، حيث يبدأ المراهق في إدراك ذاته والآخرين على أساس أكثر واقعية، ويتعامل معهم تبعا لذلك»(٩٨).

(و) اختيار المهنة :

تتصف هذه المرحلة بتحديد مايريد أن يكون عليه البالغ مستقبلا من حيث المهنة، وخاصة في السنوات الأخيرة من هذه المرحلة سواء أكان البالغ ذكرا أم أنثى فيبدأ البالغون «في تحديد اهتماماتهم المهنية بوضوح بين سن الرابعة عشرة

والثامنة عشرة»(٩٩). وفي الغالب يكون تحديد المهنة في البداية مثاليا، ثم يتدّرج به الحال إلى الواقعية مع تقدم السن.

ويختلف تحديد المهنة عند البنين عمّا هو عليه عند البنات، فإن البنين يميلون إلى الاختيار على أساس نوع العمل أو نوع المهنة، أما البنات فلا يعد نوع المهنة هو الأساس في الاختيار، وإنما ماتؤديه تلك المهنة من خدمة بالنسبة للآخرين.

ويعد اختيار المهنة من المشكلات التي تواجه البالغ، لإن بلوغ الفرد هذه المرحلة، أو هذه السن لايعني أنه يستطيع أن يتغلب على معظم مشاكل اختيار المهنة، أو أن حلّ تلك المشكلة قد أصبح في متناول يده، ، لأن هناك العديد من المتغيرات تؤثر في عملية اختيار أو تحديد المهنة منها «الضغوط العائلية أو المنافسة، أو الوضع الاقتصادي والاجتماعي. أو تردد المراهق نفسه أو غير ذلك من العوامل»(١٠٠).

(د) الجانب الإيماني (العقائدي) :

ويزداد النمو الإيماني عند البالغ بازدياد معدلات النمو العقلي والأخلاقي والاجتماعي والوجداني، فيزداد فهم البالغ لمعتقداته، ويزداد فهم البالغ عن صفات الله، وعن الكون، وعن الحياة، وعن الملائكة، وعن الموت، وعن الجنة والنار.

فالبالغ يستطيع أن يدرك صفات الله المجردة، وهي تتلون في جميع الأحوال بمشاعره، وتترتب بحسب دوافعه: «فالله رحيم عندما يكون المراهق في موقف يتطلب رحمته، منتقماً من الظالمين عندما يتمنى أن ينتصف له من شخص عجز عن أن يغلبه، وهو جميل إن كان من ذوي الحس الرقيق الذين يفتنهم جمال الطبيعة واتساق مظاهرها، وتتأكد صفة ما في هذه اللحظة أو تلك، وتختفي أو تتراجع لتحل محلها صفة أخرى في لحظة ثانية»(١٠١)، فالشعور بصفات الله يختلف باختلاف الأوقات والحوادث.

وفي هذه المرحلة يحاول البالغ تجريد ذات الله، بدلا من صفات التشبيه والتجسيم، فالبالغ كما يقرر أحد الباحثين: «يتصور الله -أو يحاول ذلك جاهدا-

تصورا معنويا، ويشغل باله بصفاته وأفعاله أكثر من انشغاله بشكله وصورته، إن البالغ السوي يتخلى عن تصوره الطفلي لله كائنا ضخما »(١٠٢).

وفي هذه المرحلة يحدث ازدواج الشعور عند بعض البالغين؛ أي أن بعضهم يصرحون بأن شعورهم نحو الله هو شعور حب وإجلال وخوف ورهبة في حين يكون شعورهم على العكس من ذلك؛ فهم يظهرون الحب ويكبتون البغض، مثال ذلك: «حين يرضى البالغ، ينسب الخيرات والنعم إلى الله صراحة، وحين يغضب، لايسعه -وهو المؤمن بالله - أن يجابه الله بذلك الغضب، فيحوله إلى القدر أو الزمن أو المصير دون أن ينسى أن الله هو الحاكم الذي لاشريك له في تصريف شؤون الكون. وهكذا نجد صورتين لله، إحداهما صورة حلوة تولدت عن جانب الحب في الشعور الديني، والأخرى صورة مخيفة تولدت عن جانب البغض المكبوت »(١٠٣).

وهذا التناقض والازدواجية في الشعور يفسر لنا ظاهرة شائعة لدى البالغين وهي تذبذب الشعور الديني لديهم، فإيمان البالغ لايكون بدرجة واحدة في جميع الأوقات، وقد كشفت بعض الدراسات بعضا من أقوال البالغين.

يقول بالغ في سن الثامنة عشرة:

«صلتي بالله لاتكون قويّة إلا إذا وقعت في مأزق، أو ارتكبت إثما فأخشى من الله العقاب، وكذلك أعاهده بيني وبين نفسي أن لا أرتكبه مرة ثانية وقلما نفذت ذلك العهد »(١٠٤).

ويقول آخر في سن الثامنة عشرة :

« أخاف الله وأخشاه وأحبه، ولكن حينما تقع بي نازلة، أو تدهمني نائبة من نوائب الدهر، فإن قلبي يمتلئ حفيظة نحو القدر، ولا أظن أن ذلك القدر الذي يتهمه الناس واتهمه أنا سوى الله »(١٠٥).

ويقول ثالث في سن الخامسة عشرة:

«لم يكن إيماني بالله بقوة واحدة في جميع الظروف، فمثلا عندما أكون مع جماعة من إخواني في لعب أومزاح، يكون التفكير قليلا، وإذا حان وقت الامتحان،

يكون افكاري للّه أكثر، وكذلك إذا كنت سائرا في طريق مظلم مخيف، يكون الإيمان باللّه أكثر لكي أنجو من هذا الخوف »(١٠٦).

وقد تنتاب البالغ بعض الشكوك في الاتجاهات الدينية، والتي كان يتقبلها في أسرته ومجتمعه، وتظهر هذه الصفة عادة في أوائل البلوغ «وخاصة فيما بين الثالثة عشرة والرابعة عشرة من عمره، وذلك عندما يعجز عن إدراك الفلسفة الدينية العميقة، فيقف بقلبه وعقله في تيه لانهائية الدينية، ويقعد به عجزه عن فهم الأبدية، ويحاول أن يخضع هذه الملكوت لفكرته عن الزمن الموضوعي والذاتي، ثم يتخفف بعد ذلك من هذا الشك في أواخر مراهقته»(١٠٧)، ومع ارتفاع المستوى العقلي يصبح تفكير البالغ أكثر موضوعية، ويصبح قادرا على النظر الفلسفي في الكون، ويقوده تفكيره في الغالب عن الكون وعن نظامه الدقيق إلى أن هناك قوة عليا مسئولة عن تدبير الكون وهو اللهّ سبحانه.

كما ينمو لدى البالغ الإحساس بالجمال الكوني، وماينطوي عليه من تناسق وهذا يقوده إلى التأمل في الجمال الإلهي، كما يقرره أحد الباحثين ويقول: «إن كثيرا من المراهقين -وخاصة في النصف الثاني من المراهقة حيث إن المراهق عاشق للطبيعة مغرق في الرومانسية- ينتقلون من إدراك الجمال الطبيعي إلى التأمل في الجمال الإلهي. وطبيعي أن يتسم الإيمان لدى الفنان، أو لدى العالم الذي يبصر الجمال الكوني بالرضى والدعة، وأن يكون شعوره نحو اللّه شعوره نحو «فنان مبدع» أو «مهندس كوني» يضمر له الإعجاب، ويدين له بالخضوع دون أن يغفل عن الواسطة، أعني الإنتاج الذي أنتجه»(١٠٨).

وفي مرحلة البلوغ ينصب تفكير البالغ على الموت ذاته، ويصبح بوسعه أن يتأمل الموت من حيث هو مصير للناس جميعا؛ أي أن تفكيره في الموت يعمق ويتسع، يقول أحد الباحثين في هذا الصدد إن البالغ يرى الموت «ظاهرة عامة طبيعية تصيب الناس جميعا بما فيهم ذاته هو. بل إن المراهق لايقنع بتعميم الموت بحيث ينطبق على الناس جميعا، وإنما يمضي في التعميم حتى يشمل الكائنات جميعا»(١٠٩).

ويبدأ البالغ يستعد لما بعد الموت، ويرى أن الموت إما راحة أو شقاء.

يقول بالغ في سن السابعة عشرة :

«الموت خير لمن عمل صالحاً، لأنه سوف يلقى ربه الذى سيدخله جنّات النعيم، وشر لمن عمل شراً، لأنه سوف ينال من العذاب قسطاً كبيراً»(١١٠).

بل إن بعض البالغين يرون أن الموت هو السبيل الوحيد للخلاص من متاعب الدنيا، ويحدث ذلك عندما يبدأ البالغ يفكر في مواجهة الحياة ويقدر تبعات المستقبل، وكثيرا مايعرب بعض البالغين صراحة عن تلك الرغبة.

يقول بالغ :

«إنني دائم التفكير في الموت واتمنى لو أموت وأنا صغير قبل أن اتحمل متاعب الدنيا وهمومها»(١١١).

وبعض البالغين في هذه المرحلة يبقون على تصوراتهم الحسّية لنعيم الجنّة وعذاب النار، فيرون أن الجنّة مثلا هي الخلاص من المتاعب النفسية، يقول أحد البالغين: «الجنّة خالية من المتاعب والاضطرابات والحروب ولايوجد الإسلام»(١١٢)، والبعض يتكون لديهم التصورات المعنوية لنعيم الجنّة وعذاب النار؛ أي أن البالغين يتراوحون بين التصورات الحسيّة للجنّة والنار وبين التصورات الناضجة. ومن أمثلة ذلك يقول أحد البالغين في تخيله للنار: «يخيل إليّ أن الأشرار والخاطئين يشعرون في داخلهم بنار تشتعل»(١١٣). وبهذا يستطيع البالغ أن يربط بين فكرة الجنّة أو النار وبين فكرة الثواب والعقاب. وهذا مانلمحه في قول أحد البالغين والذي سبق ذكره عندما قال: «الموت خير لمن عمل صالحا، لأنه سوف يلقى ربه الذى سيدخله جنّات النعيم، وشرّ لمن عمل شرا ، لأنه سوف ينال من العذاب قسطا كبيرا».

أما نظرة البالغ إلى الملائكة والشياطين، فهي تختلف عما كانت عليه في المرحلة السابقة، وبمقدوره أن يتحرر من تجسيم وتشبيه مايمكن تصوره تصوراً معنوياً مجرداً؛ أي أن الفرد في مرحلة ماقبل البلوغ يصف الملائكة والشياطين

كائنات ذات وجود خارجي محسوس، أما في مرحلة البلوغ فيختلف ذلك التصور إلى تصور معنوي، فيحس بالصلة الوثيقة بين الشياطين ونوازع الشر في نفسه، وبين الملاك ونوازع الخير والقيم والجمال في نفسه.

يقول بالغ في السادسة عشرة من عمره :

« ذلك (الشيطان) هو الاسم الذي يتردد كثيرا في آيات الله عز وجل فيذكرنا به، يذكرنا بألد أعداء الإنسانية .. وليس لي إلا أن أتساءل: ماهو الشيطان؟ وعلى أي صورة يكون؟ .. هل الشيطان الذي ذكره لنا سبحانه وتعالى في القرآن الكريم شيء يلمس؟ لا؛ أو شيء يرى؟ ذلك محال. فماذا يكون؟.. لكل كائن حي راق (الإنسان) إحساس ذاتي، فإذا مافعل خيرا أحس بارتياح في نفسه واطمئنان بإله، فيشعر بالذى يدفعه إلى فعل الخير حتى لايخامر نفسه اضطراب أو قلق، فذلك الإحساس هو ما أطلقنا عليه اسم الضمير. نعم، نحس بشيء يدفعنا إلى الخير نفعله، ولكن سرعان مانجد إحساسا طبيعيا، آخر يتناقض مع ذلك الإحساس، فيتنازع التأثير على نفسية الشخص. فإن كانت إرادة الإنسان ضعيفة أثر عليها الأخير، وإن كانت ثابتة قوية فالعمل الحسن خير دليل. أطلقنا اسماً على الإحساس الأول، أفلا نتخذ للإحساس الآخر، الدافع إلى الشر، اسم «الشيطان»؟ فإذن كان الشيطان إحساسا مناقضا للضمير، لايحدّث النفس إلا بالإثم والجرائم، فيقذف بصاحبها إلى ارتكاب الشر، وبئس مايقترف »(١١٤).

(هـ) الجانب الروحي :

ويزداد النمو الروحي عند البالغ بازدياد معدلات النمو العقلي وارتقاء الحس الأخلاقي، فيزداد فهم البالغ للعبادات والحكمة من تأديتها، ويتضح له إدراك معاني المجردات مثل الذنب والتوبة، والفضيلة والرذيلة، ولم يعد يقتنع في هذه المرحلة بما كان يقتنع به في السابق من إجابات عابرة تقال له عن القيم، ويزداد نقده، يقول أحد الباحثين: «ويصل هذا النقد إلى ذروته في المراهقة »(١١٥).

وفي هذه المرحلة يشعر البالغ أنه مفتقر إلى قوة غيبية تخفف عنه بعضا من شدائده في حياته، وإحساسه بالذنب، فلايجد سبيلا أمامه يملأ فراغه النفسي، وقلقه الانفعالي سوى التعبد.

والبالغ في هذه المرحلة شديد الشعور بالذنب ويشعر بالأسى والندم على ارتكاب الخطيئة. يقول أحد البالغين في السنة السابعة عشرة من العمر، عندما وقع في خطيئة ولأول مرّة في حياته مع أمرأة أغوته، يقول: «ماكدت انتهي من فعلتي حتى هربت من تلك الحجرة يملؤني اشمئزاز لايوصف. كان يخيّل إليّ أن يدي وفمي وكل جسمي قد تدنست بأدران لاتغسلها أية مياه. وأول فكرة طرأت عليّ كانت أن أذهب واعترف بخطيئتي واتوسل إلى اللّه الذي كنت لم أزل أعتقد به، أن يهبني القوة من لدنه لكي لا أكرر فعلتي»(١١٦). فبعض البالغين يواظبون على العبادات، وتنتابهم حماسة في التعبد والصلاة، وقد يندفعون نحو التدين بتطرف، وهذا أول مظاهر اليقظة الدينيه، فالبالغ ينظر إلى العبادات نظرة جديدة، فهو يحاول التحرر من بعض البدع والخرافات التي تشوب دينه، والثورة على بعض التقاليد غير الصحيحة. يقول أحد الباحثين عن مثل هذا البالغ المتحمس لدينه: «وطالما المراهق المتحمس بصدد عملية تطوير للدين، فهو قد يجور على كثير من التفاصيل التي كان يراعيها فيما مضى، وبذلك لايكون موقفه قاصرا على التجديد الديني، بل يتضمن قدرا من التمرد على الدين التقليدي وعلى من يمثله من الناس. ومن هنا كان الهجوم يشنه على رجال الدين لجمودهم أو نفاقهم، وكان النقد اللاذع والسخرية بهم، وكان الجدال معهم، ومع المدرسين والأقران المتزمتين في مختلف مشاكل الدين»(١١٧).

وقد يصاحب هذا الحماس شخصية انبساطية وبالتالي تدفع بالبالغ إلى عمل الخير ومساعدة الآخرين، والعمل في الجمعيات الخيريّة، والتحلي بالمثالية. وهذه الحماسة الدينية الإيجابي له نتائجه الفعّالة على روح البالغ «فهو ضرب من الاهتداء الديني. وعلى الرغم من أنه ليس تحولا عن دين إلى دين آخر، أو عن النزعة

اللادينية إلى النزعة الدينية، فهو اهتداء إلى الدين نفسه في ضوء جديد لم يكن يغمره من قبل»(١١٨).

ولكن قد تتخذ الحماسة الدينية صورة مغايرة يكون لها آثارها السلبية على حياة البالغ، فقد يكتفي البالغ بإيمانه وحده، ويرضى بحياة دينية منعزلة عن الناس، ويجد في ذلك الأمن والدفء والسعادة في ارتباطه بالله، وينصرف عن الدنيا، وعن الخوض في علاقات ومغامرات اجتماعية وهذا الأمر قد يقود البالغ إلى التصوف الزائف.

وقد تكون الحماسة الدينية لدى بعض البالغين حماسة خرافية؛ أي قد يكون البالغ ذا نزعة وسواسية، فيتطير من بعض الأفعال والرموز التي تنذر بسوء الطالع، وقد يستخدم العبادات وسيلة لاسترضاء الله، وضمان التوفيق في مسعاه، يقول أحد الباحثين: «إن شخصية -هذا شأنها- بعقليتها الخرافيه تلك، يناسبها الدين لا من حيث هو عقائد وأفكار معينة، بل من حيث الحواشي الخرافيه والبدع.. مثل ذلك المراهق يجد راحة نفسية كبرى في الركون إلى الدين، ويحتفى حفاوة بالغة بما نسج حوله من خرافات ترضي مطالب عقليته البدائية»(١١٩).

إن تفهم الأسرة خصائص مرحلة البلوغ وما يصاحبه من نمو وتغير في كافة جوانب شخصية البالغ لهو خير معين للإسرة للقيام بدورها التربوي الذي عمد الباحث إلى إيضاحه في الفصول اللاحقة .

مراجع الفصل الثالث :

(١) د. مقداد يالجن وآخرون. علم النفس التربوي في الإسلام. الرياض، دار المريخ، ١٤٠١هـ، ص٨٧.

(٢) د. فؤاد البهي السيد . الأسس النفسية للنمو. ط٤، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٥م، ص٨٢.

(٣) د. عبد الحميد محمد الهاشمي. علم النفس التكويني. ط ٤ ، جدة، دار المجمع العلمي، ١٤٠٠هـ، ص١٩١.

(٤) د. فؤاد البهي السيد . الأسس النفسية للنمو . مرجع سابق، ص ٢٥٦.

(٥) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٢هـ ، ج١ ، ص٤٥٢.

(٦) البخاري. صحيح البخاري . تركيا ، استنبول ، المكتبة الإسلامية، ١٩٨١م، كتاب الشهادات، ج ٢، ص١٥٨-١٥٩.

(٧) السيد سابق. فقة السنّة . بيروت، دارالكتاب العربي، ١٣٨٩هـ ، ج ٣ ، ص ٥٧٧.

(٨) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. مرجع سابق، ص ٤٥٣.

(٩) د. فؤاد البهي السيد. الأسس النفسية للنمو . مرجع سابق ، ص ٢٥٥.

(١٠) د. حامد عبد السلام زهران. علم نفس النمو .ط١، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٧م ، ص ٢٩٨.

(١١) المرجع السابق، ص ٣٠٥.

(١٢) د. محمد عماد الدين اسماعيل. النمو في مرحلة المراهقة. الكويت، دار القلم، ١٤٠٢هـ ، ص ٤١.

(١٣) د. فؤاد البهي السيد . الأسس النفسية للنمو . مرجع سابق، ص ٢٥٥.

(١٤) رونيه أوبير . التربية العامة . (ترجمة عبدالله عبدالدائم) ، ط٥ ، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٢م، ص ١٨١.

(١٥) د. حامد عبد السلام زهران. علم نفس النمو . مرجع سابق ، ص ٢٨٩.

(١٦) د. فؤاد البهي السيد .الأسس النفسية للنمو . مرجع سابق ، ص ٢٥٤-٢٥٧

(١٧) د. حامد عبد السلام زهران. علم نفس النمو . المرجع السابق ، ص ٢٨٧-٤٠٦

(١٨) د. عبد الحميد الزنتاني. أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية. ليبيا. الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤م، ص٥٣.

(١٩) د. عبد الحميد محمد الهاشمي. علم النفس التكويني. مرجع سابق ، ص ١٩٠-١٩١.

(٢٠) جلال الدين السيوطي . صحيح الجامع الصغير وزيادته. (تحقيق محمد ناصر الدين الألباني)، ط٢، بيروت، المكتب الإسلامي، رقم الحديث (٣٥٠٨)، ج٣، ص ١٧٩.

(٢١) المرجع السابق ، رقم الحديث (٣٥٠٦)، ج٣، ص ١٧٩.

(٢٢) محمد بن علي الشوكاني . فتح القدير. بيروت، دار المعرفة ، دون تاريخ، ج٣، ص ٤٣٧.

(٢٣) د. عبد الحميد الهاشمي . علم النفس التكويني . مرجع سابق ، ص ١٩٠.

(٢٤) د. فؤاد البهي السيد . الأسس النفسية للنمو . مرجع سابق ، ص ٢٦٣.

(٢٥) د. عبد الحميد الهاشمي. علم النفس التكويني. مرجع سابق ، ص ١٩٣.

(٢٦) د. فؤاد البهي السيد. الأسس النفسية للنمو ، مرجع سابق ، ص ٢٦٥.

(٢٧) المرجع السابق، ص ٢٦٢.

(٢٨) د. عبد الحميد الهاشمي. علم النفس التكويني. مرجع سابق ، ص ١٩٢.

(٢٩) د. فؤاد البهي السيد. الأسس النفسية للنمو . مرجع سابق . ص ٤٨.

(٣٠) المرجع السابق . ص ٤٩.

(٣١) د. عبد العزيز القوصي . أسس الصحة النفسية . ط٨، الكويت، دار القلم، ١٩٧٠م، ص ٥٢.

(٣٢) المرجع السابق ، ص ٥٢.

(٣٣) د. فؤاد البهي السيد . الأسس النفسية للنمو . مرجع سابق ، ص ٥٠.

(٣٤) د. عبد العزيز القوصي . أسس الصحة النفسية، مرجع سابق ، ص ٥٣.

(٣٥) د. فؤاد البهي السيد . الأسس النفسية للنمو . مرجع سابق ، ص ٥٤.

(٣٦) المرجع السابق ، ص ٥٥.

(٣٧) د. حامد عبد السلام زهران. علم نفس النمو . مرجع سابق ، ص ٢٢٨.

(٣٨) المرجع السابق ، ص ٢٢٩.

(٣٩) المرجع السابق ، ص ٢٣٠.

(٤٠) المرجع السابق ، ص ٢٥٩.

(٤١) د.عبد الحميد محمد الهاشمي. علم النفس التكويني. مرجع سابق، ص ٢١٨.

(٤٢) د. حامد عبد السلام زهران. علم نفس النمو . مرجع سابق ، ص ٢٢١.

(٤٣) المرجع السابق ، ص ٣٣٢.

(٤٤) المرجع السابق ، ص ٢٣٤.

(٤٥) المرجع السابق ، ص ٣١١.

(٤٦) فؤاد البهي السيد . الأسس النفسية للنمو ، مرجع سابق، ص٢٧٤.

(٤٧) د. حامد عبدالسلام زهران . علم نفس النمو ، مرجع سابق، ص٣١٥.

(٤٨) د. فؤاد البهي السيد . الأسس النفسية للنمو ، مرجع سابق، ص٢٧٣.

(٤٩) د. رجاء محمود أبو علام . علم النفس التربوي ، ط٣، الكويت، دار القلم، ١٤٠٤هـ .

(٥٠) د. السيد محمد خيري وآخرون. علم النفس التربوي، ط١، الرياض، مطبوعات جامعة الرياض، ١٣٩٥هـ،ص١١٣.

(٥١) د. رجاء محمود أبوعلام. علم النفس التربوي . مرجع سابق، ص ١٧٦.

(٥٢) د. فؤاد البهي السيد. الأسس النفسية للنمو . مرجع سابق، ص ٢٧٥.

(٥٣) د. عبد الحميد محمد الهاشمي. علم النفس التكويني. مرجع سابق ، ص ٢٠٢.

(٥٤) د. فؤاد البهي السيد. الأسس النفسية للنمو . مرجع سابق ، ص ٢٧٥.

(٥٥) د. محمد عماد الدين اسماعيل وآخرون. في ذكرى بياجية. الكويت، جامعة الكويت، دون تاريخ، ص٩٧.

(٥٦) د.عبد الحميد محمد الهاشمي. علم النفس التكويني. مرجع سابق، ص ٢٠٣.

(٥٧) د. فؤاد البهي السيد . الأسس النفسية للنمو . مرجع سابق، ص ٢٦٨.

(٥٨)،(٥٩) د. عبد الحميد محمد الهاشمي. علم النفس التكويني . مرجع سابق ، ص ٢٠٣.

(٦٠) د. مقداد يالجن. جوانب التربية الإسلامية الأساسية. ط١، بيروت، مؤسسة دار الريحاني للطباعة، ١٤٠٦هـ، ص٨٧.

(٦١) د. السيد محمد خيري وآخرون. علم النفس التربوي. مرجع سابق، ص ٥٢-٥٣.

(٦٢) د. فؤاد البهي السيد. الأسس النفسية للنمو. مرجع سابق، ص ٢٦٨.

(٦٣) د. عبد الحميد محمد الهاشمي. علم النفس التكويني. مرجع سابق، ص ٢٠٧.

(٦٤) د. فؤاد البهي السيد . الأسس النفسية للنمو . مرجع سابق ، ص ٢٧٧.

(٦٥) د. محمد عماد الدين اسماعيل. النمو في مرحلة المراهقة . مرجع سابق ، ص٦٢.

(٦٦) المرجع السابق، ص٦٥.

(٦٧) د. فؤاد البهي السيد . الأسس النفسية للنمو . مرجع سابق ، ص ٢٦٧.

(٦٨) المرجع السابق ، ص ٢٧٨.

(٦٩) المرجع السابق ، ص ٢٨١.

(٧٠) المرجع السابق ، ص ٢٨٠.

(٧١) المرجع السابق . ص٢٨٢.

(٧٢) د. عبد الحميد محمد الهاشمي. علم النفس التكويني. مرجع سابق، ص ٢١٧.

(٧٣) د. محمد عماد الدين اسماعيل. النمو في مرحلة المراهقة . مرجع سابق، ص ١٧١.

(٧٤) د. فؤاد البهي السيد . الأسس النفسية للنمو . مرجع سابق، ص ٢٣٠.

(٧٥) د. حامد عبد السلام زهران . علم نفس النمو . مرجع سابق ، ص ٣٥١.

(٧٦) د. عبد الحميد محمد الهاشمي،.علم النفس التكويني. مرجع سابق، ص ١٩٣.

(٧٧) د. حامد عبد السلام زهران . علم نفس النمو . مرجع سابق ، ص ٣٤٨

(٧٨)، (٧٩) د. محمد عماد الدين اسماعيل . النمو في مرحلة المراهقة . مرجع سابق، ص ١٢٧.

(٨٠) د. فؤاد البهي السيد. الأسس النفسية للنمو. مرجع سابق، ص ٢٩٠.

(٨١) د. عبد الحميد الهاشمي . علم النفس التكويني ، مرجع سابق، ص ١٩٧.

(٨٢) د. عبد الحميد الهاشمي. المرجع السابق ، ص ١٩٥.

(٨٣) د. حامد عبد السلام زهران. علم نفس النمو . مرجع سابق، ص ٣٢٠.

(٨٤) د. محمد عماد الدين إسماعيل. النمو في مرحلة المراهقة . مرجع سابق، ص ١٢٣.

(٨٥) د. فؤاد البهي السيد . الأسس النفسية للنمو . مرجع سابق ، ص ٣١٧.

(٨٦) د. محمد عماد الدين إسماعيل. النمو في مرحلة المراهقة. مرجع سابق، ص ٧٨.

(٨٧) المرجع السابق ، ص ٧٧.

(٨٨) د. عبد الحميد محمد الهاشمي. علم النفس التكويني. مرجع سابق، ص ١٦٩.

(٨٩) د. محمد عماد الدين اسماعيل. النمو في مرحلة المراهقة . مرجع سابق، ص ٨٥.

(٩٠) ، (٩١) المرجع السابق ، ص ٨٧.

(٩٢) د. حامد عبد السلام زهران. علم نفس النمو . مرجع سابق ، ص ٣٢٥.

(٩٣) المرجع السابق ، ص ٢٤٧.

(٩٤) المرجع السابق ، ص ٣٢٤.

(٩٥)، (٩٦) المرجع السابق ، ص ٣٢٥.

(٩٧) د.محمد عماد الدين اسماعيل. النمو في مرحلة المراهقة . مرجع سابق، ص ١٢٠.

(٩٨) المرجع السابق ، ص ١٢٣.

(٩٩) المرجع السابق ، ص ١٠٢.

(١٠٠) المرجع السابق ، ص ١٠٤.

(١٠١) د. عبد المنعم عبد العزيز المليجي. تطور الشعور الديني عند الطفل والمراهق. القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٥٥، ص ٢١٩.

(١٠٢) المرجع السابق ، ص ٢٢١.

(١٠٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٢.

(١٠٤)، (١٠٥) ، (١٠٦) المرجع السابق ، ص ٢٢٤.

(١٠٧) د. فؤاد البهي السيد . مرجع سابق، ص ٣٢٨.

(١٠٨) د. عبد المنعم عبد العزيز المليجي. تطور الشعور الديني عند الطفل والمراهق. مرجع سابق ، ص٢٣٤.

(١٠٩) المرجع السابق، ص ٢٣٨-٢٣٩.

(١١٠) المرجع السابق ، ص ٢٤٣.

(١١١) المرجع السابق ، ص ٢٤٦.

(١١٢)، (١١٣) المرجع السابق ، ص٢٢٩.

(١١٤) المرجع السابق ، ص٢٣١.

(١١٥) د. فؤاد البهي السيد . الأسس النفسية للنمو . مرجع سابق ، ص ٢٤٨.

(١١٦) د.عبد المنعم عبد العزيز المليجي. تطور الشعور الديني عند الطفل والمراهق. مرجعسابق،ص٢٢٧.

(١١٧) المرجع السابق، ص ٢٧١.

(١١٨) المرجع السابق ، ص ٢٧٤.

(١١٩) المرجع السابق، ص ٢٧٥.

الفصل الرابع
دور الأسرة المسلمة في التربية الإيمانية

أولاً : مفهوم الإيمان والعقيدة وما يتعلق بهما

ثانياً : مفهوم التربية الإيمانية وأهميتها

ثالثاً : أهم الوظائف التي يجب أن تقوم بها الأسرة في التربية الإيمانية

رابعاً : الأساليب والوسائل التي تساعد الأسرة على تحقيق وظائفها في التربية الإيمانية ·

أولا - مفهوم الإيمان والعقيدة وما يتعلق بهما :

إن من الأمور المهمة في البحث العلمي تحديد المصطلحات المتعلقة بالموضوع، ومن أهم المصطلحات في هذا المجال مصطلح الإيمان ومصطلح العقيدة، ومقتضى الإيمان أو العقيدة.

١ - مفهوم الإيمان في اللغة والاصطلاح

معنى الإيمان في اللغة هو التصديق ، يقال: آمن بالشيء صدّق، وضده التكذيب، وآمن به صدّقه. والإيمان: الثقة وقبول الشريعة(١).

أما الإيمان في الاصطلاح فله عدة معان، كما في قوله تعالى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾ (البقرة : ١٧٧)، وقد ذكر أحد المفسرين إن أبا ذر عندما سأل رسول الله «ما الإيمان ؟ تلا عليه «ليس البر أن تولوا وجوهكم .. » إلى آخر الآية»(٢) وقد أوضح رسول الله ﷺ معنى الإيمان في حديثه الذي قال فيه: «الإيمان أن تؤمن باللهّ، وملائكته، وبلقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث»(٣) وفي رواية أخرى «الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»(٤)، وفي رواية ثالثة: «الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وتؤمن بالجنة والنار والميزان، وتؤمن بالبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشرّه»(٥)، والإيمان عند السلف: «هو اعتقاد بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالأركان»(٦).

وهناك مصطلحات ذات صلة بالموضوع يحسن توضيحها خشية الاختلاط لدى الآباء والأمهات ولدى البالغين، منها حقيقة الإسلام والإيمان، وفي هذا حديث مطول ولكن اقتصر الباحث حديثه على مفهوم الإسلام وعلاقته بالإيمان، أما مفهوم الإسلام فقد بينه رسول الله في قوله : «الإسلام: أن تعبد الله ولاتشرك به وتقيم الصلاة،

وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان»(٧)، وفي رواية مسلم: «الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا اللهّ، وأن محمدا رسول اللّه، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا»(٨).

فالإسلام يشمل الأعمال الظاهرة من شهادة، وصلاة، وزكاة، وحج، وصوم، وغير ذلك من الأعمال الصالحة. والإيمان يشمل الاعتقادات الباطنة، من الإيمان باللّه، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والخوف منه، والرجاء له، والصبر على أوامره ونواهيه وعلى أقداره، وغير ذلك من أعمال القلب وقد وضحّت الآية الكريمة ذلك، قال تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولم يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ (الحجرات : ١٤)، أي «لم تصلوا إلى حقيقة الإيمان بعد»(٩)، وقد أشار أحد المفسرين إلى أنه يستفاد من هذه الآية الكريمة «أن الإيمان أخص من الإسلام»(١٠)، وقد فسّر رسول اللّه ﷺ «الإيمان» بما فسّر به «الإسلام» في أحد المواطن، فقال: «أتدرون ما الإيمان باللّه وحده، قالوا: اللّه ورسوله أعلم، قال : شهادة أن لا إله إلاّ اللّه، وأن محمدا رسول اللّه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس»(١١)، واسم الإيمان يأتي مقرونا باسم الإسلام في بعض المواطن، كما في قوله تعالى : ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات﴾ (الأحزاب : ٣٥).

كما ورد ذكر الإيمان مع العمل الصالح في بعض المواطن، كما في قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ (البينة : ٧)، كما نجد الحق سبحانه يربط بين الإيمان والعلم، قال تعالى: ﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان﴾(الروم: ٥٦)، كما ربط بين الإيمان والجهاد، قال تعالى: ﴿آمنوا باللّه وجاهدوا﴾ (التوبة : ٨٦)، وكذلك بين الإيمان والزكاة والصدقه، قال تعالى: ﴿آمنوا باللّه ورسوله وأنفقوا﴾ (الحديد : ٧)، وبين الإيمان والأمر بالمعروف، قال تعالى: ﴿يؤمنون باللّه واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف﴾(آل عمران : ١١٤)، وكذلك الشأن عن بقية معظم الطاعات، فكل طاعة تعد من الإيمان. وقد ذكر ابن حبّان: «أنه عدّ كل طاعة عدّها اللّه تعالى في كتابه من

الإيمان، وكل طاعة عدّها رسول اللّه ﷺ من الإيمان، وحذف المكرر فبلغت سبعا وسبعين»(١٢)، وهذا ماذوه إليه رسول اللّه في حديثه الذي قال فيه: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان»(١٣).

وقد لخّص ابن حجر العسقلاني ما أورده علماء المسلمين حول حصر هذه الشعب وقال: «إن هذه الشعب تتفرع من أعمال القلب، وأعمال اللسان، وأعمال البدن.

فأعمال القلب فيه المعتقدات والنيات وتشتمل على أربع وعشرين خصلة: الإيمان باللّه، ويدخل فيه الإيمان بذاته وصفاته وتوحيده بأنه ليس كمثله شيء ، واعتقاد حدوث مادونه. والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، والقدر خيره وشره، والإيمان باليوم الآخر، ويدخل فيه المسألة في القبر، والبعث، والنشور، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة والنار، ومحبة اللّه، والحب والبغض فيه، ومحبة النبي ﷺ واعتقاد تعظيمه، ويدخل فيه الصلاة عليه واتباع سنته، والإخلاص، ويدخل فيه ترك الرياء والنفاق، والتوبة، والخوف، والرجاء، والشكر، والوفاء، والصبر، والرضا بالقضاء، والتوكل، والرحمة، والتواضع، ويدخل فيه توقير الكبير ورحمة الصغير، وترك الكبر والعجب، وترك الحسد، وترك الحقد، وترك الغضب . وأعمال اللسان وتشتمل على سبع خصال: التلفّظ بالتوحيد، وتلاوة القرآن. وتعلم العلم، وتعليمه، والدعاء، والذكر، ويدخل فيه الاستغفار، واجتناب اللغو. وأعمال البدن وتشتمل على ثمان وثلاثين خصلة، منها مايختص بالأعيان وهي خمس عشرة خصلة: التطهير حسا وحكما، ويدخل فيه اجتناب النجاسات، وستر العورة والصلاة فرضا ونفلا، والزكاة كذلك، وفك الرقاب، والجود، ويدخل فيه إطعام الطعام، وإكرام الضيف، والصيام فرضا ونفلا، والحج، والعمرة كذلك، والطواف والاعتكاف، والتماس ليلة القدر، والفرار بالدين، ويدخل فيه الهجرة من دار الشرك، والوفاء بالنذر، والتحري في الأيمان، وأداء الكفارات، ومنها مايتعلق بالاتباع وهي ست خصال: التعفف بالنكاح، والقيام بحقوق العيال، وبر الوالدين، وفيه اجتناب

العقوق، وتربية الأولاد، وصلة الرحم، وطاعة السادة أو الرفق بالعبيد، ومنها مايتعلق بالعامة، وهي سبع عشرة خصلة: القيام بالإمرة مع العدل، ومتابعة الجماعة، وطاعة أولى الأمر، والإصلاح بين الناس، ويدخل فيه قتال الخوارج والبغاة، والمعاونة على البر، ويدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود، والجهاد، ومنه المرابطة، وأداء الأمانة، ومنه أداء الخمس، والقرض مع وفائه ، وإكرام الجار، وحسن المعاملة، وفيه جمع المال من حله، وإنفاق المال في حقه، ومنه ترك التبذير والإسراف، ورد السلام، وتشميت العاطس، وكف الأذى عن الناس، واجتناب اللهو وإماطة الأذى عن الطريق. فهذه تسع وستون خصلة، ويمكن عدها تسعا وسبعين خصلة باعتبار أفراد ماضم بعضه إلى بعض ممانكر»(١٤).

ولكن ينبغي أن تعرف الأسرة الفرق بين أركان الإيمان الستة التي هي شرط لصحة الإيمان، وبين مقتضيات الإيمان من الأعمال السابقة، فالبالغ إذا ترك ركناً من الأركان يخرج من الملّة ويكون كافراً.

أما الأعمال التي كان القرآن الكريم والسنة المطهرّة يربطان بينها وبين الإيمان، فإن تركها لايؤدي إلى الكفر ؛ أي لايكون البالغ كافراً إذا ترك الحياء مثلاً، أو إكرام الضيف، أو تشميت العاطس، أو مساعدة المحتاج. وعلى الأسرة أن تميز بين جانبين أساسيين في الإيمان :

الجانب الأول : الإيمان، أي الإيمان المحدد في القرآن الكريم والسنة المطهرّة وأن التخلي عن جزء منه يؤدي إلى الكفر.

الجانب الثاني: مقتضيات الإيمان، الإيمان يقتضي أداء أوامر اللّه وتجنب نواهيه، ولهذا وردت نصوص من القرآن والأحاديث تربط بين هذه الزاوية وبين الإيمان ومقتضياته، وقد أورد الباحث أمثلة من ذلك. وترك جزء أو بعض مقتضيات الإيمان لايؤدي إلى الكفر. ولكنه يؤدي إلى نقص الإيمان، لأن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، قال تعالى: ﴿ويزداد الذين أمنوا إيمانا﴾(المدثر : ٣١)،

وقال تعالى: ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون. وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم﴾(التوبة : ١٢٤-١٢٥) ومن تلك المصطلحات المتعلقه بالموضوع أيضاً العقيدة.

ب - مفهوم العقيدة لغة واصطلاحا:

مفهوم العقيدة في اللغة؛ «العقد: نقيض الحل، يقال عقدت الحبل، فهو معقود وكذلك العهد، وعقد قلبه على الشيء: لزمه، والخيل معقود في نواصيها الخير: أي ملازم لها كأنه معقود فيها»(١٥). ومعنى الاعتقاد: «هو القبول والاقتناع، وهو التصديق الذي يطمئن له القلب»(١٦)، وقيل معنى العقيدة: «هي الأمور التي يصدق بها قلبك، وتطمئن إليها نفسك، وتكون يقينا عندك، لايمازجه ريب ولايخالطه شك»(١٧).

أما العقيدة في الاصطلاح، فيطلق عليها «اسم الإيمان إذا كانت العقيدة صادقة»(١٨)، وهو «الإيمان المطابق للواقع»(١٩)، وقيل : «هي الإيمان الراسخ بكل ما ورد في صريح القرآن الكريم ، وصحيح الحديث النبوي، بماله صلة بالإركان الثلاثة للعقيدة الإسلامية وهي:

١- الألهيات: وتشمل صفات الله تعالى واسماءه وأفعاله، وآثارها في سلوكنا إزاءه عز وجل، وفي تعاملنا مع الجنس الإنساني.

٢- النبوات : وتشمل صفات الأنبياء، وعصمتهم في تبليغ الرسالة، والإيمان برسالتهم ومعجزاتهم، والإيمان بالكتب السماوية.

٣- السمعيات: وتشمل أمرين :

أ) الروحانيات : وهي ماتبحث في العالم غير المنظور.

ب) الحياة بعد الموت: وهي الحياة البرزخية؛ وهي الحياة بعد الموت، لغاية قيام

الساعة . والحياة الأخرويه؛ من قيامة وعلاماتها، وبعث ونشور وأهواله، وحساب وجزاء(٢٠).

من العرض السابق يتضح أن مفهوم العقيدة في الإصطلاح يأخذ مفهوم الإيمان ولهذا فالباحث لم يفصل بين العقيدة والإيمان خلال معالجة الموضوع.

ج - دافع التدين (النزعة الدينية):

تعد هذه النزعة - نزعة التدين - من النزعات الفطرية التي ظهرت في حياة الإنسان منذ بداية وجوده، ولهذا ستبقى معه مابقيت الإنسانية، وقد قال «هنري برجسون»: «لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات ولكنه لاتوجد قط جماعة بغير ديانة»(٢١).

فالإنسان مفطور على التساؤلات عن الخالق والمخلوق والموت والبعث والبحث عن الحقيقة حول الإنسان وعن العالم وعن سر وجوده وعن الغاية من حياة الإنسان وعن الغاية التي ستنتهي إليها حياته، «فالرغبة الظامئة إلى الاستزادة من المعرفة، وحب الوصول إلى اليقين أمام تساؤل العقل عن المشكلات الكونية الكبرى مع عجز الإنسان عن الوصول إلى حل شاف لهذه المشكلات بدون اللجوء إلى الإيمان والاعتقاد الديني، كل ذلك يدل على أن النفس الإنسانية مفطورة على التدين والخضوع إلى الذات الألهية والتسليم لها بالعلم والقدرة والكمال»(٢٢)، وذلك عن طريق الاستنباطات العقلية الفطرية.

وقد نوه بعض الباحثين إلى أراء الفلاسفة حول نزعة التدين نوجز بعضا منها في النقاط التالية :

١- فـ (وليم مكدوجل) يعد النزعة الدينية من ضمن النزعات الفطرية في الطبيعة الإنسانية.

٢- أما الدكتور (الكسيس كارل) فيثبت جذور التدين الفطري في الجانب الفسيولوجي من الطبيعة الإنسانية ويرجع وجود حاسة التدين إلى إفراز الغدة الدرقية مادة (النيروسكين) في الأوعية الدموية.

٣- أما (وليم جمس) فيثبت وجود فطرة دينية في الطبيعة الإنسانية غير أنه يرى أن ذلك موجود في الكيان النفسي، لكنه يقرر وجود النزعة الدينية في الإنسان من الناحية الشعورية .

٤- «بسكال» الذي قال: «إن من طبيعة الإنسان أن يؤمن فإذا لم تقدم له أهداف صائبة سديدة يركّز حولها إيمانه وحبه تحول إلى عبادة أهداف خاطئة فاسدة» .

٥- (سيرريتشارد لفنجستون» الذي قال: «ولقد جبل الإنسان على أن يهتدي بدين يرى في مبادئه الخلاص والاطمئنان، وإذا هجر الأوربيون الدين اتخذوا إلههم من دون الله أبطالا وأنبياء»(٢٣).

٦- وأخيرا قال (كانت): «إن الدين قانون ثابت في أعماق نفوسنا مستمد استمدادا حقيقيا ممن هو مصدر جميع القوانين وهو الذي يحكم بيننا ويسيطر علينا»(٢٤).

فالنزعة الدينية كما يقول أحد الباحثين هي «قوة أو نزعة في طبيعة الإنسان تدفع الإنسان إلى معرفة الخالق للالتجاء إليه من كل شر بتقديسه وعبادته، ويجد في ذلك طمأنينة نفسية وانشراحا في الصدر وكأنه قضى حاجة في نفسه»(٢٥).

وهناك بعض النصوص الدينية التي تقر دافع التدين عند الإنسان، منها قوله تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾(الروم : ٣)، وقال تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾ (الأعراف : ١٧٢)، وقال رسول الله ﷺ : «مامن مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»(٢٦).

وقد سئل ابن تيمية عن معنى قوله ﷺ : «كل مولود يولد على الفطرة، فأجاب بقوله: «إنها فطرة الله التي فطر النّاس عليها، وهي فطرة الإسلام، وهي الفطرة التي فطرهم عليها يوم قال: «ألست بربكم؟ قالوا بلى». وهي السلامة من الاعتقادات الباطلة ، والقبول للعقائد الصحيحة»(٢٧). وقد يسأل سائل ويقول إذا كان المولود يولد على فطرة الإسلام فلماذا ينحرف البعض عن الإسلام في كبره؟ والإجابة على ذلك ما أورده ابن تيمية في موطن آخر، وقال: «ولايلزم من كونهم مولودين على الفطرة أن يكونوا حين الولادة معتقدين للإسلام بالفعل، فإن الله أخرجنا من بطون أمهاتنا لانعلم شيئا، ولكن سلامة القلب وقبوله وإرادته للحق: الذي هو الإسلام، بحيث لو ترك من غير مغير، لما كان إلا مسلما»(٢٨)؛ أي أن المولود مفطور على الفطرة السوّية، والتي شبهها ابن تيمية وقال: «ومثل الفطرة مع الحق: مثل ضوء العين مع الشمس، وكل ذي عين لو ترك بغير حجاب لرأى الشمس، والاعتقادات الباطلة العارضة من تهود وتنصر وتمجس: مثل حجاب يحول بين البصر ورؤية الشمس»(٢٩).

من العرض السابق يتضح أنه ليس معنى فطرية التدين أن العقيدة الدينية وأحكام الدين مغروزة في الطبيعة الإنسانية، فهذا يتعارض مع ما أشار إليه ابن تيمية، وما استنتجه من قوله تعالى: ﴿واللّه أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا﴾(النحل : ٧٨). ثم إن الدين لو كان مغروزا في الإنسان لما أمكن تحويله إلى أديان، أو تبديله بدين آخر والرسول بيّن أن أبوي المولود يجعلانه يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا. ولكن معنى فطرية التدين هو وجود استعداد وقابلية وميل إلى البحث عن الخالق، لكي يعتقد ويعمل بموجب العقيدة والتدين، وبه يتميز الإنسان عن الحيوان الذي يفتقد هذه القابلية وهذه المعرفة، وهذا الميل، والاستعداد يعبّر عن حاجة أساسية من حاجات الإنسان، لاتتم سعادته بدون تحقيقها، كما أنه لاينمو بمفرده دون مساعدة وتوجيه خارجي، فهو بحاجة إلى توجيه وتنمية وحماية دينية.

ثانيا - مفهوم التربية الإيمانية وأهميتها :

أ- مفهوم التربية الإيمانية للبالغين :

من مفهوم التربية الإسلامية الذي توصل إليها الباحث في فصل سابق، يمكن استنباط التربية الإيمانية بأنها: «تنمية الجانب الإيماني (العقدي) عند البالغ بكل الوسائل والأساليب التربوية، وتشمل كل الجهود والخدمات والتوجيهات التي تقوم بها الأسرة في تنمية الاستعدادات الدينية عند أولادها البالغين، وغرس الإيمان القوي في نفوسهم، وتزويدهم بالمعارف والقيم الدينية التي تربط بين العقيدة والسلوكيات الإسلامية وتوجيه سلوكهم وفق تعاليم دينهم، ووقايتهم من أسباب الكفر والإلحاد والانحراف العقدي، ومساعدة البالغين الذين دخلت في نفوسهم الشكوك والزيغ بإزالة ماعندهم وإعادتهم إلى الصراط المستقيم».

ب - أهمية التربية الإيمانية :

سبق أن ذكر الباحث أن النزعة الدينية لاتنمو بمفردها دون مساعدة وتوجيه خارجي، إضافة إلى أنها قابلة للضلال والانحراف إذا حرم البالغ من التوجيه والرعاية السليمة، فالاستعداد الديني عند البالغ يزيد وينقص ويقوى وقد يضعف، وذلك بقدر مايمنحه الله له من هداية، وبقدر مايقوم به من عبادات وطاعات وأعمال صالحة، وبقدر ما يتعرض له من مواقف إيمانية، وبقدر مايتاح له من تربية ورعاية صالحة من قبل الوالدين والمصلحين والمربين.

وقد أشاد عدد من المختصين بأهمية التربية الإيمانية، فقال أحدهم: «إن الدين له أثره الواضح على النمو النفسي والصحة النفسية، والعقيدة حين تتغلغل في النفس تدفعها إلى سلوك إيجابي، والدين يساعد الفرد على الاستقرار، والإيمان يؤدي إلى الأمان وينير الطريق أمام الفرد في طفولته عبر مراهقته إلى رشده ثم شيخوخته»(٣٠).

وتعود أهمية التربية الإيمانية لأهمية الإيمان نفسه، فالإيمان أو العقيدة كما شبهها أحد الباحثين «هي بمثابة المحرك في السيارة، فبقدر صحته وطاقته تعمل السيارة وتسير في الطريق وتتحمل العمل»(٣١)، فالإيمان قوة دافعة وخاصة عند البالغين. والعقيدة الصحيحة أساس الفكرة المستقيمة والرأي السديد والخلق الفاضل . وهي تسيطر على أقوال الإنسان وأفعاله، يقول أحد الباحثين: «وكلما زاد تمكنها – أي العقيدة– من القلب قوى أثرها، وازداد المرء اندفاعا بها. حتى تصبح مثلا أعلى لصاحبها فتحمله على اقتحام الأخطار، وتخطي العقبات، فكل عمل مرتبط بعقيدة، يقوى بقوتها، ويضعف بضعفها. ولذلك نجد ممن يعملون أعمالهم بناء على عقيدة راسخة، يعملون جادين حريصين على إتمام مايعملون، والذين يكلفون عملا على خلاف مايعتقدون، أو تضطرهم الظروف إلى عمله، يعتريهم الوهن والضعف، ويتلمسون الفرص للفرار من القيام به»(٣٢).

فالتربية الإيمانية هي أولى التربيات التي ينبغي على الأسرة التركيز عليها في تربية الجوانب الأساسية لأولادها البالغين، بل هي المرتكز الأساسي؛ إذ تُبْنى عليها تربية الجوانب المختلفة الأخرى؛ فلا تربية عقلية صالحة، أو اجتماعية صالحة، أو صحية صالحة، أو أخلاقية صالحة في غياب التربية الإيمانية أو تجاهلها. والأسرة المسلمة وهي تولي هذا الجانب -الجانب الإيماني- جُلّ اهتمامها، إنما تتبع تربية المربي الأول محمد ﷺ في تربية أصحابه، فقد بدأ تربيتهم -أولا وقبل كل شيء- بالجانب الإيماني، فبدأ أولا بغرس العقيدة الإسلامية الصالحة ثم هاجم مايقابلها من العقيدة الباطلة لازالتها من القلوب، لأن العقيدتين المتناقضتين لاتعيشان في قلب واحد، وإذا بقيتا حصل صراع مرير، وهذا مانلمحه في معظم الآيات التي نزلت في أول نبوته بمكة، منها قوله تعالى: ﴿قال أفتعبدون من دون اللّه مالا ينفعكم شيئا ولايضركم. أف لكم ولماتعبدون من دون اللهّ أفلاتعقلون﴾ (الأنبياء : ٦٦-٦٧)، كما أن للإسرة المسلمة في سيدنا لقمان عليه السلام القدوة الحسنة، فقد كانت تنمية الاستعدادات الدينية، وغرس العقيدة أولى الخطوات التي اتخذها في تربية ابنه،

قال تعالى: ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابني لاتشرك بالله إنّ الشرك لظلم عظيم﴾ (لقمان : ١٣)، فلقمان في أول وصية تربوية يبدأ بتوجيه هذه الفطرة وجهة سليمة لحمايتها من الضلال والانحراف في وجوه الشرك المضللة.

وعلى الأسرة أن تدرك أن خير مايمتدح به البالغ هو إيمانه بالله، لأن الحق سبحانه وتعالى امتدح به الفتية الذين قال فيهم : ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم﴾ (الكهف: ١٣).

من العرض السابق يتضح للأسرة المسلمة أهمية التربية الإيمانية بالنسبة لأولادها البالغين، ولعل الحاجة إليها في وقتنا الحاضر حاجة ملّحة أكثر من أي وقت مضى، لما أصبح عليه العديد من هؤلاء البالغين «من ضعف في العقيدة والإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر وبمبادئ الدين وتعاليمه، وضعف في الوازع الديني والخلقي وانحطاط في الغرائز ، وفراغ روحي، وجهل بأحكام الدين وتعاليمه، وانسياق وراء الأفكار والعادات والتقاليد المستوردة المنافية لروح الدين وقيمه، من هذه الأفكار الغريبة عن روح الدين التي أصبح بعض شبابنا يتأثر بها ويروّج لها من غير علم بحقيقة الدين الإسلامي»(٣٣).

ثالثا – أهم الوظائف التي يجب أن تقوم بها الأسرفي التربية الإيمانية:

من خلال كتابات بعض الباحثين في مجال التربية والتعليم استطاع الباحث أن يوجز أهم الوظائف التي يجب على الأسرة القيام بها في التربية الإيمانية في النقاط التالية:

١- تكوين عقيدة راسخة بكل أركانها في نفوس البالغين.
٢- تكوين الرغبة في الاعتقاد لدى البالغين
٣- تنمية العواطف الإيمانية عند البالغين.
٤- تكوين الحصانة الاعتقادية والفكرية والعلمية عند البالغين.
٥- علاج مايقع فيه البالغون من انحراف عقدي.

رابعاً - الأساليب والوسائل التي تساعد الأسرة على تحقيق وظائفها في التربية الإيمانيه:

وفيمايلي سيعمد الباحث إلى معالجة كل وظيفة على حدة.

الوظيفة الأولى : تكوين العقيدة الراسخة في نفوس البالغين:

ويمكن للأسرة تحقيق ذلك باتباع مايلي:

١- تزويد البالغين بكل جوانب العقيدة الكاملة.

وقد ذكر الباحث فيما سبق -عند بيان خصائص مرحلة البلوغ- أن البالغ في هذه المرحلة يستطيع تجريد ذات الله من التشبيه والتجسيم، وتصور الخالق سبحانه تصورا معنويا مجردا. وتسمى هذه المرحلة أحيانا «بمرحلة اليقظة الدينية، لأن الفرد يبدأ فيها جداله الديني الحاد العنيف، فيناقش فكرته عن الجنة والنار، والذنب والتوبة، والبعث والخلود والقضاء والقدر، والحريّة والفردية»(٣٤)، وفي هذه المرحلة يستطيع البالغ أن يستوعب أفكارا أوسع من الأفكار التي تلقاها في مرحلة طفولته عن الإيمان، وهذه فرصة جيدة للآباء والأمهات للقيام بتوضيح العقائد والتعاليم الدينية لأولادهم البالغين.

ومما هو معلوم أن الأفكار الصحيحة تعد من العناصر الأساسية في بناء العقيدة عند الفرد، والمعرفة بالشيء مطلب أساسي لجميع المعتقدات والأعمال والمناشط لمزاولتها والاعتياد عليها، وإهمال المعارف الدينية له خطره البالغ على إيمان الفرد وخاصة في هذه المرحلة، فقد قال أحد الباحثين: «إذا كانت الآراء الدينية سطحية ضحلة أو خاطئة متهافتة فإنها تدفع المراهق إلى الإلحاد بكل دين والاستهزاء بكل عقيدة»(٣٥).

وعلى الأسرة أن تحرص على تقديم المعارف الصحيحة عن العقيدة للبالغين وأن تدفع بهم إلى تعلم أمور دينهم، لأن العلم من أهم وسائل تنمية الإيمان، وقد قال أحد

الباحثين : «العلم هو مفتاح الوصول إلى الله عز وجل»(٣٦)، فالبالغ بقدر معرفته بالله يزداد خضوعا لأحكامه، وتطبيقا لها، والتزاما بها، وصدق الله حين يقول: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾(فاطر : ٢٨).

والمعارف التي ينبغي على الأسرة نقلها لأولادها البالغين، هي المعارف المتعلّقة بأركان الإيمان، وقد جمع رسول الله ﷺ ، هذه الأركان في ستة وقال: «الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشرّه»(٣٧).

وقد تناول علماء المسلمين هذه الأركان، بالشرح والتوضيح. ومن أهم المصادر التي تستطيع الأسرة أن تستقي منها تلك المعارف والمعلومات، هو كتاب الله الكريم، ولكن ينبغي على الأسرة أن تستعين بكتب التفاسير لفهم مدلولات القرآن الكريم وإدراك معاني ألفاظه، ومن المصادر أيضا كتب السنة المحمدية، ومن أهمها كتاب صحيح البخاري، وكتاب صحيح مسلم وشروحهما، كما ينبغي على الأسرة أن تضع بين أيدي أولادها البالغين الكتب المفيدة في الإيمان . وكذلك الكتب المفيدة التي تحدّثت عن سيرة الرسول ﷺ ، وسيرة أصحابه.

وأن تهيب الأسرة بأولادها البالغين وتشجعهم على سماع مايلقيه أئمة وعلماء المسلمين عن الإيمان، وقد أصبح ولله الحمد التفقّه في الدين ميسورا في وقتنا الحاضر فعن طريق الإذاعات وخاصة إذاعة القرآن الكريم بالمملكة العربية السعودية يستطيع البالغ أن يتعلّم الشيء الكثير عن أمور دينه، وكذلك بعض الملقات «التلفزيونية»، إضافة إلى ماتقدّمه مؤسسات التعليم، والمؤسسات الدينية، ومايلقيه الوعّاظ في المساجد، وما أنتج من الأفلام العلمية لزيادة الإيمان.

ويود الباحث أن يوجه أنظار الآباء والأمهات إلى أهمية العلوم الأخرى في تنمية العقيدة عند البالغين حتى لايقتصروا على العلوم الدينية وحدها، فعلم الأحياء مثلا، أو علم النبات، أو علم التشريح، أو علم الفلك، أو علم التاريخ، أو غيرها

من العلوم تسهم في تنمية عقيدة البالغ إذا صاحبها دراسة خلق الله وآثار قدرته، وربطت بالتوجيهات التربوية الإسلامية؛ فمثلا البالغ عندما يدرس البذرة، وطريقة نمو الجذور فالأوراق فالسُّوق فالثمار، وصاحب هذه الدراسة تنبه ويقظة عن سرّ هذه التغيرات، وعن القوة الخفية التي تحدث هذا النمو، فهذا بلاشك يسهم في إيمانه ومعرفته بخالقه. وكذلك عندما يطلع على تقرير أحد المختصين في علم الفلك والذي يشير إلى: «أن لهذا الكون بداية قديمة ٥٠٠ بليون سنة، وأنه يسير إلى نهاية محتومة، فهو ليس أزلياً أو أبدياً»(٣٨)، فإن هذه الحقائق بلاشك تسهم في إيمانه باللهّ، وثقته بكتابه الكريم الذي قال فيه ﴿اللّه الذي خلق السموات والأرض ومابينهما في ستة أيام﴾ (السجدة : ٤)، وقال تعالى: ﴿كل من عليها فان. ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾(الرحمن : ٢٦-٢٧)، فالعلوم النافعة تسهم في زيادة إيمان البالغ، يقول أحد الباحثين: «كلما تقدّمت العلوم ضاقت بينها وبين الدين شقة الخلاف، فالفهم الحقيقي للعلوم يدعو إلى زيادة الإيمان باللّه»(٣٩). وصدق اللّه حين يقول: ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ومايجحد بآياتنا إلا الظالمون﴾ (العنكبوت : ٤٩). وهناك كتب إيمانية(٤٠) تسهم في زيادة إيمان البالغين.

من العرض السابق يتضح للآباء والأمهات أن الإيمان إذا لم يقم على علم ومعرفة صحيحين فهو إيمان ناقص، بل إن ذلك قد يؤدي بالأولاد البالغين إلى التقليد الأعمى بدون وعي، وهذا مالايقره الإسلام، وقد أنكر القرآن الكريم في أكثر من موطن على الذين بنوا إيمانهم على التقليد الأعمى، ولم يبنوه على العلم الصحيح، والعقل السليم، كما في قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل اللّه قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لوكان آباؤهم لايعقلون شيئا ولايهتدون﴾(البقرة : ١٧٠)، وقال تعالى: ﴿ولاتقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً﴾(الإسراء : ٣٦).

٢- استخدام الأدلة في دعم عقيدة الأولاد البالغين :

لقد عرض القرآن الكريم عقائد الإسلام عن طريق الحجة والبرهان، وهذه البراهين خير وسيلة للآباء والأمهات في دعم عقيدة الإيمان وغرسها في نفوس أولادهم البالغين، ومن بينها مايلي :

أ) دليل القدرة الإلهية:

وهو من أوضح البراهين وأقواها حجة، والسبب أننا نجد ذلك واضحا وجليا في كل مانلمسه ونعرفه ونشاهده في حياتنا، والكون مليء بالشواهد الحيّة الماثلة أمام العين، وينبغي على الآباء والأمهات توجيه أنظار البالغين إلى دلائل القدرة الإلهية، وذلك بالنظر إلى جمال الطبيعة؛ إلى جبالها وأوديتها، إلى سهولها وأنهارها وبحارها، إلى نظام هذا الكون، وتعاقب الليل والنهار، ودوران الكون في دقة ونظام، يقول «جون روسكين»: «إن جمال الجبال والأزاهير إشارة من الله إلى الإنسان.. الإنسان الذي يتأمل الجمال في الطبيعة وفي الفن إنما يتحد بالتعاطف مع الجمال الذي صنعه الله والذي صنعه الفنان»(٤١). ويقول «كارل هايم» إن عجائب الكون لاتسمح بالإيمان فحسب، بل تدعو الناس إلى هذا الإيمان»(٤٢).

والأسرة وهي تلفت أنظار البالغين إلى ذلك إنما تحقق مادعا إليه الحق سبحانه وتعالى الناس إلى التأمل في أياته في الكون، وفي الطبيعة، قال تعالى: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت. وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت﴾(الغاشية : ١٧-٢٠). وقال تعالى: ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون. والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم. والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾(يس : ٣٧-٤٠)، ويجب على الأسرة التأكيد على أن التأمل يقتضي التعمق في الدراسة والتفكير وأخذ العبرة والعمل بها.

كما ينبغي على الأسرة أن توجه أنظار أولادها البالغين إلى الإنسان نفسه ليروا فيه دلائل القدرة الإلهية. ففي صنع الإنسان عجائب، وفي كل جزء من أجزائه نجد التعقيد الذي يبعث على الدهشه من صنع الخالق من بينها على سبيل المثال لا الحصر ، ماقاله أحد المختصين الدكتور «الكسيس كاريل» الحاصل على جائزة نوبل عام ١٩١٢م لأبحاثه الطبية، قال: «إن الجلد الذي يغطى السطح الخارجي للجسم غير قابل للاختراق بواسطة الماء والغازات، كما أنه لايسمح للجراثيم التي تعيش على سطحه بالدخول إلى الجسم، فضلا عن أنه قادرا على تحطيم هذه الجراثيم بمساعدة المواد التي تفرزها غدده.. وعن طريق سطحه الخارجي يتصل الجسم بالعالم الكوني، وحقيقة الأمر أن الجلد هو مأوى كمية هائلة من أعضاء الاستقبال يسجل كل منها، تبعا لتكوينه الخاص، التغييرات التي تحدث في البيئة»(٤٣)، ويواصل قوله في موطن آخر ويقول: «ومع أن الجلد لا يسمح للماء والغازات باختراقه فإن الأغشية المخاطية للرئتين والأمعاء تسمح لهذه المواد بالمرور، إنها مسؤولة عن استمرار التفاعل الكيمائي بين أجسامنا ومايحيط بها، وسطحنا الداخلي أكثر اتساعا من سطح الجلد، فالمنطقة التي تغطيها الخلايا المسطحة للشعب الهوائية بالرئتين هائلة، إنها تعادل مايقرب من خمسمائة متر مربع»(٤٤)، ومن بين أقواله التي تثير الدهشة في صنع الإنسان قوله: «إذا قارناحجم السوائل التي تدور في الجسم بحجم الأعضاء لتبيّن أنه صغير جدا، فوزن دم الإنسان لايكاد يتعادل مع عشر وزنه الكلي.. فإذا أردنا تزريع قطعة صغيرة من نسيج حي في قنينة لوجب أن نمدها بكمية من السائل توازي حجمها الفي مرة حتى لاتتسمم في مدى أيام قليلة.. ولهذا فإن قدرة انسجتنا على الحياة في ستة أو سبعة لترات من السوائل بدلا من مائتي الف لتر تعود إلى تلك الدقة الرائعة في الآليات المسئولة عن دورة الدم»(٤٥). وغير ذلك من الشواهد العديدة على صنع الإنسان مما نعلمه ومما لانعلمه، وصدق الله حين يقول: ﴿وفي الأرض أيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ (الذاريات : ٢٠-٢١).

كما ينبغي على الآباء والأمهات أن يوجهوا أنظار البالغين إلى قدرة الله البالغة وأن يدعوهم إلى مشاهدة الأفلام العلمية التي تصور الكواكب ودورانها مع

عظمتها، وأعماق البحار وعجائبها، والنباتات وغيرها في الأرض، وربط ذلك بقوا
الحق سبحانه وتعالى في قوله : ﴿أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أ
يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم. إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون
فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون﴾ (يس : ٨١-٨٣).

وأن يوجهوا أنظارهم إلى علم الله الشامل، والذي تشير إليه الآية الكريما
﴿وعنده مفاتيح الغيب لايعلمها إلاّ هو ويعلم مافي البر والبحر وماتسقط من ورق
إلا يعلمها ولاحبّة في ظلمات الأرض ولارطب ولايابس إلا في كتاب مبين. وهو الذ
يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إلي
مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون﴾ (الأنعام : ٥٩-٦٠).

وعلى كل أب، « أن يوجه نظر من يريد تربيتهم إلى تلك الحقائق ويريه
مافيها من دلالات على صناعة الصانع الحكيم ليزيد إيمانهم كلما رأوا آية تدل عل
وجود الله المبدع الحكيم »(٤٦).

وعلى الآباء والأمهات أن يدركوا أن النظرة التي تسهم في تنمية إيمان الأولا
البالغين هي نظرة الاعتبار والتأمل، كما أشار إلى ذلك أحد الباحثين في قوله: «حة
إن الإنسان عندما ينظر إلى ظواهر الطبيعة نظرات تقليدية لايندهش ولايتعجب
ولكن عندما ينظر إليها نظرة الاعتبار، ويتأمل فيها يجد كل شيء يثير فيه
الإعجاب والاندهاش، وتصبح الطبيعة مخلوقا جديدا كأن لم يرها من قبل ويصبح
هو مخلوقا جديدا وكأنه ولد فيها من جديد ويتيقن عندئذ أن هذه الطبيعة لم توج
بمحض المصادفة، بل فيها خلق وهداية، وعندما يقترن ذلك بذكر الله خالق هذ
العجائب والغرائب، يزداد نموا في مشاعره الحساسة وإدراكه لحقائق الأمور، ومن ث
يزداد اتصالا بالله بعقله وقلبه »(٤٧).

ب) تبصير البالغ بدليل الغاية في المخلوقات :

أي ينبغي على الأسرة أن تبصر أولادها البالغين بأن المخلوقات جميعها ل
توجد عبثا، ولم تخلق سدى، وإنما خلقت لغاية في تكوينها، هذه الغاية في التكوي

والدقة في التدبير من أهم الأدلة العقلية المقنعة على وجود الله تعالى. والأسرة عندما تحاور أولادها البالغين، كقولها مثلا ما الحكمة من خلق الهواء؟ ما الحكمة من خلق الماء؟ ما الحكمة من خلق الأنعام؟ ما الحكمة من خلق الرياح؟ ما الغاية من خلق الإنسان؟ ما الغاية من خلق الجبال والأشجار والأنهار والسماء والأرض.. الخ، فإنها في هذه الحالة تستخدم أدلة عقلية مقنعة تسهم في تنمية إيمان البالغين، والأسرة وهي تستخدم دليل الغاية في تثبيت الإيمان في نفوس أولادها إنما تطبق ما أشار إليه القرآن الكريم في مواطن عدة منها قوله تعالى: ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون. ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون﴾ (النحل:٥-٦)، وقال تعالى: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾ (الحجر : ٢٢)، وقال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات : ٥٦).

ج) دليل الكمال :

وهو من الأدلة العقلية المقنعة على وجود الخالق، ومفاده أن العقل البشري كلما تصور شيئا عظيما تصور ماهو أعظم منه، وقد قال أحد الباحثين: «ما من شيء كامل إلا والعقل الإنساني متطلع إلى ماهو أكمل منه ثم أكمل منه، إلى نهاية النهايات، وهي غاية الكمال المطلق التي لامزيد عليها ولانقص فيها. وهذا الوجود الكامل الذي لامزيد على كماله موجود لامحالة»(٤٨).

ويشير القرآن الكريم إلى هذا الدليل ، ويدعونا إلى التأمل فيه، قال تعالى: ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبّار المتكبر سبحان الله عما يشركون﴾ (الحشر : ٢٣).

والأسرة يمكنها أن تستغل ذلك الدليل في إقناع أولادها بوجود الله، فتقول لهم، مثلا : إن التفاوت بين الناس تفاوت نسبي وجزئي في آن واحد، فمثلا الغني أعلى من الفقير في جانب المال وحده، وليس في كل الجوانب وبنسبة معينه من المال

وليست مطلقة. هذا من جهة ومن جهة أخرى بإمكان الأسرة أن تقود أولادها البالغين في التدرج إلى أن تصل بهم إلى درجة الكمال للّه سبحانه، فمثلا تقول لهم من المألوف أن مدير المدرسة أعلى سلطة من المدرس، ومدير التعليم أعلى سلطة من مدير المدرسة ،ووزير المعارف أعلى سلطة من مدير التعليم، ورئيس الدولة أعلى سلطة من الوزير، واللّه أعلى من هؤلاء كلهم ولاشيء أعلى منه، وصدق اللّه حين يقول: ﴿وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير﴾ (الأنعام : ١٨).

د) دليل الحصر :

بمعنى أنه «إذا كان هناك قضية لها ثلاثة حلول لارابع لها واسقطنا حلين، تعين أن يكون الثالث هو الصواب الذي نرفعه ونقيم له وزنا»(٤٩). وقد أورد القرآن هذا الدليل لإثبات وجود اللّه سبحانه، قال تعالى: ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون. أم خلقوا السموات والأرض بل لايوقنون﴾ (الطور : ٣٥-٣٦).

أي بإمكان الأسرة أن تقود أولادها البالغين إلى الاعتراف بوجود اللّه عن طريق ذلك الدليل بأن تحاورهم مثلا، وتقول هل نستطيع أن نخلق أنفسنا؟ وهل خلقنا من غير خالق؟ وهذا يقود البالغين إلى أنه من المستحيل أن يخلق الإنسان نفسه وكذلك من المستحيل أيضا أن يخلق الإنسان من غير خالق، وبالتالي لابد لهم من الاعتراف بوجود خالق هو اللّه .

وقد يعترض سائل ويقول نشأ الإنسان بالتطور- وهناك نظرية التطور التي أثبت بطلانها عدد من العلماء بما فيهم العلماء الذين قد ناصروها وقد تناولها العديد من المؤلفين بالشرح والتوضيح - نعم الإسلام أشار إلى ذلك كما في قوله تعالى: ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾ (الزمر : ٦). ولكن التطور والتغير الذي أقره الإسلام لايعني تغير الشيء وخروجه عن ماهيته، فجميع الكائنات، كما ذكر أحد الباحثين: «يستحيل أن تتغير مهما حصل فيها من عوامل التغير.. فمثلا الحديد لايمكن لأية عملية أن تحوّله إلى ذهب، والخروف إلى غزال... والحجر إلى كائن حي، وهكذا ملايين الأشياء التي يستحيل أن تتحول إلى شيء آخر

غير ماهيتها، ولايعني تغير الأشياء فيه خروجها عن ماهيتها التي وجدت عليها»(٥٠).

هـ) دليل الإعجاز والتحدي بالخلق:

وهو من الأمور التي تعين الأسرة في الإسهام في تنمية إيمان أولادها البالغين واعترافهم باللهّ وقدرته، وهو من البراهين الهامة على وجود اللهّ، ويمكن للأسرة الاستفادة منه عن طريق الحوار مع أولادها، فتقول مثلا؛ هل يستطيع أي عالم أو مكتشف أن يخلق إنسانا؟ أو يخلق حيوانا؟ أو يخلق حشرة؟ أو يخلق نبتة؟ ثم تلفت أنظار أولادها، وتقول: إنه على الرغم من تطور الصناعات والاكتشافات المذهلة التي نعيشها في وقتنا الحاضر، لدرجة أن يخيل لنا -أمام هذه المكتشفات- أننا نعيش في عالم سحري، ومع هذا كلّه لم يتمكن أي عالم أو مكتشف أن يخلق كائنا حيًا مهما كان شانه وحجمه ولو كان ذبابة أو حبة نابتة، ثم تحاورهم وتقول لهم: إليس هذا دلالة واضحة على قدرة اللّه؟ وأليس هذا دلالة واضحة على صحة ماتحدى به القرآن الكريم الناس على أن يخلقوا كائنا حيا ولو ذبابة؟ كما في قوله تعالى: ﴿إن الذين تدعون من دون اللّه لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له﴾(الحج - ٧٣)، أو يخلقوا حبّة من الحبوب النابتة؟، كما في قوله تعالى: ﴿إنّ اللّه فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم اللّه فأنّى تؤفكون﴾ (الأنعام : ٩٥). نعم إنه إعجاز وتحد، ولن تستطيع البشرية أن تصل باكتشافاتها إلى أن تخلق ماخلق اللّه، وصدق اللّه حين يقول : ﴿هذا خلق اللّه فأروني ماذا خلق الذين من دونه﴾ (لقمان : ١١)، وقد يقول أحد البالغين، أو يقول في نفسه إن الذين يكتشفون المكتشفات المادية لايريدون الاشتغال بمثل هذه الأشياء البسيطة من الأحياء لأنها موجودة، وليس في إيجادها شيء جديد، وللإجابة على ذلك نقول بالرغم من المحاولات المضنية لم يتمكنوا، لأن في خلق الحياة سر من أسرار اللهّ، ولهذا لم يستطيعوا أن يخلقوا خلية حية واحدة.

و) دليل على أن الذي يستطيع خلق اشياء معقدة يستطيع خلق أشياء بسيطة:

وهو دليل يسهم في تنمية الإيمان عند البالغين، ويقودهم إلى الاعتراف بالله، وبإمكان الأسرة استخدامه، وتقول لأولادها البالغين مثلا، الذي يصنع طائرة يستطيع صناعة الدراجة، والذي يستطيع خلق السماوات يستطيع خلق الإنسان وهو جزء بسيط في هذا الكون، والأسرة المسلمة وهي تستخدم هذا الدليل لتقود أولادها إلى الاعتراف بالله إنما تطبق تعاليم القرآن الكريم، الذي نوه إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم﴾ (يس : ٨١). وقد يقول قائل أو يقول في نفسه، إذن الذي يخترع الطائرة مثلا يستطيع أن يخترع أشياء أقل منها. نقول هناك فرق بين الصناعة وبين الخلق فالذي يصنع طائرة بإمكانه أن يصنع درّاجة، ولو خلق إنسان حيوانا كبيرا استطاع أن يخلق حيوانا صغيرا، فالصناعة لها سر، والخلق له سر، ولكن سر الخلق غير سر الصناعة.

ز) دليل إمكان إعادة الصانع صنعه مرة أخرى:

أي بإمكان الأسرة أن تضرب لأولادها البالغين أمثلة على ذلك، فتقول مثلا؛ لوصنع صانع سيّارة ثم احترقت أو تلفت تماما، أليس في مقدور صانعها صنع مثلها مرة أخرى؟ بل إن صناعتها في المرة الثانية أسهل من الأولى، وكذلك الذي خلق الإنسان أول مرّة يمكن إعادة خلقه بعد موته وفنائه مرة أخرى. وبهذا الدليل أجاب الله الكفّار الذين ضربوا مثلا وقالوا: ﴿من يحي العظام وهي رميم. قل يحييها الذي أنشأها أوّل مرة وهو بكل خلق عليم﴾ (يس : ٧٨-٧٩)، وقال تعالى: ﴿وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى﴾(الروم : ٢٧).

وبجانب هذه الأدلة التي تساعد الأسرة المسلمة في إقناع أولادها البالغين على وجود اللهّ والتي أشار إليها القرآن الكريم، فإن العلم الحديث قد أزاح الستار عن وجه حقائق مذهلة، جعلت الإنسان «يقف أمامها مبهوتا، ويضطر المتأمل فيها إلى

الاعتراف بالصانع الخالق، ونتيجة لهذا فقد آمن كثير من العلماء بسبب هذه الاكتشافات»(٥١)، وللفائدة ينصح الباحث الآباء والأمهات أن يضعوا بين أيدي البالغين الكتب التي تتحدث عن ذلك(٥٢) .

والذي يود الباحث أن يشير إليه، أنّه من الأمور المهمة في مجال استخدام الأدلّة أن الأسرة كلّما استخدمت أدلّة متنوعة عن وجود اللّه كلّما زاد إيمان أولادها.

٣- تكوين مناخ اعتقادي تربوي:

للبيئة الاجتماعية أثرها الفعّال في تنمية إيمان الأولاد البالغين، أو إضعافه. يقول أحد الباحثين هنا: «ولايعيش الاعتقاد ولاينمو إلا إذا هيأ له المجتمع أسباب الحياة والنمو، وما أكثر الاعتقادات التي ذبلت أوراقها لإعراض المجتمع عنها وعدم إحيائه لها»(٥٣)، والأسرة أكثر البيئات الاجتماعية تأثيرا على عقائد البالغين، والقرآن يؤكد ذلك في أكثر من موطن، فما جاء رسول لقومه يدعوهم إلى توحيد اللّه وعدم الإشراك في عبادته إلا عارضوه بأن مايدعوهم إليه يخالف ماكان عليه الآباء والأجداد، فقوم هود يقولون :﴿قالوا أجئتنا لنعبد اللّه وحده ونذر ماكان يعبد آباؤنا﴾(الأعراف : ٧٠)، وقوم صالح يقولون: ﴿قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب﴾(هود :٦٢).

ومن هنا كانت القدوة عاملا كبيرا في صلاح الأولاد في جميع مراحلهم أو فسادهم. فالأب الذي يذكر اللّه، ويوحّد اللهّ، سراً وعلانية، ويطبق شرع اللّه في جميع أفعاله وأقواله، ويحب اللّه ورسوله، لايستعين إلا باللّه. ولايتوكل إلا على اللّه، ولايحمد إلا اللّه،فالأب بهذه الصفات لامحالة ينمي الإيمان في نفوس البالغين، وكذلك إذا فعلت الأم ذلك، ولايقتصر ذلك التأثير على الأب والأم وحدهما بل إن كل من يعيش في داخل الأسرة يؤثر على معتقدات البالغ قوة أو ضعفا، فمثلا الأخ الأكبر له أثره الفعّال على إخوانه الأقل منه سنا، ولهذا ننصح الأسرة بالاهتمام بتربية

الابن الأكبر وكذلك الأقارب، ولهذا ينبغي على رب الأسرة اعتزال الاختلاط بالأقارب الذين لايؤمنون بالله باطنا وظاهرا خشية التأثير على معتقدات أولادها، والأسرة وهي تمنع الاختلاط بمثل هؤلاء الأقارب لاحرج عليها في ذلك، بل على العكس من ذلك لقد قامت بما يمليه عليها القرآن الكريم، كما في قوله تعالى:﴿لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنّات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ (المجادلة : ٢٢). وكذلك يمنع الاختلاط بالخادمات اللاتي يعملن داخل الأسرة، فهؤلاء يؤثرن على عقائد البالغين وخاصة الخادمة التي عقيدتها مغايرة.

ومن المجتمعات التي تسهم في عقيدة الأولاد البالغين الرفقة المؤمنة فكم من شاب -كما هو مشاهد في حياتنا- زاد إيمانه وصلاحه وتقواه بسبب اندماجه واختلاطه بالرفقة المؤمنة، وقد أشار الباحث سابقا إلى أن الفرد في مرحلة البلوغ يتصف بالانتماء إلى الرفاق والجماعات، وحبّه لهم ، وامتثال أوامرهم وتقليده لهم. وعلى الأسرة أن تستغل هذه الخاصيّة في زيادة إيمان أولادها البالغين؛ وذلك باختيار الرفقة المؤمنة لهم ومخالطتهم، وهذا يؤدي لا محالة إلى صلاح الأولاد واستقامتهم، وقد أشار الرسول ﷺ إلى ذلك فقال: «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»(٥٤).

٤- العبادات وسيلة فعّالة في تنمية إيمان البالغ:

للعبادة أثرها البالغ في تنمية إيمان الفرد، يقول أحد الباحثين «ولاشك في أن المظاهر المادية، والعمل بما توحي به العقيدة، من أكبر العوامل التي تساعد على بقائها وعلى نشرها، وكلما كانت المظاهر متكررة بتكرر الأوقات والأيام كان ذلك أدعى إلى بقاء العقيدة ودوامها، فالصلاة مثلا، وهي أحد المظاهر العقلية للإيمان

بالله، لاتنحصر غايتها في تربية ملكة الخضوع، وإيجاد خلق التدين عند الإنسان، فحسب، لكنها تهدف وراء ذلك ، إلى تثبيت العقيدة في نفوس المعتقدين، وإلى ضرب الأمثال لهؤلاء الذين لايعتقدون، رجاء أن تلين قلوبهم لذكر الله»(٥٥)، ولهذا فإن الالتزام الكامل بفرائض الله تعالى من صلاة وصوم وحجّ وزكاة، واستشعار رقابته في جميع الأحوال، ورعاية حرماته باتباع أوامره، واجتناب نواهيه، وعدم تخطي حدوده، والتوجه الخالص إليه بكل الأعمال والأقوال لهو من أفضل سبيل لغرس عقيدة الإيمان وتنميتها. «فالالتزام بأداء هذه الفرائض يغذي الإيمان ويقويه بصورة مستمرة ويشيع الإحساس في المسلم برقابة الله تعالى والصلة الدائمة به، فيتحقق لديه معنى العبودية الكاملة لله وحده دون سواه، ويكون سلوكه وخلقه ترجمانا حيا لايمانه وطاعته وعبادته»(٥٦)، والإيمان عند أهل السنة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، قال تعالى: ﴿ويزداد الذين آمنوا إيماناً﴾ (المدثر : ٣١).

من العرض السابق يتضح للأسرة أن حمل الأولاد البالغين على تأدية العبادات وسيلة فعّالة لتنمية إيمانهم، أما الأساليب التي تعين الأسرة على ذلك فقد تحدث عنها الباحث تحت عنوان التربية الروحية.

الوظيفة الثانية: تكوين الرغبة في الاعتقاد لدى البالغين:

إن الرغبة في الاعتقاد من أهم العوامل التي تسهم في تنمية الاعتقاد عند البالغين وتنشئته، وهي لاتقل أهمية عن الأدلة النظرية في ترسيخ ذلك الجانب عند الفرد، يقول أحد الباحثين: «لايتوقف الاعتقاد على الأدلة النظرية فحسب، بل يجوز لنا أن نعتقد ، ولو لم يكن لدينا من البراهين المنطقية مايبرر ذلك، مادمنا راغبين في الاعتقاد ومادامت لنا من وراء هذا الاعتقاد ثمرة علمية، وغالبا ما تأتي البراهين بعد ذلك فتساعد الاعتقاد على تحقيق ما آمنا به. وإذا لم نجد من الأساليب النظرية مايؤدي بنا إلى الإيمان بوجود الله، فلاينبغي لنا أن ننصرف عن الإيمان به لذلك، بل يحق لنا أن نفترض وجوده ونؤمن به إذا ماتوجهت إرادتنا نحو ذلك»(٥٧).

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن الأدلة وحدها لم تكن كافية في جعل الفرد يعتقد مالم يكن لديه رغبة في الاعتقاد، حتى ولو استخدم معه أدلة عقلية خارقة كما في قوله تعالى: ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ماكانوا ليؤمنوا﴾(الأنعام : ١١١)، وقال تعالى: ﴿وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها﴾(الأنعام : ٢٥). وإذا كان الأمر كذلك فإنه ينبغي على الأسرة استخدام كل الوسائل التي تسهم في تكوين الرغبة في الاعتقاد لدى أولادها البالغين، ومن بين تلك الوسائل التي يود الباحث الإشارة إليها مايلي:

١- ابراز أهمية الإيمان في نفوس البالغين :

ولفت أنظارهم إلى المصالح والمنافع التي يحققونها من وراء إيمانهم ومعتقداتهم، لأن ذلك يسهم في زيادة إيمانهم ورغبتهم فيه، يقول أحد الباحثين في هذا الصدد: «إن الناس يقبلون الفلسفات أو ينبذونها وفقا لحاجتهم وطباعهم لاوفقا للحقيقة الموضوعية وهم لايتساءلون هل هذا منطقي أولا؟ بل يتساءلون عن مدى ماتتناسب الفلسفة مع حياتهم ومصالحهم»(٥٨).

والإيمان بالله يحوي العديد من المصالح والمنافع والمميزات وتستيطع الأسرة أن تذكر لأولادها العديد من ذلك، ومنها على سبيل المثال لا الحصر مايلي:

أ) تذكير الأولاد بأن الإيمان بالله هو الذي يجعل للحياة قيمة، فهو ينظم حياة الإنسان، ويوحد نوازعه وأفكاره، وأهدافه وسلوكه، يقول أحد الباحثين في هذا الجانب : «إن كل صفة أساسية من صفات الألوهية يقابلها في النفس الإنسانية جانب من جوانب الحياة النفسية، فلا سعادة للنفس، ولا استقامة ولا انضباط إلا إذا ارتبط كل جانب من جوانبها بما يناسبه من معاني الألوهية»(٥٩). وهذا ماتشير إليه الآية الكريمة في فضل عقيدة التوحيد نحو تحقيق وحدة النفس الإنسانية قال تعالى: ﴿ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لايعلمون﴾(الزمر : ٢٩). فالعقيدة توحد نوازع الإنسان وتوجهها

وجهة واحدة بدلا من أن تتصارع في نفسه الأهواء والميول والرغبات المتناقضة، كالعبد المشترك بين الأسياد المتشاكسين، وكل واحد يريد تحقيق رغبته الذاتية فيعيش في حيرة من أمره، لأنه لايستطيع ارضاء أي واحد من الأسياد المتشاكسين. بينما إذا كان عبدا لسيد واحد ويوجهه وجهة واحدة، فإنه يستطيع خدمته ويعيش سالما مرضيا، ويرضى عنه سيده كذلك.

ب) تذكير الأولاد البالغين بأن الإيمان بالله عامل قويّ من عوامل وحدة الأمة وتناسق حضارتها ونظمها الاجتماعية، وبالإيمان يصبح المجتمع كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، ويجعل المؤمنين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد، وهذا ما أوضحه رسول الله في قوله: «مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(٦٠).

ج) تكوين القناعة لدى البالغين بأن الإيمان بالله هو أساس السعادة في الدارين، فأكثر الناس سعادة المؤمنون، وأكثر الناس شقاء الخارجون عن الإيمان في الحياة الدنيا، وهذا مايشير إليه الحق سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ (طه : ١٢٤) ، وقال تعالى : ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾ (الحج:٣١)، أما سعادة الدار الآخرة فهي الفوز بالجنّة ونعيمها، قال تعالى: ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا﴾ (الطلاق:١١).

د) تكوين القناعة لدى البالغين بأن الإيمان بالله يجعلهم يتحملون مافي الحياة من محن ومصائب بنفوس راضية مطمئنة، لايندمون أو يتحسرون على مافاتهم، ولايصيبهم التفاخر والبطر بما أوتوا، وقد وصف الحق سبحانه أصحاب الإيمان في

قوله تعالى: ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ (البقرة: ١٥٦-١٥٧).

هـ) تكوين القناعة لدى البالغين بأن الإيمان بالله من اهم الصفات التي تكسب البالغ تقدير المجتمع واحترامه، ويرى الباحث أن ذلك من أهم مايرغب البالغين في الإيمان بالله، لأن من خصائص مرحلة البلوغ -كما مرّ- المبالغة في المثالية، ومحاولته بأن يكون محط انظار الآخرين، ويبالغ في أن يكون خيّرا ، في سلوكه، ولو على حساب صحته وانتاجه، وعلى الأسرة أن تستغل هذه الخاصّية في ترغيب أولادها البالغين في الإيمان بالله، وتضرب لهم الأمثلة من واقع حياتهم عن قيمة الشباب المؤمنين، وتقدير المجتمع لهم وحبه إيّاهم، وعن حال الفسّاق والمنحرفين والذين لايؤمنون بالله وسخط المجتمع عليهم، وكرهه لهم.

و) تكوين القناعة لدى البالغين بأن الإيمان بالله من أفضل العوامل الأساسية لضبط شهوات الإنسان ودوافعه، والسيطرة على تلك الدوافع والنوازع، أي أن الإيمان بالله من أقوى الوازعات، فهو الذي يقوي السلطة الداخلية، فتحكم على أفعال الإنسان وأقواله بالخير أو الشر، وتسهم في توجيهها الوجهة الحسنة، وعندئذ يحاسب الإنسان نفسه بنفسه، ويعلم أن الله مطلّع على جميع ماصدر منه، فهو يراقب الله في السر والعلن. وصدق الله حين يقول : ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين﴾ (الإسراء : ٩) ، وقال رسول الله ﷺ : «لايزني العبد حين يزني وهو مؤمن، ولايسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولايشرب حين يشرب وهو مؤمن، ولايقتل وهو مؤمن، قال عكرمة قلت لابن عبّاس كيف ينزع منه الإيمان ، قال: هكذا وشبّك بين أصابعه ثمّ أخرجها فإن تاب عاد إليه هكذا وشبك بين أصابعه»(٦١).

ز) الإيمان يكسب الإنسان الحياة، ويشفيه من بعض الأمراض النفسية القاتلة مثل الانتحار، ومثل الإصابة بالشلل نتيجة عدم مواجهة الصعوبات أو الصبر أمامها.

وقد أكدّ أحد الباحثين أن : «ماتعانيه المجتمعات الملحدة من قلق، وماتشكو منه من حوادث الانتحار، وكثرة ضحايا الصراع والجنون، نتيجة فقدانها الإيمان»(٦٢). فالمؤمن يخاف عذاب الله، ويرجو رحمته، ويؤمن بقضاء الله وقدره، فهو أبعد مايكون عن اليأس والانتحار، لأن اليأس من صفات الكافرين، قال تعالى: ﴿ولاتيأسوا من روح الله إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ (يوسف : ٨٧) أما صفات المؤمنين فهم يواجهون المصائب وأقدار الله بالصبر، والالتجاء إليه، قال تعالى: ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ (البقرة : ١٥٦).

٢- بيان خصائص العقيدة الإسلامية بالمقارنة إلى غيرها :

إن إبراز خصائص العقيدة الإسلامية، ثم توضيح عقائد وأديان وأيدلوجيات ومذاهب المجتمعات الأخرى، وإبراز ماهي عليه من ضلال وانحراف، يثير في نفوس البالغين الحماس لعقيدتهم، وحبهم لها. فالعقيدة الإسلامية لها خصائص عديدة، من بينها على سبيل المثال، إنها موافقة للعقل والمنطق؛ أي يستسيغها العقل، ولهذا معظم الذين اعتنقوا الإسلام، تكلموا عن سبب عدولهم عن دينهم، قالوا عن هذه الخاصيّة في العقيدة الإسلامية تقول سيدة اعتنقت الإسلام: «توقفت عن زيارة الكنيسة لأنني لم أعد مقتنعة بالديانة النصرانية، وذلك لأن تلك الديانة لم تتمكن من إعطائي إجابة معقولة مقنعة على مجموعة من الأسئلة كانت تدور في ذهني في ذلك الحين»، ثم تواصل حديثها وتقول: «لقد وجدت في الدين الإسلامي الإجابات الشافية عن هذه الأسئلة»(٦٣)، فكل التفسيرات التي جاء بها الإيمان عن كل التساؤلات التي أثارها الفلاسفة عن الوجود، والإله، والإنسان، والأخلاق، والطبيعة، كلها تفسيرات موافقة للعقل والمنطق.

ومن الخواص أيضا خاصيّة العالمية؛ أي أن العقيدة الإسلامية عقيدة عالمية للناس كافة، فهي ليست لقطر معين أو شعب معين، قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾(سبأ : ٢٨)، وهذه الخاصيّة تكلّم عنها بعض الذين اعتنقوا

الإسلام مؤخرا، يقول أحدهم: «الإسلام نظام عالمي ودين كوني جاء لجميع الناس في كل العصور. ولم يحدث أن أقر الإسلام أية تفرقة بسبب العرق، أو الوطن، أو الثقافة، أو الطبقة، فكل مؤمن بالحقيقة فهو مسلم، يتمتع بالأخوة الإسلامية مع كافة الناس في كل عصر ومصر، وهذا هو سرّ قوة الإسلام»(٦٤).

كما ينبغي على الأسرة أن توضح الفرق بين خصائص العقيدة الإسلامية وبين ضلالات وانحرافات العقائد والمذاهب المعاصرة، وقد انتشر العديد منها في وقتنا الحاضر، منها على سبيل المثال لا الحصر، الرأسمالية، والشيوعية، والصهيونية، والعلمانية، والماسونية، والنصرانية، واليهودية، والبوذية، والداروينية، والمارونية، والنصيرية، والهندوسيّة، والوجودية .

أما الحديث عن تلك العقائد والمذاهب الفكريّة، فهو خارج حدود البحث، ولكن هناك عدة كتب تحدّثت عن تلك العقائد والأفكار، وتناولت أهم الخصائص التي يتصف بها كل معتقد أو مذهب، وأوضحت المنابع التي استقى كل معتقد منها مبادئه ومعتقداته، وكذلك أبرزت الشخصيات المؤسسة لها، وعلى الأسرة أن تضع تلك الكتب بين أيدي أولادها البالغين.

٣- استخدام اللين واللطف وتجنب اتباع الإكراه:

إن استخدام اللين واللطف في الدعوة إلى اللّه يولد في نفوس البالغين الرغبة إلى الإيمان، وهو من الأساليب الفعّالة في هذا المجال، والأسرة المسلمة وهي تستخدم ذلك الأسلوب إنّما تطبّق أسلوبا عمل به الأنبياء والرسل عليهم السلام في دعوتهم إلى اللّه، كما في قوله تعالى: ﴿اذهبا إلى فرعون إنّه طغى. فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى﴾ (طه : ٤٣-٤٤)، وقال تعالى: ﴿فبما رحمة من اللّه لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾ (آل عمران : ١٥٩)»، والآية الكريمة توحي بأن أسلوب الشدة من الأساليب المنفّرة في الدعوة إلى اللّه. وعلى الأسرة المسلمة أن لاتحمل أولادها البالغين على

الإكراه في إيمانهم، لأن طبيعة الإيمان لاتأتي بالإكراه، وصدق الله حين يقول: ﴿لا إكراه في الدين﴾(البقرة : ٢٥٦) وقال تعالى: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلّهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين. وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لايعقلون﴾ (يونس : ٩٩-١٠٠). ثم إن الشدة تولد النفاق والكبت، فيكون في نفس الولد تساؤلات وشكوك لايستطيع التعبير عنها خوفا من الاتهام أو الضرب. وعلى الأسرة أن تدرك أن بعض البالغين يكبتون أشياء كثيرة وخاصة في الجانب الإيماني، ولايفصحون بها لأسرهم، يقول أحد الباحثين: «فالمراهقون يصرحون عادة بأن شعورهم نحو الله هو شعور الحب والرهبة والخضوع والاحترام، وقد لايجدون حرجا في التصريح بأنهم يخشونه ويخافون منه، أما البغض، فلايجسرون -عادة- على التصريح به»(٦٥).

ج -الوظيفة الثالثة: تنمية العواطف الإيمانية عند الأولاد البالغين:

تعرف العاطفة بأنها: «استعداد نفسي، ينزع بصاحبه إلى الشعور بانفعالات وجدانية خاصة، والقيام بسلوك معين حيال شيء، أو شخص، أو جماعة، أو فكرة معينة، ففيها إذن انفعال،وتصور، وفعل، كالعواطف الدينية، أو الخلقية، أو الاجتماعية، فهي لاتخلو من تصور واضح او غامض ، مصحوب بفعل محمود أو غير محمود»(٦٦)، كما تعرّف العاطفة بأنها: «عبارة عن اتجاه وجداني نحو موضوع بعينه مكتسبة بالخبرة والتعلّم»(٦٧).

من خلال ماتقدّم يتضح أن العاطفة عبارة عن استعداد نفسي، يتقوى ويترسخ وينمو بالاكتساب والتربية والتعلّم وليس بالفطرة.

والإنسان له عواطف عديدة من أهمها «عواطف الحب والكراهية» «فالموضوع الذي يرتبط تكراره بخبرات سارة في مجموعها تتكون حوله عاطفة الحب، والموضوع الذي يرتبط تكراره بخبرات مؤلمة في مجموعها تتكون حوله عاطفة كراهية»(٦٨).

والعواطف لها دور كبير في سلوك الفرد وهي من العوامل الهامة في الإقدام أو التخلي عن سلوك ما «لأنها تدفع الإنسان إلى فعل الأشياء التي يتعاطف معها وتدفعه إلى ترك الأشياء التي يكرهها بدافع داخلي، بشرط أن تكون العاطفة وراء العقل وأن يكون العقل قائدها وإلا ستكون تصرفات الإنسان غير معقولة، تسيرها العاطفة لا العقل»(٦٩). ويشير أحد الباحثين إلى أن: «للشعور أو الوجدان أثراً كبيراً في تكييف سلوكنا وتصرفاتنا في الحياة وفي توجيه الإرادة وتحديد الشخصية وذلك لأنه قوة في الحياة فلابد أن يكون كبير الأثر أيضا في تربية العقائد وتكوينها، فاللذة والألم موجودان بالضرورة خلف الاعتقاد كما يوجدان خلف كل حركات المرء النفسية والعقلية»(٧٠).

وهناك العديد من العواطف تؤثر وتسهم في تعميق المشاعر الإيمانية عند الأولاد البالغين ومن أهم هذه العواطف في هذا الميدان : «عاطفة الحب وعاطفة الخوف، إذ إنهما من أكبر الدوافع والحوافز اللاتي يمكن استخدامهما في عمل الخيرات وتنفيذ المأمورات وترك الشرور والمنهيات»(٧١). ويرى محمد قطب أن الخوف والرجاء إضافة إلى الحب والكره من العواطف الهامة في تكوين الإيمان، حيث يقول: «والخوف والرجاء بقوتهما تلك وتشابكهما واختلاطهما بالكيان البشري كله في أعماقه، يوجهان في الواقع اتجاه الحياة ويحددان للإنسان أهدافه وسلوكه، ومشاعره وأفكاره، فعلى قدر مايخاف ونوع مايخاف.. وعلى قدر مايرجو ونوع مايرجو.. يتخذ لنفسه منهج حياته ويوفق بين سلوكه وبين مايرجو ومايخاف»(٧٢).

والإسلام يعترف بتلك العواطف وبأهميتها وضرورة توجيهها الوجهة الصائبة، ويقدّم التعاليم الكفيلة للآباء والأمهات والمربين عن كيفية توجيه تلك العواطف لكي تدفع بالبالغين إلى طريق الإيمان والاستقامة.

والتربية الأسرية الناجحة هي التي تجعل أولادها البالغين يحبون الله ويحبون المبادئ الإسلامية، وتجعلهم يخافون الله في الوقت نفسه، وسيتحدث الباحث عن عاطفة الحب ثم عاطفة الكره مبينا للأسرة توجيه كل منهما الوجهة السليمة فيمايلي :

أ - عاطفة الحب :

وهي من العواطف الهامة في تقوية وزيادة الإيمان عند البالغين، والمحبة من أعمال القلوب، وصفات الروح، والإنسان بطبيعته يحتاج إلى الحب، يقول أحد الباحثين: «إن لدى الإنسان حاجة نفسية هي الحاجة إلى الحب: حاجته إلى أن يَحبّ وأن يُحبّ، إن الإنسان بتكوينه النفسي حريص على أن يَحبُّ وأن يكون محبوبا»(٧٣). وعن طريق المحبة تستطيع الأسرة أن تدعم العاطفة الإيمانية في نفوس البالغين، ولكن ينبغي على الأسرة أن تدرك أن هناك حبا زائفا يواجه أولادها البالغين في حياتهم، ويؤثر فيهم، ويبدد طاقاتهم، وقد يؤدي بهم إلى الشرك الذي يعد من أكبر الكبائر، وبالتالي تكون المحبة الفاسدة أشدّ ضررا على البالغ والأسرة والمجتمع.

فالمحّبة الضارة التي ينبغي على الأسرة تحاشيها في نفوس البالغين، هي حُبُّ غير الله كحُبُّ الله، أو أكثر من حُبُّ الله، والتي حذّر القرآن الكريم منها في قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحُبُّ الله﴾(البقرة :١٦٥)، أو حب شيء مباح ويصل ذلك الحب إلى درجة حب الله، فحب الأشياء الطبيعية من الأشياء المباحة، كحب النفس والمال والطعام والملبس والمسكن وماشابه ذلك، وليس في ذلك محظور وإنما المحظور منها أن يجعل حب هذه الأشياء على مستوى حب الله أو أشد حبا فهذا لايجوز، كما في قوله تعالى: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لايهدي القوم الفاسقين﴾ (التوبة : ٢٤)، وكذلك محبة ما يبغضه الله منها على سبيل المثال حب الشهوات وحب إشاعة الفاحشة وحب الثناء في غير موطنه.. الخ، والشواهد من الكتاب والسنة عديدة، منها قوله تعالى: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة﴾(النور : ١٩)، وقال تعالى: ﴿لاتحسبنّ الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بمالم يفعلوا فلاتحسبنهم بمفازة من العذاب﴾(ال عمران : ١٨٨).

وهذه الأنواع من المحبة وما شاكلها يتضح فيها أن السعادة وقتية، لاتلبث أن تزول وتعقبها الحسرة والندامة على فعلها، أو قد تنقلب إلى عناء وشقاء، وحياتنا العملية مليئة بالتجارب والحقائق التي تؤكد ذلك، وبخاصة الحب الغزلي في مرحلة البلوغ. والسعادة الحقيقية تكمن في محبة الله، ومحبة كل مايعين الفرد على طاعته واجتناب معصيته، وهناك محبّة خاصة، أشار إليها ابن القيم، فقال: «إنها - أي المحبةالخالصة - لاتصلح إلا لله وحده ومتى أحب العبد بها غيره كان شركا لايغفره الله، فهي محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم وكمال الطاعة، وإيثاره على غيره، فهذه المحبة لايجوز تعلّقها بغير الله أصلا»(٧٤) .

وعلى الآباء والأمهات أن لايفهموا من العرض السابق أن تكوين عاطفة المحبة عند البالغين تنحصر في الدين فقط، فتكوين عاطفة المحبة الدينية عندهم تتطلب تكوين عاطفة المحبة نحو الأسرة، ونحو المجتمع، ونحو الإنسانية، ونحو القيم، ونحو الطبيعة، «والإسلام لايحارب الفطرة ولكنه يهذبها، إنه يريد للناس أن يحبوا، وأن يكرهوا . لأن هذه فطرتهم، ولكن الحب على إطلاقه، والكره على إطلاقه يدمرأن النفس ويبددان طاقتها، ويوزعانها، ويستعبدانها فلا تملك الخلاص»(٧٥).

أما الطرق والأساليب التي ينبغي على الأسرة اتباعها كي تسهم في تنمية عاطفة حب الله في نفوس أولادها البالغين فهي عديدة نذكر منها مايلي:

أ) إشعار البالغ بأنه فقير إلى الله وأنه محتاج إليه، لأن القلوب جبلت على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها، يقول أحد الباحثين في هذا الجانب: «إن الشعور بالحاجة إلى إنسان ما يجعله يرتبط به أكثر من غيره، وإذا شعر أنه يحقق حاجته أحبه»(٧٦). والأسرة المسلمة عندما تشعر أولادها البالغين بحاجتهم إلى الله، إنما تحقق في ذلك تعاليم الإسلام التي بيّن فيها حاجة الناس إلى الله، وأنه تعالى ليس بحاجة إلى أحد، كما في قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله، والله هو الغني الحميد﴾(فاطر : ١٥). كما بيّن ذلك في حديث قدسي فقال: «يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، ياعبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، ياعبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم. »(٧٧).

وينبغي أن يقترن ذلك أيضاً بذكر نعم الله على البالغين ظاهرة وباطنة لأن الإنسان يحب من يجد عنده النعم.

ب) إشعار الأولاد البالغين أنهم مستخلفون على مالديهم من أموال وهو أصلا ملك الله وإشعارهم بأن الإنسان في هذه الحياة لايملك ملكا مطلقا لأي شيء مادي يقع تحت يده، وإشعارهم بأن المالك هو الله سبحانه وتعالى، وأن دورهم في الأشياء التي بحوزتهم هو دور الخازن أو الأمين الذي يحفظ مال غيره، وعندئذ يقل تعلّقهم بالمطامع الدنيوية، ويتجه تعلّقهم إلى المالك الحق، وهو الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿لله ملك السموات والأرض﴾(الشورى : ٤٩).

ج) تنمية حب الرسول وآل بيته في نفوس البالغين، وذلك بتعريف البالغين سنة المصطفى ﷺ من أقوال وأفعال وإقرار، وصفاته الخُلُقية والخَلْقية والترغيب فيها والعمل بموجبها، وتعويدهم الصلاة على النبي عندما يذكر اسمه، لقوله ﷺ : «صلوا عليّ واجتهدوا في الدعاء»(٧٨). ومحبة رسول الله تقود البالغين إلى حب الله، قال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾(ال عمران : ٣١).

د) تنمية محبة المسلمين عند الأولاد البالغين، ذلك أن المسلمين جميعاً عباد الرحمن وهم إخوة في نظر الإسلام، لأن الله خلقهم من نفس واحدة، فلابد أن يكونوا إخوة في الله، والقرآن ذكر هذه الأخوة المبنية على الحب في الله ، قال تعالى: ﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولايجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ (الحشر : ٩) .

٢- عاطفة الخوف :

من المعروف أن الخوف من طبيعة الإنسان، وهو دافع فطري يسمى بدافع

حماية النفس، وهو من العواطف الهامة في تقوية وزيادة إيمان البالغين إذا وجّه التوجيه السليم. وهناك مخاوف زائفة عديدة تواجه الأولاد البالغين في حياتهم، وقد أوضحت بعض الدراسات عددا منها، وسبق الإشارة إلى ذلك في فصل سابق، وهذه المخاوف تبدد طاقات البالغين وتضعفها، وتؤثر على حياتهم ومعتقداتهم، وقد قدّمت التربية الإسلامية الحلول المطمئنة للنفوس إزاء تلك المخاوف الزائفة، وقد تحدث محمد قطب(٧٩) عن ذلك مستشهدا بالأدلة من الكتاب والسنة، ومنها ما يلي:

أ) الخوف من الموت : فالخوف من الموت لايؤخر الأجل، أو يغير المكتوب، ومادام لايغير شيئا من الواقع، فهو تبديد للطاقة وتدمير للكيان بلانتيجة، والأسرة تستطيع أن تخفف تلك المخاوف في نفوس أولادها البالغين بالإقناعات الصائبة التي تشير إليها الآيات الكريمات: ﴿كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة﴾(ال عمران : ١٨٥)، وقال تعالى: ﴿إنا نحن نحي ونميت وإلينا المصير﴾(ق:٤٣)، وقال تعالى: ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾ (النساء : ٧٨). ولكن الخوف من الموت قد يكون مفيداً في بعض الحالات ، فالبالغ المذنب ينبغي أن يذكّر بالموت، والخوف من أن يأتي الموت وهو مذنب، لعلّ ذلك يقوده إلى التوبة، والمبادرة إلى الأعمال الصالحة.

ب) الخوف على الرزق ، طلب الرزق شيء واجب يقره الشرع ولكن ينبغي أن لايصل إلى درجة الخوف الشديد، وبإمكان الأسرة تخفيف تلك المخاوف في نفوس أولادها البالغين، بأن تشعرهم أن الأرزاق بيد الله، وأن الأرزاق مقسمة من عند الله، كما في قوله تعالى: ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع﴾(الرعد : ٢٦)، وقال تعالى: ﴿قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله﴾ (سبأ : ٢٤)، وهناك خوف على الممتلكات قد يدفع الإنسان إلى أخذ الاحتياط والتدبير لمنعها من التلف والآفات والضياع، وهذا الخوف أيضا مفيد.

ج) الخوف من أذى الناس ومن أي ضرر توقعه بالإنسان قوى الأرض. ومن الأساليب التي تعين الأسرة للتخفيف من تلك المخاوف عند البالغين هو الإيمان بقضاء الله وقدره وأن كل شيء من عند الله، كما في قوله تعالى: ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ (التوبة : ٥١)، وقال تعالى: ﴿وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا﴾(النساء : ٧٨).

د) الخوف من النتائج المجهولة المبنية على حاضر معلوم. وبإمكان الأسرة أن تخفف تلك المخاوف عند أولادها البالغين بما أشار إليه الحق سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شرلكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون﴾ (البقرة : ٢١٦)، وقال تعالى: ﴿لاتدري لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمرا﴾ (الطلاق : ١).

وبعد ذلك ينبغي على الآباء والأمهات توجيه عاطفة الخوف إلى مسارها الصحيح في دعم الإيمان في نفوس البالغين، وهو الخوف من الذي بيده القوة لتلك الأمور كلها، حيث يرى ابن القيم أن الخوف عبودية القلب، وعبودية القلب لايصح صرفها إلا لله، فهو يقول: «وأما الخشية والمخافة فلاتصح إلا لله وحده»، قال تعالى: ﴿فلاتخشوا الناس وأخشون﴾ (المائدة : ٤٤)، وقال تعالى: ﴿فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾(ال عمران : ١٧٥)، وقال تعالى: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾(التوبة : ١٨). فالخوف عبودية القلب، فلاتصلح إلا لله كالذل والمحبة والإنابة والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب»(٨٠).

أي ينبغي على الأسرة أن تعمد إلى تنمية الخوف من ارتكاب معصية، أو انتهاك حرمة من حرمات الله في نفوس البالغين، وهذا ماتمليه تعاليم الإسلام ، كما في قوله تعالى: ﴿قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾(الأنعام : ١٥).

وكذلك تنمية الخوف من يوم الحساب والجزاء ويوم الوعيد، عملا بما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾(النور : ٣٧).

أما الطريقة الناجحة التي ينبغي على الأسرة اتباعها في تنمية الخوف من الله في نفوس أولادها البالغين، هي طريقة الترهيب من عذاب الدنيا والآخرة، وستجد الأسرة المسلمة في القرآن الكريم الأمثلة الفعّالة والمتعددة في إثارة الخوف في نفوس البالغين من عذاب الآخرة، فتارة يكون التخويف بالعذاب الحسي، كما في قوله تعالى: ﴿خذوه فغلوه. ثم الجحيم صلّوه. ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه. إنه كان لايؤمن بالله العظيم. ولايحض على طعام المسكين. فليس له اليوم هاهنا حميم. ولاطعام إلا من غسلين لايأكله إلا الخاطئون﴾ (الحاقة : ٣٠-٣٧). وتارة بالعذاب المعنوي ، كما في قوله تعالى: ﴿يوم يفر المرء من أخيه. وأمه وأبيه. وصاحبته وبنيه. لكل أمرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ (عبس : ٣٤-٣٧)، وأخرى بمزج الحسي مع المعنوي، كما في قوله تعالى: ﴿نار الله الموقدة. التي تطلع على الأفئدة. إنها عليهم مؤصدة. في عمد ممددة﴾ (الهمزة : ٦-٩)، وكذلك التخويف من عذاب الدنيا، فتارة يكون التخويف بالعذاب المعنوي، كما في قوله تعالى: ﴿فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا﴾(البقرة : ٨٥)، وقوله تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾ (طه : ١٢٤)، وتارة بالعذاب الحسي، كما في قوله تعالى: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف﴾ (المائدة : ٣٣)، وأخرى بمزج الحسّي مع المعنوي، كما في قوله تعالى: ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون﴾(النور : ٤).

والأسرة تستخدم أسلوب التخويف الذي يناسب الفروق الفردية، لأن هناك تفاوتا في التركيب النفسي عند البالغين، فمنهم من يتأثر بالتخويف الأخروي أكثر من الدنيوي أو العكس، ومنهم من يتأثر بالحسي أكثر من غيره، والبعض يتأثر بالمعنوي، وذلك حسب تكوين مزاج البالغ. وبإمكان الأسرة أن تنقل أولادها البالغين

إلى الواقع ليشاهدوا بعض الجزاءات التي يطبقها الشرع لمن خرج عن حدود الله؛ من جلد أو قطع يد أو قصاص، وأن يستغل الأب الحدث ويوضح للبالغين أن هذا الجزاء وهذا العقاب هو نتيجة عمل كذا وكذا.. ثم يوضح لهم كذلك أثر هذا الموقف على الجاني وحرجه الشديد أمام هذا التجمع من الناس الذين جاؤا ليشاهدوا حكم الله على من تعدى حدود الله، وبهذا يكون الأب قد أثار في نفوس أولاده البالغين الخوف الحسي والمعنوي في آن واحد.

الوظيفة الرابعة: تكوين الحصانة الاعتقادية عند البالغين:

لايقف دور الأسرة المسلمة في تربية الجانب الإيماني عند حد تنمية وتكوين الوازع الديني عند أولادها البالغين فحسب، بل يشمل أيضا حماية معتقداتهم وأفكارهم ضد الضلال والانحراف، وتكوين الحصانة الاعتقادية والفكرية والعلمية عندهم.

وتعد حماية عقائد البالغين من أصعب الأدوار التربويه التي تواجه الأسرة المسلمة في وقتنا الحاضر، وذلك لأسباب عدة. منها الغزو الفكري، وانتشار مفتريات بعض المبشرين والمستشرقين على الدين الإسلامي، وكذلك انتشار أفكار العلمانية، والماركسية، والوجودية، والماسونيه، وغيرها. يقول أحد الباحثين في ذلك: «ولم يكن هذا الخراب العقدي منحصرا في التصورات الذهنية أو المجالات الفكرية المجردة في المنتديات الثقافية والمسارح الفنية، بل إن الخراب العقدي تجسد في واقع عملي لايزال -هناك- يمسخ روح الشباب ويسحق ضمائرهم، ويحطم قواهم النفسية حتى انخرطت أعداد كبيرة من ذلك الشباب في أطر تنظيمية وتيارات فكرية وسياسية تزيد البلاء وتضاعف الكرب»(٨١).

ومن الأسباب أيضا كثرة المغريات والإباحيات المحرمة، وكثرة البطالة حيث يقضي كثير من البالغين وقتا طويلا من حياتهم اليومية بدون عمل، وكثرة انتشار الطوائف والأحزاب في بعض المجتمعات، وانشغال الأسرة وغياب الآباء والأمهات عن

منازلهم وقتا ليس بالقصير وخاصة بعد دخول المرأة معظم ميادين العمل، وانفتاح العالم بعضه على بعض بحيث أصبح الفرد العصري يرى ويشاهد ويسمع مايحل بالعالم وهو داخل بيته.

إن هذه وغيرها تجعل مسؤولية الآباء والأمهات حيال حماية الجانب الإيماني في نفوس أولادها البالغين مسؤولية جسيمة وشاقة، ولكن بالرغم من ذلك يجب على الأسرة أن تتحمل كافة الصعاب، لأن ذلك واجب ديني تمليه تعاليم الإسلام على الآباء والأمهات، وتدعوهم إلى حماية ووقاية عقائد أولادهم من الزيغ والضلال، وجاءت هذه الدعوة صريحة وواضحة في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾ (التحريم : ٦)، والوقاية تتم هنا أساساً بالتعليم والتربية المستمرة.

ويكمن دور الأسرة في وقاية عقائد البالغين من الضلال والانحراف في النقاط التالية :

١- صد الأسباب التي تؤثر في عقائد الأولاد البالغين.

وذلك بالوقوف ضد كل مبادئ وأفكار تتنافى مع عقيدتهم، وينبغي على الأسرة أن يكون ذلك العمل مبكرا؛ أي ينبغي على الأسرة القيام بذلك لمجرد سماع أي فكرة غريبة تمس المعتقدات، حتى لا يتشرب الأولاد تلك الأفكار وبالتالي يصعب انتزاعها، وعلى الأسرة أن تعي أن هناك وسائل عدة من مسموعات ومقروءات ومرئيات تنتقل بواسطتها الأفكار المعادية ولعلّ تعدد هذه الوسائل أحيانا من أكبر المعضلات التي تواجه الأسرة وهي تقوم بدورها الوقائي، وبالتالي يتطلب الأمر في بعض المواقف إلى تضافر جهود الآباء جميعا ضد هذه الأفكار الهدامة، وهذا مطلب يقره الإسلام ويدعو إليه، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾(آل عمران : ١١٠).

وعلى الآباء محاولة استبدال ماهو موجود بالذي هو خير؛ أي العمل من أجل إيج
بديل أفضل عن طريق انتاج أفلام تربوية هادفة، واستخدام ماهو موجود منها حا
في الأسواق وليعلم الآباء مبدئيا أن محاولة الوقوف السلبي دون محاولة إيج
البديل الأفضل سوف تؤدي إلى الفشل إن عاجلا أو آجلا.

٢- حماية الأولاد من الأفكار المعادية للإسلام.

هناك العديد من الأفكار والمخططات المعادية للإسلام، وقد حاول أعداء الإس
اتخاذ كافة الوسائل الممكنة لنقلها إلى شباب المسلمين، وهذه الأفكار لها أثرها البا
على عقائد وإيمان وأخلاق الشباب، والأسرة وهي تبصّر أولادها بما يروجه أعداء
الإسلام، وتضع أيديهم على الأهداف التي ينشدونها من وراء تلك الأفكار، إنما تسهم
في وقاية عقائدهم من الفساد، وإيمانهم من التشويه.

ومن بين تلك المخططات والحملات المعادية للإسلام، والتي ينبغي على الأسرة
المسلمة أن تعيها أولا، ومن ثم تنقل هذا الوعي إلى أولادها، المخططات الشيوعية
والمخططات الصليبية، والمخططات اليهودية والماسونية، والمخططات الاستعمارية،
وهي تهدف جميعا إلى نزع عقيدة الإسلام من كل مسلم لتحل محلها عقيدة الكفر
والضلال والمروق من الإسلام، ولايستطيع الباحث الحديث عن تلك المخططات لأن ذلك
خارج عن حدود البحث، ولكن يريد الباحث إيراد بعض الشواهد ليتضح للأسرة
المسلمة خبث نوايا تلك الحملات المعادية للإسلام، يقول «غلادستون» في مجلس
العموم البريطاني وقد رفع المصحف أمام المجتمعين: «مادام هذا القرآن موجودا في
أيدي المسلمين فلن تستطع أوربا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في
أمان»(٨٢)، ويقول المبشر الصليبي «وليم جيفورد»: «متى توارى القرآن ومدينة
مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية
بعيدا عن محمد وكتابه»(٨٣) ويقول المبشر «جون تاكلي»: «يجب أن نري هؤلاء
الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديدا، وأن الجديد فيه ليس صحيحا»(٨٤)،

ويقول «صموئيل زويمر» أمام مؤتمر القدس التنصيري عام ١٩٣٥م: «.. ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم لها الدول المسيحية في البلاد الإسلامية ليست في إدخال المسلمين في المسيحية فإن في هذا هداية لهم وتكريما، وإنما مهمتكم هي أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لاصلة له بالله، وبالتالي لاصلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها»(٨٥)، ويقول «أديسون» عن الرسول ﷺ : «محمد لم يستطع فهم النصرانية ولذلك لم يكن في خياله إلا صورة مشوهة بنى عليها دينه الذي جاء به العرب»(٨٦).

ولتحقيق مآربهم ضد الإسلام هاجموا تعاليم الإسلام وشرعه، حيث هاجموا الحدود في العقوبات تحت ستار قسوتها على الجاني، وهاجموا تحريم الربا تحت ستار مصلحة أصحاب الأموال، وهاجموا الميراث تحت ستار المساواة، وهاجموا قانون الأسرة تحت ستار تحرير المرأة ومساواتها بالرجل، وهاجموا القيم الخلقية تحت ستار الحرية، والعادات والتقاليد البالية، واستخدموا كافة الوسائل والامكانيات لنشر أفكارهم، فعن طريق التطبيب قدّموا الخدمات الطبيّة بهدف استغلال هذه المهنة، تقول المبشرة «ايدهاريس»: «يجب على الطبيب أن ينتهز الفرصة ليصل إلى آذان المسلمين وقلوبهم»(٨٧)، وينادي «هاربر»: «بالإكثار من الإرساليات الطبية لأن رجالها يحتكون دائما بالجمهور ويكون لهم تأثير على المسلمين أكثر مما للمبشرين الآخرين»(٨٨). وعن طريق التعليم وضعوا كل ثقلهم في استغلال التعليم وتوجيهه بما يخدم أهدافهم، فأقاموا العديد من المدارس والكليات والجامعات والمعاهد العليا واعتبروها من أنجع الوسائل لنشر أفكارهم المعادية، وفرضوا إبان الاستعمار نظم التعليم والتربية التي تبعد الأجيال عن الهوية الإسلامية، وعن الإبداع والابتكار، وعن طريق الأعمال الاجتماعية أوجدوا بيوتا للطلبة ونوادي واهتموا بدور الضيافة والملاجئ للكبار ودور لليتامى واهتموا أيضا بالأعمال الترفيهية، واستخدموا كافة الأساليب ووصل بهم الأمر بالتعاون مع بعض الهيئات «وزيفوا القرآن وطبعوا منه الآف النسخ المزورة، واكتشفت حكومة المغرب العربي القرآن المزيف وفيه عدد من الآيات المحرفة لتلائم أهدافهم»(٨٩). ومن الأساليب التي تعين

الأسرة في تزويد الأولاد البالغين ببعض الأفكار المعادية للإسلام هي وضع بعض الكتب(٩٠) التي لها صلة بالموضوع بين أيديهم .

٣- تكوين قدرة الدفاع عن العقيدة الإسلامية :

ومن الأساليب الفعّالة في حماية عقائد البالغين من الضلال والانحراف أمام الأفكار الهدامة هي تنمية قدرة الدفاع عن العقيدة الإسلامية، ولتحقيق ذلك ينبغي على الأسرة أن تدفع بأولادها البالغين إلى الاطلاع، ومجالسة العلماء وخاصة المختصين في مجال العلوم الإسلامية ليأخذوا منهم المعلومات والمعارف والإجابة المقنعة للرد على كل شبهة تثار حول العقيدة الإسلامية وتشريعاتها، ومن أمثلة تلك الشبهات قول أعداء الإسلام : «أن تطبيق الشريعة الإسلامية يثير المشاعر السلبية لدى الأقليات غير المسلمة، وتهيج النوازع والأحقاد الطائفية في نفوسهم»؛ و«أن الشريعة الإسلامية تتسم في مجموعها بالجمود مما يتعارض وحاجات المجتمع»، والبعض يقول عن الحدود بأنها «قاسية لاتساير روح العصر، ولاتتفق مع النظرية الجديدة في تحليل نفسية المجرم» والآخر يقول عن الربا بأن «تحريم الربا يتناقض مع ضرورات النظم الاقتصادية الجديدة»، وغير ذلك من الشبهات التي تثار، وقد تناول بعض الباحثين(٩١) الرد المقنع عن تلك الشبهات .

كما ينبغي على الأسرة أن تكون الوعي لدى أولادها البالغين بأن تعاليم العقيدة الإسلامية وأحكامها حوت العديد من المبادئ القيّمة، والتي أخذت العديد من الأحكام الوضعية المطالبة بتحقيقها، والتي كانت سببا وعاملا رئيسيا في اعتناق عدد كبير منهم الإسلام في وقتنا الحاضر»(٩٢).

الوظيفة الخامسة : علاج مايقع فيه البالغون من انحراف عقدي:

قد يحدث في بعض الأحيان، إما لعدم تكوين الوازع الديني تكوينا جيدا في نفوس البالغين، أو لعدم الوقاية الكافية في حماية عقائدهم وديانتهم، لهذا وما

شاكله قد يحدث انحراف عقدي لدى البالغين أو شك إيماني، أو خروج عن تعاليم الإسلام. ففي هذه الحالة للأسرة دور كبير في علاج ذلك الانحراف، لأن دور الأسرة المسلمة في تربية الجانب الإيماني لايقف عند حد تنمية وتكوين الوازع الديني، ولايقف عند حد حماية معتقدات أولادها البالغين من الضلال والانحراف، بل يشمل علاج مايقع فيه الأولاد من انحراف عقدي. أما الأساليب التي ينبغي على الأسرة اتباعها في ذلك فهي البحث عن أسباب الانحراف، ذلك أن المولود -كما أشار الباحث- يولد وهو مزود بفطرة التدين، ولهذا فإن الانحراف ينتج عن عوامل خارجية، ومن تلك العوامل التي ينبغي على الأسرة مراعاتها، الطرق والأساليب الخاطئة في تنمية الوازع الإيماني في نفوس البالغين، أو تقديم معـــارف ومعلومات خاطئة عن الإيمان، أو البيئة الأسرية نفسها غير صالحة، أو ترك ممارسة العبادات وعدم تأديتها، أو رفقة فاسدة، أو إعلام فاسد، أو كتب ومجلات هابطة، أو ماشاكل ذلك. وبمعرفة السبب تستطيع الأسرة عندئذ أن تسهم في الإصلاح، وعلى الأسرة أن تبدأ أولا بالتغلب على السبب الذي أدى إلى انحراف البالغ، ثم محاربة الأفكار المعادية وطردها من ذهنه، كما قال أحد الباحثين: «إذا أردنا أن نملأ إناء بشيء جديد .. لابد أن نريق ماكان فيه من قبل، وإذا أردنا أن ندخل فكرة جديدة لابد من طرد أي فكرة قديمة سابقة مضادة لهذه الفكرة الجديدة»(٩٣). ثم التركيز والتوجيه والإرشاد لعلاج الجانب الذي أدى إلى انحراف البالغ بالطرق والأساليب التي سبق ذكرها في ثنايا هذا الموضوع، ثم حماية البالغ من الوقوع مرة أخرى في ذلك الانحراف.

وقد انتهى الحديث عن التربية الإيمانية (العقدية)، وينبغي بعد ذلك معالجة التربية الروحية، لارتباط التربية الروحية بالتربية الإيمانية، ولاعتماد الثانية على الأولى أصلا .

مراجع الفصل الرابع :

(١) محمد الرازي. مختار الصحاح. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٦٩هـ، ص ٣٨.

(٢) ابن كثير . تفسير القرآن العظيم. بيروت ، دار المعرفة ، ١٤٠٢هـ، ج١، ص ٢٠٧.

(٣) البخاري. صحيح البخاري. تركيا، استنبول، المكتبة الإسلامية، ١٩٨١م، كتاب الإيمان، ج١، ص١٨.

(٤)، (٥) جلال الدين السيوطي. صحيح الجامع الصغير وزيادته. (تحقيق محمد ناصر الدين الألباني)، ط٢، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٧٩م، رقم الحديث (٢٧٩٤)، ج٢، ص٤١٦ .

(٦) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري. شرح صحيح البخاري، بيروت ، دار المعرفة، دون تاريخ، ج١، ص٤٦.

(٧) البخاري. صحيح البخاري. مرجع سابق، كتاب الإيمان، ج١، ص ١٨.

(٨) مسلم. صحيح مسلم، بشرح النووي. القاهرة، المطبعة المصرية، ١٣٤٩هـ ، كتاب الإيمان، ج١، ص١٥٧.

(٩)، (١٠) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. مرجع سابق، ج٤، ص ٢١٩.

(١١) البخاري. صحيح البخاري . مرجع سابق، كتاب الإيمان، ج١، ص ١٩.

(١٢) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري. مرجع سابق، ج١، ص ٥١.

(١٣) مسلم. صحيح مسلم ، (بشرح النووي)، مرجع سابق، كتاب شعب الإيمان، ج٢، ص ٣.

(١٤) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري. مرجع سابق، ج١، ص ٥٢-٥٣ .

(١٥) ابن منظور . لسان العرب . بيروت، دار لسان العرب، ١٩٧٠م، ج٢، ص ٨٣٥-٨٣٦.

(١٦) د. جميل صليبا. المعجم الفلسفي . بيروت، دارالكتاب اللبناني، ١٩٧٣م، ج١، ص ١٨٧.

(١٧) عابد توفيق الهاشمي. طرق تدريس التربية الإسلامية. ط٨، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ، ص١٥٥.

(١٨)، (١٩) د. جميل صليبا . المعجم الفلسفي. مرجع سابق، ج١، ص١٨٧.

(٢٠) عابد توفيق الهاشمي . طرق تدريس التربية الإسلامية . مرجع سابق ، ص ١٥٥-١٥٦.

(٢١) د. عمر الشيباني . فلسفة التربية الإسلامية . ط٥، طرابلس، الشركة العامة للنشر والتوزيع، ١٩٨٥م ، ص٨٦.

(٢٢) عبد الرحمن النحلاوي . التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة . ط١، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٢هـ، ص٨٦-٨٧

(٢٣) د. مقداد يالجن . التربية الأخلاقية الإسلامية . مصر، مكتبة الخانجي، ١٣٩٧هـ، ص٢٦٦-٢٦٧.

(٢٤) كانت. كتاب التربية((ترجمة طنطاوي جوهري)، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٥٥هـ، ص٨٤-٨٥.

(٢٥) د. مقداد يالجن . التربية الأخلاقية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٢٦٨.

(٢٦) مسلم . صحيح مسلم . مرجع سابق، كتاب القدر ، ج ٤، ص ٢٠٤٧.

(٢٧) ابن تيمية . مجموع فتاوى ابن تيمية . (جمع وترتيب عبدالرحمن محمد الحنبلي)، إشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين، دون تاريخ، كتاب مفصل الاعتقاد، ج٤، ص٢٤٥.

(٢٨)، (٢٩) المرجع السابق . ص ٢٤٧.

(٣٠) د. حامد عبد السلام زهران . علم نفس النمو . ط٤، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٧م ، ص ٣٩٤.

(٣١) د. مقداد يالجن . جوانب التربية الإسلامية الأساسية . بيروت، مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر، ١٤٠٦هـ، ص ١٤٤.

(٣٢) د. محمد أمين المصري . لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها. ط٤، القاهرة، دار الفكر، ١٣٩٨هـ ، ص٩١.

(٣٣) د. عمر الشيباني . الأسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب . بيروت. دار الثقافة ، ١٩٧٣م، ص٦٢٥.

(٣٤) د. فؤاد السيد . الأسس النفسية للنمو . ط٤ ، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٥م ، ص٣٢٩.

(٣٥) د. عبد الحميد الهاشمي . علم النفس التكويني . ط٤، جدة ، دار المجمع العلمي، ١٤٠٠هـ ، ص١٩٨.

(٣٦) سعيد حوّى . تربيتنا الروحية ، ط١، بيروت، دار الكتب العربية، ١٣٩٩هـ، ص ٨٢.

(٣٧) جلال الدين السيوطي . صحيح الجامع الصغير وزيادته. مرجع سابق، رقم الحديث (٢٧٩٤)، ج٢، ص٤١٦.

(٣٨) مجموعة من علماء الغرب. الله يتجلى في عصر العلم. (ترجمة د.الدمرداش)، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ص٥٤ .

(٣٩) المرجع السابق، ص ٥٢.

(٤٠) انظر كتاب (أ) الله يتجلى في عصر العلم، إعداد مجموعة من علماء الغرب، مرجع سابق.
(ب) عبد العليم عبد الرحمن خضر. المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم، ط١، جدة، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م.

(٤١) د. مقداد يالجن. جوانب التربية الإسلامية الأساسية. مرجع سابق، ص ١٦٠.

(٤٢) مجموعة من علماء الغرب. الله يتجلى في عصر العلم . مرجع سابق، ص ٦٠.

(٤٣) د. الكسيس كاريل. الإنسان ذلك المجهول. (تعريب شفيق فريد)، بيروت، منشورات مكتبة المعارف دون تاريخ، ص٨٥-٨٦.

(٤٤) د. الكسيس كاريل . الإنسان ذلك المجهول . مرجع سابق، ص ٨٩.

(٤٥) د. الكسيس كاريل . الإنسان ذلك المجهول. مرجع سابق، ص ١٠٧.

(٤٦) د. مقداد يالجن . جوانب التربية الإسلامية . مرجع سابق ، ص ١٥٩.

(٤٧) المرجع السابق، ص ١٦٧.

(٤٨) عباس محمود العقّاد. الله . كتاب في نشأة العقيدة. ط٣، مصر، دار المعارف، ١٩٦٠م، ص ٢٢١.

(٤٩) عبد الرحمن النحلاوي. اصول التربية الإسلامية وأساليبها . دمشق، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ص٢٠٢.

(٥٠) سميح عاطف الزين . طريق الإيمان . ط٣، بيروت، دارالكتاب اللبناني، ١٩٧٧م، ص ٩٠-٩٢.

(٥١) د. مقداد يالجن . التربية الأخلاقية الإسلامية . مرجع سابق ، ص ٢٠٢.

(٥٢) من بينها: (أ) كريس موريسون . العلم يدعو للإيمان . (ترجمة محمود صالح) ، مرجع سابق.
(ب) الكسيس كاريل . الإنسان ذلك المجهول . (تعريب شفيق أسعد)، مرجع سابق.
(ج) مجموعة من العلماء . الله يتجلى في عصر العلم (ترجمة الدمرداش سرحان)، مرجع سابق.

(٥٣) د.محمد أمين المصري . لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها . مرجع سابق ، ص ١١٠.

(٥٤) جلال الدين السيوطي . صحيح الجامع الصغير وزيادته. مرجع سابق، رقم الحديث (٣٥٣٩)، ج٢، ص١٨٧.

(٥٥) د. محمد أمين المصري . لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها . مرجع سابق، ص ١٢١.

(٥٦) د. عبد الحميد الصيّد الزنتاني. أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية. ليبيا، الدار العربية للكتاب، ص٣٨١.

(٥٧) د. مقداد يالجن . جوانب التربية الإسلامية الأساسية . مرجع سابق ، ص ١٥٢-١٥٣. نقلا من كتاب الحياة الوجدانية، محمود حسب الله، ص ٢٦٢.

(٥٨) د. مقداد يالجن . جوانب التربية الإسلامية الأساسية . مرجع سابق ، ص ١٥٤ نقلا من كتاب قصة الفلسفة، ول ديوراتن، ص ٦١٩.

(٥٩) عبد الرحمن النحلاوي . أصول التربية الإسلامية وأساليبها . مرجع سابق، ص ٧٤.

(٦٠) جلال الدين السيوطي . صحيح الجامع الصغير وزيادته . مرجع سابق، رقم الحديث (٥٧٢٥)، ج٥، ص٢٠١.

(٦١) البخاري . صحيح البخاري . مرجع سابق، كتاب الحدود، ج٨، ص ٢٠.

(٦٢) محمد شديد . منهج القرآن في التربية . بيروت ، دار الأرقم ، دون تاريخ، ص ٨٦.

(٦٣) عرفات كامل العشي . رجال ونساء أسلموا ، ط١، الكويت، دار القلم، ١٤٠٤هـ ، ج٨، ص ١٨-١٩.

(٦٤) المرجع سابق، ص ١٠٢.

(٦٥) عبد المنعم عبد العزيز المليجي . تطوير الشعور الديني عند الطفل والمراهق. القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٥٥م، ص ٢٢١.

(٦٦) د. جميل صليبا . المعجم الفلسفي . مرجع سابق، ج٢، ص ٤٤.

(٦٧) د. مصطفى فهمي . الدوافع النفسية . القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٦٨م، ص ٩٧.

(٦٨) د. عبد العزيز القوصي . أسس الصحة النفسية . ط٢، الكويت، دار القلم، ١٩٧٠م ، ص ٩٠.

(٦٩) د. مقداد يالجن . بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام . الرياض، دار المريخ، ١٤٠٨هـ، ص١٤٩.

(٧٠) د. محمد أمين المصري. لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها . مرجع سابق ، ص١١٧.

(٧١) د. مقداد يالجن . جوانب التربية الإسلامية الأساسية . مرجع سابق ، ص١٧٠-١٧١.

(٧٢) محمد قطب . دراسات في النفس الإنسانية. ط٥، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨١م، ص ٧٦-٧٧.

(٧٣) د. فاخر عاقل . أصول علم النفس وتطبيقاته . ط٥، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨١م، ص ٢٢٤.

(٧٤) ابن القيم. طريق الهجرتين وباب السعادتين . بيروت، دار الكتاب العربي، دون تاريخ، ص ٣٨٢.

(٧٥) محمد قطب . منهج التربية الإسلامية . ط٤، القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٠هـ ، ص ١٤١.

(٧٦) د. مقداد يالجن . جوانب التربية الإسلامية الأساسية . مرجع سابق، ص ١٧٢.

(٧٧) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . الأحاديث القدسية . ط٣، القاهرة، وزارة الأوقاف، رقم الحديث (٢٦٦)، ج١، ٢ ، ص ٢٦٤ .

(٧٨) جلال الدين السيوطي . صحيح الجامع الصغير وزيادته . مرجع سابق، رقم الحديث (٣٦٧٧)، ج٢، ص٢٤٥.

(٧٩) محمد قطب . منهج التربية الإسلامية . مرجع سابق ، ص ١٢٧– ١٣٢ .

(٨٠) ابن القيم . طرق الهجرتين وباب السعادتين . مرجع سابق، ص ٣٦٥ .

(٨١) رابطة الجامعات الإسلامية . ندوة تربية الشباب المسلم ودور الجامعات فيها . الرياض، إدارة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود ، ١٤٠٩هـ ، ص ١٧ .

(٨٢) عبد الله التل . جذور البلاء . بيروت، دار الإرشاد، ١٣٩٠هـ، ص ٢٠٣ .

(٨٣) المرجع السابق ، ص ٢٠١.

(٨٤) الندوة العالمية للشباب الإسلامي . الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ط٢، الرياض، مطبعة سفير، ١٤٠٩هـ، ص ١٦٢ .

(٨٥) المرجع السابق ، ص ١٦٢–١٦٣ .

(٨٦) المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

(٨٧)، (٨٨) المرجع السابق ، ص ١٦٦ .

(٨٩) عبد الله التل . جذور البلاء . مرجع سابق ، ص ٢١١ .

(٩٠) من بينها :

(أ) محمد عزت إسماعيل الطهطاوي . التبشير والاستشراق . القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، ١٣٩٧هـ

(ب) د . محمد البهي . الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر . القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٣٨٥هـ

(ج) د . مصطفى خالد . التبشير والاستعمار في البلاد العربية . بيروت، المكتبة العلمية، ١٩٥٣م .

(د) محمد مبارك . الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية . ط٣، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٣م .

(هـ) أ٠ل٠ شاتليه٠ الغاره على العالم الإسلامي ٠ (ترجمة محب الدين الخطيب)، ط٣جدة، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ١٤٠٠هـ٠

(و) الندوة العالمية للشباب المسلم٠ الموسوعة الميسرة ٠ مرجع سابق ٠

(ز) عبد الله التل ٠ جذور البلاء ٠ مرجع سابق ٠

(٩١) مؤتمر الفقه الإسلامي ٠ وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية والشبهات التي تثار حول تطبيقها٠ الرياض، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠٤هـ، ص ٣٥٣-٣٧٤٠

(٩٢) انظر ٠ عرفات كامل العشي٠ رجال ونساء أسلموا، ١٠ أجزاء، مرجع سابق ٠

(٩٣) د٠ مقداد يالجن وآخرون ٠ علم النفس التربوي في الإسلام ٠ الرياض، دار المريخ، ١٤٠١هـ، ص٢٦٢-٢٦٣٠

الفصل الخامس

دور الأسرة المسلمة في التربية الروحية

أولا : الروح مفهومها وصفاتها

ثانيا : التربية الروحية - مفهومها، وأهميتها، وعناية الإسلام بها

ثالثا : أهم الوظائف التي يجب أن تقوم بها الأسرة في التربية الروحية

رابعا : الأساليب والوسائل التي تساعد الأسرة على تحقيق وظائفها في التربية الروحية

أولا - الروح مفهومها وصفاتها :

إنه يجدر بالباحث تحديد مفهوم الروح وصفاتها، وأيضاً تحديد موضوع التربية الروحيّة قبل الدخول في أساليب هذه التربية، ويتم ذلك بمعالجة الموضوعات الآتية:

أ) مفهوم الروح :

الروح من الأمور التي تعتقد بها معظم الأمم والشعوب، فعلم اللغة «أثبت أنه لم تخل لغة من لفظ يدل عليها، فالإنسان من مبدأ أمره يميز بين المادة والروح حتى قبل أن يتفلسف»(١). لذا فإن التفكير في الروح بدأ منذ زمن طويل، ولعل أول تفكير منظم في مسألة الروح كان تفكير الفراعنة، فقد كان المصريون «من أعرق الأمم التي آمنت بالروح ثم آمنت بالبعث والثواب والعقاب بعد الموت ورمزوا للروح بـ «بكا» تارة بزهرة، وتارة بصورة طائر ذي وجه آدمي وتارة بتمساح أو ثعبان، وقالوا بأن الروح تتشكل بجميع الأشكال، ولكنهم لم يقولوا بتناسخ الأرواح»(٢). وقد أدى إيمان الفراعنة بالروح إلى حفظ أجساد موتاهم. أما في الهند فقد آمنوا بتناسخ الأرواح، وفي الصين قديما شاعت عبادة الأرواح لدرجة أن أغلى قربان في نظرهم هو القربان الذي يقدّم للروح.وكذلك الشأن عند اليابان.

كما أسهم علماء اليونان وفلاسفتهم الأقدمون في البحث عن الروح، «ويجمعون على أن الروح عنصر لطيف مختلف عن البدن، ولاتفنى وهي تعود إلى عالمها العلوي عند مفارقتها الجسد»(٣)، ومن بين هؤلاء الفلاسفة الذين تحدثوا عن الروح «سقراط»،و «أفلاطون». كما شاعت أساطير مختلفة بين قبائل أفريقيا عن الروح تناولتها بعض الكتب بالشرح والإيضاح(٤).

وظلّت مسألة الروح تشغل بال المفكرين المحدثين الغربيين ليقفوا على ماهية الروح وطبيعتها ومفهومها، ومن بين هؤلاء الفيلسوف «جورج باركلي» وهو من

دعاة الفلسفة الروحية الذاتية، والذي يرى: «أن حقائق الأشياء روحية ولاتوجد حقيقة مادية، وماهذه الأشياء المحسوسة إلا مظاهر خداعة لاحقيقة لها إزاء الحقائق الروحية أو العقلية»(٥)، والفيلسوف الألماني «ليبنتز» -وهو من مناصري الفلسفة الروحية الشاملة- يرى: «أن عالم الطبيعة مكون أساسا من الذرات الروحية، أو بمعنى آخر فهو يرى أن الذرات التي يتكون منها عالم الطبيعة ذرات روحّية شفافة مائعة»(٦).

وكذلك الحال عند علماء المسلمين في تفسير وتوضيح الروح، فقد عرّفها الإمام مالك بأنها: «صورة نورانية على شاكلة الجسم تماما»(٧)، ويعرفها ابن القيم بأنها: «جسم مخالف في الماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي خفيف متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء»(٨)، ويعرفها مقداد يالجن بأنها: «جوهر بسيط لطيف حي بذاته يختلف عن ماهية الجسم لأنها من العالم الإلهي متخلق على صورة الجسم الإنساني مرتبط بالجسم كلّه ارتباطا وثيقا ويسري فيه سريان النور في الزجاجة، وهي التي تدير الجسم وتضفي عليه صفاته الذاتية من الإدراك والتعقل والشعور بالتسامي والمسؤولية الوجدانية والإحساسات الأدبية الجمالية»(٩).

من هذا السياق الموجز عن الروح يتضح تشعب الآراء والأفكار وتعدد الفروض وتباينها في تفسير الروح لتظل الروح حتى الآن سرًا من أسرار الخالق ومعجزة في اكتشاف كنهها، حيث يرى العقاد: «أن من معجزات القرآن أنه وضعها هذا الموضع الصحيح من الفلسفة والعلم وجعلها أعضل المعضلات التي يتساءل عنها الإنسان»(١٠)،نعم إن الروح كما يقول أحد الباحثين: «شيء مبهم غامض ليست له حدود»(١١).

أما الروح في القرآن الكريم فقد وردت في أكثر من موطن، واستخدمت لعدة معان، وقد لخصّها أحد الباحثين في النقاط التالية (١٢) :

١- الوحي كما ورد في قوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا﴾ (الشورى:٥٢).

٢- القوة والثبات والنصرة، قال تعالى: ﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه﴾(المجادلة : ٢٢).

٣- جبريل كما جاء في قوله تعالى: ﴿نزل به الروح الأمين﴾(الشعراء : ١٩٣).

٤- الروح التي سأل عنها اليهود، قال تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾(الإسراء : ٨٥). والروح التي سأل عنها اليهود هي الروح التي وردت في قوله تعالى: ﴿يوم يقوم الروح والملائكة﴾(النبأ : ٣٨) وقوله تعالى ﴿تتنزل الملائكة والروح فيها﴾(القدر : ٤).

٥- المسيح ابن مريم، كما في قوله تعالى: ﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول اللّه وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾(النساء : ١٧١).

٦- روح الإنسان، وهي ماجاء في قوله تعالى عندما خلق الإنسان: «ثم سواه ونفخ فيه من روحه ﴾(السجدة : ٩).

أما مفهوم الروح في نظر الباحث، فهي شيء مخلوق منفصل بذاته، لاندركها بالنظر، ولانراها بالعين، ولكن ندرك أثرها على الجسم، فهي تمنح الجسم الحركة والحياة، وإذا فارقته فلا حركة ولاحياة، ويمكن أن تشبه بالكهرباء أو المغنطيس، فنحن لانرى الكهرباء ولكن ندرك أثرها على الجسم، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالمغناطيس، وكذلك الدوافع الروحية فهي ليست حسيّة في منابعها، ولكنها حسّية في السلوكيات التي تؤدي إليها، وللروح صفاتها المميزة من خلال تأثيرها على الجسم، وتلك الصفات نبينها فيمايلي:

ب - صفات الروح :

من العرض السابق يتضح أن الروح شيء مبهم في حقيقتها، ولكنها معروفة بكثير من صفاتها، والسلوكيات التي تدفع إليها، فهي موجودة في الواقع، وهي حقيقة يقرها الدين والعقل والعلم على أنها شيء موجود في كل إنسان، ولهذا نرى

إلى جانب اعتراف جميع الأديان بهذه الروح، اعترف كثير من رجال العلم والفكر والفلاسفة كما ذكر الباحث ذلك فيما سبق.

وبالإضافة إلى العديد من الشواهد التي تؤكد الإيمان بالروح، فإن الباحث يود أن يشير إلى أن كل إنسان في الوجود يدرك أثر الروح في جسمه، ولكن الروح شأنها شأن العديد من الأسرار في طبيعة الإنسان؛ بمعنى أن الروح ليست وحدها شيئا غامضا في الإنسان لانستطيع أن نصل إلى حقيقتها، بل هناك أشياء أخرى مثل التذكر والإدراك والتفكير وغير ذلك من أسرار العقل لانستطيع أن نصل إلى حقيقتها، كما أنها ليست محسوسة في ذاتها، وإنما ندرك نتائجها وآثارها، فالاندفاع إلى «الخير والبر والرحمة والتعاون والإخاء والمودة والحب والصدق والعدل والإيمان بالله، والإيمان بالمثل العليا والعمل على تحقيقها في واقع الحياة.. كل ذلك من مظاهر النشاط الروحي، أو نشاط قائم على قاعدة روحية، وهو -مثلها- أمر معنوي لاتدركه الحواس، ولكن تدرك آثاره الظاهرة في الواقع المحسوس»(١٣).

ولم يقتصر مظاهر النشاط الروحي على مظاهر علاقات اجتماعية فقط، بل يشمل كافة أفعال الإنسان في حياته، حيث يرى الإمام الغزالي أن وظائف النفس -مع الإحاطة بأن النفس والروح والقلب ألفاظ مترادفة في نظر الإمام الغزالي- تنقسم إلى:

١- وظائف يشترك فيها الحيوان والنبات كالتغذي والنمو والتوالد.

٢- وظائف تشترك فيها الحيوانات دون النبات مثل الإحساس والتخيل والحركة والإرادة.

٣- وظائف تخص الإنسان نفسه وهي وظائف العقل، ووراء كل وظيفة من هذه الوظائف قوة خاصة تسمى نفسا»(١٤).

كما أن النشاط الروحي يتخذ في بعض الأحوال مظهرا يفوق مايتصوره العقل وخارج عالمنا المحسوس، كما يقرره أحد الباحثين في قوله: «وقد يحدث نشاط روحي معين تعديلا تشريحيا ووظيفيا في الأنسجة والأعضاء، وتلاحظ هذه الظواهر العضوية في ظروف مختلفة، من بينها حالة العبادة، فالصلاة كما يجب أن تفهم

ليست مجرد ترديد للطقوس، ولكنها ارتفاع لايدركه العقل، إنها استغراق الشعور في تأمل مبدأ يخترق عالمنا ويسمو عليه، ومثل هذه الحالة السيكولوجية ليست عقلية.. إن الفلاسفة والعلماء لايفهمونها، كما أنها صعبة المنال عليهم، ولكن يبدو أن الشخص المتجرد من حب متاع الدنيا يشعر بالله بمثل السهولة التي يشعر بها بحرارة الشمس، أو بعطف أحد أصدقائه عليه»(١٥).

فالصفات الروحية هي المطلب الأساسي في دراسة الروح ومعرفتها، وهذه الحقيقة قد أكدّها الإمام الغزالي في قوله عن الروح: «وغرضنا ذكر أوصافها، وأحوالها، لاذكر حقيقتها في ذاتها، وعلم المعاملة يفتقر إلى معرفة صفاتها وأحوالها، ولايفتقر إلى ذكر حقيقتها»(١٦).

وقد بيّن أحد الباحثين أن الروح تتصف بالصفات التالية :

١- النزوع إلى التسامي على مواصفات الحياة الحيوانية المادية الصرفة، والتشوق إلى الصعود إلى العالم الروحاني.

٢- إنها تضيق بالرذائل الأخلاقية والجرائم والفواحش، وتفرح بالتحلي بالفضائل وعمل الخيرات الكثيرة للناس.

٣- إنها تضطرب وتقلق وتضيق بالحرمان من الحياة الروحية، كما يضطرب الجسم نتيجة الحرمان من الغذاء اللازم، لأن غذاء الروح هو الحياة الروحية، وبالطبع فإن الإنسان إذا حرم من أي حاجة من حاجاته الأساسية يشعر بالكآبة والقلق والضيق، ثم تضطرب حياته نتيجة لهذا وذاك. والحياة الروحية من ضمن الحاجات الأساسية بحكم الغريزة الروحية التي طبع عليها الإنسان.

٤- البحث عن الله لشعوره بالحاجة إليه لتقديسه وعبادته(١٧).

وقد ذكر ابن القيم بعضا من صفات الروح ، فقال: «دلّت النصوص الصحيحة الصريحة على أنها تصعد وتنزل وتقبض وتمسك وترسل وتستفتح لها أبواب السماء، وتسجد وتتكلّم، وأنها تخرج تسيل كما تسيل القطرة وتكفن، وتحفظ في

أكفان الجنة أو النار، وأن ملك الموت يأخذها بيده، ثم تتناولها الملائكة من يده، ويشمّ لها كأطيب نفحة مسك أو أنتن جيفة، وتشيع من سماء إلى سماء ثم تعاد إلى الأرض مع الملائكة، وأنها إذا خرجت تبعها البصر بحيث يراها وهي خارجة، ودلّ القرآن على أنها تنتقل من مكان إلى مكان حتى تبلغ الحلقوم في حد حركتها»(١٨). والأرواح تختلف بعضها عن بعض في الصفات والأشكال كما تختلف الأبدان، حيث يقول ابن القيم: «وتميز الروح عن الروح بصفاتها أعظم من تميز البدن عن البدن بصفاته! ألا ترى أن بدن المؤمن والكافر قد يشتبهان كثيرا وبين روحيهما أعظم التباين والتميز، وأنت ترى أخوين شقيقين متشابهين في الخلقة غاية الاشتباه وبين روحيهما غاية التباين»(١٩). وهذا ما أشار إليه حديث رسول الله ﷺ في قوله: «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف»(٢٠).

وعن طريق الروح يتصل الإنسان بالمجهول، وبالغيب المحجوب عن الحواس، وهذا مايسمى بالتخاطب عن بعد، وفي هذا مايدعو إلى البحث والدراسة في الكشف عن جوانب الروح، وفي طرق الاتصال بالأرواح، مثل حادثة عمر الشهيرة مع سارية: «حين ناداه من على بعد ألوف الأميال: ياسارية: الجبل ! الجبل! فسمعه سارية، ونجا من الكمين وانتصر»(٢١). ونظرا لحساسية الموضوع وأهميته نشأت مؤسسات تهتم بدراسة هذا الجانب مثل «كلية علم الأرواح» في انكلترا، ومعهد العلم ماوراء المادة في فرنسا، وسيكشف لنا العلم بإذن اللّه الشيء الكثير عن صفات الروح. وذلك مثل الدراسات النفسية التي تركّز على السلوكيات النفسية، وتكشف عن صفاتها أشياء كثيرة يوما بعد يوم.

ثانيا - التربية الروحية ، مفهومها وأهميتها، وعناية الإسلام بها:

أ - مفهوم التربية الروحية :

يقصد بالتربية الروحية تزكية الروح وتطهيرها وتهذيبها وتنميتها ورعايتها وحمايتها من أمراضها، وتعني التربية الروحية أيضا كما قال أحد

الباحثين: «أول ماتعني حمايتها ممايشوه جوهرها وأسباب مرضها، وتعني ثانيا تنميتها بتغذيتها ورياضتها بالعبادات المختلفة بأساليب خاصة، وتعني كذلك تطهيرها وتخليتها من الرذائل ثم تحليتها بالفضائل المختلفة. وأخيرا ترقيتها لتستطيع التقرب إلى خالقها ولتكون على صلة مستمرة به في السر والعلن ولتستمد منه العون والإشراق والطمأنينة»(٢٢).

ودور الأسرة هنا هو ترسيخ القوى الروحّية في نفوس أولادها البالغين، وتنميتها، وحمايتها من أمراضها وأسباب ضعفها، وتوجيه طاقتها إلى التسامي.

ب - اهمية التربية الروحية لهذه المرحلة:

يظهر مما سبق أهمية التربية الروحية من حيث إنها تبني الشباب من الناحية المادية والروحّية، وبها يمكن دفعهم إلى السمو والرقي الروحي والاستعلاء على الأهواء والشهوات والتحكم فيها، وبها يمكن تزويد الشباب بالطاقة المادية والروحّية معا ، ثم بها نستطيع حمياتهم من الانحراف والانحطاط والسقوط في الرذائل، كما نستطيع حمايتهم بها من شتى الأمراض الروحّية والنفسية، مثل القلق والاكتئاب التي يصاب بهما كثير من الشباب البعيدين عن الحياة الروحية، وفي ضوئها يهتدون إلى حقائق معينة، وبها تسكن النفس وتطمئن، وتتحلى بالفضائل وتتخلى عن الرذائل، وبدونها تختل موازين شخصياتهم، وتضطرب قواهم العقلية والنفسية. فالحقيقة إذاً أن التربية الروحية لاتقتصر آثارها على الجانب الروحي فحسب، بل تنعكس على بقية جوانب الشخصية، وقد ذكر أحد الباحثين أنه: «كلما ارتقينا بالتربية الروحية ارتقينا من الناحية الإنسانية بالحياة الإنسانية الى مدارج الكمال وانتقلنا بها إلى آفاق أوسع إشراقا وانشراحا وبهجة من الحياة الحيوانية المادية الضيقة»(٢٣).

وصدق الله العظيم حين يقول: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾(طه : ١٢٤).

وباعتبار أن العبادة بأنواعها المختلفة جوهر الحياة الروحية، والوسيلة الأساسية للنمو الروحي، والصلة الدائمة بين الإنسان وخالقه، لذا نرى كل دين سماوي دعا الناس إلى الحياة الروحية بشكلٍ ما ، بل أوجب على الناس عبادة الله، كما في قوله تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن عبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ (النحل : ٣٦) وقال تعالى: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾(هود : ٨٤)، وقال تعالى: ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾(هود : ٦١).

وإذا كانت التربية الإيمانية هي أولى التربيات التي ينبغي على الأسرة التركيز عليها في تربية الجوانب الأساسية لأولادها البالغين -كما أشار الباحث إلى ذلك سابقا- فإن التربية الروحّية تحتل المرتبة الثانية لأنها مبنية على الأولى، والأسرة وهي تعمل بذلك إنما تقتدي بتربية سيدنا لقمان عليه السلام لولده، حيث بدأ بالتربية الإيمانية أولا ثم انتقل إلى التربية الروحّية، وهذا مانلمحه في قوله تعالى: ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابني لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم .. يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانْهَ عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾(لقمان : ١٣-١٧).

فالعبادات وعلى رأسها الصلاة من عناصر التربية الروحّية التي بواسطتها تتصل الروح بخالقها.

ج - عناية الإسلام بتربية الروح :

قبل الحديث عن عناية الإسلام بالجانب الروحي والتربية الروحية، يود الباحث أن يشير باختصار إلى بعض الفلسفات التي تحدثت عن جوانب الإنسان وطبيعتها ، فهناك بعض الفلسفات تنظر إلى الطبيعة الإنسانية على أنها مركبة من عنصرين مختلفين هما؛ الروح، والمادة، أوهما ؛ العقل والجسم. وقد وصل بهم الحد إلى الفصل بين العقل والجسم، ونادى البعض منهم بثنائية التكوين الإنساني، وقد تبنى

«أفلاطون» هذه الثنائية «وبنى عليها نظريته في الأخلاق والسياسة والاجتماع وفي التربية والتعليم»(٢٤) وترتب على هذه النظرية الثنائية للطبيعة الإنسانية أمور عديدة في مجال التربية والتعليم، منها الفصل بين ماهو روحي وماهو جسمي. كما ذهبت بعض الفلسفات إلى التركيز على جانب واحد وإغفال بقية جوانب الإنسان الأخرى؛ أو بمعنى أخر الاهتمام بجانب ما من طبيعة الإنسان على حساب بقية الجوانب، ولو تطلب الأمر التضحية ببعضها، وهذا مانهجته التربية المسيحية من تضحية الجسم والعقل في سبيل تحقيق الروح(٢٥). وترتب على ذلك مذاهب فلسفية عدة، وفرق متنوعة من بينها؛ «فرقة تهتم بالجانب الروحي أكثر من الجانب المادي وهي المثالية، وأخرى تهتم بالجانب المادي أكثر من الجانب الروحي وهي الواقعية، والثالثة تهتم بكلتيهما على حد سواء»(٢٦).

وقد ذهبت العديد من مدارس علم النفس الغربية إلى تفسير طبيعة الإنسان تفسيرا جزئيا، وأخذت كل مدرسة تفسّر الطبيعة الإنسانية بالجزء الذي تهتدي إليه(٢٧). فقد راحت المدرسة السلوكية تفسر الإنسان على أنه مجموعة من العادات، وردود الفعل الشرطية المنعكسة، وراحت المدرسة الميكانيكية تشبّه الحياة كلها – بما فيها الحياة الإنسانية– بالجهاز الآلى، كما راحت المدرسة التجريبية تضع النفس البشرية في المعمل مع أن الطريقة التجريبية لاتستطيع أن تتناول من طبيعة الإنسان إلا جانبها الجسدي، والفسيولوجي والمظاهر السلوكية.

أما الإسلام فإنه يرى أن الإنسان كل متكامل لا انفصال بين مكوناته، «فالإنسان في نظر الإسلام ليس جسما فقط ولاعقلا فقط ولاروحا فقط، ولكنه كل متكامل من هذه العناصر جميعا»(٢٨). وهذا ماتوصل إليه بعض علماء التربية المعاصرين في عدم اعترافهم بالفصل التقليدي بين الجسم والعقل والروح، فهم ينظرون إلى «طبيعة الإنسان على أنها وحدة متكاملة لافصل بين جوانبها الجسمية والعقلية والروحية»(٢٩) بحدود قاطعة وقد يقول قائل إذن لماذا تقول التربية العقلية، والتربية الروحية، والتربية الجسمية، والتربية الاجتماعية، والتربية الأخلاقية..

الخ. وللإجابة على ذلك ، ليس القصد من ذلك التجزئة في تربية جوانب الإنسان ولا القصد استقلال كل جانب استقلالا تاما عن الآخر. وإنما لأجل تبسيط عملية التربية والتعليم، وإعطاء كل جانب استحقاقه من التربية والتنشئة والرعاية دون أن يطغى جانب على حساب جانب آخر، والوصول بكل جانب إلى كماله ليؤدي واجبه ومسؤوليته .

وقد وازن الإسلام بين حاجات الإنسان المادية وحاجاته الروحية وحاجاته الاجتماعية، وهذا مانهجه مربي هذه الأمة محمد ﷺ في تربية أصحابه، كما رواه أنس بن مالك، حيث قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي يسألون عن عبادة النبي، فلما أخبروا كأنهم تقالّوها فقالوا: وأين نحن من النبي وقد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم أما أنا فأني أصلي الليل أبدا، وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا اعتزل النساء فلا اتزوج أبدا، فجاء رسول الله فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني أخشاكم للهّ، وأتقاكم للّه لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»(٣٠).

والنظرة إلى الإنسان بهذا الشكل المترابط الأجزاء لها آثارها الإيجابية على العملية التربوية في الإسلام، لأنها تعطي كل عنصر مايحتاجه من التربية، وعندما يعبر الإسلام عن بعض هذه الأبعاد يوحي إلى السامع بأن هذا هو الأهم، حتى إذا ما انتقل الحديث إلى البعد الآخر، شعر السامع بأن هذا الجانب هو الأهم من سابقه، وكما يقول محمد قطب: «نعم توجد لحظات كأنها لحظة جسد خالصة أو لحظة عقل خالصة أو لحظة روح»(٣١).

وفي إطار هذه النظرة الشاملة للطبيعة الإنسانية، وفي ضوء الأفكار الإسلامية تناول الباحث مكونات الطبيعية الإنسانية من روح وعقل وأخلاق وجسم كلا على حده تيسيرا لدراسة كل جانب، وحتى يعطي كل جانب من جوانب مكونات الشخصية مايحتاجه من التربية الأسرية. والذي يعنينا في هذا المقام هو نظرة

الإسلام إلى التربية الروحية، فقد عنى الإسلام بالروح، وجعل الروح مركز الكيان البشري ونقطة ارتكازه، وجعلها من أكبر طاقات الإنسان، وقد ذكر أحد الباحثين أن : «طاقة الروح -وحدها- في كيان الإنسان، هي التي لاتعرف الحدود والقيود، لاتعرف الزمان والمكان، لاتعرف البدء والنهاية، لاتعرف الفناء.. هي وحدها التي تملك الاتصال بما لايدركه الحس ولايدركه العقل. هي وحدها التي تملك الاتصال بالخلود الأبدي، والوجود الأزلي.. تملك الاتصال بالله. كما أنها هي التي تملك الاتصال بالوجود كله من وراء حواجز الزمان والمكان»(٣٢).

ثالثا - أهم وظائف الأسرة التي يجب أن تقوم بها في مجال التربية الروحيّة:

ويمكن تلخيص أهم تلك الوظائف في النقاط التالية :

١- تنمية روح البالغ وتزكيتها، وتوجيهه دائما إلى عبادة الله.

٢- تكوين الوعي لدى البالغين بأهمية الحياة الروحية وضرورتها للفرد والجماعة.

٣- تعويد البالغ على ممارسة العبادات بأساليبها في ميادينها المختلفة.

٤- تنشئة البالغ على أداء العبادات بروحها لابشكلها.

٥- حماية روح البالغ من أسباب مرضها وعللها.

٦- علاج مايقع فيه البالغ من انحراف وخروج عن طاعة الله.

رابعا - الأساليب والوسائل التي تساعد الأسرة في تحقيق وظائفها في التربية الروحية :

وقد تناول الباحث كل وظيفة على حدة، موضحاً الأساليب والوسائل التي تساعد الأسرة في تحقيق تلك الوظيفة وذلك فيمايلي:

الوظيفة الأولى : تنمية روح البالغ وتزكيتها :

ويتم تحقيقها باتباع مايلي:

١- العمل بموجبات العقيدة:

فالبالغ يجب أن يمارس عقيدته في أعماله بحيث تنعكس على أعماله وتصرفاته، وعلى الأسرة الاهتمام بإقامة هذه العلاقة وتقويتها في توجيه البالغ، وعليها أن تدرك أن الإيمان هو المرتكز الأساسي في تربية الروح، وله آثاره الإيجابية في تربيتها، فالبالغ عندما يؤمن حق الإيمان بـ «لا إله إلا الله»، وتأخذ مداها في قلبه، فإنها كما قال عنها أحد الباحثين: «تحرق كل الأمراض وتوجد في القلب أخلاقا لها ثمراتها في السلوك كالمحبة لله، والإخلاص له، والخوف منه، والتوكل عليه، ويستقيم جسد الإنسان وعقله على منهج الإسلام أي على منهج لا إله إلا الله»(٣٣).

وكذلك الإيمان بصفات الله وأسمائه والعمل بمقتضاها لها أثرها الإيجابي على تربية الروح، فتدبر صفة العلم لله مثلا، ومدى علمه الواسع الذي لو كان البحر يمدّه من بعده سبعة أبحر، وكانت أشجار العالم كلها أقلاما، والأبحر السابقة مدادا يكتب به كلام الله لنفدت البحار والأقلام، وكلام الله عز وجل لم ينفد، وصدق الله حين يقول: ﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم﴾(لقمان : ٢٧). وكذلك الإيمان باليوم الآخر له آثاره الإيجابية على تربية الروح، تلك التربية التي تجعل البالغ يحاسب نفسه بنفسه، دون تدخل خارجي قبل أن يأتي يوم الجزاء والحساب، ويوم لاينفع مال ولابنون، قال تعالى: ﴿يوم لاينفع مال ولابنون. إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ (الشعراء: ٨٨-٨٩). وفي ظل هذا الإيمان تنضبط الروح خوفا من عقاب الله وطمعا في مرضاته، وأيضا الإيمان بالقدر خيره وشرّه يطمئن روح البالغ، ويرضى بما قسم الله بين عباده من النعمة والرزق، ويقوي عزيمته في الإقدام على الأعمال دون تردد أو خوف، ويولّد عنده طاقة يستطيع بها أن يواجه الصعاب، ويستقبل نوائب الدهر بنفس راضية مؤمنة.

٢- تزويد البالغين بالمعارف اللازمة عن العبادات:

فتكوين المعارف الصحيحة عن العبادات تعد من أولى واجبات الأسرة وأهمها نحو تكوين بناء روحي سليم عند الأولاد البالغين. فالعبادات جميعها من الصعوبة بمكان تأديتها دون تعلمها أولا؛ فتأدية الصلاة مثلا تحتاج من العابد معرفة أركانها وواجباتها وعدد ركعاتها وأوقاتها، ومعرفة كيفية التطهرّ لها، فالعلم بالعبادات التي فرضها الله من الوسائل الهامة لتصحيح المسيرة إلى الله؛ لأن العبادات لاتصح إلا بمعرفتها والعمل بها، فأهل العلم بالله أكثر خوفا ورجاء من اللهّ، لهذا قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ (فاطر : ٢٨) فمن زادت معرفته بالله وبالعبادات المفروضة.. زادت هيبته منه، واستقرت السكينة في قلبه، كما أنه يكشف لصاحبه طريق الهداية والاستقامة، ويولّد في القلوب نورا وأنسا، فيحي القلوب والأرواح، أما الجهل بالله وبعباداته اللائقة به فإنه يميت القلوب والأرواح أيضا، وقد جاء بكل ذلك القران الذي كان هداية ونورا، وصدق الله إذ قال: ﴿أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾ (الأنعام : ١٢٢)، ومعنى «وجعلنا له نورا يمشى به في الناس»؛ أي يهتدي كيف يسلك وكيف يتصرف به، ومعنى «كمن مثله في الظلمات»: أي الجهالات والأهواء والضلالات»(٣٤)، ولهذا يجب على الأسرة أن تشجع أولادها على مجالسة العلماء بالله، والعابدين له حق عبادته، وقد قال الإمام أحمد بن حنبل لابنه: «يابني جالس العلماء، وزاحمهم بركبتك، فإن الله يحي القلوب بنور الحكمة، كما يحي الأرض بوابل المطر»(٣٥).

فالعلم الحقيقي بالله وبصفاته وقدرته يوجب الهداية والاستقامة، والجهل بهذه الأمور يوجب الظلمة والوحشة في النفوس كما أن العلم بالله يجعل صاحبه ينتقل بين أنواع العبادات، ويتلون بتلون أقسام العبودية، كما يقول ابن القيم: «فبيناتراه مصليا إذرأيته ذاكرا، أو قارئا، أو معلما، أو مجاهدا، أو حاجا، أو مساعدا للضعيف، أو مغيثا للملهوف، فيضرب في كل غنيمة من الغنائم بسهم، فهو مع

المتعلمين متعلّم، ومع الغزاة غازٍ ، ومع المصلين مصل، ومع المتصدقين متصدق، فهو ينتقل في منازل العبودية من عبودية إلى عبودية »(٣٦).

ونظرا لأهمية العلم في تربية الروح وتزكيتها، فإنه ينبغي على الأسرة مراعاة مايلي:

(أ) العلم بالقرآن :

على الأسرة أن تدرك أن العلم بالقرآن هو المدد الدائم للقلب، الذي يبقى به سراج القلب مضيئا مشرقا، وبه تبقى النفس مطمئنة، وبه يسير البالغ مهتديا، وبقدر علم الأولاد بهذا القرآن والعمل به يزداد نور قلوبهم، وهناك العديد من الآيات القرآنية تؤكد ذلك، ويكفينا في هذا المقام قوله تعالى: ﴿ الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دريٌ يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم﴾(النور : ٣٥). والآية الكريمة حوت العديد من الفوائد، يأتي في مقدمتها -وهو مرتكز حديثنا- توضيح نور القلب، وبيان المصدر الذي يستمد منه نورانيته، والمولّد لهذا النور فيه، في قوله تعالى: ﴿ الله نور السموات والأرض، مثل نوره» (قيل هو المؤمن الذي جعل الله الإيمان والقرآن في صدره فضرب الله مثله﴾(٣٧) في قوله تعالى: (نور على نور ».وأكّد رسول الله فضل القرآن على سائر الكلام فقال: «مثل الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب، والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مرّ، ومثل الفاجر الذي لايقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مرٌ ولاريح لها »(٣٨).

ولكن ينبغي على الآباء والأمهات أن يدركوا أن هذا النور الذي يحدثه القرآن في قلوب أولادهم لا يأتي إلا بعد صلاح قلوبهم أولا؛ لأن الذي في قلبه مرض أو زيغ

أو ضلال يكون التأثير عليه عكسيا، فبدلا من أن يكون القرآن زيادة في الهداية، والاستقامة، والسلامة، يكون عامل زيادة في المرض، والإعراض، والضلال، وصدق الله حين يقول: ﴿ وإذا ماأنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأمّا الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون. وأمّا الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتواوهم كافرون﴾(التوبة : ١٢٤-١٢٥). كما أن قراءة القرآن بدون تدبّر وتفكرّ وتبصر لاتحدث تأثيرا إيجابيا ولو قرأ البالغ القرآن عدة مرات، أو استمع إليه معظم الأوقات، لذا قال تعالى: ﴿ أفلايتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ (محمد:٢٤)، وقال تعالى: ﴿ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم﴾ (محمد: ١٦). فالعبرة من قراءة القرآن الإيمان به أولا ثم التدبر في معانيه وفهمها ثم العمل بها، تأسيا بصحابة رسول الله فقد «كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات، فلايأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا مافي هذه من العلم والعمل(٣٩).

(ب) العلم بسنة رسول الله :

والعلم بسنة رسول الله ﷺ له أثره الفعّال في تربية الجانب الروحي عند البالغين. فالسنة لاتقل أهمية عن العلم بكتاب الله. فالعلم بالسنة من الدعائم الأساسية التي تسهم في زيادة هداية الفرد واستقامته؛ لأن السنة جاءت موضحة ومبينة لما جاء في القرآن الكريم من حقائق ومعلومات، قال تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾ (النحل : ٤٤)، وقد أكّد القرآن الكريم الأخذ بما جاء به الرسول، والنهي عما نهى عنه، قال تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إنّ الله شديد العقاب﴾ (الحشر :٧). فالبالغ الذي لايدرك السنّة ولايفهمها ولايعمل بموجبها، لايكون عابدا، وتكون عبادته غير صحيحة، وغير مقبوله، ولاتقود صاحبها إلى الله.

وعلى الأسرة أن تضع نصب عينيها أن الهدف الغائي من تعليم أولادها الكتاب والسنة أن يعبدوا الله على ضوء تعاليم الكتاب والسنة؛ لأن العبادات جاءت مفصلة تفصيلا كاملا، فليس لأحد أن يزيد فيها أو ينقص منها، وأن أي عبادة لاتقوم على الأسس العلمية التي جاء بها القرآن الكريم وشرحتها السنة النبوية، فهي عبادة خاطئة ولاتصل بصاحبها إلى درجة الرقي والكمال، بل هي مردودة عليه، لقول رسول الله: «من أحدث في أمرنا هذا ماليس فيه فهو ردّ»(٤٠) . وقد حدد الكتاب والسنة أركان العبادات وواجباتها تحديدا شاملا، فالصلاة مثلا لها أركانها وواجباتها والصوم له أركانه وواجباته، والحج كذلك، والصيام، وبقية العبادات المفروضة، وقد تناولها علماء المسلمين بالشرح والإيضاح في معظم كتب الفقه، وخير سبيل للوصول إلى معلومات موضحة ومفصلة وموجزة عن ذلك هي مقررات الفقه التي تدرس بالمرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية .

وعلى الأسرة أن تجنب أولادها البالغين عن مجاذبات جزئيات أوتفاريع مسائل العلم الخلافية، فهناك اختلافات فقهية في بعض الجزئيات -وليس في الأصول- بين بعض أئمة المسلمين، وأن تتبع مثل هذه الخلافات البسيطة له أثره السلبي على البناء الروحي لدى الأولاد؛ لأن هذا الأمر من أخطر الأمور التي واجهت الأمّة الإسلامية في ماضيها وحاضرها، وهو من الأسباب الرئيسة التي تؤدي إلى اختلاف الأمّة شيعا وأحزابا، والخلاف الناجم عن ذلك يصعب التغلب عليه وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد﴾(البقرة : ١٧٦).

وعلى الأسرة أن تجنب أولادها البالغين تلك الخلافات التي تشوش عليهم حياتهم الروحّية، وتضعف انتباههم إلى الأصول الفقهية الثابتة؛ التي بها حياة قلوبهم واستقامة السير إلى الله؛ لأننا نشاهد في وقتنا الحاضر، بعض البالغين أخذوا يتعصبون لمسألة جزئية مختلف حولها، فيدافعون عنها، ويجمعون الأدلة والبراهين، أكثر من أن يذهبوا لتعلّم المسائل الأصولية المتفق عليها.

٣- تحلية أرواح البالغين بالفضائل وتخليتها من الرذائل:

وهذه من الوسائل الفعّالة في تزكية الأرواح وتطهيرها، وفي تنمية البناء الروحي عند الأولاد، وقد أكّد بعض الباحثين: «أنه كلما ابتعد الإنسان عن الرذائل والمساوئ ظاهرا وباطنا، وعمل الخيرات بإرادة خيّرة، ورغبة أكيدة في الخير، زاد ابتهاج الروح ونشاطها وطاقتها وحيويتها، لأن من مقتضى صفاتها التضايق بالرذائل والانشراح بالفضائل»(٤١). ولأهمية هذا الجانب، نجد الحق سبحانه وتعالى جعل نجاح الإنسان في دنياه وأخراه في الالتزام بعمل الخيرات والابتعاد عن عمل الرذائل، كما في قوله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون. الذين هم في صلاتهم خاشعون. والذين هم عن اللغو معرضون. والذين هم للزكاة فاعلون. والذين هم لفروجهم حافظون. إلا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون. والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون. والذين هم على صلواتهم يحافظون. أولئك هم الوارثون. الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ (المؤمنون: ١-١١).

وتؤثر كل من الفضيلة والرذيلة على الحياة الروحية للبالغ، فالفضيلة توجهه إلى الخير والفلاح، والرذيلة توجهه إلى الشر والهلاك، ومثال ذلك فضيلة الصدق، ورذيلة الكذب اللتان قال عنهما رسول الله: « إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا»(٤٢).

وعلى الأسرة أن تدرك أن تأدية العبادة وحدها لن تكن كافية في بناء أرواح الأولاد، مالم يتحلوا بالفضائل، ويتخلوا عن الرذائل؛ أي أن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، وغيرها من العبادات المفروضة وغير المفروضة، لاتنقذ البالغ من عذاب الله، ولاتقبل عبادته منه وروحه ملتصقة برجس الرذائل،

وهناك نصوص تؤكد بطلان العبادة عمن لم يبتعد عن الرذائل، منها قوله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»(٤٣). بل إن الرذائل والذنوب تغلّف القلب بغلاف يحجبه عن نور الله، وعن صراطه المستقيم وتغلفه بغلاف الظلمة وقد تجعل قلبه أعمى لايميز بين الخير والشر والطيب والخبيث، لقول رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه، وهو الران الذي ذكر الله تعالى: (كلابل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون»(٤٤).

الوظيفة الثانية: تكوين الوعي لدى البالغين بأهمية الحياة الروحيّة وضرورتها للفرد والجماعة:

ومن الأساليب الفعّالة التي تسهم في البناء الروحي لدى البالغين، بيان الحياة الروحيّة لهم، وكشف الفوائد المترتبة على ممارستها، والأضرار الناتجة عن تركها، فالعبادات التي شرعها الله لها نتائجها العلمية والعملية، وثمراتها الاجتماعية والفرديّة على حد سواء، فالعبادات تربي البالغ على الارتباط الدائم بالجماعة، والاندماج في مجتمعه؛ لأن معظم العبادات المفروضة تقام في جماعة، كما أن العبادات تشيع بين الأفراد روح التعاون والتلاحم، والتكاتف، وتزيل العقد الاجتماعي والصراع الطبقي، كما تربي العبادة في الإنسان الوعي الكامل والتفكير، كما أنها تربي أيضا الجانب الصحي في شتى فروعه، وكذلك تربي الجانب الخلقي فتجعل العابد مفتاحا للخير ومغلاقاً للشر. وقد تناولت كتب عديدة ذلك بالشرح والإيضاح، وينصح الباحث الأسرة أن تضع مثل تلك الكتب بين أيدي أولادها، وباختصار يمكن إيجاز أهمية العبادات في النقاط التالية:

أ- تجسيد الشكر لله بما أنعم الله به وتفضل عليه بالأعمال الظاهرة والباطنة.

ب - تهذيب النفوس واتصالها بخالقها.

ج - صحة للإنسان ورياضة جسمية.

د - السمو بالأخلاق وحسن الشمائل.

هـ - تقوية إرادة الإنسان وتعليمه الصبر والصفح

و - تعليم الوعي الفكري الدائم.

ز - تعليم الارتباط بالجماعة المسلمة.

ك - تزويد الإنسان بشحنات من الطاقة الروحّية.

ل - تجديد النفس بالتوبة باستمرار.

وسيتحدث الباحث عن بعض العبادات المفروضة ، وأهمية آثارها التربوية، كي تكون عونا للأسرة وهي تكشف لأولادها تلك الآثار عند ممارستهم تلك العبادات، ومن بينها مايلي:

(أ) الصلاة :

وللصلاة أثر كبير في تزكية النفوس وتطهيرها وترسيخ الفضائل والصفات الحميدة لدى البالغ، ورفع روحه المعنوية، وتقوية عزيمته، وإرادته بحسن توكله على الله، وتفويض أمره إليه، لأنه في كل ركعة في الصلاة يتلو قوله تعالى: ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين﴾ (الفاتحة : ٥)، كما أن الصلاة تقي صاحبها الجزع، والهلع، والخوف وتسد منافذ الشيطان، قال تعالى: ﴿ إن الإنسان خلق هلوعا. إذا مسه الشر جزوعا. وإذا مسه الخير منوعا. إلا المصلين. الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ (المعارج : ١٩-٢٣) كما تشيع الصلاة في نفس المؤمن السكينة والطمأنينة والثقة فتحفظ سلامته النفسية وتقيه من الصراع والتوتر، ولهذا قال رسول الله: «جعلت قرّة عيني في الصلاة» (٤٥). كما أن الصلاة تقي البالغ من الرذائل والفحشاء والمنكر، وصدق الله حين يقول: ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ (العنكبوت : ٤٥)، كما أن الصلاة تكفّر العديد من الذنوب، فهي كفّارة لما قبلها من الذنوب، لقول رسول الله : «مامن امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت

كفّارة لما قبلها من الذنوب، مالم يؤت كبيرة، وذلك الدهر كله»(٤٦)، وتمحو الخطايا وقد شبهها رسول الله بنهر، فقال: «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لايبقى من درنه شيء قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»(٤٧).

وفوق هذا وما شاكله، فالصلاة لايقتصر أثرها على الجانب الروحي فحسب بل يمتد إلى بقية الجوانب ، ففي الركوع والسجود والقيام تتحقق اللياقة البدنية عند الأولاد، وفي الطهارة للصلاة تتحقق نظافة البدن والملبس وزينة الملبس لأن الله أمر بأخذ الزينة عند كل مسجد ، قال تعالى: ﴿يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ (الأعراف : ٣١)، كما أن الصلاة ليست حركات آلية تؤدى بغير تفكر وتدبر ووعي وحضور قلب، بل من شروط إقامتها التفكر والتدبر، فمن صلى وهو غافل فلا صلاة له، قال تعالى: ﴿فويل للمصلين. الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾(الماعون : ٤-٥) كما أن العبد لايكتب له من صلاته إلا ماعقل منها قد يكون عشرها أو أكثر أو أقل ، لقول رسول الله: «إن الرجل لينصرف وماكتب له إلا عشر صلاته، تسعها، ثمنها، سبعها سدسها، خمسها، ربعها، ثلثها، نصفها»(٤٨). وفي الصلاة مع الجماعة تعاون مثمر مع الآخرين فهي تجعل الفرد عضوا صالحا في الجماعة، وهذا كلّه يسهم في تنمية الجانب الاجتماعي عند الأولاد، ولهذا فقد رغّب رسول الله ﷺ في الصلاة مع الجماعة، وأنها أفضل من صلاة الفرد اضعافا مضاعفة، قال: «صلاة الجماعة تعدل خمسا وعشرين من صلاة الفذ»(٤٩). وفي أداء الصلاة في أوقاتها دون تقديم أو تأخير، كما قال تعالى ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا﴾(النساء : ١٠٣)، تحقق انضباطا ذاتيا واحتراما للنظام، وأداء الواجبات في أوقاتها.

(ب) الزكاة :

وللزكاة تأثيرات تربوية بالغة الأهمية في تكوين شخصية البالغ فهي تطهر نفسه، وقد اعتبر القرآن الكريم بذل المال تطهير وتزكيةً للنفس، كما في قوله

تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾(التوبة : ١٠٣)، فالزكاة تطهر النفس من الرذائل، وخاصة رذيلة البخل التي تؤدي إلى الهلاك، قال تعالى: ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولاتلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾(البقرة : ١٩٥)، وقد جاء تفسير هذه الآية في بعض المواطن بأن التهلكة تعني البخل؛ أي «أن تمسك بيدك عن النفقة في سبيل الله»(٥٠)، لأن البخل في الإنفاق في سبيل الله يؤدي إلى النقص في إعداد العدة للمعركة، وهذا بدوره يؤدي إلى الهزيمة، والهزيمة في الحرب يصاحبها الدمار والهلاك، ففي البخل شرور عظيمة لايدركها صاحب البخل وهو يعتقد أن عدم الإنفاق يحقق له مصالح، وصدق الله إذ يقول: ﴿ولايحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شرٌ لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض﴾(آل عمران : ١٨٠)، وكون الزكاة تسهم في التخلي عن الرذائل كما سبق ذكره، فإنها في الوقت نفسه تسهم في التحلي بالفضائل ومنها الإيثار والبذل والكرم والجود ومساعدة الفقراء والمحتاجين والمحرومين.

كما تحد الزكاة من تكدّس الأموال في أيدي الأغنياء دون أن يكون للفقير نصيب منها، قال تعالى: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم. يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ماكنزتم لأنفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون﴾(التوبة ٣٤-٣٥). وبالزكاة يتم تحقيق التكافل الاجتماعي بين الطبقات الاجتماعية، وتشيع بين الأغنياء والفقراء روح التعاون والرحمة والتلاحم؛ لأن الزكاة تزيل من نفوس الأغنياء الشح والأنانية، وتزيل من نفوس الفقراء الحقد والكراهية، والحسد.

وللزكاة أثرها النفسي والروحي ، لأنها إذا خرجت عن طيب خاطر شعر صاحبها بالسكينة والطمأنينة والراحة والرضا؛ لأنه أدى حق الله تعالى في ماله، فضلاً عما يناله المنفق من الجزاء الأوفر والأجر المضاعف ، قال تعالى : ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبّة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾(البقرة : ٢٦١).

(ج) الصوم:

وللصوم أثره التربوي الفعّال على نفسية البالغ، فهو يقوده إلى الاستقامة والتقوى، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلّكم تتقون﴾(البقرة : ١٨٣)، والعابد يجد في الصيام ثوابا لايجده في أي عبادة أخرى؛ لأن الصيام كما قال رسول اللّه: «كل عمل ابن آدم يضاعف: الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف. قال اللّه عز وجل إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به»(٥١)، وقال رسول اللّه: «إن في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لايدخل منه أحد غيرهم»(٥٢).

كما أن الصوم يقوي عزيمة البالغ وقدرته على التحمل والصبر؛ لأن من أساليب تقوية الإرادة تدريب الأولاد على الكف أو الامتناع عن المنهيات والملذات ولهذا فالصوم يساعد على تقوية الإرادة من هذه الناحية، فهو يسهم في ضبط النوازع والانفعالات والشهوات، وهذا مانلمحه في قول رسول اللّه: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»(٥٣).

والصوم يقي البالغ الفحش والرذائل والآفات والعلل النفسية والخلقية والاجتماعية لقول رسول اللّه: «الصيام جنّة»(٥٤)، والجنّة الوقاية والستر، وإنما كان الصوم جنّة من النار لأنه إمساك عن الشهوات، والنار محفوفة بالشهوات»(٥٥)، فالصوم يقي صاحبه من شر ما تجر إليه الشهوات من الوقوع في الزنى والاعتداء على أعراض الناس، ولهذا يقول الرسول في موطن آخر: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس للّه حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»(٥٦).

والصوم يعكس على نفس البالغ الفرح والسرور والسعادة على الرغم من حمل نفسه ومجاهدتها عن الأكل والشرب طوال النهار، وهذا الفرح والسرور الذي يجده

الصائم أشار إليه رسول الله في قوله: «للصائم فرحتان يفرحهما، إذا فطر فرح، وإذا لقي ربّه فرح بصومه»(٥٧).

(د) الحج :

والحج كغيره من العبادات له أثره التربوي على نفس البالغ، فهو رحلة مع الله، يعيش البالغ أياما متجردا من دنياه، ويحس بأنه في ضيافة الله، يعيش في جو روحاني، جو كلّه الحب والفناء في الله، يقاوم هواه وشهواته مبتعدا عن المعاصي والآثام، والفسوق والجدال، الذي لافائدة منه، والحج ينمي في نفس البالغ روح التسامح والعفو والصفح لأن الحج لا يقبل إذا ارتكب صاحبه المآثم والفسوق ، وصدق الله حين يقول: ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلارفث ولافسوق ولاجدال في الحج وماتفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب﴾(البقرة : ١٩٧).

كما يولد الحج في النفوس الطمأنينة والهدوء والراحة، قال تعالى: ﴿ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾(آل عمران : ٩٧)، كما يولد فيها أيضا الألفة والمحبة والإخاء بين المسلمين، لأن الحج يجمع مسلمين من أقطار عدة، فيتعارفون ، ويسأل بعضهم عن حال بعض ، وهذه وسيلة فعّالة للألفة والمحبة بين المسلمين، وصدق اللهّ إذ يقول: ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾(الحج : ٢٧).

كما يشعر البالغ بالمساواة والتواضع، والعدل عندما تتوحد الاتجاهات بين صفوف الحجاج، يدعون رباً واحداً، وعندما يتوحد الملبس، وعندما يتساوى الفقير والغني، والأبيض والأسود، فلافضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.

وهكذا فجميع الفرائض التي فرضها الله من صلاة، وزكاة، وصوم، وحج، وجهاد، وكسب حلال، وصلة رحم، وبر للوالدين، وغيرها. فرضها الله لحكمة.

وعلى الأسرة أن تدرك أنه إذا لم يحقق البالغ الحكمة من إقامة كل فريضة، لايكون قد أقام العبادة حق القيام، وإنما تكون عبادته صورية؛ أي عندما يؤدي البالغ الصلاة، ولاتنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر لايكون قد أدرك حكمة الصلاة التي شرعت من أجلها، والتي أشارت إليها الآية الكريمة: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾(العنكبوت : ٤٥)، وكذلك إذا صام البالغ، ولم ينهه صومه عن قول الزور، والعمل به، لايكون قد أدرك حكمة الصوم التي شرعت من أجله، والتي أشار إليها الحديث الشريف: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»(٥٨)، وكذلك الشأن عن بقية العبادات، مثل الذكر والشكر والدعاء والتفكر في مخلوقات الله.

الوظيفة الثالثة : تعويد البالغ على ممارسة العبادات في ميادينها المختلفة :

والممارسة من الأساليب الفعّالة في التربية الروحية؛ لأن العبادة لاتصلح إلا بالعمل والممارسة المستمرة، فالذي يؤمن بالصلاة، ويعرف أركانها، وواجباتها، ولكن لايمارسها لايعتبر عابدا، فالعبادات المفروضة، من شهادة بوحدانية الله، وأن محمداً رسول الله، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام، وغيرها من العبادات، تتطلب ممارسة وسلوكا عمليا.

لذا ينبغي على الآباء والأمهات أن يهتموا بتنمية السلوك العملي الرشيد، وأن يدركوا إنما تحسن تربية أولادهم، وخاصة في الجانب الروحي، إذا هم مارسوا ماتعلموه، وماعرفوه عن ربهم، وعن أوامره ونواهيه .

ومن الأمور التي ينبغي على الأسرة مراعاتها في هذا الجانب مايلي:

١- إثارة الرغبة في ممارسة العبادات:

إن طريقة غرس العادات الصالحة تتم بإثارة الرغبة أولا في ممارسة عبادة ما، ثم تهيئة المناخ المناسب لتحويل تلك الرغبة إلى عمل واقعي، وهذا ما أشار إليه

محمد قطب حول طريقة غرس الفضائل النفسية في الإسلام، فقال: «والإسلام يلجأ في ذلك أولا إلى إثارة الوجدان، وتكوين الرغبة في العمل ثم يحول الرغبة إلى عمل واقعي ذي صورة محددة واضحة السمات .. الصلاة رغبة في الاتصال بالله، والدعاء إليه، وطلب المعونة منه، فيحول هذه الرغبة إلى عمل محدد ذي مراسم وحدود، ثم ينظمها في أوقات محددة.. والزكاة رغبة في التحرر من الشح وفي العطف على المحتاج، والتعاون مع الجماعة، فتتحول الرغبة إلى عمل ظاهر محدد، ذي نسبة معينة في المال، وأوقات معينة في الأداء»(٥٩)، وكذلك غرس كل قيمة من القيم الإسلامية، تبدأ بإثارة الرغبة ثم تتحول إلى عمل حي لايكلف أداؤه جهدا كبيرا.

٢- الاستمرار في تعويدهم على ممارسة العبادات :

إن تعويد الأولاد على ممارسة العبادات لايتم بسهوله ، أو بين عشية وضحاها، بل يحتاج الأمر إلى صبر وجهد متواصلين، وعلى الآباء والأمهات أن لايتضجروا أو يثوروا على أولادهم عندما يخطئون في بداية التعود على عبادة ما، فالولد الذي يحاول ويخطيء يتعلّم أسرع من الولد الذي لم يحاول، وقد استخدم ذلك الأسلوب مربي هذه الأمة محمد ﷺ في تعويد وتعليم أصحابه بعض العبادات، مثال ذلك حديث المسيء صلاته الذي أخطأ عدة مرات في الصلاة، وهو يصلي أمام الرسول وبعد عدة محاولات خاطئة اشتاق إلى التعلّم فأرشده عليه السلام، وقال له: «إذا قمت إلى الصلاة فكبّر ثم اقرأ ماتيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعا، ثم ارفع حتى تعتدل قائما، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها»(٦٠).

لهذا ينبغي على الآباء والأمهات أن يدركوا أن توجيه أو إرشاد البالغ مرة أو مرتين ، غير كاف لتكوين عادة ما، فالعادة كما قال أحد الباحثين: «هي قيد على السلوك أو ضبط له في اتجاه معين، وكل قيد أو ضبط يحتاج إلى جهد معين لكي يتم،

ولكنه بعد أن يتم يصبح أمراً سهلاً للغاية، ينفذ بأيسر الجهد»(٦١) إذا تم عن قناعة ورغبة أكيدة ولكن للممارسة شروطاً ينبغي على الأسرة مراعاتها، ومن بين تلك الشروط مايلي:

أ- الممارسة المستمرة في العبادة :

أي ينبغي على الآباء والأمهات أن يحرصوا على جعل أولادهم يمارسون عبادتهم باستمرار لأن العبادات تتطلب المداومة المستمرة طوال الحياة، لقول الله تعالى: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾(الحجر : ٩٩)، وتعد المداومة على الطاعة من الأعمال الخيّرة، وإن قلّت، لقول رسول الله: «إن خير العمل أدومه، وإن قل»(٦٢)، ولتحذر الأسرة من توقف أولادها عن ممارسة الطاعات والعبادات في أوقاتها؛ لأن توقفهم عن الأداء بدون عذر يترتب عليه خسارة كبيرة في الأجر والثواب، ويؤدي إلى انتكاسة في حياتهم الروحية لقول رسول الله: «من أفطر يوما من رمضان من غير رخصة لم يجزه صيام الدهر»(٦٣)، وقال رسول الله: «الّذي تفوته صلاة العصر كأنما وُتِر أهله وماله(٦٤).

ب - عدم الغلو في الممارسة :

والممارسة المطلوبة في العبادة ينبغي أن تتخللها فترات للراحة مع البعد عن الغلو. وهذا أمر ينبغي على الأسرة مراعاته في تربية أولادها؛ لأن الجوارح لها طاقات محدّدة في الأعمال تنتهي إليها وتقف، وبالتالي فالبالغ لايستطيع أن يتعبد أكثر من تلك الطاقة، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك وقال: «إن الدين يسر، ولايشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والرّوحة وشيء من الدّلجة»(٦٥).

وعلى الأسرة أن تدرك أن الغلو في العبادة، وتكليف الأولاد أكثر من طاقاتهم في ممارسة الرياضة الروحية طريقة خاطئة، وإنما ينبغي عليها أن تقارب وتسدد ، وقد قال عمر بن الخطاب: «إن لهذه القلوب إقبالا وإدبارا، فإذا أقبلت فخذوها

بالنوافل، وإن أدبرت فالزموها الفرائض»(٦٦)؛ فإذا وقعت الممارسة في أنسب الأوقات لوقوعها فيه، كان أنفع وأجدى.

ع - أن تكون الممارسة على عدة أوجه وحالات :

فالممارسة المطلوبة في العبادة ينبغي أن تكون على عدة أوجه وحالات. أي ينبغي على الأسرة أن تعود أولادها ممارسة جميع أنواع العبادات دون التركيز على ممارسة نوع معين من العبادات، وأن تدفع بهم إلى عمل الخيرات متى تطلب الأمر ذلك، وهذه هي التربية الروحية الصحيحة، وهي العبادة الحقّة، يقول ابن القيم في هذا المجال: «إن أفضل العبادات: العمل على مرضاة الرب في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته»(٦٧).

فالأفضل مثلا في وقت الجهاد أن تحث الأسرة أولادها إلى الجهاد وتدربهم عليه، والأفضل في أوقات الصلاة المبادرة إليها والخروج إلى المسجد، والأفضل في أوقات إسعاف المحتاج المبادرة إلى مساعدته، والأفضل في أوقات مرض الجار أو الأخ المسلم أو موته، عيادته وحضور جنازته، والأفضل في وقت حضور الضيف القيام بحقه وضيافته، والأفضل وقت نزول القدر الصبر والاحتساب، فالعبادة المفضلة هي العبادة التي تتفق وحال الموقف، وقد أشار ابن القيم إلى ذلك وقال: «الأفضل في كل وقت حال: إيثار مرضاة الله في ذلك الوقت والحال، والاشتغال بواجب ذلك الوقت ووظيفته ومقتضاه»(٦٨).

والأسرة وهي تدرب أولادها على ذلك تسهم في نقلهم من عبادة الله على وجه واحد إلى عبادته على عدة أوجه، ومن عبادة مقيدة محصورة في جانب معين إلى عبادة مطلقة، تشمل جميع جوانب الحياة، ويقول ابن القيم في توجيهاته الصائبة: «وصاحب التعبد المطلق، ليس له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره، بل لايزال متنقلا في منازل العبودية، كلما رفعت له منزلة، عمل على سيره إليها، واشتغل بها حتى تلوح له منزلة أخرى، فهذا دأبه في السير حتى ينتهي سيره»(٦٩)، فالبالغ

بهذه الصورة من العبادة لم يكن عبدا لأهوائه وشهواته، ولم يكن عمله على مراد نفسه وراحتها من العبادات، بل هو على مراد ربّه.

د- أن لاتكون الممارسة تقليدا أعمى:

وبالرغم مما للتربية بالعادة من محاسن في تربية الجانب الروحي عند البالغين، إلا أنه يجب على الآباء والأمهات أن لايجعلوا العادة عندهم عبارة عن أداء آلي خال من الشعور فيندفعوا إلى ذلك برغبة غير واعية، يقول أحد الباحثين: «فالعادة بقدر لزومها في التربية وضرورتها في إقامة مجتمع ذي طابع سلوكي محدد، لها ضررها وخطورتها في الوقت ذاته إن لم يتنبه القائمون بأمر التربية إلى مكمن ذلك الخطر فيها، فعلى قدر ماتيسر من طبع السلوك العملي بالطابع المطلوب بلاجهد، فهي عرضة لأن تحول السلوك إلى أداء آلي خال من الإحساس بالقيم الحقيقية التي هي الرصيد الواقعي لذلك السلوك، والتي لايساوي السلوك شيئا إن فقدها، حتى وإن بدأ جميل الصورة، ومثيرا للإعجاب»(٧٠).

وقد لفت الإسلام أنظار الآباء والأمهات إلى تجنب مثل هذه العادات، التي لم تترجم إلى حقائق صحيحه واقعية في النفوس، وإنما هي عادات تؤدى بشكل آلي بدون رويّة ولاتبصر، قال تعالى: ﴿إذ قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون. قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين. قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين﴾ (الأنبياء: ٥٢-٥٤).

الوظيفة الرابعة: تنشئة الأولاد البالغين على أداء العبادات بروح العبادات لابشكلها:

قد يعتقد بعض الآباء والأمهات أن مجرد تأدية البالغ العبادات في أوقاتها، وممارسته إياها بشكلها الصحيح هو مقصد التربية الروحية، ولكن كما ذكر أحد الباحثين: «ينبغي ألا يكتفي العابد بشكلية العبادة فقط، وإنما ينبغي أن يعبد الله

بروح العبادة أيضا»(٧١)، ولكي تحقق الأسرة ذلك في نفوس أولادها، ينبغي عليها مراعاة مايلي:

١- أن تكون العبادة بنية خالصة لوجه اللّه :

أي أن تكون أعمال الأولاد كلها للّه، وأقوالهم للّه، وحبهم في اللّه، وبغضهم للهّ، ومعاملتهم كلها ظاهرا وباطنا للّه. وهذا شيء مهم في العبادة، ولهذا قال الرسول: «العمل بالنية وإنما لامرئ مانوى»(٧٢) والعبادة لاتقبل إذا لم تتم بنية مخلصة، فالإخلاص يترتب عليه قبول العمل أو رفضه عند اللّه، قال رسول اللّه: «إن اللّه لاينظر إلى أجسامكم، ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم»(٧٣). والأعمال التي تكون خالصة للّه تكسب الروح طمانينة ولذّة، بعكس الأعمال التي يشوبها الرياء والمباهاة، فهي تولد في النفوس خسّة ومهانة ومذلّة، وفاعلها من شرار الخلق، وله عذاب أليم، قال تعالى: ﴿إن المنافقين يخادعون اللّه وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يرآؤن الناس ولايذكرون اللّه إلا قليلا. مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل اللّه فلن تجد له سبيلا﴾(النساء:١٤٢-١٤٣).

ولهذا ينبغي على الأسرة أن تراقب أعمال أولادها التعبدية، والتأكد من استواء أعمالهم في الظاهر والباطن. ولكن لايعني ذلك أن تكون أعمال الأولاد التعبدية في معزل عن الناس، فهناك عبادات تتطلب أن تكون في جماعة، كما أن العبادة التي يصاحبها الإخلاص أولا والعجب من اطلاع الناس على صاحبها ثانيا تكون أفضل في الأجر والثواب، فقد قال رجل لرسول اللّه :«يارسول اللّه: إني أعمل العمل، فيُطلع عليه، فيعجبني؟ قال: «لك أجران أجر السرّ وأجر العلانية»(٧٤)، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى قد تكون عبادة المخلص هداية واستقامة لغيره عن طريق الاقتداء به ولهذا قال رسول اللّه في هذا الصدد : «إن العبد إذا صلى في العلانية فأحسن، وصلّى في السر فأحسن، قال اللّه عز وجل هذا عبدي حقا»(٧٥).

٢- تكوين الرقابة الإلهية في نفوس الأولاد :

ويتم ذلك بإشعارهم باستمرار بأن اللّه رقيب عليهم، ناظر إليهم، مطلّع على عملهم في كل وقت وكل لحظة، لأنّه أقرب إليهم من حبل الوريد، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، لقوله تعالى: ﴿واعلموا أن اللّه يعلم مافي أنفسكم فاحذروه واعلموا أن اللّه غفور حليم﴾(البقرة : ٢٣٥)، وعلى الأسرة أن تذكر أولادها بأن اللّه يراهم أثناء عبادتهم، وأن عليهم أن يستشعروا بأن اللّه ماثل أمامهم في العبادة، وهذا الاستشعار يدفع الأولاد على دوام السير إلى اللّه عز وجل، والقيام بعبادته خير قيام، يقول أحد الباحثين في هذا الجانب: «فكما أن الإنسان إذا أحس بأن الشخص الذي يعمل له أنه يراقبه أو أنه يشاهده يحسن عمله ويتقنه، فكذلك ينبغي أن يضع في مخيلته دائما أن اللّه تعالى يراه ويحاسبه على عمله وذلك يدفعه إلى إحسان عبادته وإتقانها»(٧٦)

فإذا وصل استشعار الأولاد في عبادتهم كأنهم يعبدون اللّه وهو ماثل أمامهم، فقد حققوا أعلى مرتبة في التربية الروحيّة، وهي مرتبة الإحسان، وهذا ما أوضحه رسول اللّه عندما سئل عن الإحسان، فقال: «أن تعبد اللّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»(٧٧) .

٣- تكوين الشعور لدى البالغين بأنهم بحاجة إلى اللّه باستمرار :

ينبغي على الآباء والأمهات أن يشعروا أولادهم بأنهم لايمكن لهم الاستغناء عن اللّه بأي حال من الأحوال، ولا أحد يستطيع تحقيق حاجاتهم، أو تلبية مطالبهم، أو جلب منفعة لهم، أو دفع مضرة عنهم، دائما في كل لحظة وحين، إلا اللّه سبحانه وتعالى، وصدق اللّه حين قال: ﴿قل فمن يملك لكم من اللّه شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا﴾(الفتح : ١١)، وأن تشعرهم بحاجتهم إلى اللّه، وأن الإنسان دائما فقير إلى اللّه، وأنه تعالى ليس بحاجة إلى أحد، كما في قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس أنتم

الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد﴾(فاطر : ١٥)، وتنمية الشعور بالحاجة إلى الله يسهم في تقرب الأولاد إلى ربهم، وارتباطهم به، وحبهم له، وستجد الأسرة في الحديث القدسي، عندما تذكر أولادها به، خير معين على تكوين وتنمية الشعور بالحاجة إلى الله، والحديث يقول: «ياعبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، ياعبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، ياعبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم. . »(٧٨).

وتعد مرحلة البلوغ من أفضل المراحل التي يجب فيها غرس هذا الشعور في نفس البالغ، لأنها المرحلة التي ينمو فيها الاستقلال الذاتي -وقد سبق الإشارة إلى ذلك - فإذا شعر البالغ بأن الله هو الذي يحقق حاجته، ويلبي رغبته، ويهيء له الأمر كلّه، شعر بالاستغناء عما عداه، ومن ثم يقدم إلى فعل الأعمال الخيّرة دون الاعتماد على الغير، ويلفت أحد الباحثين أنظار الآباء والأمهات على ضرورة غرس شعور الحاجة إلى الله، وخاصة في مرحلة البلوغ فيقول: «فمتى آنست الوالدة الحكيمة من ولدها هذه الروح، وقرأت على جبينه هذه الأفكار وجب عليها الإسراع لإنقاذه من هذا الخطر المحدق بنفسه، ولاوسيلة لإنقاذه من هذا الموقف الحرج إلا بتوجيه عواطفه وعقله إلى قوة أعظم، وقدرة أقوى من قوتها ليلجأ إليها فتعينه وترشده»(٧٩) .

٤- إجلال الله سبحانه وتعالى وتعظيمه في أعين البالغين :

إن التقديس والتعظيم والإجلال لله سبحانه وتعالى، يجعل في النفس محبة لله، والرهبة منه والخشوع والخضوع له، وهذا وذاك يدفعانه إلى اتباع أوامره ، واجتناب نواهيه، يقول أحد المربين في هذا الصدد: «يجب أن نعلّم الصبيان أن التفكر في جمال الله عز وجل، يجب أن يملأ قلوب الناس بالاحترام والتبجيل في أي وقت يسمعون ذكره»(٨٠)، ومن باب التوقير لله أيضا أن يمنع الأولاد من استخدام الطرائف، والفكاهات المنتشرة بين بعض الشباب في وقتنا الحاضر، والتي تمس صفة من صفات الله، أو شريعته، أو عقيدته، أو تمس رسله وأنبياءه - وإن كان ذلك

يعتبره البعض من باب الترويح- فهذا لايليق بقدسية الله وعظمته. والأسرة وهي تربي أولادها على ذلك إنما تحقق تعاليم إسلامها، قال تعالى: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره، وإما ينسينك الشيطان فلاتقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾(الأنعام : ٦٨).

والأسرة وهي تنمي في نفوس أولادها إجلال الله وتعظيمه، إنما تسهم في جعلهم يؤدون العبادة بروح العبادة لابشكلها، فعلى سبيل المثال، أفعال الصلاة من رفع الأيدي، والقيام، والركوع، والسجود، إذا لم تشتمل على تعظيم الله سبحانه فهي عبادة صورية، لأن تلك الأفعال في الصلاة من أوجه التعظيم، وقد ذمّ الله تعالى من لم يعظمه حق عظمته، قال تعالى: ﴿مالكم لاترجون لله وقارا﴾(نوح : ١٣).

٥- تكوين التواضع والسكينة لله سبحانه في نفوس البالغين:

وذلك بتنشئتهم على إجلال الله وتعظيمه دائما، بإبصارهم عظمة الله في مخلوقاته، وينبغي أن تكوّن الأسرة في نفوس أولادها الشعور بالتذلل أمام الخالق العظيم المبدع وذلك بتدريبهم على عبادة الله بقلوب خاشعة متذلّلة يقول ابن القيم: «أحبّ القلوب إلى الله سبحانه قلب قد تمكنت منه هذه الكسرة، وملكته هذه الذلّة»(٨١)، وهذا الأمر مطلب أساسي في العبادة؛ أي يجب أن يخشع القلب في عبادة الله، قال تعالى: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزل من الحق﴾ (الحديد : ١٦)، وقال تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون. الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ (المؤمنون : ١-٢). والخشوع يشمل القلب والجوارح، ولكن خشوع القلب يأتي بالدرجة الأولى، لأنه إذا لم يتحقق في العبادة، فلا يصبح لخشوع الجوارح قيمة، وقد يترتب عليها أضرار، فتنقل صاحبها إلى درجة النفاق، وكان بعض الصحابة يقول: «إياكم وخشوع النفاق، فقيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن ترى الجسد خاشعا والقلب ليس بخاشع»(٨٢).

٦- تدريب الأولاد البالغين على ذكر اللّه وشكره في السراء والضراء:

يأتي الذكر في مقدمة الأعمال الصالحة، التي يقوم بها العبد لربه، لأن ذلك مقصد الطاعات وحكمتها، ولهذا يقول ابن القيم: «إن المقصود بالطاعات كلها، إقامة ذكره، فهو سر الطاعات وروحها»(٨٣)، وقد جاء ذكر اللّه مصاحبا لجميع الأعمال الصالحة ومقترنا بها، وهدفا لها، ففي الصلاة مثلا يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾(طه : ١٤)، وفي الحج، قال تعالى: ﴿فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا اللّه﴾(البقرة : ٢٠٠)، وفي الجهاد، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا اللّه كثيرا﴾(الأنفال : ٤٥)؛ لأن الذكر من أسباب الفلاح والنجاح، لذا قال تعالى: ﴿واذكروا اللّه كثيرا لعلّكم تفلحون﴾(الأنفال : ٤٥).وبالذكر يزداد الأجر والثواب للعابد والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿والذاكرين اللّه كثيرا والذاكرات أعدّ اللّه لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾(الأحزاب : ٣٥).

ولهذا كله يجب على الآباء والأمهات أن يعودوا أولادهم البالغين على ذكر اللّه، ولكن ليس الذكر باللسان فحسب وإنما بالقلب واللسان .

وقد يسأل سائل عن الذكر الذي ينبغي للأسرة تعويد أولادها عليه، فقد ذكر ابن القيم أن الذكر ثلاثة أنواع هي:

أ) ذكر الثناء ، نحو «سبحان اللهّ، والحمد للّه، ولا إله إلا اللّه، واللّه أكبر»

ب) ذكر الدعاء ، نحو : ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾(الأعراف : ٢٣)، «ياحيّ ياقيوم برحمتك أستغيث».

ج) ذكر الرعاية، مثل قول الذاكر: اللّه معي، اللّه ناظر إلى، اللّه شاهدي، ونحو ذلك»(٨٤).

والمتأمل في الأذكار النبوية يجدها تجمع أنواع تقسيمات الذكر السابقة وعلى الأسرة المسلمة الاقتداء بالرسول في تدريب أولادها على أساليب الذكر، فقد طبقّ عليه السلام ذلك في كثير من أعماله، وأفعاله، وفي سفره، وإقامته، وقبل نومه وفي يقظته، والشواهد على ذلك كثيرة، منها ما رُوي عن أبي هريرة قال: سمعت رسول

الله ﷺ يقول : «والله إني لاستغفر الله وأتوب في اليوم أكثر من سبعين مرّة»(٨٥)، ومن بين الأدعية التي قالها رسول الله إذا قام للتهجد: «اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيوّم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك حق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق، والنبيون حق، ومحمد حق، اللهم لك أسلمت، وعليك توكلت وبك آمنت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفرلي ماقدّمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدّم، وأنت المؤخّر لا إله إلا أنت»(٨٦)، وإذا أصبح قال: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك، ووعدك ما استطعت أبوء لك بنعمتك، وأبوء لك بذنبي فاغفرلي لايغفر الذنوب إلا أنت أعوذ بك من شر ماصنعت»(٨٧). إلى غير ذلك من الأدعية.

وعلى الأسرة أن توضح لأولادها أن الأدعية من أيسر السبل والعبادات التي يمكن أن يؤديها العابد في قيامه، وجلوسه، في عمله وراحته، وفي معظم أوقات حياته، ومن أيسر السبل أيضا في رفع رصيد الحسنات، وخفض رصيد السيئات، وللأسرة المسلمة في حديث رسول الله، مايرغب أولادها في ذلك، فقد قال: «إن الله تعالى اصطفى من الكلام أربعا: سبحان اللهّ، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله اكبر، فمن قال: سبحان الله كتبت له عشرون حسنة، وحطت عنه عشرون سيئة، ومن قال: الله أكبر، مثل ذلك، ومن قال: لا إله إلا الله مثل ذلك، ومن قال الحمد لله ربّ العالمين من قبل نفسه كتبت له ثلاثون حسنة، وحطّ عنه ثلاثون خطيئة»(٨٨).

٧- تدريب الأولاد على الحوار التعبدي مع الله سبحانه :

إن مفهوم الحوار التعبدي هو المناجاة مع اللهّ، وكأن العابد يرى الله عندما يبتهل إليه. والحوار التعبدي يجعل البالغ أكثر شعورا وانشراحا وبهجة أثناء تأدية العبادة، يقول أحد الباحثين في هذا الصدد: «هناك فرق كبير بين من يتعبد بصورة العبادة أو قالبها فقط، وبين من يتعبد شكلا ومعنى، ومع المناجاة والحوار المعنوي

فإنه بلاشك في هذه الحالة الأخيرة يستغرق في عالم روحاني، وهذا التعبد بهذه الصورة يدفع الإنسان إلى الاستغراق في العبادة، والأعمال الخيّرة، ثم لايشعر بالملل والسآمة»(٨٩).

لهذا ينبغي على الآباء والأمهات عندما يدعون أولادهم إلى العبادة، أن يشرحوا لهم طريقة التعبد، ويعرفوهم أنهم أثناء العبادة في مناجاة وحوار مع ربهم، وهذا ما أشار إليه رسول الله ﷺ : «إن أحدكم إذا قام يصلي إنما يناجي ربّه، فلينظر كيف يناجيه؟ »(٩٠). ولعلّ الأسرة المسلمة تجد في حديث رسول الله التوجيهات الصائبة لأولادها، عندما عرض نماذجاً للحوار التعبدي المعنوي بين العبد وربّه، والذي قال فيه رسول الله : «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل؛ فإذا قال العبد: (الحمد لله رب العالمين)، قال الله: حمدني عبدي، فإذا قال: (الرحمن الرحيم)، قال الله: أثنى عليّ عبدي، فإذا قال: (مالك يوم الدين) ، قال: مجدّني عبدي، فإذا قال: (إيّاك نعبد وإيّاك نستعين)، قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال : (اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم، ولا الضالين)، قال: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل»(٩١).

كما تجد الأسرة المسلمة في «سورة الرحمن» حوارا تعبديا يضع البالغ أمام الحس والوجدان، وصوت القلب الحي، حيث يشير الحق سبحانه في هذه السورة بفضل نعمه، ودلائل قدرته في جوانب عدة، وفي كل جانب يشير الحق سبحانه ويعقب بهذا الاستفهام: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟﴾(الرحمن : ١٣).

فعلى الأسرة أن تدرّب أولادها بالاستجابة لله سبحانه وتعالى لكل تساؤل أو أمر أو نهي يرد في القرآن الكريم، ومن الأمثلة إضافة إلى ماسبق، تدريب الأولاد عندما يتلون قوله تعالى: ﴿لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون﴾(الواقعة : ٧٠) أن يقولوا مثلا شكرناك يارب، وعندما يتلون قوله تعالى: ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾(التين : ٨) أن يقولوا ونحن على ذلك من الشاهدين، وعندما يتلون قوله تعالى:﴿قل الحمد لله﴾(لقمان : ٢٥) أن يقولوا حمدناك يارب، وعندما يتلون قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا» والذي تتردد كثيرا في القرآن الكريم أن يقولوا مثلا

سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، وهكذا توضح الأسرة لأولادها طريقة مناجاتهم وحوارهم مع ربّهم.

الوظيفة الخامسة : حماية روح البالغ من أسباب أمراضها وعللها:

إن التربية الروحّية لاتقتصر على عوامل تنميتها فحسب، ولكنها تحتاج بعد ذلك أيضا إلى عوامل الوقاية، ليضمن لها سلامة استمرارها في نفوس وأرواح البالغين، ومن بين الأساليب التي تعين الأسرة في حماية أولادها ووقايتهم من الزيغ والضلال مايشير إليه الباحث في النقاط التالية:

١- عدم تمكين الأولاد من تكوين علاقات بأفراد ورفاق عرف عنهم الضلال والانحراف

للخلطة الفاسدة أثرها السيء على حياة البالغ الروحّية، وقد ذكر ابن القيم بعضا من تلك الآثار أثناء حديثة عن خلطاء السوء، فقال: «فأما ماتؤثره كثرة الخلطة: فامتلاء القلب من دخان أنفاس بني آدم حتّى يسودّ، ويوجب له تشتتا وتفرّقا، وهمّا وغمّا، وضعفا، وحملا لما يعجز عن حمله من مؤنة قرناء السّوء»(٩٢).

وقد أشار مربي هذه الأمة محمد ﷺ لما لخليل السوء من أثر كبير على ديانة وسلوك خليله، فقال: «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»(٩٣)، وقال: «ومن يوق بطانة السوء فقد وقي»(٩٤).

وعلى الأسرة أن تدرك أن قرناء السوء من أكبر العوامل الرئيسة في انحلال أولادها البالغين وفسادهم، وخاصة في وقتنا الحاضر، وعلى الأسرة أن تعلم علم اليقين أن ماتبنيه من تربية روحية في نفوس أولادها عدة سنوات، تهدمه الرفقة السيئة في أيام قلائل.

والخلطة التي ينبغي للأسرة محاربتها هي الخلطة التي تنبني على نوع مودة في الدنيا، وقضاء وطر بعضهم من بعض، وتقود لأمور وأعمال تبعد الفرد عن طاعة الله .

أما الخلطة التي يجب دفع الأولاد إليها، فهي مخالطة الناس في الخير مثل الجمعة والجماعة، والأعياد، والحج، وتعلّم العلم، والجهاد، والنصيحة، وزيارة المريض، والجار وما شاكل ذلك.

٢- عدم تمكين البالغ من إشباع شهواته بالحرام:

الشهوات إذا أشبعت بطرق غير مشروعة أصبحت من أكبر عوامل الهدم في البناء الروحي عند الأولاد، فمثلا الاتصال الجنسي غير المشروع يعد من أعظم المفاسد والشرور على الأفراد والمجتمعات، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ولاتقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾(الإسراء : ٣٢) يقول المفسر الإمام الرازي: «إن الله تعالى وصف الزنى بصفات ثلاث كونه فاحشة، ومقتا وساء سبيلا، أما كونه فاحشة فهو إشارة إلى اشتماله على فساد الأنساب الموجبة لهدم البناء الاجتماعي، وسببا للاعتداء على الأعراض والشرف، والجرائم، والقتل. وأما المقت فقد ذكر أن الزانية تصير ممقوتة مكروهة، وذلك يوجب عدم حصول السكن والإزدواج، وأن لايعتمد الإنسان عليها في شيء من مهماته ومصالحه، وأما إنه ساء سبيلا فهو أنه لا يبقى فرق بين الإنسان وبين البهائم في عدم اختصاص الذكران بالإناث، وأيضا يبقى ذلّ هذا العمل وعيبه وعاره على المرأة»(٩٥). وينبغي على الآباء والأمهات أن يحتاطوا لهذا الجانب -الجانب الغريزي- وخاصة في هذه المرحلة التي تثور فيها الشهوة الجنسية عند البالغين، وذلك بدفع كل الفرص وسد كل الطرق المحرّمة التي تتيح للبالغ إشباع تلك الشهوة أو إثارتها من نظر أو هيئة أو عملية جنسية. وما يقال عن الشهوة الجنسية ، يقال أيضا على بقية الشهوات الأخرى، ولكي تقي الأسرة أولادها شرور شهواتهم عليها أن تشبع تلك الشهوات بالطرق المشروعة، وفي الوقت نفسه تحفظهم عن كافة الطرق غير المشروعة وعدم إعطائهم كل ماتشتهيه أنفسهم، ومنعهم من التوسع في الأشياء المباحة، والمقصود من ذلك أن تدرب الأسرة أولادها على جهاد النفس، وهو مقاومة الأهواء والشهوات التي يتعرضون لها، والأسرة وهي تربي

أولادها على ذلك إنما تطبق تعاليم دينها، قال تعالى: ﴿وأما من خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى﴾(النازعات : ٤٠) وقال تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن اللّه لمع المحسنين﴾(العنكبوت : ٦٩)، وقال رسول اللّه: «أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه»(٩٦).

وهذا لايعني إغفال جهاد الكفّار، فالجهاد الحقيقي هو جهاد النفس وجهاد الكفّار، ولكن جهاد النفس يعد المرحلة الأولى لجهاد الكفّار، لأن الذي يستطيع أن يقاوم أهواءه وشهواته لقاء مرضات اللّه، يستطيع أيضا أن يقف في وجه الكفر والإلحاد لقاء مرضات اللّه، والذي لايستطيع مجاهدة نفسه لايستطيع الإقدام على الجهاد من البداية.

فالتربية الأسرية الحميدة هي التي تصل بأولادها إلى قدرة التحكم في ضبط أنفسهم عن الشهوات المحرّمة، لأنها السبيل إلى الفوز بالجنّة والنجاة من النار، لقول رسول اللّه: «حفت الجنّة بالمكاره، وحفّت النار بالشهوات»(٩٧).

٣- تكوين روح الزهد في متاع الدنيا وإيثار أعمال الآخرة على أعمال الدنيا الفانية:

يود الباحث في البداية أن يورد بعض ما جاء في معنى الزهد، يقول ابن تيمية: «الزهد؛ ترك مالا ينفع في الآخرة، والورع: ترك ماتخاف ضرره في الآخرة»(٩٨).

وقال الجنيد : «الزهد في قوله تعالى: ﴿لكيلا تأسوا على مافاتكم ولاتفرحوا بما آتاكم واللّه لايحب كل مختال فخور﴾(الحديد : ٢٣)، فالزاهد لايفرح من الدنيا بموجود، ولايأسف منها على مفقود»(٩٩).

من هذه المفاهيم يتضح أن الزهد ليس إعراضاً عن فضول الحياة، وعمّا لايأمر اللّه به ورسوله، وهذا مايقع فيه بعض الجهال، وهذا ماذكره ابن تيمية في قوله: «ومن الناس من يزهد لطلب الراحة من تعب الدنيا، ومنهم من يزهد لمسالة أهلها

والسلامة من أذاهم، ومنهم من يزهد في المال لطلب الراحة، إلى أمثال هذه الأنواع التي لايأمر الله بها ولارسوله».(١٠٠)

والزهد من الأساليب الفعّالة في بناء الروح ووقايتها، والأسرة وهي تكون الزهد في نفوس أولادها البالغين، وتخبرهم بخسة الدنيا وقلّتها، وسرعة فنائها والترغيب في الآخرة، إنما تطبقّ ماتشير إليه تعاليم القرآن الكريم، والتي تحدّثت عن ذلك الجانب في أكثر من موطن، كما في قوله تعالى: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفّار نباته ثم يهيج فتراه مصفرًا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ (الحديد : ٢٠)، وقوله تعالى: ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح - إلى قوله- وخير أملا﴾(الكهف : ٤٥-٤٦) وقال رسول الله: «إن الدنيا معلونة، ملعون مافيها، إلا ذكر الله وما والاه، وعالما أو متعلما»(١٠١).

وبجانب ذلك ينبغي على الأسرة أن تعّود أولادها على حياة الجد والرجولة، وعلى حياة التقشف وعدم الإغراق في التنعم، وأن تدرب أولادها على الجهاد، وأن تدفع بهم إلى تلك المؤسسات المختصة بالتدريبات العسكرية.

٤- ربط الأولاد بالمساجد وتأدية العبادات:

وهي من انجع الوسائل في حماية الأولاد من الزيغ والضلال، لأن الله يظلهم في ظله ويحميهم من الضلال، كما أخبر رسول الله في قوله: «سبعة يظلهم الله في ظلّة .. منهم.. رجل قلبه معلّق في المساجد»(١٠٢)، وقال رسول الله : «من غدا إلى المسجد وراح أعدّ الله له نزله من الجنة كلما غدا أوراح»(١٠٣)

ومن أساليب الوقاية أيضا ربط الأولاد بالرفقة الصالحة، وربطهم بالمؤسسات التعليمية الموجهة، والنوادي الهادفة والمفيدة، وتخصيص وقت ولو يسير في الأسبوع لتدارس كتاب الله، لأن القرآن الكريم أعظم وقاية للأرواح، يقول ابن القيم

إن القرآن «يحفظ عليها صحتها -أي الروح-، ويحميها الحماية التامة من كل مؤذ ومضر»(١٠٤)، وكذلك تدارس السنة المطهرة.

٥- استغلال وقت الفراغ استغلالاً حكيماً ومثمراً:

إذا لم يستغل وقت الفراغ عند الأولاد -وخاصة في هذه المرحلة، استغلالاً جيدا، فإنه يصبح -لامحالة- من أكبر عوامل الهدم والتحلل في حياة الأولاد، فالفراغ في أي شكل من أشكاله إذا لم يوجه نحو عمل نافع يعود على الفرد نفسه والمجتمع يكون مداعاة للفساد، وهذا مايؤكده الحديث الشريف: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»(١٠٥). أما طريقة استغلال وقت الفراغ فقد تناولها الباحث في موطن لاحق.

الوظيفة السادسة : علاج مايقع فيه البالغ من انحراف وخروج عن طاعة الله :

للأسرة دور كبير في علاج مايقع فيه البالغ من انحراف وجنوح وضلال عن عبادة الله، وهذا السلوك غير السوي بإمكان الأسرة تغييره وتعديله في نفوس أولادها إلى السلوك السوي المستقيم، لأن طبيعة الإنسان قابلة للتشكيل بأشكال مختلفة، وقابلة للتغيير إلى الأفضل، وهذا المبدأ يقرّه الإسلام، كما في قوله تعالى: ﴿إن الله لايغير مابقوم حتّى يغيروا ما بأنفسهم﴾(الرعد : ١١)، وقد استطاع الإسلام نفسه أن يحدث تغييرا في شخصيات الجاهليين، فقد حولهم من الوثنية والكفر وعبادة الأصنام إلى التوحيد والإيمان وعبادة الواحد القهّار.

من هذا يتضح أنه بإمكان الأسرة أن تعالج الكثير من انحرافات أولادها وضلالاتهم إذا ماواجهتها بالتربية، ولكن صعوبة ذلك أو سهولته يتوقف إلى عدة عوامل منها رسوخ ذلك الجنوح والانحراف في نفس البالغ، ومنها الزمن الذي مضى على ممارسته وتكراره، ومنها الوسيلة المستخدمة، وعامل السن، وطبيعة الجنوح نفسه، ومن أهم هذه الأساليب والطرق التي تعين الأسرة في القيام بدورها العلاجي مايلي:

١- الوعظ والارشاد التربوي:

فينبغي على الأسرة المبادرة بالموعظة الحسنة عندما تلحظ انحرافا في سلوك الأولاد، لما لذلك من أثر كبير على سهولة تغيير ذلك الانحراف قبل أن يتأصل في نفوسهم ويصبح عادة عندهم، وبالتالي يصعب إقلاعهم عنه، وأن تذكّر الأسرة أولادها بحالة العصاه والفسقة، وأن تضرب لهم أمثلة حية لهؤلاء الفسقة من واقع الحياة، وهذا الأسلوب له الأثر الفعّال في إيقاظ القلوب الغافلة عن طاعة الله . وتذكيرهم بحالة الهم والكرب والضيق التي تولدها المعاصي في نفس مرتكبيها، والخزي والعار في الدنيا، والعذاب الشديد في الآخرة. كما في قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ماكان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزيٌ ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾(البقرة : ١١٤)، وفي قوله تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾(طه : ١٢٤)، وقال تعالى: ﴿فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلايضل ولايشقي﴾(طه : ١٢٣).

٢- توجيه البالغ المذنب إلى التوبة:

تعرف التوبة بأنها: «الرجوع إلى الله بالتزام فعل مايحب، وترك مايكره، فهي رجوع من مكروه إلى محبوب»(١٠٦)، وتعرف بتعريف مقارب للسابق وهو: «الرجوع مما يكرهه الله ظاهرا وباطنا إلى مايحبه الله ظاهرا وباطنا»(١٠٧).

وقد أكّد كثير من علماء المسلمين دور التوبة في علاج القلوب، وإصلاح النفوس وجعل الفرد يعود إلى حياته الروحية واستقامته سليما معافى، وتعيد إلى نفس المذنب الشعور بالأمن والطمأنينة، يقول ابن القيم: «إن باب المنهيات يمحوه الله سبحانه ، ويبطل أثره، بأمور عديدة من فعل العبد وغيره، فإنه يبطله بالتوبة النصوح وبالاستغفار وبالحسنات الماحية»(١٠٨)، ويقول أحد الباحثين: «إن التوبة تفتح باب الصلاح والعودة إلى الرشد ذلك أن المذنب إذا علم خطأه قد قفل أمامه باب

النجاح والفلاح، فإن هذا يدفعه إلى التمادي في الخطيئة وارتكاب جميع الفواحش، كما أن المريض إذا علم أنه أصيب بمرض لانجاة له منه يدخل في نفسه اليأس والقنوط، ويؤدي ذلك إلى مضاعفة مرضه»(١٠٩).

فالتوبة تفتح أمام البالغ المذنب أبواب الأمل والنجاة من العقاب على الذنب الذي اقترفه، فيشعر بالراحة النفسية بعد خوف وقلق وفزع، لأن المذنب يشعر بالتعاسة ويحس بالتوتر والقلق، فتدفع التوبة صاحبها إلى التحرر العقلي من الشعور بذلك، وينظر إلى الحياة نظرة يسودها التفاؤل، وتعيد التوبة إلى الشخص احترام ذاته والثقة بنفسه بعد أن كان يحتقرها، بسبب الآثام، والذنوب التي ارتكبها، وقد أشار ابن القيم إلى أهمية التوبة بصفتها علاجا ناجحا في الخلاص من آثار الذنب، وبين أنها غاية الكمال الإنساني، فقال: «إن التوبة توجب للتائب آثارا عجيبة من المقامات التي لاتحصل بدونها، فتوجب له من المحبة والرقة واللطف، وشكر الله وحمده والرضا عنه عبوديات أخر، فإنه إذا تاب إلى الله تقبل الله توبته فرتّب له على ذلك القبول أنواعا من النعم لايهتدي العبد لتفاصيلها، بل لايزال يتقلب في بركتها وآثارها مالم ينقضها ويفسدها»(١١٠)، ويقول أحد الباحثين أيضا: «إن التوبة هي أسلوب من أساليب التكفير عن الذنب وتطهير النفس من الذنوب والخطايا.. وهي المدخل إلى طلب المغفرة، وهي التي تسمح بإيجاد مصرف للمشاعر الثائرة التي أوجدها العمل، أو الفعل الذي يتنافى مع القيم الأخلاقية والقيم الاجتماعية والروحيّة، وأوامر الدين ونواهيه»(١١١).

ويعد علاج الأولاد عن طريق الندم والتوبة من أنجح الوسائل، والسبب أن التربية التي تأتي من الداخل أي عن طريق التطهير النفسي أفضل من التربية التي تكون عن طريق الإلزام الخارجي، لأن الندم يمتاز بإيقاظ العواطف الإيمانية، ومن لايشعر بذلك داخليا لايقدر على أن يشعر بالتوبة والندم.

من العرض السابق يتضح أنه ينبغي على الأسرة استخدام أسلوب التوبة في علاج أولادها المنحرفين، فمثلا تقول لهم: يا أولادي كل إنسان في هذه الحياة معرّض للخطأ ومعرض لارتكاب الذنب، ومامن أحد إلا وهو يخطيء وهذا أمر يقرّه رسول

اللّه: «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»(١١٢)، ولكن هناك وسيلة ناجحة تنقذكم من الذنوب والآثام التي أرتكبتموها، وهي التوبة التي دعا إليها الحق سبحانه في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى اللّه توبة نصوحا﴾(التحريم : ٨)، ثم تخبرهم أنه عن طريق التوبة النصوح، يغفر اللّه لهم، ويبدل سيئاتهم حسنات، وتقرأ عليهم قوله تعالى: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل اللّه سيئاتهم حسنات وكان اللّه غفورا رحيما. ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى اللّه متابا﴾(الفرقان : ٧٠-٧١).

ولكن لكي تكون التوبة مقبولة وليكون لها أثرها التربوي الفعال على الأولاد المذنبين ينبغي على الأسرة أن تعي الشروط التالية وأن يعمل الأولاد بها، وقد أشار إلى تلك الشروط بعض الباحثين ، ويوجزها الباحث في النقاط التالية:

أ - الإسراع إلى التوبة :

على الأسرة أن تدفع أولادها إلى التوبة بعد ارتكاب الإثم مباشرة، لأن الأولاد إذا تمادوا في الطغيان وغرقوا في الآثام لم يبق فيهم أمل الفلاح، وبالتالي فإن التوبه يصعب عليها علاج القلوب الميّتة،

وقد ذكر أحد الباحثين في هذا الصدد : «إن الإثم كالقذارة كلما مكثت في الثياب أو الجسم كان تأثيرها أشد وكانت إزالة أثرها أصعب، وكذلك الأمر فيما يتعلق بأثر الذنوب على الوجدان»(١١٣). والأسرة وهي تدعو أولادها إلى الإسراع في التوبة إنما تعمل بقوله تعالى: ﴿إنما التّوبة على اللّه للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب اللّه عليهم وكان اللّه عليما حكيما. وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن، ولا الذين يموتون وهم كفّار أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما﴾(النساء : ١٧-١٨).

ب - الندم على مابدر من المذنب وما ارتكبه من ذنب.

والندم من أهم عناصر التوبة لأن الإنسان لايتوب عن عمل إلا إذا ندم على

فعله، يقول ابن القيم عن الندم: «إنه لاتتحقق التوبة إلا به، إذ من لم يندم على القبيح فذلك دليل على رضاه به، وإصراره عليه»(١١٤)، وقد أكّد رسول اللّه أهمية ذلك فقال: «الندم توبة»(١١٥). ومن الأمور التي تعين الأسرة في إذكاء الندم في نفس الولد المذنب تعظيم الجناية في نظره، فتقول له مثلا ياولدي إن عملك هذا خطير، وأنه يقودك إلى كذا وكذا ، وأن عاقبته مرّة وأليمة عليك ، يقول ابن القيم في هذا الشأن : «وعلى قدر تعظيمها يكون ندمه على ارتكابها، فإنّ من استهان بإضاعة فلس -مثلا - لم يندم على إضاعته، فإذا علم أنه دينار اشتد ندمه، وعظمت إضاعته عنده»(١١٦).

ج - الإقلاع عن الذنب :

فالتوبه لاتحدث بل تستحيل مع مباشرة الذنب، أي ينبغي على التائب أن يتوقف عن ممارسة الذنوب بعد إعلانه التوبة مباشرة، والإقلاع عنه، وعدم العودة إليه، وقد فسّر أحد المفسرين قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين أمنوا توبوا إلى اللّه توبة نصوحا﴾(التحريم : ٨)، قال: «التوبة النصوح: أن يتوب عن الذنب ثم لايعود فيه أو لايريد أن يعود فيه»(١١٧)، والرجوع إلى الذنب مرة أخرى يعد انتكاسة، وهذا اشبه مايكون بانتكاسة المريض الذي عاوده المرض بعد أن تماثل للشفاء.

د - الاعتذار :

والاعتذار من تمام التوبة أيضا . وإذا كان الاعتذار بين بني الإنسان يقود إلى تنازلات كثيرة، وصفح وتسامح، فإنه كذلك بين العبد وربه بل اعتبره الحق تمهيدا لقبول التوبه، كما في قوله تعالى: ﴿واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود﴾(هود : ٩٠).

ومن الأقوال التي ينبغي على الأسرة أن تدرب عليها أولادها في طريقة الاعتذار من الرب سبحانه ماقال ابن القيم وهو أن يقول الولد بلسانه: «يارب : لم

يكن مني ماكان عن استهانة بحقك ولا جهلا به، ولا إنكارا لاطلاعك، ولا استهانة بوعيدك، وإنما كان من غلبة الهوى، وضعف القوة عن مقاومة مرض الشهوة»(١١٨)، أو يقول مثلا بقلب منكسر وخضوع وتذلل: «أسألك بعزك وذلي إلا رحمتني، أسألك بقوتك وضعفي، وبغناك عني، وفقري إليك، هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك، عبيدك سواي كثير، وليس لي سيد سواك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، أسألك مسألة المساكين، وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، سؤال من خضعت لك رقبته، ورغم لك أنفه، وفاضت لك عيناه، وذلّ لك قلبه»(١١٩).

هـ - رد المظالم إلى أهلها:

إذا كانت المعصية تتعلق بحق آدمي فإن التوبة لاتصح -كما أشار أحد الباحثين إلا: «أن يخرج التائب إليه منه، إما بأدائه، وإما باستحلاله منه بعد اعلامه به»(١٢٠)، وهذا مايؤكده قول رسول اللّه ﷺ : «من كانت له مظلمة لأحد من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لايكون دينار ولادرهم، إن كان له عمل صالح أخذ بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»(١٢١).

و - كما ينبغي أن يصاحب التوبة بعض الكفّارات، والحسنات المكفّرة للسيئات:

أي أن توجه الأسرة ولدها التائب إلى الاستغفار والتضرع إلى اللّه، أو بذل الصدقات للفقراء والمساكين، أو تأدية بعض العبادات كالصلاة والصوم وغيرها.

٣- طريقة تحويل مجرى السلوك الآثم:

وبهذه الطريقة تستطيع الأسرة أن تغير مجرى سلوك آثم عند البالغ إلى سلوك مستقيم ومرغوب فيه، فمثلا جانب القوة والنفوذ قد يشتد عند بعض البالغين إلى درجة قد يؤدي بهم إلى الضرر بالآخرين، ففي هذه الحالة يتم تغيير مجرى هذا السلوك إلى إشراكهم في فرق كشفية، أو معسكرات للتدريب، أو تقديم

معونة للضعفاء والمحتاجين، وبمرور الزمن يتغير السلوك القديم عند البالغ وينتقل إلى السلوك الجديد .

وهذه الطريقة لها جدواها، والشاهد على ذلك أن الإسلام نفسه قد استطاع أن يوجه العديد من الميول الفطرية في نفوس المسلمين عن طريق تحويل مجراها من وجهة غير مرغوب فيها إلى وجهة مرغوب فيها. ومنها على سبيل المثال قصة الخنساء الشاعرة العربية المضرية عندما جزعت على موت أخيها جزعا شديدا، وحزنت عليه مدة طويلة، ورثته بأبيات كثيرة، كل ذلك فعلته في الجاهلية. وما إن دخلت الإسلام واستشهد أولادها الأربعة جميعهم في معركة واحدة -معركة القادسية-، وتقدّم نفر من رجال الجيش ينعون أولادها الأربعة، فردّت «الخنساء المؤمنة» عليهم وقالت: «الحمد للّه الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته»(١٢٢).

والذي جعل الخنساء تغير سلوكها من الحالة الأولى عند موت أخيها إلى الحالة الثانية عند موت أولادها الأربعة، هو تغيير مجرى الحزن، والذي أشارت إليه هذه الآية وأمثالها من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبَّ إليكم من اللّه ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي اللّه بأمره واللّه لايهدي القوم الفاسقين﴾(التوبة : ٢٤).

٤ - العقاب :

وهذه وسيلة يلجأ إليها الآباء والأمهات في الحالات التي لم تفد فيها الوسائل السابقة لحمل البالغ على الإقلاع عن الرذيلة .

وبهذا يكون الباحث قد أنهى حديثه عن دور الأسرة المسلمة في التربية الروحية وانتقل بعد ذلك للحديث عن دور الأسرة المسلمة في التربية العقلية نظرا لرتباط جوانب الفرد بعضها مع بعض.

مراجع الفصل الخامس :

(١) عبد الكريم الخطيب . قضية الألوهية بين الفلسفة والدين، ط٣، بيروت، دار المعارف للطباعة والنشر، ١٣٩٥هـ، ص ١٢٥ .

(٢) عباس محمد العقاد . الله . كتاب في نشأة العقيدة . ط٣، القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٠م ، ص٦٥ .

(٣) عبد الكريم الخطيب . قضية الألوهية بين الفلسفة والدين . مرجع سابق ، ص ١٣٢ .

(٤) هوبير ديشان . الديانات في أفريقيا السوداء . (ترجمة أحمد صادق)، القاهرة، دار الكتاب المصري، ١٩٥٦ .

(٥) د . مقداد يالجن . فلسفة الحياة الروحية . ط١ ، بيروت، دار الشروق، ١٤٠٥هـ، ص ١٣ .

(٦) المرجع السابق، ص ١٣ .

(٧) المرجع السابق، ص ٣٦ . نقلا من كتاب البيومي، الروح وماهيتها، ص٦٦.

(٨) ابن القيم . الروح . بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٩هـ، ص ١٧٨ .

(٩) د . مقداد يالجن، مرجع سابق، ص ٣٧ .

(١٠) عباس محمود العقّاد . الفلسفة القرآنية . ط٢ ، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٩م ، ص ٩٨ .

(١١) محمد قطب . منهج التربية الإسلامية . ط٤، القاهرة ، دار الشروق ، ١٤٠٠هـ، ج١، ص ٣٨.

(١٢) د . مقداد يالجن . فلسفة الحياة الروحية . مرجع سابق، ص ٣٢-٣٣ .

(١٣) محمد قطب . دراسات في النفس الإنسانية . ط٥، القاهرة، دار الشروق ، ١٤٠١هـ، ص ٤٤.

(١٤) عبد الكريم العثمان . الدراسات النفسية عند المسلمين . ط٢، القاهرة، دار غريب للطباعة، ١٤٠١هـ، ص ١٦٤ .

(١٥) د . الكسيس كاريل . الإنسان ذلك المجهول . (تعريب شفيق فريد)، بيروت، مكتبة المعارف، دون تاريخ ، ص ١٧٩ .

(١٦) الإمام الغزالي . إحياء علوم الدين . القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٣٩م، ج٣، ص ٣ .

(١٧) د . مقداد يالجن . فلسفة الحياة الروحيّة . مرجع سابق، ص ٣٨-٤٠ .

(١٨) ابن القيم . الروح . مرجع سابق ، ص ١١١ .

(١٩) المرجع السابق ، ص ٣٤ .

(٢٠) البخاري . صحيح البخاري، تركيا ، استانبول، المكتبة الإسلامية، ١٩٨١م، كتاب الأنبياء، ج٤، ص١٠٤.

(٢١) محمد قطب . منهج التربية الإسلامية . مرجع سابق ، ج١، ص ٣٩ .

(٢٢) د. مقداد يالجن . جوانب التربية الإسلامية الأساسية . بيروت، مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر، ١٤٠٦هـ ، ص ٢٤٠ .

(٢٣) المرجع السابق ، ص ٢٣١ .

(٢٤) د. حسن عبد العال. مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية، الرياض، دار عالم الكتب، ١٤٠٥هـ، ص٦٩ .

(٢٥) د. ابراهيم محمد ناصر . مقدمة في التربية . ط٢، عمّان ، جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٩٧٩م، ص ٤٠ .

(٢٦) د. مقداد يالجن . جوانب التربية الإسلامية الأساسية . مرجع سابق ، ص ٢٣٣ .

(٢٧) محمد قطب . دراسات في النفس الإنسانية . مرجع سابق ، ص ٢٠-٢١ .

(٢٨) د. عمر الشيباني . فلسفة التربية الإسلامية . ط٥، طرابلس ، الشركة العامة للنشر والتوزيع ، ١٩٨٥م ، ص ٩٢ .

(٢٩) د. عمر الشيباني . تطور النظريات والأفكار التربوية . ط٢، ليبيا، الدار العربية للكتاب، ١٣٩٧هـ ، ص ٣٤٠ .

(٣٠) البخاري . صحيح البخاري . مرجع سابق، كتاب النكاح، ج٦، ص ١١٦.

(٣١) محمد قطب . منهج التربية الإسلامية . مرجع سابق ، ج١، ص ٢١ .

(٣٢) المرجع السابق ، ص ٤١-٤٢ .

(٣٣) سعيد حوى . تربيتنا الروحيّة . بيروت ، دار الكتب العربية ، ١٣٩٩هـ ، ص ١٣٢ .

(٣٤) ابن كثير . تفسير القرآن العظيم . بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٢هـ ، ج٢، ص ١٧٢ .

(٣٥) ابن القيم . تهذيب مدارج السالكين . (هذّ به عبد المنعم صالح العلي)، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ، ج٢، ص ٩٤٤ .

(٣٦) المرجع السابق ،ج ٢، ص ٩٨٢ .

(٣٧) ابن كثير . تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق، ج ٣، ص ٢٨٩ .

(٣٨) البخاري . صحيح البخاري . مرجع سابق، كتاب فضائل القرآن، ج٦، ص ١٠٧.

(٣٩) ابن حنبل. مسند الإمام أحمد بن حنبل، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، دون تاريخ، ج٥، ص٤١ .

(٤٠) البخاري . صحيح البخاري . مرجع سابق . كتاب الصلح، ج٣، ص ١٦٧ .

(٤١) د. مقداد يالجن . فلسفة الحياة الروحية . مرجع سابق ، ص ٤٧ .

(٤٢) جلال الدين السيوطي . صحيح الجامع الصغير وزيادته . (تحقيق محمد ناصر الدين الألباني)، ط٢، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٧٩م، رقم الحديث (١٦٦١)، ج٢، ص ٧٦ .

(٤٣) البخاري . صحيح البخاري . مرجع سابق ،كتاب الصوم، ج٢، ص ٢٢٨ .

(٤٤) جلال الدين السيوطي . صحيح الجامع الصغير وزيادته . مرجع سابق، (تحقيق محمد ناصر الدين الألباني)، رقم الحديث (١٦٦٦)، ج٢، ص ٧٨ .

(٤٥) المرجع السابق، رقم الحديث (٣٠٩٣)، ج٣، ص٨١.

(٤٦) مسلم . صحيح مسلم . القاهرة، المطبعة المصري، ١٣٤٩هـ ، ج ١ ص ١٤٢ .

(٤٧) المرجع السابق ، ج٢، ص ١٣١-١٣٢ .

(٤٨) جلال الدين السيوطي . صحيح الجامع الصغير وزيادته . مرجع سابق، رقم الحديث (١٦٢٢)، ج٢، ص٦٥

(٤٩) مسلم . صحيح مسلم . مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٢٢.

(٥٠) ابن كثير . تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٢٩ .

(٥١) مسلم . صحيح مسلم . مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٥٨.

(٥٢) البخاري . صحيح البخاري . مرجع سابق ، كتاب الصوم، ج٢، ص ٢٢٦ .

(٥٣)، (٥٤) المرجع السابق ، كتاب الصوم، ج٢، ص٢٢٨-٢٢٩ .

(٥٥) ابن حجر . فتح الباري شرح صحيح البخاري . بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، دون تاريخ ، ج٤، ص١٠٤ .

(٥٦)، (٥٧) البخاري . صحيح البخاري .مرجع سابق ، كتاب الصوم ، ج٢، ص ٢٢٨ .

(٥٨) المرجع السابق، كتاب الصوم، ج٢، ص ٢٢٨.

(٥٩) محمد قطب . منهج التربية الإسلامية . مرجع سابق ، ج١، ص ٢٠٤ .

(٦٠) جلال الدين السيوطي . صحيح الجامع الصغير وزيادته، مرجع سابق، رقم الحديث (٧٥٤)، ج ١، ص ٢٦٥ .

(٦١) محمد قطب . منهج التربية الإسلامية . مرجع سابق ، ج٢ ، ص ١٤٥ .

(٦٢) ابن ماجة، سنن ابن ماجة . (تحقيق محمد فؤاذ عبد الباقي)، عيسى البابي الحلبي، رقم الحديث (٤٢٤٠)، كتاب الزهد، ج٢، ص ١٤١٧ .

(٦٣) المرجع السابق، رقم الحديث (١٦٧٢)، ج٢، ص ٥٣٥ .

(٦٤) البخاري . صحيح البخاري . مرجع سابق ، كتاب مواقيت الصلاة، ج١، ص ١٣٨ .

(٦٥) جلال الدين السيوطي . صحيح الجامع الصغير وزيادته . مرجع سابق، رقم الحديث (١٦٠٧)، ج٢، ص ٦١ .

(٦٦) ابن القيم . تهذيب مدارج السالكين . مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٨٧٦ .

(٦٧) المرجع السابق ، ج ١ ،ص ١٠٢ .

(٦٨)(٦٩) المرجع السابق ، ج١ ، ص ١٠٤ .

(٧٠) محمد قطب . منهج التربية الإسلامية . مرجع سابق ، ج٢ ، ص ١٥٠ .

(٧١) د. مقداد يالجن . جوانب التربية الإسلامية الأساسية . مرجع سابق ، ص ٢٤٨

(٧٢) البخاري . صحيح البخاري . كتاب النكاح ، ج٦ ، ص ١١٨ .

(٧٣) جلال الدين السيوطي .صحيح الجامع الصغير وزيادته . مرجع سابق ، رقم الحديث (١٨٥٨)، ج٢، ص ١٤٠

(٧٤) ابن ماجة . سنن ابن ماجة . مرجع سابق، كتاب الزهد، رقم الحديث (٤٢٢٦)، ج٢، ص ١٤١٢ .

(٧٥) المرجع السابق ، كتاب الزهد، رقم الحديث، (٤٢٠٠)، ج٢، ص ١٤٠٥

(٧٦) د. مقداد يالجن . جوانب التربية الإسلامية الأساسية . مرجع سابق، ص ٢٤٩ .

(٧٧) البخاري . صحيح البخاري . مرجع سابق ، كتاب الإيمان ، ج١ ، ص ١٨ .

(٧٨) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . الأحاديث القدسية، ط٣، القاهرة، وزارة الأوقاف، رقم الحديث (٢٦٦)، ج١، ٢ ، ص ٢٦٤ .

(٧٩) د. مقداد يالجن . جوانب التربية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٥٢. نقلا من كتاب لأبادير حكيم التربية الأخلاقية، ص ١١٥.

(٨٠) كانط . كتاب التربية. (ترجمة طنطاوي جوهري)، القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٣٥٥هـ ، ص٩٢-٩٤.

(٨١) ابن القيم . تهذيب مدارج السالكين، مرجع سابق، ج١، ص ٣٦٦.

(٨٢) المرجع السابق، ج١، ص ٤٤٠.

(٨٣) المرجع السابق ، ج٢، ص ٧٣٨.

(٨٤) المرجع السابق، ج٢، ص ٧٤٤.

(٨٥) البخاري . صحيح البخاري . مرجع سابق، كتاب الدعوات، ج٧، ص ١٤٥.

(٨٦) المرجع السابق، كتاب الدعوات، ج٧، ص ١٤٨.

(٨٧) المرجع السابق، ص ١٥٠.

(٨٨) جلال الدين السيوطي . صحيح الجامع الصغير وزيادته. مرجع سابق، رقم الحديث (١٧١٤)، ج٢، ص٩٥-٩٦.

(٨٩) د. مقداد يالجن، وآخرون. علم النفس التربوي في الإسلام . الرياض ، دار المريخ ، ١٤٠١هـ، ص٣٢٩.

(٩٠) جلال الدين السيوطي . صحيح الجامع الصغير وزيادته. مرجع سابق، رقم الحديث (١٥٢٤)، ج٢، ص ٤٠.

(٩١) المرجع السابق ، رقم الحديث (٤٢٠٢)، ج٤، ص ١١٨.

(٩٢) ابن القيم . تهذيب مدارج السالكين . مرجع سابق، ج١، ص ٢٩٥.

(٩٣) جلال الدين السيوطي . صحيح الجامع الصغير وزيادته. مرجع سابق، رقم الحديث (٣٥٢٩)، ج٣، ص١٨٧.

(٩٤) المرجع السابق، رقم الحديث (١٨٠١)، ج٢، ص ١٢٦.

(٩٥) الرازي . التفسير الكبير .ط١، القاهرة، المطبعة البهية المصرية ، ١٩٣٣م ، ج٢٠، ص ١٩٩.

(٩٦) جلال الدين السيوطي . صحيح الجامع الصغير وزيادته . مرجع سابق، رقم الحديث (١١١٠)، ج١، ص ٣٦١.

(٩٧) المرجع السابق ، رقم الحديث (٣١٤٢)، ج٣، ص ٩١.

(٩٨) ابن القيم ، تهذيب مدارج السالكين، مرجع سابق، ج١ ، ص ٤٥٢

(٩٩) المرجع السابق ، ج١ ، ص ٤٥٢-٤٥٣.

(١٠٠) ابن تيمية ، فتاوى ابن تيمية، (جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد الحنبلي)، إشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين ، دون تاريخ ، كتاب الإيمان، ج٧ ، ص ٦٥٣.

(١٠١) جلال الدين السيوطي ، صحيح الجامع الصغير وزيادته ، مرجع سابق، رقم الحديث (١٦٠٥)، ج٢، ص ٦١

(١٠٢)، (١٠٣) البخاري ، صحيح البخاري ، مرجع سابق، كتاب الأذان ، ج١، ص ١٦١.

(١٠٤) ابن القيم ، الطب النبوي ، القاهرة، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، ١٢٧٧هـ، ص ٧٩.

(١٠٥) البخاري ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب الرقاق، ج ٧ ، ص ١٧٠.

(١٠٦) ابن القيم ، تهذيب مدارج السالكين ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٢٧٨.

(١٠٧) المرجع السابق ، ج١ ، ص ٢٧٩.

(١٠٨) ابن القيم ، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، (تصحيح الناشر زكريا يوسف)، بيروت، دار الكتب العلمية، دون تاريخ، ص٣٠.

(١٠٩) د. مقداد يالجن ، التربية الأخلاقية الإسلامية ، مصر ، مكتبة الخانجي ، ١٣٩٧هـ ، ص ٥٨١-٥٨٢.

(١١٠) ابن القيم ، مفتاح دار السعادة ، حيدر آباد ، الدكن ، الهند ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، ١٣٢٩هـ ، ج ١ ، ص ٢٩٤.

(١١١) محمد صالح سمك، فن التدريس للتربية الدينية ، ط٢ ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٨م ، ص ٦٢٥.

(١١٢) جلال الدين السيوطي ، صحيح الجامع الصغير وزيادته ، مرجع سابق، رقم الحديث (٤٣٠١)، ج٤، ص١٧١

(١١٣) د. مقداد يالجن ، التربية الأخلاقية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٥٨١.

(١١٤) ابن القيم ، تهذيب مدارج السالكين ، مرجع سابق ، ج١، ص١٩٠.

(١١٥) أحمد بن حنبل ، مسند الإمام أحمد ، مرجع سابق ، ج١، ص ٢٧٦.

(١١٦) ابن القيم . تهذيب مدارج السالكين ، مرجع سابق ، ج١، ص ١٩١.

(١١٧) ابن كثير . تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق ، ج٤ ، ص ٢٩٢.

(١١٨) ابن القيم . تهذيب مدارج السالكين . مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٩٠.

(١١٩) المرجع السابق ، ص ١٩٣.

(١٢٠) المرجع السابق ، ص ٢٥٦.

(١٢١) البخاري . صحيح البخاري . مرجع سابق ، كتاب المظالم ، ج ٣ ، ص ٩٩.

(١٢٢) د. محمد أمين المصري . لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها . ط٤ ، القاهرة ، دار الفكر، ١٣٩٨هـ ، ص ٦٣.

الفصل السادس
دور الأسرة المسلمة في التربية العقلية

أولا : العقل مفهومه وخصائصه ومجالاته

ثانيا : مفهوم المعرفة وأهميتها ومصادرها

ثالثا : التربية العقلية مفهومها وأهميتها

رابعا : أهم وظائف الأسرة التي يجب القيام بها في التربية العقلية ·

خامسا : الأساليب والوسائل التي تساعد الأسرة على تحقيق وظائفها في التربية العقلية

أولا - العقل مفهومه وخصائصه ومجالاته

١- مفهوم العقل :

هنا سيعرض الباحث مفهوم العقل لدى اللغويين والفلاسفة . أما مفهوم العقل في اللغة فهو يعني :الجبر والنهي(١)، والفهم والتدبر وإدراك الخطأ وعقل الشيء أي فهمه وتدبره، وعقل فلان عرف خطأه الذي كان عليه، والعاقل هو المدرك الفاهم الحكيم، والعقول: هو المدرك الفاهم للأمور(٢).

والجمهور يطلق العقل على ثلاثة أوجه وهي:

(١) صحة الفطرة الأولى في الناس، فيقال لمن صحت فطرته إنه عاقل فيكون حدّه «أنه قوة بها يحدد التمييز بين الأمور القبيحة والحسنة».

(٢) وقد يراد به مايكتسبه الإنسان بالتجارب من الأحكام الكلية، فيكون حده أنه «معان مجتمعة في الذهن تكوّن مقدمات تستنبط بها المصالح والأغراض».

(٣) وقد يراد به «معنى يرجع إلى وقار الإنسان وهيئاته واختياره»(٣).

أما مفهوم العقل لدى الفلاسفة فإنهم يقصدون من لفظ العقل معاني مختلفة، وقد أشار أحد الباحثين(٤) إلى تلك المعاني ونذكرها بإيجاز في النقاط التالية:

(١) أول هذه المعاني قولهم، إن العقل «جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها» وهذا القول بجوهرية العقل موجود في أكثر كتب الفلاسفة مثل الفارابي، وابن سينا والكندي.

(٢) وثاني هذه المعاني قولهم إن العقل قوة النفس التي بها يحصل تصور المعاني، وتأليف القضايا والأقيسة، والفرق بينه وبين الحس أن العقل يستطيع أن يجرد الصورة عن المادة، وعن لواحق المادة. فالعقل إذن قوة تجريد، تنتزع الصورة من المادة وتدرك المعاني الكلية كالجوهر والعرض، والعلة والمعلول ، والغاية والوسيلة، والخير والشر.. الخ. ولهذه القوة عند فلاسفة الإسلام عدة مراتب.

(٣) والمعنى الثالث للعقل هو القول: بأنه «قوة الإصابة في الحكم» أي تمييز الحق من الباطل، والخير من الشر، والحسن من القبيح. وقد أشار «ديكارت» إلى هذا المعنى.

(٤) والمعنى الرابع للعقل هو القول : بأنه «قوة طبيعية للنفس متهيئة لتحصيل المعرفة العلمية» وهذه المعرفة مختلفة عن المعرفة الدينية المستندة إلى الوحي والإيمان.

(٥) والمعنى الخامس للعقل هو القول بأنه «مجموعة المبادئ القبلية المنظمة للمعرفة» كمبدأ عدم التناقض، ومبدأ السببية، ومبدأ الغائية؛ إي يتميز الإنسان عن الحيوان بإدراكه للحقائق الضرورية والأبدية، فهي التي تولد فيه العقل والعلم، وتسمو به إلى معرفة ذاته، ومعرفة الله، وقد انتشر هذا المعنى في الفلسفة الحديثة بتأثير «كانت».

(٦) والمعنى السادس هو القول بأنه الملكة التي يحصل بها للنفس علم مباشر بالحقائق المطلقة. وإذا قلنا بوحدة العقل وموضوعه، دلّ العقل حينئذ على المطلق نفسه، فكأن هذا العقل شيء مستقل عنا، ونحن نتلقاه من الخارج كما تستنشق الهواء المحيط بنا، وكل واحد منا يشعر بأن داخله عقلا محدودا لايصح أحكامه إلا باستلهام عقل كلي ثابت لايتغير.

(٧) ويطلق لفظ العقل أيضا على مجموع الوظائف النفسية المتعلّقة بتحصيل المعرفة كالإدراك، والتداعي، والذاكرة، والتخيل، والحكم والاستدلال.. الخ

(٨) العاقل هو الناطق، أي المتصف بالعقل، الذي يفكر تفكيراً صحيحاً، ويحكم على الأشياء حكماً صادقاً، ويعمل عملاً صالحاً، فلايسمى عاقلاً حتى يكون خيراً.(٥).

فالتعريفات السابقة - من جهة نظر الباحث- ليست تعريفا للعقل وإنما هي وصف للعمليات العقلية وصفاتها. فالإنسان يدرك أفعال العقل وصفاته ولكن يصعب عليه إدراك العقل نفسه.

ب - وجهة نظر الإسلام في العقل :

أما رأي الإسلام في مفهوم العقل، فقد لوحظ «أن لفظ (العقل) لم يرد في القرآن بصيغته الاسمية وإنما وردت مشتقاته في صيغتها الفعلية، عقلوا، يعقلون، تعقلون، يعقل ، فعقل(٦)»فالقرآن لم يشر إلى العقل ذاته أو إلى الأجزاء المكونة للعقل وإنما أهتم بالإشارة إلى الأمر المميز للإنسان على سائر المخلوقات، أي العمليات العقلية من تعقل وتفكر وتدبر وتذكر وتعلّم وتعليم، وقد وردت هذه الألفاظ في القرآن الكريم مئات المرات.

منها قوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ (الرعد : ٤)

ومنها قوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (الرعد : ٣).

وقوله تعالى: ﴿ أفلا يتدبرون القرآن﴾ (النساء : ٨٢)، وقوله تعالى: ﴿ كلا إنه تذكرة، فمن شاء ذكره﴾ (المدثر : ٥٤-٥٥) .

كما أن التذكر والتعقل والتفقّه - التعلّم - والتبصر والتدبر والإدراك لم تكن من أعمال العقل وحده في نظر الإسلام بل إن القلب والفؤاد يقومان بتلك الأعمال، فمن أعمال القلب ماتشير إليه الآيات التالية: قال تعالى: ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾(الحج : ٤٦)، وقال تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ (محمد:٢٤)، وقال تعالى : ﴿لهم قلوب لايفقهون بها﴾ (الأعراف:١٧٩)، وكلمة «الفؤاد» وردت في القرآن الكريم للتعبير عن قدرة إنسانية وظيفتها القيام بعملية الإدراك حيث ارتبطت هذه القوة في كثير من مواطن القرآن الكريم ببعض الحواس، ولعلّ في هذا الارتباط إشارة واضحة إلى مايقوم به الفؤاد من عملية الإدراك، كما في قوله تعالى: ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلّكم تشكرون﴾ (النحل : ٧٨)، وقال تعالى: ﴿ولاتقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾ (الإسراء : ٣٦)، وفي الآية الكريمة ﴿فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ (الحج : ٤٦)، إشارة واضحة إلى أن

الإنسان لايدرك الأشياء بحاسة السمع أو البصر في حالة غياب الفؤاد وأن إدراك الفؤاد غير إدراك السمع والبصر.

كما أن هناك فرقا بين إدراك العقل وإدراك القلب أو الفؤاد، يقول أحد الباحثين: «والفرق بين الإدراك العقلي والإدراك القلبي هو أن الإنسان يحس بالفرق بين الإدراكين من حيث إن مايدركه الإنسان بقلبه غير مايدركه بعقله، ومايدركه بعقله قد لايدركه بقلبه»(٧) والفرق بين الإدراكين كما يقول أحد المؤلفين: «إن الإدراك العقلي منطقي تسلسلي واستدلالي، بينما إدراك القلب مباشر وفجائي، وإن إدراك القلب الهامي واضح كالعيان، ولهذا عبّر اللّه عن إدراك الفؤاد بالرؤية»(٨) وقد استدل المؤلف على ذلك بقوله تعالى: ﴿ماكذب الفؤاد ما رأى﴾ (النجم : ١١).

جـ - أهمية العقل :

يشير الفكر الإسلامي إلى أن العقل هو الأداة أو القدرة من القدرات الإدراكية في الإنسان التي بها يفهم الإنسان، ويتأمل ويفكر ويدبر ويدرك ويتذكّر ويتعلم ويعرف الشيء الكثير عن ربّه، وعن الكون وعما حوله من المخلوقات والموجودات، وعن نفسه والعقل هو مناط التكليف في مجالات عدة، في العقيدة، والشريعة والعبادة والمعاملة والتعايش السليم في المجتمع والطبيعة، وفي مجال العمل والإنتاج، وبناء حضارات، وكشف العديد من قوانين الكون وأسراره، والاستفادة منها.

والعقل عند ابن القيم هو المحرك لجميع البدن، حيث يرى أن «العقل ملك والبدن روحه وحواسه وحركاته كلّها رعية له، فإذا ضعف عن القيام عليها وتعهدها وصل الخلل إليها كلها»(٩).

وبالعقل يميز الإنسان بين الخير والشر، وبين الفضيلة والرذيلة، وبين الصواب والخطأ، وبين الحسن والقبيح، «فهو آلة العلم وميزانه الذي به يعرف

صحيحه من سقيمه وراجحه من مرجوحه، والمرآة التي يعرف بها الحسن من القبيح»(١٠).

وقد أبدى علماء المسلمين الشيء الكثير عن أهمية العقل، وإجلالهم لأمره، ويكفينا أن نسوق شاهدا من ذلك على سبيل المثال، وهو قول عبد الله بن المبارك عندما سئل «ما أفضل ما أعطي الرجل بعد الإسلام؟ قال: غريزة العقل»(١١).

د - مجالات عمل العقل في نظر الإسلام :

مجالات العقل في الإسلام عديدة ومتنوعة ، شملت جميع أوجه الحياة ومناشطها من جمادات وحيوانات ونباتات، ومن ديانات ومعتقدات، ومن عادات وتقاليد وقيم وأخلاق، ومن أفراد وجماعات. حيث «خلق الله سبحانه كل شيء وسيره وفق قانون، وهيأ الإنسان لمعرفة هذا القانون واستعماله بما فطره من استعداد لفهمه وتسخيره»(١٢). ولتوضيح مجالات العقل يود الباحث أن يوجزها في النقاط التالية:

١- تدبر القرآن الكريم وما يؤول إليه، قال تعالى: ﴿أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ (محمد : ٢٤).

٢- النظر في جميع المخلوقات من جمادات ونباتات وحيوانات لرؤية أدلة الله فيها وماخلق لهم فيها من منافع، كما في قوله تعالى: ﴿ ألم تر أنّ الله أنزل من السّماء ماء فأخرجنا به ثمرات مّختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود. ومن النّاس والدّواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنّما يخشى الله من عباده العلماء﴾ (فاطر : ٢٧-٢٨)، والنظر في الوجود في جملته، قال تعالى: ﴿أفلم ينظروا إلى السّماء فوقهم كيف بنيناها وزينّاها ومالها من فروج. والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كلّ زوج بهيج. تبصرة وذكرى لكلّ عبد منيب﴾ (ق : ٦-٨)، وأن يصاحب هذه النظرة في الوجود تدّبر دلائل القدرة الإلهية في خلق السموات والأرض وكافة المخلوقات، قال تعالى:﴿ إنّ في خلق السّموات

والأرض واختلاف اللّيل والنّهار والفلك الّتي تجري في البحر بما ينفع النّاس وما أنزل اللّه من السّماء من مّاء فأحيا به الأرض بعد موتها وبثّ فيها من كلّ دابّة وتصريف الرّياح والسّحاب المسخّر بين السّماء والأرض لآيات لّقوم يعقلون﴾ (البقرة : ١٦٤).

٣- النظر في سنن هذا الكون، ونواميسه وقوانينه التي يسير عليها، قال تعالى: ﴿وآية لّهم اللّيل نسلخ منه النّهار فإذا هم مظلمون. والشّمس تجرى لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم. والقمر قدّرناه منازل حتّى عاد كالعرجون القديم . لا الشّمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا اللّيل سابق النهّار وكلّ في فلك يسبحون﴾ (يس:٣٧-٤٠).

٤- النظر في أطوار الإنسان ومراحل نموه المختلفة، وفي الإنسان نفسه، قال تعالى: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾(الذاريات : ٢١).

٥- يوجه القرآن الكريم النظر إلى حكمة التشريع والاستفادة من ذلك، قال تعالى ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب﴾ (البقرة : ١٧٩).

٦- النظر إلى العبادات والتأمل في كل عبادة يقوم بها الإنسان، قال تعالى: ﴿وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ (البقرة : ١٨٤)، وإلا أصبح الدين تقليدا أعمى وميراثا محمولا دون فهم، وهذا أمر نهى عنه الإسلام وحرّمه، قال تعالى: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل اللّه وإلى الرّسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لايعلمون شيئا ولايهتدون﴾(المائدة : ١٠٤).

٧- ويوجه القرآن الطاقة العقلية إلى النظر في أحوال الأمم السابقة والشعوب على مر العصور، والترحال في الأرض ودراسة أحوال الجماعات والقبائل، والاستفادة مما عند الآخرين من قوة وارتقاء وحضارة، والنظر فيما كان سببا في ضعفهم وهوانهم وتأخرهم تلافيا العمل بها، وهذه الدعوة دعوة نظر واعتبار واستفادة من تجارب الأمم السابقة، قال تعالى: ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين كانوا من قبلهم﴾ (غافر : ٢١)

هـ - حرية العقل من منظور التربية الإسلامية :

إن من مزايا التربية الإسلامية : «أنها اطلقت العقل البشري يعمل في أوسع نطاق متاح على الأرض، ولم تغلق عليه الأبواب أو تجمده في قوالب مصبوبة لافكاك منها»(١٣) والمتأمل في تعاليم الإسلام يجد العلاقة القوية بين حرية العقل وحرية العقيدة، أي «لايمكن أن تمارس حرية العقيدة بمعزل عن حرية العقل والرأي»(١٤)، حيث إن الإيمان بأيِّ عقيدة يقتضي قناعة عقلية تامة، وبقدر مايكون لدى الإنسان من قناعة عقلية نحو معتقداته، تكون ترجمته لتلك المعتقدات إلى سلوك عملي «ذلك أن أي سلوك إذا لم يعتمد على أساس من المنطق المقنع لن يجد الدافع الذاتي الكافي والجذب النفسي الذي يشد الإنسان إلى النزوع إليه ومن ثم لن يكون صاحبه عازما وحازما في سيره على طريق الفضيلة»(١٥).

وللعقل في التربية الإسلامية حق ممارسة النقد على المعارف والنتائج التي يتوصل إليها الإنسان؛ لأن جميع ماهية العلوم والمعارف لايعلمها إلا الله سبحانه وتعالى «فالمسلم يستمع لرأي غيره، ويتفهمه ويناقشه دون حرج، وله مطلق الحرية في أن يقبله أو يرفضه»(١٦)، كما أن للعقل حرية السؤال عن الأشياء التي يطمئن إليها، كما حدث مع سيدنا إبراهيم عليه السلام، عندما سأل ربّه كيف يحي الموتى ؟، وقال تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم ربِّ أرني كيف تحي الموتى، قال أو لم تؤمن، قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ (البقرة : ٢٦). كما أن للعقل حرية الجدل في الأمور التي تحتاج إلى قناعة – ولكن ليس في الحق الجلي والآيات البيِّنات – فقد جادلت امرأة مسلمة رسول الله ﷺ في زوجها حين ظاهر منها كما في قوله تعالى: ﴿قد سمع الله قول الّتي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله﴾(المجادلة : ١)، كما جادلت امرأة عمر بن الخطاب عندما نهى عن المغالاة في مهور النساء، وقال عمر كلمته المشهورة، «أصابت امرأة وأخطأ عمر»(١٧). كما أن للعقل حق المناقشة والأسئلة والاستفسارات في الأمور الدينية التي تؤدي إلى قناعة عقلية، وقد حذّر الإسلام من التسلّط الفكري،

ودعا إلى تحرير العقول من قيود السلطة المنحرفة، وعدم تعطيل العقل عن مهامه التي وجد من أجلها، قال تعالى: ﴿يوم تقلّب وجوههم في النّار يقولون ياليتنا أطعنا اللّه وأطعنا الرّسولا. وقالوا ربّنا إنّا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلّونا السّبيلا﴾ (الأحزاب : ٦٦-٦٧). ولهذا أنكر القرآن على أصحاب العقول الذين ينقادون إلى رهبانهم وزعمائهم دون بصيرة ولا روية، ودون اتخاذ شرع اللّه منهجا لهم، قال تعالى: ﴿ اتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون اللّه﴾(التوبة : ٣١)، كما أنكر القرآن على الذين يعطلون قواهم العقلية، قال تعالى: ﴿إنّ شرّ الدّوابّ عند اللّه الصّمّ البكم الّذين لايعقلون﴾ (الأنفال : ٢٢).

ومن الأمور الهامة التي يشير إليها الفكر الإسلامي، الاحتراس من معوقات نمو الفكر عند الإنسان، وذمه للتقليد الذي يحجر على العقل ويعطل مفعول تفكيره، لهذا فتح الفكر الإسلامي باب الاجتهاد -والذي يعتمد على الكتاب والسنة- أمام العلماء والمفكرين ليستثمروا طاقاتهم العقلية.

ولم تقف تعاليم الإسلام عند هذا الحد، بل توعّد أصحاب العقول المعطّلة إلى التهلكة وإلى عذاب جهنم، قال تعالى: ﴿وقالوا لو كنّا نسمع أو نعقل ماكنّا في أصحاب السّعير. فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السّعير﴾ (الملك : ١٠-١١)، وحرّم على الإنسان المسلم كل مايذهب بالعقل ويشل طاقته، لذا حرّم كل مسكر ؛ لأن فيها اعتداء على نعمة العقل ، قال تعالى: ﴿ إنّما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلّكم تفلحون﴾ (المائدة : ٩٠)، كما حرّم الهوى الذي يقيد العقل ويعيق انطلاقه وتحرره ويصبح أسير ذلك الهوى، قال تعالى: ﴿ولو اتّبع الحق أهواءهم لفسدت السّموات والأرض ومن فيهنّ بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم مّعرضون﴾ (المؤمنون : ٧١).

وبجانب ما للفكر الإسلامي من دعوة صادقة حول تحرير العقل، فإنه يدعو إلى الانفتاح وتقبل الاختلافات والآراء، والاطلاع إلى ماعند الغير، وعلى المسلم العاقل البحث عن الحقيقة والاستفادة منها ولو من خصومه -إذا كانت تلك الحقيقة تتمشى

مع تعاليم دينه- وفي هذا الموطن نستشهد بحديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: «العلم ضالة المؤمن فخذوه ولو من أيدي المشركين، ولا يأنف أحدكم أن يأخذ الحكمة ممن سمعها»(١٨).

و - حدود العقل :

بالرغم من أن الإسلام ذكر مجالات عديدة للعقل، وحرّره من قيود كثيرة -كما اتضح لنا من العرض السابق - إلا أنه لم يذهب إلى ماذهبت إليه بعض الفلسفات التي بالغت في قدرات العقل، وآمنت بأن العقل هو كل شيء في هذا الوجود، حتى أوصلته إلى درجة القدسية والروحانية في بعض الحالات، وأصبح ماتوصل إليه العقل هو موطن الإيمان عندها وماعداه باطل، لدرجة أن العقل في كثير من المذاهب والفلسفات أخذ يطغى على الدين والقيم العليا، وأصبح هو المهيمن والمعيار الوحيد على كل شيء.

أما الإسلام فإنه لم يبالغ في ذلك، ولم يجعل هذه الطاقة طليقة دون قيد أو شرط، أو تعمل دون توجيه وإرشاد، ومنهج الإسلام حين فسح أمام العقل العديد من مجالات البحث والتفكير، فإنه في الوقت نفسه بين أن هناك العديد من المجالات قد تكون فوق مقدور العقل أحيانا، فالأمور الروحانية ومعرفة المبدأ والمعاد، ومصير الروح والإنسان في النهاية، وكيفية الحياة في الآخرة، كل ذلك يعجز العقل وحده عن أن يصل إلى إدراكها، فأعانه الإسلام بإيضاحها عن طريق الرسل. وقد أقرّ عدد من الفلاسفة قصور العقل البشري عن إدراك تلك الحقائق، وقد تحدّث «كانت» عن أولئك الذين يريدون أن يستخدموا العقل في كل شيء ظانين أنهم يستطيعون بعقولهم أن يتخطوا حدود كل تجربة ممكنة، «فيقارنهم بتلك الحمامة التي تحلّق في الهواء، ولكنها تشعر بمقاومة الرياح، فيخيل إليها عندئذ أنها قد تستطيع أن تطير بسهولة أكثر لو أنها حلّقت في خلاء تام ! ولكن هيهات للطير أن يحلق في فضاء مطلق لا هواء فيه ولامقاومة، وهيهات للعقل أن يدرك أي شيء لو ركل بقدميه كل مقاومة من

قبل العالم المحسوس»(١٩) ، ولهذا قسّم بعض العلماء العلوم إلى علوم الطبيعة وعلوم الميتافيزيقا وسماه البعض بالعلم الآلهي. وأشار القرآن الكريم إلى علم الغيب وعلم الشهادة، وعلم الشهادة يدرك بالعقل والحواس والتجارب أما علم الغيب فيكون عن طريق الوحي. قال تعالى: ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ (الزمر : ٤٦).

فالفكر الإسلامي لم يترك العقل يستقل بذاته، ولم يجعله الحاكم الذي لاشيء فوقه، «فالإسلام حاكم على العقل وليس محكوما به»(٢٠). وفي الوقت نفسه يضع الإسلام منهجا لعمل العقل في جميع المجالات ليضمن سلامة النتيجة. فالإسلام حين يفتح أمام العقل معظم مجالات الكون والحياة، فإنه يربط ذلك بنتيجة هامة، وهو أن يكون النظر والتدبر والتفكر سبيلا إلى توحيد اللّه وعبادته والاستسلام له، وهناك العديد من الآيات أشارت إلى غاية النظر العقلي ومجالاته، قال تعالى: ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب، الذين يذكرون اللّه قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرّون في خلق السّموات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النّار﴾ (آل عمران : ١٩٠-١٩١)، والربط بهذه الغاية وفي إطار هذا المجال - توحيد اللّه وعبادته والاستسلام له -، «يحفظ على العقل شطحاته واجتهاداته الخاطئة، التي أوغل وأسرف فيها فلاسفة الحضارات البائدة فأضلوا بها أقوامهم فكانت نعمة العقل نقمة عليهم» (٢١) .

وبالرغم من أن العقل استطاع اكتشاف العديد من المعارف والعلوم، واستطاع صنع العديد من الأجهزة والأدوات والمركبّات فإن هذا كلّه لايساوي إلا الشيء القليل من علم اللّه، وصدق اللّه العظيم حين قال: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ (الإسراء:٨٥).

والعقل عندما يدرك علاقة ما أو حقيقة ما، فإن هذا لايعني أنه هو الذي أوجد تلك الحقائق والقوانين العلمية، وإنما حاول اكتشافها وإظهارها، فقوة الجاذبية مثلا أو الكهرباء، موجودة في علم اللّه منذ الأزل، وقبل أن يكتشفها الإنسان، وصدق اللّه العظيم إذ يقول: ﴿ولايحيطون بشيء من علمه إلا بماشاء﴾ (البقرة : ٢٥٥).

وبالرغم مما تزخر به الحياة المعاصرة من مكتشفات العقل ومخترعاته ، لدرجة أن عصرنا الحاضر وصف بالانفجار العلمي أو الثورة العلمية، فإن القرآن يشير إلى أن ما اكتشفه عقل الإنسان ماهو إلا جزء يسير مما في علم الله، أي أن «الإنسان مهما زاد علمه واتسعت معارفه سيظل على الدوام محدود العلم والمعرفة ولايساوي علمه ولا معرفته شيئًا مما هو في علم الله وفي ملكوته الواسع الفسيح»(٢٢). وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿قل لّو كان البحر مدادا لكلمات ربّي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّي ولو جئنا بمثله مددا﴾ (الكهف : ١٠٩) وقد اعترف باتساع المعارف كثير من البلدان المتقدمة، حيث إن «أكبر العلماء في الغرب يصرّحون ويقولون نحن مازلنا على عتبة العلم» (٢٣).

ثانيا - مفهوم المعرفة وأهميتها ومصادرها:

أ - مفهوم المعرفة :

عرف الشيء أدركه بالحواس أو بغيرها، والمعرفة إدراك الأشياء وتصورها. (٢٤).

وللمعرفة عند القدماء عدة معان، تمكّن أحد الباحثين من حصرها في النقاط التالية :

١- منها إدراك الشيء باحدى الحواس.
٢- ومنها العلم مطلقا، تصورا كان أو تصديقا.
٣- ومنها إدراك البسيط، سواء كان تصورا للماهية، أو تصديقا بأحوالها.
٤- ومنها إدراك الجزئي سواء كان مفهوما جزئيا، أو حكما جزئيا.
٥- ومنها إدراك الجزئي عن دليل.
٦- ومنها الإدراك الذي هو بعد الجهل. (٢٥)

ويطلق لفظ المعرفة عند المحدثين على أربعة معان:

١- هو الفعل العقلي الذي يتم به حصول صورة الشيء في الذهن سواء كان

حصولها مصحوبا بالانفعال أو غير مصحوب به.

٢- هو الفعل العقلي الذي يتم به النفوذ إلى جوهر الموضوع لتفهم حقيقته، بحيث تكون المعرفة الكاملة بالشيء خالية ذاتيا من كل غموض والتباس.

٣- هو مضمون المعرفة بالمعنى الأول.

٤- هو مضمون المعرفة بالمعنى الثاني (٢٦).

والباحث يتفق مع التعريف الأخير لأن كثيرا مايراد بالمعرفة مضمونها ونتيجتها لا الفعل الذهني الذي تتم به، فالمعرفة كما يقول أحد الباحثين: «المعرفة شيء يستطيع الفرد أن يمتلكه ويدخره ليستعمله عندما يحتاج إليه»(٢٧).

وهناك مصطلح ذات صلة بالموضوع ومرادف للمعرفة في كثير من المواطن هو العلم، والعلم: «هو الإدراك مطلقا تصورا كان أو تصديقا، يقينيا كان أو غير يقيني. وقد يطلق على التعقل، أو على حصول صورة الشيء في الذهن، أو على إدراك الكلي مفهوما كان أو حكما، أو على الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، أو على إدراك الشيء على ماهو به، أو على إدراك حقائق الأشياء وعللها، أو على إدراك المسائل عن دليل، أو على الملكة الحاصلة عن إدراك تلك المسائل»(٢٨).

وبالرغم من كون العلم مرادفا للمعرفة، إلا أنّه يتميز عنها بكونه مجموعة معارف متصفة بالوحدة والتعميم؛ أي من شرط العلم أن يتضمن درجة كافية من الوحدة والتعميم، بحيث يستطيع الناس أن يتفقوا في الحكم على مسائله، لا بالاستناد إلى أهوائهم ومصالحهم الشخصية، ومن بين ماقيل في الفرق بين المعرفة والعلم: «إن المعرفة إدراك الجزئي، والعلم إدراك الكلي، وأن المعرفة تستعمل في التصورات والعلم في التصديقات. ولذلك تقول عرفت اللّه دون علمته، لأن من شرط العلم أن يكون محيطا بأحوال العلوم إحاطة تامة. ومن أجل ذلك وصف اللهّ بالعلم لا بالمعرفة، فالمعرفة أقل من العلم، لأن للعلم شروطا لاتتوفر في كل معرفة، فكل علم معرفة وليست كل معرفة علما»(٢٩).

ب - أنواع المعرفة :

المعرفة البشرية متنوعة ومتعددة فهي تشمل: «المعلومات والأفكار والمفاهيم والتفسيرات اليقينية والأحكام والمدركات والتصورات الجازمة التي نكونها أو نتوصل إليها عن شيء ما نتيجة لاستعمال حواسنا، أو عقولنا أو هما معا، أو نتيجة لما نتلقاه عن طريق الحدس أو الذوق والعيان المباشر، أو عن طريق الإلهام والكشف ، أو عن طريق ماجاء به الدين ونزل به الوحي الإلهي.»(٣٠)

والمعرفة بمعناها الشامل يمكن تقسيمها إلى عدة أنواع وأقسام فمنهم من يقسمها إلى :

١- معرفة اعتيادية
٢- معرفة علمية

وثاني يقسمها إلى:

١- معرفة فطرية أولية بديهية
٢- معرفة مكتسبة

وثالث يقسمها إلى :

١- معرفة بسيطة واضحة
٢- معرفة عقلية معقّدة

ورابع يقسمها إلى:

١- معرفة نظرية تجريدية
٢- معرفة علمية ذات قيمة تطبيقية

وخامس يقسمها إلى :

١- معرفة حسية وتجريبية وعملية
٢- معرفة عقلية وبرهانية وتأملية
٣- معرفة حدسية ووجدانية وذوقيّة

٤- معرفة إلهامية وكشفية

٥- معرفة وحييه ودينية

وسادس يقسمها إلى :

١- معرفة اللّه تعالى وصفاته وأفعاله ومخلوقاته

٢- معرفة العقائد الدينية والأمور الغيبية والآخروية.

٣- معرفة الحلال والحرام، والأحكام الشرعية والفقهية

٤- المعرفة الخلقية

٥- معرفة الطبيعة البشرية

٦- معرفة ما يتعلّق بطبيعة الكون والمجتمع والحياة.. الخ(٣١)

ج - أهمية العلم والمعرفة :

تعد المعرفة هدفا أساسيا يسعى الفكر الإسلامي إلى تحقيقه، لأن المعرفة هي أداة التقدم والرقي للفرد والجماعات في جميع مناشط الحياة، صناعيا أو زراعيا، أو صحيا أو سياسيا أو اجتماعيا أو مهنيا أو غير ذلك من المناشط .

وإذا كان «الفكر الحديث يفخر بإيمانه بأهمية المعرفة والعلم وإفساح المجال أمامها واسعا، فإن الإسلام بتعاليمه الخالدة وفكر أتباعه الأصيل كان له فضل السبق في تأكيد أهمية المعرفة والعلم، وفي بيان فضلهما والدعوة إلى طلبهما من المهد إلى اللحد وفي كل الأمكنة وإلى تطبيقها واستخدامها في كل ماينفع ويحقق التقدم والخير والقوة»(٣٢). وصدق اللّه العظيم حين يقول: ﴿يرفع اللّه الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات واللّه بما تعملون خبير﴾ (المجادلة : ١١).

والمعرفة تزود الأفراد والمجتمعات بطرق علمية أساسها التفكير الواعي لحل خلافاتهم ومشكلاتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الرأي في أكثر من موطن، كما في قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يجادل في اللّه بغير علم ويتبع كل شيطان مريد﴾ (الحج : ٣).

ثالثا - التربية العقلية مفهومها وأهميتها:

أ - مفهوم التربية العقلية للبالغين :

قبل أي حديث هنا لابد من تحديد مفهوم التربية العقلية أو تعريفها، لإن إدراك ماهية الشيء مقدّم على معرفة مواصفاته وأحواله، فقد عرّف أحد الباحثين التربية العقلية بأنها: «مساعدة الناشئة على كشف وتنمية استعداداتهم ومواهبهم وقدراتهم وميولهم العقلية، وتنمية معارفهم ومهاراتهم العقلية والمعرفيّة، وتنمية العادات والاتجاهات ذات الارتباط بالروح العلمية وحب المعرفة»(٣٣).

كما عرّفت التربية العقلية بأنها : «تنمية وتهذيب القدرة على التعليل والتفكير الصحيحين، والقدرة على الملاحظة الدقيقة، والحكم الصائب، والتنبؤ الصحيح، والقدرة على التخيل، والإحساس بالجمال»(٣٤).

وعلى هذا فإن التربية العقلية ليست عملية تعليمية ضيقة تعنى بالحفظ والاستظهار والتحصيل، وليست مجرد حشو الأذهان بالمعارف والمعلومات، بل هي عملية أوسع من ذلك وأشمل ، فهي تشمل تنمية القدرات العقلية للبالغين كالقدرة اللغوية والقدرة الرياضية والقدرة على الاستنباط والاستدلال، والقدرة على الملاحظة والنقد الهادف والتحليل الموضوعي، وتنمية العمليات العقلية المختلفة مثل عمليات الإدراك والحفظ والتذكر والتخيل والتفكير وسرعة التذكر والاسترجاع، وعمليات مقاومة النسيان وغير ذلك من العمليات العقلية، وتنمية العادات والاتجاهات ذات الارتباط بالناحية العقلية كحب المعرفة والاستطلاع والقراءة والصبر، والجلد على طلب العلم، واحترام آراء الآخرين ووجهات نظرهم، وعدم التعصب للآراء الخاصة، والتحرر العقلي من قيود التقليد الأعمى والعادات والتقاليد غير الصحيحة، وتنمية المهارات العقلية كمهارة التصنيف والترتيب، ومهارة القراءة والكتابة، ومهارة التفكير المنطقي والمنهجي، ومهارة الشرح والتفسير، ومهارة تكوين قوانين عامة وما إلى ذلك من المهارات، والكشف عن الاستعدادات والقدرات العقلية وتوجيهها الوجهة السليمة والاستفادة منها بما يفيد الفرد

والجماعات، وتهيئة الجو العلمي الصالح الذي يسهم في تنمية تلك الاستعدادات والقدرات العقلية عند الفرد، وتزويدهم بالمعارف والأساليب التي تسهم في تنمية الجانب العقلي، والمحافظة على تلك الاستعدادات والقدرات العقليةووقايتها من المؤثرات التي تؤدي إلى إضعافها سواء أكانت مؤثرات صحية أم نفسية أو مؤثرات داخلية أم خارجية.

ب - أهمية التربية العقلية :

والتربية العقلية لاتقل أهمية وخطورة عن أهمية التربية الروحية والتي سبق ذكرها. حيث إن «أهمية التربية العقلية ترجع إلى تقدّم المتعلمين في التعليم أولا، ثم إلى تقدّم الأمة في الميادين العلمية المختلفة، ذلك أن التقدم العلمي متوقف على تقدم المتعلمين في التعليم. وتقدم المتعلمين في التعلم متوقف على التربية العقلية»(٣٥).

ونحن نعيش في عصر يجعل الأمة الإسلامية في أمس الحاجة إلى التربية العقلية نظرا لما احرزته الأمم المتقدمة من تقدّم علمي، وما أولته لشأن العلم والبحث العلمي وتطبيقاتهما في كافة مناشط الحياة من اهتمام ، إضافة إلى ما تعانيه بعض الأقطار الإسلامية مقارنة بالبلدان المتقدمة «من تفش للأمية ومن نقص في فرص التعليم .. ومن عدم توازن بين التعليم الأكاديمي النظري وبين التعليم الفني والمهني.. ومن هبوط في مستوى الخدمات التعليمية وفي نوعيتها..»(٣٦).

كما أن هذه الحاجة والأهمية للتربية العقلية تزداد وضوحا عندما ننظر إلى اقتصاديات التعليم، «فإن الثروة العقلية لدى الأمة تعتبر في نظر المربين أكبر ثروة، ورأس مال الأمة، وباعتبار أن التربية العقلية تؤدي إلى نمو العقول وزيادة القدرات العقلية أو الإدراكية، فإن التربية العقلية تؤدي من هذه الناحية إلى زيادة أكبر ثروة وأكبر رأس مال في حياة الأمة»(٣٧). فهي تساهم في التطوير والتنمية

الاقتصادية، حيث تسهم في تقديم الأيدي العاملة الماهرة والفنية في جميع المجالات، كما تسهم في الإنتاج والاستهلاك.

وعن طريق التربية العقلية يكون الفرد قادرا على إصدار أحكامه الصائبة على الأشياء، واستفادته من أخطائه وأخطاء غيره، والانتفاع بتجاربه وتجارب الآخرين، وقدرته على حل المشكلات ومواجهة المواقف، أي أن التربية العقلية الصالحة، لها أهمية كبيرة في حياة الفرد، وفي مشاعره وقيمه وأهدافه وتعامله وتعايشه وتصرفاته.

ولأهمية التربية العقلية ذهب بعض الفلاسفة والمربين الأقدمين منهم والمحدثين إلى قصر تعريفهم للتربية العامة للفرد على التربية العقلية، مثال ذلك ماذكر «ارسطو» من أن «التربية إعداد العقل للتعليم كما تعد الأرض للبذرة»(٣٨)، وما قال: «جون سيمون» أن التربية: «هي الطريقة التي يكون بها العقل عقلا آخرا»(٣٩).

وقد أكّد الإسلام أهمية التربية العقلية في أكثر من موطن، وجعل ذلك هدفا من الأهداف الأساسية التي اهتمت بها الرسالات السماوية، وجعل ذلك من بين مهام الرسل في تربية أممهم، كما في قوله تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميّين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ (الجمعة : ٢)، وهذه الكلمة الجامعة – الحكمة– تتنوع معانيها، فمعناها في هذه الآية الكريمة «ويعلمهم الكتاب والحكمة»: «الكتاب مايتلى من الآيات، والحكمة هي الفرائض ، وقيل الحكمة «السنة»»(٤٠).

وعن مقاتل أنه قال : «تفسير الحكمة في القرآن على أربعة أوجه (٤١):

أحدها: مواعظ القرآن: قال تعالى: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة﴾ (البقرة : ٢٣١) ، يعني المواعظ .

وثانيها : الحكمة بمعنى الفهم والعلم، ومنه قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ (لقمان : ١٢)، يعني الفهم والعلم.

وثالثها : الحكمة بمعنى النبوة، قال تعالى: ﴿فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب

والحكمة﴾ (النساء : ٥٤). وقال تعالى: ﴿وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾ (ص : ٢٠)، يعني النبوة.

ورابعها : القرآن بما فيه من عجائب الأسرار ، قال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة﴾ (النحل : ١٢٥) وقال تعالى: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيرا﴾ (البقرة : ٢٦٩) .

ويرجع الإمام فخر الرازي معنى الحكمة إلى معنيين أساسيين هما «إما العلم وإما فعل الصواب»، وقال : «اعلم أن الحكمة لايمكن خروجها عن هذين المعنيين وذلك لأن كمال الإنسان في شيئين : أن يعرف الحق لذاته، والخير لأجل العمل به ، فالمرجع بالأول إلى العلم والإدراك المطابق، وبالثاني إلى فعل العدل والصواب»(٤٢) .

وقد أورد في ذلك بعض الشواهد منها قوله: «فحكى عن إبراهيم عليه السلام قوله «رب هب لي حكما» وهي الحكمة النظرية «وألحقني بالصالحين» وهي الحكمة العملية ونادى موسى عليه السلام فقال: «إنني أنا الله لا إله إلا أنا» وهي الحكمة النظرية، ثم قال :« فاعبدني» وهي الحكمة العملية»(٤٣).

وقد أورد بعض الباحثين عدة معان للحكمة فقال: «الحكمة : العلم والتفقه.

والحكمة : العدل، والكلام الموافق للحق، وصواب الأمر وسداده، ووضع الشيء في موضعه، ومايمنع من الجهل والعلة.

والحكمة: هي الفلسفة أي معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم.

والحكمة: العلم مع العمل فإذا كان الإنسان عالما غير عامل بما يوجبه علمه أو كان عاملا غير عالم لم يكن حكيما.

والحكمة: معرفة الحقائق على ماهي عليه بقدر الاستطاعة.

والحكمة: أيضا حالة يوصف بها الحكيم، وهي هيئة للقوة العقلية متوسطة بين الجربزة .والبلاهة، أو حالة توصف بها الأفعال والأقوال.

والحكمة : هي الكلام الذي يقل لفظه ويجلّ معناه»(٤٤).

كما ذكر ابن مسكويه أن «الذكاء ، والذكر، والتعقل، وسرعة الفهم، وقوته، وصفاء الذهن، وسهولة التعلّم»(٤٥) من الأقسام التي تحت الحكمة.

رابعا - أهم وظائف الأسرة التي يجب القيام بها في التربية العقلية:

يوجز الباحث أهم الوظائف التى يجب على الأسرة القيام بها في التربية العقلية في النقاط التالية :

١- تكوين عقلية علمية مؤمنة عند البالغين ،وتنمية اتجاهات عقلية سليمه.

٢- تدريب البالغين على منهجية التفكير الإسلامي وحلّ مشكلاتهم الحيوية على ضوئها.

٣- مساعدة البالغين على تنمية وزيادة التحصيل العلمي والمعرفي

٤- توجيه البالغين إلى العلوم والمعارف النافعة.

٥- تنمية قدرات وميول البالغين وتوجيهها نحو الاستمرار في التعلم والتعليم والبحث.

خامسا - الأساليب والوسائل التي تساعد الأسرة لتحقيق وظائفها في تربية الجانب العقلي:

سيتناول الباحث كلّ وظيفة على حدة ، موضحا الأساليب والوسائل التي تساعد الأسرة في تحقيق تلك الوظائف في تربية أولادها البالغين تربية عقلية، وذلك في النقاط التالية:

الوظيفة الأولى : تكوين عقلية علمية مؤمنة عند البالغين :

ولتحقيق تلك الوظيفة ينبغي على الأسرة مراعاة مايلي:

١- تكوين نظرة إسلامية عامة للعلوم والمعارف والحياة لدى البالغين:

من المعلوم أن كل فلسفة أو أيديولوجية تنظر إلى الحياة والكون والآلهة والأخلاق والمجتمع والمعرفة والإنسان بمنظورها الخاص، والمميز عن بقية الفلسفات

الأخرى، وقد تميز الإسلام بنظرته المتميِّزة عن بقية الفلسفات إلى الأمور الأساسية السابقة الذكر. وهذه النظرة من المرتكزات الأساسية التي ينبغي على الآباء والأمهات مراعاتها في تربية البالغين، وهذا مانادى به أحد الباحثين في قوله «يجب علينا اليوم أن ننشيء أفراد المجتمع ونكونهم عن طريق التربية بحيث يفكرون بالعقلية الإسلامية، وينظرون بمنظار الإسلام إلى الكون والحياة ويقومون الحياة بمعاييره»(٤٦).

نعم هناك اختلاف كبير في إعداد وتكوين العقلية المؤمنة وغير المؤمنة، فالفرد الذي يتربى مثلا على أن الله خالق الكون، ومدبّر أمره، وخالق الإنسان، ومسخر مافي الكون له، ومشرع له منهج حياته، وتعامله مع الله ، ومع نفسه ومع الناس، ومع الكائنات الأخرى، وأن هذا الكون ومن عليه سيؤول إلى الفناء، وبعد الفناء بعث وحساب وجزاء وغيرها من تعاليم الإسلام، لاشك بأن عقلية هذا الفرد وتفكيره، وتفسيره لنواحي الحياة، وتعليله لها تختلف عن عقلية فرد لم ينشأ على تلك التعاليم.

٢- تشجيع البالغين على نقل المعرفة والعلم إلى الآخرين:

على الآباء والأمهات أن يوضحوا لأولادهم أن العلم ليس ملكا لأحد، وليس حكرا لطائفة معينة، أو أمة من الأمم، ولكنه ملك مشاع للجميع، وأن يحملوا أولادهم على نقل ماتعلموه من العلم والمعرفة والتجارب من ذوي الاختصاص ، ومن أهل الخبرة والتجربة، إلى غيرهم من المتعلمين. وأن تشجعهم بنيل رضى الله إذا قاموا بنشر العلم خالصا لوجهه، كما في قول رسول الله: «نضر الله امرءا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره»(٤٧)، بل إن نقل العلم إلى الآخرين واجب يقرّه الشرع، والشاهد على ذلك قول النبي ﷺ : «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا ألا ليبلّغ الشاهد منكم الغائب»(٤٨)، وهذا يعني

كما قال البخاري في هذا الباب: «ليبلّغ العلم الشاهد الغائب»(٤٩). كما ينبغي على الأسرة أن تحذر أولادها البالغين من كتمان العلم لأن ذلك من الأمور المنهي عنها في الإسلام وخاصة من يكتم آيات اللّه وهدايته، قال تعالى: ﴿ إنّ الّذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيّناه للنّاس في الكتاب أولئك يلعنهم اللّه ويلعنهم اللاعنون﴾ (البقرة : ١٥٩)، ومن حديث رسول اللّه القائل: «من سئل عن علم فكتمه ألجمه اللّه بلجام من نار يوم القيامة»(٥٠)، يتضح أن المراد عدم كتمان العلوم النافعة جميعها سواء أكانت علوما شرعية وعقدية أو كانت علوماً تتعلق بأمور أخرى.

٣- تدريبهم على الأمانة العلمية :

الأمانة مطلوبة في كل شيء، وخاصة في نقل المعارف والمعلومات للآخرين، من غير تحريف أو لبس أو غموض، وعلى الوالدين تذكير أولادهما بأن من كذب أو حرّف في العلم فجزاؤه كبير عند اللّه، وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿فمن أظلم ممّن افترى على اللّه كذبا ليضلّ النّاس بغير علم إنّ اللّه لايهدي القوم الظّالمين﴾ (الأنعام : ١٤٤)، فالكذب في العلم وخاصة الكذب على اللّه ورسوله، يترتب عليه إخلال خطير بقوانين حياة الأمة الإسلامية وشرائعها، قال رسول اللّه: «لاتكذبوا عليّ فإنه من كذب عليّ فليلج النار»(٥١)، وعلى الآباء والأمهات أن يجنبوا البالغين نقل مالم تثبت صحته من المعلومات، وما لاتتوافر لديهم القناعة التامة بصحته، وتوافر شروط الدقة والصحة في المعلومة، حتى لايقع الأولاد وبدون قصد في إضلال الآخرين، قال رسول اللّه ﷺ : «كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ماسمع»(٥٢)، وأن يجنبوهم أيضا الغش في الامتحانات، ويبينوا لهم أضرار هذه العادة السيئة عليهم وعلى مجتمعهم، وأن تنمى في نفوسهم الاعتماد على النفس، والحصول على الشهادات العلمية بجدارة وأحقية لغايات خيّرة.

٤- تدريبهم على دقة الملاحظة :

أي ينبغي على الأسرة أن تدرِّب أولادها البالغين على الملاحظة العلمية الموضوعية لمايجري أمام أعينهم، وفحص الأشياء التي يشاهدونها لمعرفة خواصها وطبائعها. وهناك وسائل عديدة لتدريب البالغين على الملاحظة ؛ كأن تطلب الأسرة من أولادها مثلا وصف ماشاهدوه في طريقهم أو رحلتهم إلى بلد ما، أو وصف ما لاحظوه في ندوة ثقافية حضروها. والأسرة وهي تدرِّب أولادها على ذلك، إنّما تطبق مايدعو إليه القرآن الكريم حين يدعو إلى النظرة في الكون، وفي الآفاق البعيدة، وفي الإنسان ، وفي الكائنات جميعها، بنظرة تبصّر وتدبّر وتفكّر- بملاحظة دقيقة- ، كما في قوله تعالى: ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت. وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت﴾(الغاشية : ١٧-٢٠)، كما ينبغي أن يصاحب الملاحظة الدقيقة التعبير الدقيق في الوصف عما شاهدوه.

٥- تدريبهم على التواضع مع العلم أمام عظمة الله وواسع علمه:

ينبغي على الأسرة أن تشعر أولاها البالغين بأن المرء في هذه الحياة مهما أوتي من علم ومهما اكتشف من مكتشفات، فإن ذلك لايساوي شيئا إلى ماهو في علم الله، قال تعالى: ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربّي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا»﴾ (الكهف : ١٠٩).

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ينبغي على الأسرة أن تنمي في نفوس أولادها مبدأ «لا أدري» في حالة عدم علمهم بالإجابة الصحيحة، وقد طبّق مربي هذه الأمة محمد ﷺ ذلك في حالة الإجابة بلا أدري في حالة الجهل بالجواب، وذلك عندما سأله أحبار اليهود عن الروح، كما في قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ (الإسراء : ٨٥)، وكذلك عندما سئل عن الساعة، كما في قوله تعالى: ﴿يسألك النّاس عن الساعة قل إنما علمها عند الله﴾

(الأحزاب : ٦٣). وقد تبيّن لبعض علماء التربية الغربية «أن الاعتراف بأننا لا نعرف ما لا نعرف حتمية لازمة للنزاهة العقلية، والأمانة الفكرية بأسرها»(٥٣).

٦- التربية على الأناة واجتناب التسرع في الحكم على الأشياء :

على الآباء والأمهات أن لايفسحوا المجال لأولادهم في الحكم على الأشياء دون تريث وتحر، ودون جمع معلومات وبيانات شافية وكافية عنها، ودون دراية وبعد نظر، ودون أن يعتمدوا على أسس بيّنة وعلمية، والأسرة وهي تعمد إلى تنمية هذا الاتجاه إنّما تطبق ماتمليه تعاليم الإسلام من التثبت والتروي قبل إصدار الأحكام واتخاذ القرارات، حيث يعد اتخاذ القرارات من أهم العوامل التي تواجه الإنسان في حياته، ولها الأثر الكبير على حياته الحاضرة والمستقبلية، قال تعالى: ﴿يا أيّها الّذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين﴾ (الحجرات : ٦)، وماتمليه أيضا من عدم قبول الأمور إلا بعد دراية وعلم، قال تعالى: ﴿ولاتقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾ (الإسراء : ٣٦). وأن تصور الأسرة لأولادها بعض النتائج الخطيرة التي تحصل عند الإسراع في اتخاذ القرار. وأن ترشدهم إلى أن الحقائق والمعلومات ينبغي أن يصاحبها البراهين الشافية والكافية، لكي يثق الآخرون بصحة ذلك. وهذا مطلب أساسي لتدعيم صحة الحقائق، كما في قوله تعالى: ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾(البقرة : ١١١)، والبرهان المطلوب هو البرهان الذي يعتمد في خطواته على أسس علمية لاعلى الأهواء والميول والرغبات الشخصية، ولا على الظن والتخبط الأعمى، قال تعالى: ﴿ومالهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لايغني من الحق شيئا﴾ (النجم : ٢٨)؛ أي ينبغي على الأسرة أن تعود البالغين على طلب الحجة والبرهان من الآخرين، وفي الوقت نفسه لايكفي أن يطلب الدليل من الآخرين بل هو الآخر لاينبغي أن يقدّم معلومة أو خبرا بدون دليل وحجّة.

٧- التربية على المجادلة الحسنة وعلى آداب المناظرة:

ومن آداب المناظرة التي ينبغي على الأسرة تعويد البالغين عليها ماتوصل إليه أحد الباحثين نوجزها في النقاط التالية :

١- أن يجتنب المناظر مجادلة ذي هيبة يخشاه

٢- ألا يظن المناظر خصمه حقيرا ضعيفا قليل الشأن.

٣- ألا يظن خصمه أقوى منه بكثير.

٤- ألا يكون في حالة قلق نفسي واضطراب.

٥- أن يتقابل المتناظران في المجلس

٦- ألا يكون المناظر متسرعا يقصد إسكات خصمه في زمن يسير

٧- أن يقصد كل من المتناظرين الإسهام في إظهار الحق ولو على يد خصمه

٨- أن يجتنب كل منهما الهزء والسخرية.

٩- أن يحترز المناظر عن الاختصار المخل في الكلام وعن إطالة الكلام بلافائدة.

١٠- أن يجتنب المناظر الألفاظ الغريبة ، والألفاظ المجملة

١١- أن يأتي كل من المتناظرين بالكلام الملائم للموضوع

١٢- ألا يتعرض أحدهما لكلام خصمه قبل أن يفهم مراده.

١٣- أن ينتظر كل واحد منهما صاحبه حتي يفرغ من كلامه

١٤- أن يقبل كل منهما الحق الذي هداه إليه مناظره.(٥٤).

لهذا ينبغي على الأسرة أن تبعد البالغين عن الجدل الذي لافائدة منه، والذي لايستند إلى أدلّة كافية، ولايهدف إلى عمل مثمر، لأن الجدل من غير أدلّة كافية يعد تعصبا وتحيزا مسبقا لفكرة ما عند البالغين، يحاولون فرضها على الحقائق التي يبحثون عنها. وحديث الباحث هنا لايعني إنكار المجادلة والنقاش من قبل البالغين، بل إن باب الجدل مفتوح في الفكر الإسلامي، وهناك الكثير من الأفكار والآراء حول مناهج الجدل في القرآن(٥٥). والمرغوب فيه أن يكون الجدل بأسلوب علمي منطقي،

مصداقا لقوله تعالى: ﴿إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ماهم ببالغيه﴾ (غافر : ٥٦).

٨- الابتعاد عن التقليد الأعمى:

إن اتباع الغير دون تفكّر وتبصر في الأمور التي تتبع يحد من تفكير الفرد وإدراكه وتجعله تابعاً لامتبوعاً، لهذا ينبغي على الأسرة أن تجنب أولادها البالغين التقليد الأعمى، ولا تفرض عليهم تقاليد الآباء والأجداد، إلا ماكان متعلقا بالقيم، وفوق هذا وما شاكله على الأسرة أن تدرك أن لكل عصر تربيته المتميزة عن غيره، يقول أحد الباحثين في هذا الصدد: «فما كان يصلح لآبائنا، لايصلح بعضه أو جلّه لنا، وما يصلح لنا، لايصلح بعضه أو جلّه لأبنائنا، فإذا ماقارنا ماكان عليه آباؤنا في معيشتهم وأدوات رزقهم وتنقلهم واتصالاتهم، ومانحن عليه اليوم من استعمال الكثير من المخترعات والأدوات التي لوحدثنا عنها أجدادنا لاتهمونا بالخبل والمبالغة والمغالاة، ولوجدنا فارقا كبيرا بين معيشة الجيلين »(٥٦). والأسرة المسلمة وهي تربي أولادها البالغين على ذلك إنما تطبّق تعاليم الإسلام التي لاتقبل من المسلم أن يلغي عقله ليبقى مقلدا لآبائه وأجداده، وهذا مانوهت إليه الآية الكريمة عن الذين يتعصبون لآبائهم وأجدادهم، دون الرجوع إلى تحكيم عقولهم، قال تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولايهتدون﴾ (البقرة : ١٧٠).

٩- الابتعاد عن اتباع الهوى :

الهوى يجعل صاحبه يتأثر بعواطفه ورغباته، فينظر إلى الأمور من زاوية رغباته وأهوائه؛ أي من زاويته الخاصّة، فيحكم عليها تبعا لحبّه لها أو بغضه، دون أن يحكّم عقله فيحكم عليها بالحق.

والهوى كما يشير الحق سبحانه وتعالى إلى أنه يؤدي إلى سقم التفكير، ومن ثم يؤدي إلى الفساد، قال تعالى: ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن﴾ (المؤمنون : ٧١)، كما حذّر القرآن من اتباع الهوى، لبعد صاحبه عن إدراك الحقائق قال تعالى: ﴿فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من اللّه﴾(القصص : ٥٠)، كما يشير القرآن إلى أن أصحاب الهوى يفتقدون دائما المعلومات اللازمة لسلامة التفكير وصحة الاستدلال، قال تعالى: ﴿وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم﴾ (الأنعام : ١١٩).

لهذا ينبغي للأسرة أن تجنب البالغين اتباع الهوى وذلك بتنمية القيم المثلى في نفوسهم، وتحليّهم بالأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة، وقد نوه الإمام الغزالي بذلك وقال: «إذ لاتصح عبادة القلب بالعلم إلا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق»(٥٧) فالآثام تحجب على القلب والعقل الرؤية الصادقه والتصور الصحيح ، وصدق اللّه حين يقول: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون﴾ (المطففين : ١٤)، كما أن تنمية الوازع الديني في نفوس البالغين يجعلهم يحكمون على الأمور بحكم العقل والحق لابحكم الهوى والضلال، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا اللّه يجعل لكم فرقانا﴾ (الأنفال : ٢٩)، وبالجملة فعلى الأسرة أن تربى أولادها على الخضوع للحق واتباع الحق وأن يطلبوا من اللّه دائماً الحق في جميع مناشط حياتهم عملاً بقوله تعالى: ﴿ ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾ (الأعراف : ٨٩).

١٠- الانفتاح على خبرات الآخرين :

على الأسرة أن تنمي في نفوس البالغين الاطلاع على ماعند غيرهم من التجارب والخبرات، وهذا الأمر يساعد الأولاد على تعرف مكامن الخير والاستفادة منها، وكذلك يكسبهم المقدرة على تعرف عوامل التخلف والتأخر عند الجماعات الأخرى، وقد شجع الإسلام على هذا الاتجاه، وندّد بالأساليب التي تعمد إلى الانغلاق، وإلى عزلة المجتمع عن العالم، وعمّا لدى الآخرين من حقائق علمية ثابتة، وقد أشار

الإسلام إلى أن مصير أصحاب هذا الموقف المنغلق هو العزلة والجمود، والتأخر والهلاك، كما في قوله تعالى: ﴿ ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها حتّى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين. وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم ومايشعرون﴾ (الأنعام : ٢٥-٢٦). ولكن الانفتاح ينبغي أن يكون بقيود وشروط وضوابط ، نجدها مجملة في قوله تعالى: ﴿ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم اللّه وأولئك هم أولو الألباب﴾ (الزمر : ١٨).

الوظيفة الثانية : تدريب البالغين على منهجية التفكير وحل مشكلاتهم الحيوية على ضوئها :

التفكير بمعناه العام هو كل نشاط عقلي، لأن معظم التعريفات الخاصة بالتفكير تدور حول هذا المعنى، وقد عرف التفكير تعريفا خاصاً وقيل إنه: «معالجة ذهنية لعناصر العالم المحيط بالإنسان ، تؤدي إلى إيجاد العلاقة الناجحة بين الشكل والمضمون»(٥٨). كما عرّف التفكير أحيانا بأنه: «سلوك رمزي، وذلك لأن التفكير يتناول مايرمز إلى الأشياء الكائنة في البيئة فيعطيها مدلولات خاصة، والرمز هو مايعوض عن شيء مألوف لدى الإنسان في معظم الأحيان»(٥٩)، ويعرّف أيضا بأنه: «العملية التي ينظم بها العقل خبراته بطريقة جديدة كحل مشكلة معينة أو إدراك علاقة جديدة بين أمرين أو عدة أمور»(٦٠)، كما يعرّف بأنه: «البحث عن الحقائق والتفسيرات والحلول التي تساعد كل إنسان على تطوير حياته»(٦١). والباحث يتفق مع التعريف الأخير؛ لأن التغلب على مواجهة الحياة وتطويرها إلى حياة أفضل هو لب العملية التربوية والتعليمية.

والتفكير الجيد له أهميته البالغة في الحياة، يقول أحد الباحثين: «التفكير الخلاق يستطيع أن يقلب وجه العالم وهو الذي رفع الإنسان من أسفل دركات الجهل والهمجية إلى أعلى درجات العلم والمدنية»(٦٢).

لهذا ينبغي على الأسرة أن تنمي قدرة التفكير عند الأولاد وأن تهتم بها وخاصة في وقتنا الحاضر أكثر من أي وقت مضى، يقول أحد الباحثين: « وفي عالمنا المعاصر الذي يتسم بسرعة التغير يصبح من المحتم أن ينمي الفرد القدرة على التوافق مع المواقف الجديدة، وأن تكون لديه القدرة على التمييز بين العديد من الأمور، وأن يفكر تفكيرا ناقدا ومبتكرا حتى يصل إلى أحكام صائبة، ذلك أن حياة كل منا ماهي إلا سلسلة من اتخاذ القرارات وإصدار الأحكام التي تعتمد على القدرة على التعرف على المشكلات والتفكير فيها ومعالجتها بشكل سليم»(٦٣).

والوسيلة الفعّالة التي ينبغي على الأسرة مراعاتها في تنمية قدرة التفكير عند أولادها هي تدريبهم على حل مشكلاتهم الحيوية، ولكن تعلّم تلك المهارة -مهارة حل المشكلات – لايتم بشكل عارض أثناء قيام الأولاد بالإجابة على بعض الأسئلة التي تطرح عليهم ولاتكتسب بالملاحظة، أو تقديم الحلول المناسبة من الأسرة أو من الآخرين، وإنما تكتسب بالممارسة. وهذا ما أكدّه أحد الباحثين في قوله: «وكما أن المرء لايستطيع أن يتعلّم السباحة إلا بممارستها ، كذلك فإنه لايستطيع أن يتعلّم التفكير وحل المشكلات إلا بممارستها وقتا طويلا»(٦٤).

أما الخطوات التي ينبغي على الأسرة اتباعها لكي تكسب أولادهامهارة التفكير فهناك خطوات تستخدم في حلّ المشكلات اليومية، والتي أقرّها العديد من رجال التربية والتعليم ، نوجزها فيمايلي:

١- تحديد المشكلة والتعرف عليها :

وينحصر دور الأسرة في هذا الجانب في النقاط الآتية:

(أ) أن تكون المشكلة التي يكلّف الأولاد بحلها مشكلة حقيقية أي من المشكلات التي تواجههم في حياتهم، وأن يكون للأولاد خبرة بها، «فالمشكلة الشكلية المزيفة التي

تفرض على الولد دون أن يكون لها علاقة بحاجاته ورغباته لاتثير فضوله البته» (٦٥). مثل مشكلة تحديد التخصص، أو مشكلة تحديد المهنة، أو مشكلة تتعلق بالزواج.. الخ.

(ب) أن تتلاءم المشكلة مع مقدرة الولد على التفكير، أي أن تكون في مقدور تفكيره فإن كانت كثيرة السهولة استنكف الولد منها استخفافا واستهتارا، وإن كانت كثيرة الصعوبة نفر منها كراهة واشمئزازا »(٦٦).

(ج) أن يفهم الأولاد معنى المشكلة التي بين أيديهم، وذلك بتحديد عناصر المشكلة لأن كل مشكلة تتكون من عدة عناصر، فمثلا مشكلة تحديد المهنة للولد يمكن أن يقال بأن من بين العناصر التي تتكون منها المشكلة مايلي: قدرات الولد وميوله، المهارات اللازمة لاداء المهنة، مدى ملاءمة قدراته للمهارات اللازمة للنجاح في العمل، إمكانات العمل بعد تخرجه، معرفة الظروف التي سيعمل بها.

(د) تحديد المقصود من المشكلة قبل البدء بمعالجتها، أي توضيح الهدف من معالجة تلك المشكلة وهذا يساعد على التفكير المنظم إضافة إلى تقليل الجهد والوقت في حل المشكلة.

(هـ) إشعار الأولاد بأن المشكلات الحيوية لايمكن حلّها إلا بإعمال الفكر، أي ينبغي على الأباء والأمهات أن يخلقوا جوّا يثير البحث والتفكير، ويرغّبوا أولادهم في معالجة مشكلاتهم، وقد أشار أحد الباحثين إلى أن : «منشأ التفكير ليس وجود المشكلات، أو الشعور بوجودها فحسب، بل الرغبة الشديدة في معالجتها وحلّها »(٦٧). فمثلا لايقتصر الأباء والأمهات على ذكر المشكلة وحدها للأولاد بأن يقال: نعاني من مشكلة المرور في وقتنا الحاضر، أو مشكلة غلاء المهور، أو مشكلة انتشار المخدرات، أو غيرها من المشكلات. فهذا لايكفي بل ينبغي على الأسرة أن تدفع بأولادها وتطلب منهم إيجاد الطرق والأساليب والحلول للتغلّب على تلك المشكلات أو التخفيف من حدّتها على الأقل.

٢- تعويد البالغين على الاستعانة بالمعلومات على حل المشكلات:

المعلومات هي الأساس التي يعتمد عليها الفرد في تفكيره وحلّ مشكلاته وقد اعتبرها أحد الباحثين المواد الضرورية لذلك، وقال: «فكما أن البنّاء لايمكنه أن يقوم بعمله من دون حجارة وطين كذلك فإن الولد لايمكنه أن يفكر من دون حقائق ومعلومات»(٦٨)، ويمكن تلخيص دور الأسرة في هذا الجانب في النقاط التالية:

(أ) حث الأولاد على التعرف والاطلاع على كل المعلومات المتعلّقة بالمشكلة.

(ب) تنبيه الأولاد إلى التحري وأخذ الحيطة عن صحة المعلومات التي جمعوها.

(ج) فهم المعلومات والمعارف المتعلّقة بالمشكلة وتوجيه الأولاد إلى عدم الاقتناع بالتفسيرات الغامضة أو المعلومات الناقصة، واستيضاح المعلومات في الذهن.

(د) نمو المفاهيم الأولية والأساسية، أي تعريف الأولاد على الأشياء وتسميتها وإدراك مميزاتها الخاصة، وفهم المعاني من لغة الحديث والكتابة، وقد أوضح أحد الباحثين أن: «اللغة أداة التفكير والفهم، لأن التفكير يتم عن طريق عمليات رمزية ولعلّ أهم هذه العمليات الرمزية هي الرموز اللفظية»(٦٩)

(هـ) الاستفادة من تجارب الغير ومن المعلومات والمعارف التي تساعد على حل المشكلة التي يراد حلها.

٣- تدريب البالغين على اختيار الحلول المناسبة للمشكلة والحكم عليها:

بعد جمع المعلومات والأدلة المتعلّقة بالمشكلة. يوجه الأولاد إلى عدم التعجل في حل المشكلة، وإلى عدم التسرع في الحكم وإصدار التعميمات دون إشباع المشكلة رويّة وإمعانا فقد تجعل الحلول ناقصة أو خاطئة. ومن بين الشروط والتعليمات التي ينصح أحد الباحثين باتباعها في هذا الجانب مايلي:

(أ) أن لايصدر تعميما إلا إذا كان التعميم مستندا إلى شواهد عديدة.

(ب) أن يحقق هذه الشواهد قبل الاعتماد عليها.

(ج) أن يتيقن من صحة استقرائه واستنتاجه وأن يمتحن ذلك بشتى الوسائل الممكنة.

(د) أن يكون مستعدا لتعديل تعميمه أو الإقلاع عنه إن ثبت لديه خطأ.(٧٠)

(هـ) أن يكون الحكم والحلول إسلامية منطلقة من الأحكام والقيم الأخلاقية الإسلامية.

الوظيفة الثالثة : مساعدة البالغين على تنمية وزيادة التحصيل العلمي والمعرفي:

ولتحقيق ذلك ينبغي على الأسرة مراعاة مايلي:

١- تهيئة المناخ الداخلي للتعلم:

ويقصد من ذلك تهيئة المنزل الصالح للتعلم، وهو المكان الذي يقضي فيه البالغون معظم أوقات مذاكرتهم، ومزاولة ميولهم ومواهبهم ونشاطهم، وهو مكان راحتهم وتناول غذائهم. والسؤال الذي يواجهنا، ما أهم الشروط التي يجب أن تتوفر في الجو العائلي كي يصبح صالحا للتعلم؟ وللإجابة على ذلك يود الباحث أن يوجزها في نقطتين أساسيتين هما :

(أ) مراعاة توافر المتطلبات المادية بالمنزل:

ينبغي على الأسرة أن توفر كافة المستلزمات التي تعين الأولاد على التعليم – بقدر الاستطاعة – مثال ذلك أن تخصص الأسرة حجرة للمذاكرة أو حجرات حسب عدد البالغين وحسب قدرة الأسرة. وأن تكون الحجرة جيدة التهوية والإضاءة، بعيدة عن الضوضاء والأصوات المزعجة كأصوات المصانع مثلا أو حركة السيارات الكثيفة، وكذلك تزويدهم بالمستلزمات النافعة لتعليمهم، ونمو مهاراتهم، وطاقاتهم، إضافة إلى توفير كل مايسهم في صحة الأولاد من غذاء وكساء ووقاية وعلاج، والتي سوف يناقشها الباحث في المجال الصحي . إن توفير تلك المستلزمات وغيرها للأولاد في المنزل تشكل دعوة للتعلّم، وتجعلهم أكثر قابلية للتعلّم، وتسهم في مدى نجاح

استذكارهم لدروسهم، وقد أشار أحد الباحثين إلى: «أن تهيئة الظروف الهادئة مهمة جدا في الحياة العملية والمذاكرة في مكان هادئ من أسباب ثبات المعلومات ومن العوامل المساعدة على الفهم الجيد»(٧١).

وقد يتعذر على بعض الأسرتحقيق بعض مستلزمات الأشياء المساعدة للتعلّم، بسبب الحالة الاقتصادية، ففي مثل هذه الحالة ينبغي على الأسرة أن تعمد إلى تكييف أولادها على الظروف المحيطة بالأسرة؛ لأن التربية كما يرى بعض المختصين عملية: «تكيف قبل كل شيء ، تكيف وتكييف»(٧٢)، والتكيف مع الظروف الطبيعية والاجتماعية المحيطة بالفرد جبلة يتصف بها الإنسان، لذا فإن في مقدور البالغين المذاكرة مع الجماعة وفي الجماعة، وفي وسط الضوضاء والأصوات العالية، ولايتأثرون بالمحيط الخارجي، إذا وجدوا في نفوسهم الرغبة الشديدة للتعلّم، يقول أحد الباحثين في هذا الصدد: «إن الإنسان الذي يصدر عن حبّه للبقاء وعمله المتواصل للحفاظ على بقائه مضطر لمواجهة هذه المحيطات ماكان منها طبيعيا، وما كان منها اجتماعيا، وماكان منها اقتصاديا، أو سياسيا، أو صحيا»(٧٣).

ومن الأساليب أيضا التي تعين الأسرة في هذا المجال أن تعمد إلى توضيح الحالة الاقتصادية لأولادها، وأن تعمد إلى تنمية الرغبة للتعلم في نفوسهم، وإلى تنمية الإرادة القويّة والصبر والعزيمة على التعلّم، وإلى تذكيرهم ببعض العلماء والأدباء -من واقع المجتمع- الذين عاشوا في حياة اقتصادية قاسية، ومع ذلك استطاعوا أن يشقوا طريقهم العلمية، والتوجيه المستمر إلى أن يكون الهدف الأساسي من التعلّم خدمة الدين والأمة وتحسين أوضاعه المعيشية.

(ب) مراعاة توفر جو أسري حميم:

قد يعتقد بعض الآباء والأمهات أن توفير المسكن والملبس والغذاء وجميع المستلزمات المادية التي يحتاجها الأولاد كافية لتهيئة الجو العائلي للتعلّم، بينما الجو الصالح لتعلّم الأولاد - إضافة إلى ماسبق ذكره- ينبغي أن يقوم على الثقة والاحترام المتبادلين بين الأولاد والآباء، وأن يسوده المودة والرحمة والشفقة والعطف، وأن

يكون خاليا من الخصومات والتصدع ، هذا وقد نوه الدكتور مصطفى فهمي في هذا الجانب بأنه ينبغي على الآباء والأمهات تجنب مايلي:

١- الحرمان من رعاية الأم.

٢- شعور الولد بأنه غير مرغوب فيه أو منبوذ.

٣- إفراط الأبوين في التسامح والتساهل والصفح عن الأبناء.

٤- الإفراط في رعاية الأولاد وحمايتهم.

٥- الصرامة والقسوة من جانب الوالدين في معاملة الأولاد.

٦- الطموح الزائد من الآباء (٧٤).

وهذا الحديث لايقتصر على مرحلة الطفولة فحسب، بل يشمل مرحلة البلوغ التي لاتقل أهمية في هذا الجانب عن مرحلة الطفولة، وقد أكد ذلك أحد الباحثين والذي يطلب من الآباء في هذه المرحلة « أن يعيشوا مع أبنائهم في جو أبوي عاطفي تسود فيه المحبة والمودة والعطف والحنان »(٧٥). وصدق الله العظيم الذي جعل المودة والرحمة والشفقة من أهم ركائز الأسرة في الإسلام إذ يقول: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة﴾ (الروم : ٢١)، وبتطبيق ما تشير إليه الآية الكريمة تكون الأسرة قد حققت مايهدف إليه الإسلام في تهيئة المناخ المناسب للذريّة من مودة ورحمة وعطف متبادل، كما جاءت دعوته ﷺ الصريحة إلى الرحمة بالأولاد، عندما قال: «من لايرحم لايرحم»(٧٦). إن الآباء والأمهات عن طريق العاطفة يجعلون أولادهم أكثر تكيفا مع بيئتهم العائلية، وهذا يؤثر تأثيرا مباشرا أو غير مباشر على تحصيل الأولاد العلمي وعلى نمو قدراتهم واستعداداتهم العقلية.

٢- تهيئة المناخ الخارجي للتعلّم :

يقصد بالمناخ الخارجي هنا المؤسسات التعليمية، والمجتمع الذي تنتمي إليه الأسرة . والبيئة الاجتماعية بمؤسساتها التعليمية لاتقل شأنا عن البيئة الأسرية في

تعليم الأولاد، حيث تعد كل واحدة مكملّة للأخرى، فالأسرة وحدها ليست كافية لتعليم أولادها في وقتنا الحاضر ولا المؤسسات التعليمية وحدها كافية أيضا بأن تقوم بالتعليم في معزل عن الأسرة. والأسرة باستطاعتها بل من واجبها أن تسهم في تهيئة المناخ الخارجي كي يصبح مناخا صالحا لتعليم أولادها، ويود الباحث أن يوضح ذلك في النقطتين التاليتين:

(أ) تهيئة مناخ المؤسسات التعليمية للأولاد .

قد يعتقد بعض الآباء والأمهات أن دوره تجاه المؤسسات التعليمية هو تسجيل ولده بإحدى تلك المؤسسات التعليمية، مثل مدرسة متوسطة أو ثانوية أو أحد المعاهد المهنية، معتقدا بأنه قد أدى ماعليه من واجب، وربما يكون عهده بتلك المؤسسة التعليمية هو تاريخ تسجيل ولده بها، متجاهلا أمورا عديدة ينبغي على الآباء والأمهات مراعاتها كي يضمنوا لأولادهم مناخا صالحا لعملية التربية والتعليم.

فينبغي على الآباء والأمهات في هذه الحالة البحث عن مؤسسات تعليمية تتفق وميول ورغبات أولادهم، حيث نعيش في عصر ظهر فيه العديد من المؤسسات التعليمية المختلفة يمكن للأولاد في هذه المرحلة -مرحلة البلوغ- الالتحاق بها، وهناك العديد من رجال التربية والتعليم الأقدمين منهم والمحدثين يؤكدون مبدأ مراعاة ميول وقدرات واستعدادات الولد في التخصص وسوف يناقش الباحث هذا الجانب في فقرة لاحقة- ثم البحث عن المبنى الصالح لتعلّم الأولاد لأنهم سيقضون ساعات ليست بالقليلة من حياتهم العلمية داخل هذا المبنى، وبالتالي فهو يؤثر في عملية التربية والتعليم، يقول أحد المربين: «إن المبنى المدرسي هو وعاء العملية التربوية»(٧٧) وينبغي على الآباء والأمهات أن يضعوا أولادهم في أبنية مدرسية تتمتع بصفات وخصائص جيدة من حيث الموقع الجيد، وسهولة المواصلات إليها، وتوفر الملاعب والساحات، والمختبرات وغرف النشاط، ودورات المياة، وسعة الفصول، والتهوية ، والإضاءة الجيدتين بها.

كما ينبغي على الآباء أيضا البحث عن المؤسسة التعليمية التي تتمتع بالإدارة التربوية الجيدة التي تتصف بالدقة والتنظيم والتنسيق، وسلامة التوجيه والتدبير والمراقبة والمتابعة والانضباط وحب النظام وعدم الإهمال، والتي تهتم بالتعاون الخارجي مع أولياء الأمور، والتفاهم معهم وأخذ مشورتهم، وإبداء التوجيه والنصح لهم.

وعلى الأسرة أن تبحث عن الأساتذة الأكفاء، الذين يتميزون بسمعة جيدة من الناحيتين العلمية والخلقية بين أوساط طلابهم ومجتمعهم. وعلى الأسرة أن تعي وتدرك أهمية البحث عن المدرّس الجيد لتعليم أولادها، لما لذلك من أهمية كبيرة على حياتهم العلمية والعملية والخلقية، يقول الدكتور حسين سليمان قورة: «لانستطيع أن ننكر أن المعلم له من التأثير في الموقف التربوي ما يجعله سيده بحق. فهو الذي يعطي من نفسه لتلاميذه، وهو الذي يهيء السبيل للانتفاع بالفرص التعليمية والحقائق التربوية التي يتضمنها المنهج وهو الذي يهدي المتعلم إذا ضل ويقوّمه إذا زلّ، ويكمل شخصيته الناقصة، ويصقل معارفه ويهذب خلقه، ويسلمه إلى حياته ومستقبله مواطنا يعتز به وطنه بما يمد إليه من يد البناء والتعمير، ويحقق من أهدافه بجهده وفكره وبصمات أصابعه الحانية عليه»(٧٩).

ومما يؤيد تأثر الأولاد بشخصية معلميهم مارواه الجاحظ من كلام عقبة بن أبي سفيان لمؤدب ولده، قال: «يكون أول ماتبدأ به من إصلاح بني إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت»(٨٠).

وإذا كانت الأسرة في حالة مرض ولدها تبذل قصارى جهدها في البحث عن الطبيب الجيد فإن البحث عن المعلّم الجيد لايقل أهمية عن ذلك في نظر الباحث، ولعلّ عدد من الأولاد تعثّر في مادة دراسية أو كره تلك المادة، أو ترك المدرسة نهائيا وتعثّرت حياته العلمية والعملية بسبب أنه لم يوفق في التتلمذ على يد معلّم صالح.

وبعد أن تطمئن الأسرة على اختيار المؤسسة التعليمية الصالحة من مبنى وإدارة وأساتذة، فعليها أن تعمد إلى إقامة علاقة جيدة مع أعضاء هيئة التدريس، تقوم على الاحترام والتقدير المتبادلين ، وأن يعمد الآباء والأمهات على رفع قيمة المعلّم، ويود الباحث أن يشير إلى أن النظرة إلى المعلّم في وقتنا الحاضر من قبل بعض الآباء والأمهات، لاتتفق مع قدر المكانة التي ينبغي أن يحتلها المعلّم في مجتمعه، مع أن صناعة التعليم من أشرف الصناعات، ويكفي تلك المهنة شرفا وتقديرا واحتراما في نظر الآباء والأمهات وفي نظر المجتمع المسلم إنها كانت مهنة الأنبياء والرسل، كما في قوله تعالى: ﴿هو الّذي بعث في الأمّيين رسولا منّهم يتلوا عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة﴾ (الجمعة : ٢).

وينبغي على الوالدين الاتصال المستمر وتبادل الرأي مع إدارة المدرسة أو مع الأساتذة، وذلك عن طريق الاجتماعات التي تعقد لجلس الآباء ومجلس الأمهات ، وعن طريق الزيارات الفردية وينبغي أن «تتفق سياسة المنزل مع سياسة المدرسة للاتفاق مع سياسة موحدة وبذلك يتم التوجيه والإرشاد على أسس واضحة»(٨١). والأسرة بعملها ذلك تجعل أولادها أكثر تكيفا مع مؤسساتهم التعليمية .

(ب) تهيئة مناخ البيئة الاجتماعية للأولاد:

الأولاد في هذه المرحلة لايستطيعون أن يعيشوا في معزل عن مجتمعهم وعن رفاقهم، كما أنه لا تستقيم حياتهم بدون تفاعلهم مع بيئتهم الاجتماعية، ولهذا فالبيئة الاجتماعية لها تأثير كبير على عملية تعليم الأولاد وقد أشار أحد الباحثين إلى أن من الوسائل المهمة لتحقيق وسط هادىء للتعلم هو «تكييف البيئة الاجتماعية وتسخير عوامل التوجيه فيها لخدمة التعلم ، لأن التعارض بين التوجيه التعليمي وبين حالة البيئة الاجتماعية تعوق المتعلّمين عن التعلّم الجيد كما تضعهم في حالة الصراع الداخلي والتشتت الذهني ومن ثم قد يؤدي الأمر إلى الضعف العقلي»(٨٢).

لهذا ينبغي على الآباء والأمهات أن يبذلوا قصارى جهودهم في محاربة الظواهر المنحرفة في البيئة، والقضاء على الإعلانات والدعايات الفاسدة، ومساعدة السلطة وأولي الأمر على ذلك، لأن الأولاد وبالذات في هذه المرحلة «لايستطيعون التركيز على العلم وسط بيئة مليئة بالإعلانات والدعايات الفاسدة المثيرة للغرائز والوجدانات والعقول. وأصحاب هذه الدعايات لايهمهم إعاقة المتعلّمين عن التعلم وعن فسادهم عن جادة الطريق وإنما يهمهم تحقيق المال بأي طريقة كانت»(٨٣).

كما ينبغي على الآباء والأمهات البحث عن الرفقة الصالحة لأولادهم وتهيئة الظروف وإفساح المجال لهم في صحبة أصدقاء «يميلون إلى العلم ويحبون قضاء أوقاتهم دائما في التحصيل.. ولاشك أن ذلك يصبح عاملا مساعدا في التحصيل»(٨٤). وعدم إفساح المجال لهم لإقامة علاقات أو اتصالات أو تعرّف بالرفقة الفاسدة .

٣- توجيه البالغين إلى الأساليب والطرق التي تعينهم في استذكار دروسهم:

يعد هذا الجانب من أهم الجوانب التي تواجه الأسرة في تربية وتعليم أولادها وقد أشار أحد الباحثين إلى أن: «عملية استيعاب الدروس واستذكارها كثيرا ماتشغل بال الآباء والأبناء وتثير لديهم صورا مختلفة من القلق، وخاصة عندما تقترب أيام الامتحانات.. وتختلف اتجاهات الآباء في هذه المواقف، فمنها ماهو متزن يعين الابن على خوض المعركة بهدوء وثقة في النفس، ومنها ماهو خاطيء يدفع الابن دفعا قد لايتفق مع قدراته الجسمية والعقلية وقد يؤدي به إلى الانهيار، ومنها ماهو عصابي يزيد الابن ارتباكا على ارتباك ويثير في نفسه أنواعا من الاضطرابات النفسية»(٨٥).

لذا فإنه ينبغي على الآباء والأمهات الإلمام بالطرق والأساليب الناجحة في استذكار الدروس ، لكي يتمكنوا بموجبها من تقديم المساعدة للأولاد في مذاكراتهم، وإنقاذهم من طرق وأساليب خاطئة، قد تبدو لأول مرة أنها مفيدة لما يجد الأولاد فيها

من اختصار الوقت أو توفير الجهد في استذكار موضوع ما، ثم ينكشف عدم جدواها بعد فترة، ويصبح تغيير تلك الطريقه في استذكار الدروس من الأمور الشاقة والعسيرة.

ويود الباحث أن يشير إلى أن طرق المذاكرة والاستذكار تتأثر بعوامل عدّة، منها العامل الصحي، والعامل النفسي، والذكاء والقدرات العقلية، والعادات وطرق المعيشة، أو بمعنى آخر قد تكون القاعدة أو الطريقة المفيدة لأحد الأولاد في مذاكرته أقل فائدة للولد الآخر، إلا أن هناك بعض طرق الاستذكار أشاد بصلاحيتها العديد من العلماء ، ومن بين تلك الطرق مايلي:

(أ) ينبغي على البالغين عند بداية المذاكرة أن يلقوا نظرة شاملة لكل مواضيع الدرس الذي يراد مذاكرته، إن هذه النظرة تعطي الأولاد فكرة مبسطة عن ترتيب ونظام وموضوع الأفكار، وعن ترابط المواضيع والفصول والأبواب بعضها ببعض، وقد يجد الولد ذلك عادة في أول الكتاب، وهو مايسمى عادة بالفهرس.

(ب) ينتقل الولد بعد ذلك إلى دراسة كل درس جزءاً جزءاً من الكتاب، على أن تكون الدراسة شاملة لجميع نقاط وفقرات ذلك الجزء، وفهم أفكاره فهما جيدا، فالفهم الجيد هو «أساس العلم، فبدون الفهم الجيد لايمكن تكوين القدرة العلمية الصحيحة أوالروح العلمية»(٨٦).

إن كثيراً من الأولاد يقرون دروسهم قراءتهم لصحيفة أو قصة وفي ذلك كثير من اللامبالاة وهذه الطريقة فائدتها ضيئلة جدا، لأن المذاكرة تتطلب بذل الجهد والانتباه وعلى الدارس أن يقف عند كل الأفكار الرئيسة، ويحاول تثبيتها في ذهنه ثم يستعيدها ليرى أحفظها أم لا، وهذه تسهم في تثبيت المعلومات لدى البالغ وتفادي النسيان، حيث «أثبتت التجارب العلمية المختلفة أن نسيان المفهوم أقل من نسيان غير المفهوم، وأن الدرس الذي تفهمه وتتعمق في معانيه يبقى في ذهنك مدة أطول من بقاء الدرس الذي تستظهره دون فهم»(٨٧).

(ج) تختلف طريقة المذاكرة باختلاف المادة نفسها، فطريقة مذاكرة التاريخ مثلا تختلف عن طريقة مذاكرة الرياضيات، ففي درس التاريخ يحاول البالغ أن يجعل ذلك في صورة قصة على أن يحرص على ربط المسببات بالأسباب، والاهتمام بالتواريخ والأسماء سواء أكانت أسماء أعلام أم أسماء أمكنة مع الاهتمام بالعصر الذي يدور حوله الموضوع. أما في مذاكرة الرياضيات فينبغي عليه فهم النظرية فهما جيدا، وإذا كانت تلك النظرية التي بين يديه لها علاقة أو مرتبطة بنظريات سابقة، ينبغي عليه إعادة استذكارها. ومن العوامل الهامة التي تسهم في فهم النظرية الرياضية، وترسيخها في ذهنه، التدريب الكافي على إثبات النظرية نفسها، ثم التدريب الكافي في التطبيقات المختلفة لتلك النظرية ولعل مادة الرياضيات من أصعب المواد التي تواجه الأولاد في استذكار دروسهم، ومن أكثر ما يشغل بال الآباء والأمهات، وبحكم تجربة الباحث فإنه ينصح الآباء والأمهات بالتركيز الجيد على الأسس الأولية في دراسة مادة الرياضيات لأولادهم . ومادة الرياضيات تعتمد في فهمها على ترابط مواضيعها؛ بمعنى أن غياب الولد عن نظرية واحدة يعد من أكبر العوائق في فهم النظرية التي تليها، وأن إهماله في فصل من الفصول الدراسية يعد حجر عثرة في الفصول الدراسية التي تليه، مما يضطر بعض الآباء عندئذ للبحث عن وسيلة لتقوية ولده، وخير الوسائل وأنفعها لتقويته هي التي تنطلق من الفصل الذي أهمل فيه، مع التدريبات العديدة لكل نظرية.

أما إذا كان الموضوع من المواضيع التي تحتاج إلى حفظ مثل حفظ قصيدة شعرية مثلا، فيستحسن البدء بقراءة كامل القصيدة وفهم معانيها ومضمونها، لأن «حفظ الكلمات مع فهم معانيها أسهل من حفظها من غير فهم معانيها»(٨٨).

أما الحفظ فله طريقتان، طريقة التجزئة وهي أن تجزأ القطعة إلى جمل أو أبيات وتحفظ جملة جملة أو بيتا بيتا، وطريقة الإجمال وهي أن تؤخذ القطعة بمجملها وتقرأ مرة بعد مرة حتى تعلق بالذهن. وإما أي الطريقتين أدعى للتعلّم، فيتوقف ذلك على استعدادات الفرد ، ولكن يستحسن أن تحفظ الأبيات التي تتناول

فكرة واحدة بكاملها، دفعة واحدة ثم الانتقال إلى حفظ الأبيات التي تتناول الفكرة التي تليها حتى الانتهاء من حفظ القصيدة، وهذا أسهل من حفظ القصيدة بيتا بيتا، وقد أشار الدكتور فاخر عاقل إلى أن البحوث العلمية برهنت على «أن هذا النوع من الحفظ أكثر اقتصادا في الوقت والجهد، كما برهنت على أنه أبقى في الذهن وأثبت في الذاكرة»(٨٩).

(د) أن يحرص البالغون على ربط دروسهم الحالية بالدروس السابقة، فهي تسهل عليهم فهم الدروس الجديدة، والعلم الواحد نجده مترابطاً، وإنما الهدف من تجزئته إلى موضوعات تبسيطية لتسهيله على الدارس، وعلى البالغ أن يربط بين المواضيع في دراسته فمثلا إذا فهم خواص المربع، فعليه مقارنته بخواص شكل رباعي آخر مثل المستطيل ومتوازي الأضلاع والمعين وشبه المنحرف، من حيث الزوايا والأضلاع والأقطار والمساحة والمحيط، وكلّما كانت الروابط عديدة ومتنوعة، ساعدت البالغ على سرعة التذكر لأنه إذا نسي واحدة منها بإمكانه الرجوع إلى الأخرى.

(هـ) ينبغي أن يعوّد الآباء والأمهات أولادهم تصنيف وترتيب المواد التي دروسها أثناء المذاكرة، على أن يكون الترتيب والتصنيف قائمين على مبدأ منطقي معقول وليكن ذلك الترتيب والتصنيف من عمل الولد نفسه، وهذا العمل يساعده على فهم درسه وتثبيته في ذهنه. كما أن هناك بعض الطرق المساعدة وهي قريبة من التصنيف تساعده على حفظ مايريد حفظه، وهي تتلخص في جمع القواعد الضرورية في كلمة واحدة أو جملة أو في بيت من الشعر، وهذا مانجده واضحا في بعض مواضيع اللغة العربية، ومن بين ذلك على سبيل المثال حصر حروف المضارعة في كلمة «أنيت»، وقد تمكن إمام النحاة، أبو عبداللّه جمال الدين محمد بن مالك، من جمع خلاصة علمي النحو والصرف في أرجوزة ظريفة في كتابه «الخلاصة» الذي اشتهر بين الناس باسم «الألفية».

(و) أن يتعود البالغون على استخدام القراءة الصامتة والقراءة الجهرية في المذاكرة؛ لأن لكل من القراءتين فوائد ومحاسن تختلف عن الأخرى، وهناك آراء متعددة حول كل من القراءتين .

فالقراءة الصامتة تقوي الذاكرة البصرية، وتفيد في ترديد الأفكار أو الألفاظ في النفس، وقد برهن العلم على أن «القراءة الصامتة أدعى للفهم والحفظ والتذكر، وأكثر اقتصادا في الجهد المبذول والوقت المصروف»(٩٠).

أما القراءة الجهرية فإنها تقوي الذاكرة السمعية، وتكسب اللسان مهارة إخراج الحروف وتقوي حبال الصوت، وتستخدم في الحالة التي يراد منها الحفظ والاستظهار فمن الأحسن ترديد مايراد حفظه بصوت عال، «فإذا كانت القراءة الصامتة أسرع وأكثر اقتصادا في الوقت والجهد من القراءة الجهرية، صح التعبير بأنها أقل فائدة في الحفظ والاستظهار من القراءة الجهرية»(٩١).

(ز) أن لا يُعود الأولاد على طريقة الحفظ عن ظهر قلب أو ما يسمى «الصم» أو «البصم» إلا في الحالات النادرة جدا، فالأولاد إذا تعودوا على تلك الحالة فإنه يصعب عليهم مواصلة تعليمهم وخاصة بالمرحلة الجامعية، وقد أشارت التجارب العلمية إلى: «أن النسيان يتطرق إلى مافهم بمقدار أقل بكثير من تطرقه إلى ماحفظ دون فهم وأن المعلومات التي تصبها في قوالبك الشخصية ويتمثلها عقلك تصبح ملكك الشخصي بخلاف المعلومات التي تحفظها بنصها والتي تشعر بأنها أشبه ماتكون بالثوب المعار»(٩٢).

(ك) على البالغ مذاكرة كل مادة على حدة في فترة واحدة، وإذا تطلب الأمر استذكار أكثر من مادة في فترة واحدة، فعليه أن يتجنب استذكار المواد المتشابهة، لأن تشابه المواضيع يؤدي إلى تداخل المعلومات، ومن ثم يؤثر في قدرة الاسترجاع فيما بعد، وقد دلّت التجربة «على أن الشخص إذا لم يحاول حفظ مواد أخرى غير تلك المادة التي قام بحفظها، فإن هذا يساعد كثيراً على عدم نسيانه لها، ولكن حفظ الإنسان لعدد من المواد -وخاصة إذا كانت متشابهة- يجعل نسيانه لما حفظ منها أسرع»(٩٣). أي أنه ينبغي على البالغ أن ينتقي في استذكاره مواد غير متشابه كأن يستذكر مادتي الرياضيات والتاريخ مثلا في جلسة واحدة.

(ل) على البالغين العودة للمواضيع التي راجعوها لأول مرة في أقرب وقت ممكن، أي أن تكون الفترات الزمنية قصيرة في بادىء الأمر بين استذكار موضوع ما، وبين

الرجوع إلى استذكاره مرة أخرى ثم تكون هذه الفترات متباعدة تدريجياً «نظرا إلى أن النسيان يخف تدريجيا كلما ابتعد زمنيا عن فترة الحفظ التي تم فيها بادئ الأمر»(٩٤). فالمراجعة العشوائيه غير المنظمة والتي قد تكون لمجرد ملء الفراغ تكون جدواها قليلة. كما أن بعض الأولاد عند تعلّمه الدرس من الأستاذ يعتقد أنه ليس بحاجة إلى مذاكرته، ظانا أنه فهم الموضوع فهما جيدا، وهذا اعتقاد خاطيء، وينبغي العودة إلى مذاكرة الموضوع مرة ثانية وفي أقرب وقت ممكن، فهذه تسهم في تثبيت المعلومات في ذهن الولد من جهة، وتعد زيادة في شرح وإيضاح الموضوع له من جهة أخرى. وقد برهنت دراسات التعلّم: «على أن تكرار الحفظ وتثبيت الدرس الباكرين أحسن فائدة وأجدى عائداً وأبقى في الذهن»(٩٥).

ولأهمية هذا الموضوع كما أسلف الباحث في بداية حديثه فإن هناك عوامل هامة ينبغي أن لا تغفل عنها الأسرة للاستفادة منها في مساعدة البالغين على استذكار دروسهم ، ويمكن إيجازها في النقاط التالية :

١- تنظيم الأوقات :

للتنظيم أهمية بالغة في حياة المرء ، فالحياة لاتنتظم إلا بالتزام نظام معين، ومن حسن الحظ أنه يوجد «في الإنسان ميل للالتزام: ميل لأن يلتزم بأشياء معينة وينفذها، ولو وجد نفسه طليقا من كل التزام خارجي لفرض على نفسه أمورا معينة والتزم بها.. إرضاء لما في طبيعته من ميل للالتزام ومن ثم فالفوضى المطلقة ليست من طبائع الإنسان.. فحياة الفرد لاتنتظم إلا بالتزامه نظاما معينا في معيشته.. نظاما يشمل كل شيء وكل سلوك. يشمل موعد اليقظة وموعد النوم، وموعد تناول الطعام ، وموعد العمل، وموعد الراحة.. الخ.(٩٦). وقد قال العالم «الكسيس كارل»: «إن التنظيم يكسب الإنسان قوة فائقة»(٩٧).

وشعور الأولاد في هذه المرحلة وإحساسهم بقيمة الوقت يختلف عن شعور الراشدين به وبالأخص الوالدين، وأن نفوس الأولاد في هذه المرحلة تميل إلى اللعب أكثر من ميلها إلى الاستذكار، وينبغي على الآباء والأمهات مراعاة تنظيم أوقات

أبنائهم بين التحصيل الدراسي وبين اللعب والاستجمام، وبين الراحة والاسترخاء، والاشتراك مع أولادهم في وضع جداول للمذاكرة وأوجه النشاط الأخرى، وقد أشار أحد الباحثين إلى: «أن تنظيم الأوقات له دور كبير في التحصيل، ومن أهم العوامل المساعدة له، ذلك أن هناك أوقات للراحة وأخرى للمذاكرة، يجب أن تعرف ويجب أن يقضى كل وقت في العمل المناسب له»(٩٨).

أما تحديد أوقات المذاكرة فيختلف باختلاف صحة الولد ونوع دراسته وعادته في النوم وظروف عمل الأسرة، ولكن يستحسن اختيار الوقت الهادىء الخالي من ضوضاء الحياة وصخبها، ويكون بعد أن أخذ الولد الراحة الكافية، «والحق أن الذي لايعرف كيف يرتاح لايعرف كيف يعمل، ولايستطيع أن يعمل»(٩٩)، حيث يكون الذهن بعد الراحة اللازمة صافيا، وأن لايكون وقت المذاكرة بعد «الاستيقاظ مباشرة بل ينبغي أخذ فترة بسيطة لمدة نصف ساعة على الأقل بعد الاستيقاظ لكي يعود النشاط إلى جميع أعضاء الجسم وتزول الرخاوة التي يشعر بها بعض الناس عادة بعد الاستيقاظ»(١٠٠)، وأن لايكون وقت المذاكرة بعد الأكل مباشرة أيضا، يقول أحد الباحثين في هذا الصدد: «إن المذاكرة بعد الأكل مباشرة علاوة على قلة الجدوى منها فإنها ترهق العقل، وتتسبب للتعب الذهني والملل من القراءة بسرعة»(١٠١).

وينبغي أن تكون فترة المذاكرة مناسبة ومعتدلة، فلاتكون قصيرة بحيث لايستطيع الولد أن يلمّ بأجزاء الدرس، ولايكون طويلا بحيث يبعث الملل والسآمة في نفس الولد، يقول علي بن أبي طالب: «إن القلوب تمل كما تمل الأبدان»(١٠٢). ولهذا ينبغي أن يتخلل فترة المذاكرة فترة للراحة، وينصح رجال التربية أن تكون هناك «فترة للراحة بعد كل ساعة، وتحديد مقدار الراحة يرجع إلى المتعلّم لكن الأساس العلمي هو أن تزداد فترة الراحة كلما تزداد ساعات المذاكرة»(١٠٣). إن الراحة بعد المذاكرة تسهم في تثبيت المعلومات في ذهن الولد، وقد دلّت التجربة على أن عملية الاسترجاع «تتأثر كذلك بنوع النشاط الذي يزاوله الفرد بعد انتهائه

من عملية الحفظ، وأنه من الأفضل كثيرا أن يتبع الحفظ فترة من النوم إذا أردنا الحصول على أفضل النتائج»(١٠٤).

٣- التحفيز أو التشويق :

نادى الكثير من علماء التربية والتعليم بأهمية التشويق ومن بينهم «ثورنديك» الذي وضع مايسمى بـ «قانون التشويق»، وفحوى هذا القانون في الأصل: «إن الإنسان إذا اقترن عمله بما ينشرح له صدره كالثواب تمكن هذا العمل في نفسه ورسخ في ذهنه، أما إذا اقترن عمله بما ينقبض له صدره كالعقاب فإن هذا العمل لايتمكن في نفسه ولايرسخ في ذهنه، وذلك على اعتبار أن الإنسان يميل بطبيعته إلى مايسرّه، ويتجنب مايسوؤه»(١٠٥).

وعلى الآباء والأمهات أن يدركوا أن الثواب (التشويق) من أهم العوامل التي تعلّم الولد وتجعله مقبلا على استذكار دروسه برغبة واندفاع، ومما هو معلوم أن المذاكرة والتعلّم عن طريق الرغبة أفضل بكثير من الرهبة، وأن تربية الجانب التعليمي بالذات لايجدي معه القسوة والشدة والإكراه، إن إكراه البالغين على المذاكرة لايؤدي إلى نتائج طيبة، وحسبنا أن نستشهد بالقول المأثور: «إن بإمكاننا أن نقود الحصان إلى المياه، ولكنه ليس بامكاننا أن نجبره على الشرب»(١٠٦)، وإن تعاليم الإسلام تنبذ الإكراه حتى في اعتناق الدين الإسلامي فضلا عن تعلّم علم من العلوم، كما في قوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدّين﴾ (البقرة : ٢٥٦)، وقال تعالى: ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ (الكهف : ٢٩)، ومادام الأمر كذلك فإنه ينبغي على الآباء والأمهات أن يبحثوا عن السبل التي تجعل عملية التعلّم والاستذكار محببة إلى نفس البالغ، وقد قال أحد المربين : «ليس الغرض في هذه الفترة -فترة المراهقة- إطلاقا أن نعلمه العلوم، بل الغرض أن نربي فيه الذوق ليحبها، ونربي لديه مناهج تعلمها بنفسه عندما يبلغ ذلك الذوق أشده وهذا يقينا هو المبدأ الأساسي لكل تربية جيدة»(١٠٧).

ومن الوسائل الهامة لتشويق الأولاد أن يعمد الآباء والأمهات إلى إقناعهم بقيمة الواجبات المدرسية وقيمة العلم والمعرفة، وأن يشعروهم من حين إلى آخر بما أحرزوه من نجاح لأنهم سيجدّون في استذكار دروسهم عندما يشعرون بنجاحهم المطرد، وقد اثبتت التجارب العلمية صحة القول: «لاشيء يساعد على النجاح مثل النجاح»(١٠٨) وأن يراعوا نفوس أولادهم، وأن ينتزعوا مشوقاتهم من حياتهم الحاضرة، مع مراعاة مايميل إليه أولادهم من الأمور الحسيّة الممتعة.

وأن يعمد الآباء والأمهات إلى التركيز على التشويق الداخلي بدلا من تركيزهم على التشويق الخارجي، لأن المشوق من حيث مصدره على نوعين «مشوق داخلي بمعنى أنه صادر عن المتعلّم، منبثق من نشاطه التربوي، ومشوق خارجي بمعنى أنه صادر من غير المتعلّم وليس له علاقة بنشاطه التربوي»(١٠٩). ولتوضيح ذلك، إذا أرادت الأسرة أن تثير رغبة أولادها في المطالعة، فمن الأفضل أن تدلّهم على الكتب الممتعة، فيكون لهم من لذّتها خير مشوق بدلا من أن تغريهم بجائزة، وإذا أرادت أن تحمل أولادها على حل التمارين الرياضية، والوصول إلى إجابة صحيحة، فمن الأفضل أن تشعرهم باللذة الناشئة أثناء حلّهم التمارين، والتدرج في الحل خطوة خطوة والوصول إلى الإجابة الصحيحة ، والثناء على قدراتهم العقلية التي استطاعت تجاوز تلك العقبة، بدلا من تقديم مكافأة لهم إن هم توصلوا إلى الإجابة الصحيحة .

٣- الممارسة العملية :

ينبغي على الآباء والأمهات أن يربطوا المعارف والعلوم التي تعلمها البالغون في مدارسهم بالحياة التي يعيشونها، بمعنى أن تبذل الأسرة قصارى جهدها في سبيل جعل أولادها يمارسون ماتعلموه عمليا، وأن يفسحوا لهم المجال وأن يهيئوا لهم سبل ذلك، وقد نادى بهذا المبدأ العديد من رواد التربية المحدثين ، وهو مبدأ «الخبرة والنشاط الذاتي للفرد»(١١٠). فالمعرفة الحقيقة هي التي تقوم على الخبرة الذاتية والممارسة العملية.

وفي نظر الباحث أن تربية البالغين في وقتنا الحاضر تفتقر إلى الممارسة العملية أكثر من افتقارها إلى المعرفة نفسها، فجميعهم يتعلّمون العديد من قوانين المساحة والحجوم وغيرها بالمدارس، ولكن معظمهم قد يتعذر عليه إيجاد مساحة مزرعة أو غرفة أو فناء إذا تطلب الأمر ذلك، وكذلك بالنسبة للمواد الأخرى، فالبالغ يتعلّم الشيء الكثير عن النباتات وطريقة تكاثرها وأنواعها وتقليمها وتطعيمها، ولكنه قد يعجز عن تطبيق ذلك عمليا على حديقة المنزل، وكذلك الشأن بالنسبة للبنت فهي تتعلّم في المدرسة طريقة التفصيل والخياطة والتدبير المنزلي، ولكنها قد تعجز عن خياطة فستان أو إعداد وجبة غذائية معينة، إننا نرى العديد من هذه النماذج نراهم عاجزين عن تطبيق ماتعلموه في حياتهم، إن سبب ذلك عزلة البالغين عن واقع حياتهم، يقول أحد الباحثين في هذا الجانب : «فالتلف أو الضياع الكبير في التربية متأت من عجزه -أي الطالب- عن الانتفاع بما يكتسب من الخبرات خارج محيط المدرسة انتفاعا تاما وحرا يجرى داخل المدرسة نفسها. وهو في الوقت ذاته يرى نفسه عاجزا عن استعمال ما يتعلّمه من المدرسة في حياته اليومية. وهذه هي عزلة المدرسة، إنها انعزال عن الحياة»(١١١).

إن ربط المعارف التي يتلقاها الأولاد في المدارس بالممارسة العملية سواء كانت الممارسة في المنزل أو خارج المنزل، لها الأثر الطيب، فهي تسهم في تثبيت المعلومات في أذهانهم ، وتجعل تعليمهم أكثر نفعا وفائدة، وتسهم في تبسيط المعارف وفي تنمية المهارات والقدرات والميول عندهم.

٤- تجنب الإرهاق والمشقة في تعليم البالغين :

على الأسرة أن تأخذ بعين الاعتبار مقدرة ولدها وطاقته على التعلّم، وأن لا تحمله فوق طاقته، كأن يطلب الأب من ولده حل كافة تمارين الرياضيات المتعلقة بموضوع ما، أو حفظ قصيدة شعرية في مدة زمنية أقل من المعقول، أو جعله يذاكر كل الأوقات بغية الفائدة وكسب الوقت كما يظن بعض الآباء.

إن التوجيه الجيد في جعل البالغ أكثر قابلية للاستذكار هو الذي يراعي

قدراته وطاقاته، وتجنب كل مايؤدي إلى إرهاقه وجلب المشقة إليه.

والأسرة وهي تطبق ذلك على أولادها، إنما تتبع تعاليم دينها الإسلامي، كما في قوله تعالى: ﴿لايكلّف اللّه نفسا إلا وسعها﴾(البقرة : ٢٨٦).

٥- مراعاة إبراز الأهداف التي ترمي إليها عملية التعلّم:

إن توضيح الأهداف التي ترمي إليها عملية التعلّم للبالغين تعد من العوامل المساعدة للتحصيل العلمي وتحفيز هممهم عليه فهي تسهم في تركيز انتباههم في التعلم، وبالتالي تكون عونا في جعلهم يقبلون على العلم بجد ونشاط، وقد ذكر أحد الباحثين أنه «كلما كانت الأهداف واضحة وسامية، وكان الإيمان بها قويا وراسخا، كان المرء أكثر اندفاعا لتحقيقها وساعيا من أجلها، وكلما كانت جذّابة محققة آمال الإنسان وحاجاته الأساسية المادية والمعنوية كانت أكثر إثارة للمرء للعمل من أجلها والتضحية في سبيلها»(١١٢).

كما يود الباحث أن يشير إلى قضية ربما يقع فيها العديد من الآباء والأمهات في وقتنا الحاضر، وهي قلّة فرص العمل أمام أولادهم، وقد تقودهم تلك القضية إلى إثارة هذا السؤال، ما الغرض من التعلّم وبذل الجهد والوقت والمال، إذا لم يتوفر العمل؟ إن إثارة مثل ذلك أمام الأولاد وخاصة في هذه المرحلة من أكبر العوامل على تثبيط حماسهم للتعلّم وقلة اندفاعهم له، وهذا راجع إلى عدم البحث عن وجود أهداف سامية وعدم جعل المصلحة العلمية لأولادهم فوق المصالح كلّها، والأخذ في الاعتبار أن البالغ المتعلّم أفضل من البالغ الجاهل.

وبجانب وضوح الهدف أمام البالغين ينبغي على الآباء والأمهات أن يجعلوا تلك الأهداف مناسبة لطاقاتهم وميولهم وقدراتهم، وقد قال أحد الباحثين في هذا الصدد ينبغي «ألا تكون أهداف الإنسان أكبر من حجمه ووقته وقدراته لأنه عندئذ يعيش دائما في ضيق وحرج ويسبب له ذلك متاعب نفسية وجسمية»(١١٣).

الوظيفة الرابعة : توجيه البالغين إلى العلوم والمعارف النافعة

إننا نعيش في عصر يزخر بالمعارف والعلوم حتى أطلق عليه «عصر التفجر الثقافي والتطور السريع، وعصر العلم والتكنولوجيا»(١١٤)، ولعل بعض الأسر تقع في حيرة من أمرها إزاء هذا التراكم الهائل من المعارف، فذهبت بعضها إلى التركيز على العلوم والمعارف الشرعية لتعليمها لأولادها، وبعضها الأخرى جعلت العلوم التطبيقية هي المطلب الهام في تعليم أولادها. والحقيقة أنه ينبغي على الآباء والأمهات أن يدركوا أن العلوم والمعارف تتفاوت في فضلها وقيمتها، وقد ذكر أحد الباحثين: «أن قيمة العلوم والتفاضل بينها وارد في الحياة الإنسانية فإن قيمتها تختلف كما تختلف قيم الأشياء والمعارف ، والإنسان كما يسعى لاقتناء الأشياء أكثرها قيمة وأكثرها احتياجا إليها فإنه ينبغي أن يثقف نفسه أولا بأول بأهم العلوم التي يحتاج إليها في حياته العامة والخاصة»(١١٥).

وقد رتّب أحد الباحثين أفضلية العلوم والمعارف، وقال إنه «يلي معرفة اللهّ في الفضل معرفة مسائل الاعتقاد الأخرى، ثم معرفة مسائل الحلال والحرام، وأحكام الشريعة الإسلامية ، ثم معرفة مالايتم فهم العقيدة والشريعة إلا به من علوم الوسائل، ثم معرفة الإنسان لذاته ولجوانب النفس البشرية من خلال ذاته هو، ثم معرفة ما يتعلق بحقائق الكون والمجتمع والحياة» (١١٦).ولاينبغي أن يُنسى هنا أن معرفة العبادات تلي معرفة العقيدة في الأهمية ثم الحلال والحرام في المعاملات (الشريعة) ثم القيم الأخلاقية.

ويود الباحث أن يشير إلى قضية هامة قد يثيرها بعض الآباء والأمهات وهي قضية فصل المعارف الدينية عن المعارف الأخرى، أو أن مادة التربية الدينية مادة تخصصيّة، وهذا فهم خاطيء ، وعلينا كما يقول أحد الباحثين: «أن نفهم أن مادة التربية الدينية ليست مادة تخصصيّة لاتعنى غير المهتمين بها.. ونفهم أن التربية الدينية تدخل كل مادة تعليمية»(١١٧)، أي ينبغي أن يتعلمها كل الأولاد بغض النظر عن تخصصاتهم.

أما بقية العلوم الأخرى التي ينبغي على الأولاد تعلّمها، فهناك العديد من المعارف والعلوم النافعة في وقتنا الحاضر، وليعلم الآباء والأمهات أن كل علم لايستغنى عنه في أمور الدنيا فهو مهم، ويرى الإمام الغزالي أن مثل تلك العلوم من فروض الكفاية، وضرب بعض الأمثلة لتلك العلوم مثل الطب والحساب، وكذلك بعض الصناعات كالملاحة والحياكة والسياسة، وهناك بعض الآيات والأحاديث أشارت إلى العديد من العلوم والمعارف ودعت إلى تعلّمها منها تعلّم القرآن والقراءة والكتابة والأدب والبلاغة والأنساب، وتعلّم بعض اللغات الأجنبية، وتعلّم الرماية والسباحة والفروسية، وتعلّم الصناعات، والطب، وعلم الجيولوجيا والفلك والنبات والحيوان، وعلم الأجنة وتاريخ الأمم والشعوب، وغير ذلك من العلوم الصالحة.

وعلى الأسرة أن تدفع بالبالغين إلى تعلّم كافة العلوم التي تسمح بها قدراتهم وطاقاتهم واستعداداتهم، على أن تراعي الأسرة الشروط والمواصفات التي تتصف بها المعارف الصالحة وهي :

١- أن تسهم هذه المعارف بصورة مباشرة أو غير مباشرة في معرفة الله أو بمعنى آخر أن يكون الهدف النهائي أو الغائي لهذه العلوم والمعارف التي سيتعلمها الأولاد هو معرفة الله، ولاخير في معرفة في نظر الإسلام كما قال أحد الباحثين «إذا لم تهد إلى الحقيقة الأولى في الكون، وهي معرفة الله سبحانه، وإلا فما فائدة أن يعلم الإنسان من خصائص الكون وطبائع الأشياء وغيرها ثم يغفل عن الخالق الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى. إن العلم حينئذ لايقوم بدوره، ولايهدي الإنسان إلى الحقيقة الأولى، ولايرشده إلى مكانه في الوجود»(١١٨). أي أن معرفة الله ينبغي أن تلازم جميع العلوم والمعارف التي يكتسبها الولد، أو بالأحرى ينبغي أن تكون عاملا مشتركا لكافة العلوم والمعارف .

وعلى الآباء والأمهات أن ينتبهوا إلى أن المعارف عندما يطغى جمالها على عقول البالغين، وتستعبد أفكارهم، وهي مجردّة من تلك التوجيهات، ومن القيم الروّحية فإنها قد تكون خطيرة، وقد تستخدم ضد مصالح البشر وهدايته وترشيده

إلى الغايات العليا السامية ، يقول أحد الباحثين في هذا الصدد : «إننا لن نصيب أية فائدة من زيادة عدد الاختراعات الميكانيكية، وقد يكون من الأجدى الا نضفي مثل هذا القدر الكبير من الأهمية على اكتشافات الطبيعة والفلك والكيمياء، فحقيقة أن العلم الخالص لايجلب لنا مطلقا ضررا مباشرا، لكن حينما يسيطر جماله الطاغي على عقولنا ويستعبد أفكارنا في مملكة الجماد، فإنه يصبح خطرا»(١١٩)؛ أي ينبغي أن يكون العلم كلّه للّه سبحانه وتعالى خالق هذا الكون ومدبرّه، وأن يتخذ وسيلة للارتقاء بمستوى معيشة الإنسان إلى درجة الكمال من جميع الوجوه، وهذا لايتأتى إلا بما أشار إليه أحد الباحثين في قوله: «يجب علينا اليوم أن ننشيء أفراد المجتمع ونكوّنهم عن طريق التربية بحيث يفكرون بالعقلية الإسلامية، وينظرون بمنظار الإسلام إلى الكون والحياة ويقوّمون الحياة بمعاييره»(١٢٠).

٢- أن تسهم هذه المعارف في تهذيب سلوك الأولاد وتحسين خلقهم ومعاملتهم مع الآخرين. فالمعارف بدون أخلاق قد تضر أكثر مما تنفع، وقد تصبح المعارف المجرّدة من الأخلاق أحيانا ضررا على الفرد والجماعات والحضارات، ومن الأخطاء التي قد يقع فيها بعض الآباء التركيز على المعرفة وإهمال الأخلاق، أو فصل المعرفة عن الأخلاق والقيم، لأن تعليم العلوم تعليما أخلاقيا في غاية الأهمية، يقول أحد المربين في هذا المجال: «إن الأخلاق لايمكن إدراكها إلا بعد الكشف عن جميع أجزاء العلم، وأنه ينبغي اعتبار علم الأخلاق كالإكليل لغيره من العلوم»(١٢١). لذا ينبغي أن يكون للعلوم التي يتعلّمها البالغون إسهامات إيجابية على سلوكهم، فمثلا عند تعلمهم العلوم الدينية ينبغي أن تسهم تلك العلوم في سلوكهم الروحي، وتجعلهم أكثر تمسكا بالقيم الروحّية، وآدابها من عبادة ، ومخافة اللّه، ومراقبته في كل قول وفعل، وحسن التوكل عليه. وعند تعلمهم العلوم الصحّية، ينبغي أن تسهم تلك العلوم في سلوكهم الصحّية، وتجعلهم أكثر تمسكا بالقيم الصحّية من نظافة ، ومهارات، واتجاهات صحّية، وكذلك شأن بقية العلوم الأخرى.

٣- ومن مقاييس المعرفة الصالحة أيضا أن تتسم بالثبات والدقة والموضوعية، والاستطاعة على تذكرها، واسترجاعها وفهمها وتطبيقها والحكم عليها، والآيات المؤيدة لهذا الشرط كثيرة، كما في قوله تعالى: ﴿ولا تقف ماليس لك به علم إنّ السّمع والبصر والفؤاد كلّ أولئك كان عنه مسئولا﴾ (الإسراء : ٣٦). لهذا فقد حرّم الإسلام المعارف التي لاتتفق مع هذا المبدأ، لإنها معارف باطلة، تفسد ولاتصلح، وتؤخر الأمة ولاتقدّمها، ومن هذه المعارف السحر مثلا، كما في قوله تعالى: ﴿قال موسى أتقولون للحقّ لماّ جاءكم أسحر هذا ولايفلح السّاحرون﴾ (يونس : ٧٧)، لأن السحر ليس من العلوم الحقيقية، وحرّم كذلك علم الجن أي الإدعاء بمعرفة الغيب عن طريق الاتصال بالجن، وحرّم كذلك الأمور الأخرى غير الموضوعية التي لاتقوم على أسس علمية، ذلك أنها تسوق الناس إلى الشعوذة والتخيلات، وتفتح أمام الخادعين وسائل الخدعة ومنها الطيرة، والهامة، والغول ، لقول رسول الله ﷺ : «لاعدوى ولاهامة، ولاطيرة، وأحب الفأل الحسن»(١٢٢).

٤- والمعرفة الصالحة في نظر الإسلام هي التي تكسب الفرد شعورا بالأمن والسعادة والرفاهية والرضا، وأن تكون ذات صلة وثيقه بمطالب نموه وحاجاته ومشكلاته، حيث إن سعادة الدارين للفرد، وتقدّمه وتمتعه في الحياة هدف وغاية قصوى يعمد الدين الإسلامي إلى تحقيقها ، وكما قال أحد الباحثين: «كل معرفة أو علم لايشعر صاحبه بالأمان والثقة بالنفس ليس بعلم صالح، ومن واجب العلم أن يوفر مثل هذا الأمان»(١٢٣). والأهم من هذا وذاك هو أن العلوم جميعها سلاح ذو حدين، فالعلوم يمكن أن تستخدم في أوجه الخير وأوجه الشر، وإذا كان الأمر كذلك، فالأمر كله يرجع إلى بناء متعلّمين أخيار لا يتعلّمون العلم إلا للخير ولخير البشرية، وهذا يرجع إلى التربية الإيمانية والروحية والأخلاقية للبالغين.

٥- ومن شروط المعرفة الصالحة أن تكون معرفة نفعية أي تعود على الفرد والمجتمع بالنفع، لإن الإسلام لم يهمل النواحي النفعية، ففي الوقت الذي يهتم فيه بالنواحي الدينية والخلقية، فإنه في الوقت نفسه يهتم بالنواحي النفعية، قال تعالى: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدّار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما

أحسن الله إليك﴾(القصص : ٧٧)، والمعارف النفعية هي كل معرفة تسهم في إكساب البالغ مهارات وخبرات جديدة، أو تعمل على تنمية قدراته وطاقاته، أو تفتح أمامه آفاق النجاح، كأن تسهم في إعداده مهنيا وفنيا وصناعيا لكسب الرزق، أو تعمل على تكييفه مع مجتمعه وبيئته، وتحسن طريقة تعامله مع الغير وعلى حل مشكلاته وعلى مواجهة مواقف الحياة، والمعرفة التي لاتنفع البالغ في حياته ولا آخرته لاتعد نافعة ولاصالحة. يقول أحد الباحثين في هذا الصدد: «ينبغي أن تكون المعرفة أساس تركيب الإنسان.. وأول واجب علينا هو أن نجعل هذه المعرفة نافعة»(١٢٤)، ولهذا فقد تعوذ الرسول من العلوم والمعارف غير النافعة، فقال: «اللهم إني أعوذ بك من علم لاينفع»(١٢٥)؛ أي العلوم التي لايستخدمها الفرد ولايعمل بها.

الوظيفة الخامسة : تنمية قدرات وميول البالغين وتوجيهها:

المتصفح لآراء علماء التربية المحدثين يجد الاهتمام الواضح بمراعاة مبدأ الاعتماد على القدرات، وعلى الميول والدوافع الداخلية في عملية التعلّم ، ولهذا تعد القدرات والميول من أهم الأسس في نجاح الفرد لأي نوع من التعلّم وفي أي مهنة من المهن. والأولاد في هذه المرحلة لم يصلوا بعد إلى الحد الذي يمكنهم من تمييز الأغراض ذات المغزى في بعض المواطن، فهم بحاجة إلى إرشاد الآباء والأمهات والمربين الذين «يستطيعون تقدير اهتماماتهم بطريقة أكثر واقعية، ذلك لأنهم يملكون ما أسماه «ديوي» الثمار الناضجة للتجارب»(١٢٦)، فالآباء والأمهات لهم دور كبير في تنمية ميول وقدرات الأولاد واكتشافها وتوجيهها الوجهة الصالحة؛ وذلك لأن المنزل يعد أرحب مكان لنفوس البالغين لمزاولة الكثير من ميولهم ورغباتهم ومواهبهم، وهذه فرصة الآباء والأمهات في مشاهدة سلوكهم وأفعالهم وهم يؤدونها دون تكلّف أو تصنّع، وبهذا تتكشف لهم قدرات أولادهم وميولهم.

ولكي تحقق الأسرة دورها في ذلك الجانب ينبغي عليها مراعاة مايلي:

١- الإيمان بأن البالغين يتفاوتون في ميولهم ورغباتهم وقدراتهم:

وعلى الأسرة أن تعلم أن ميول أحد البالغين ورغباته وقدراته تختلف عن أخيه الآخر، وهذا الاختلاف في الميول والأمزجة والقدرات قد أقرّته التربية الإسلامية قال رسول الله ﷺ «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»(١٢٧).

وهذا التفاوت بين البالغين في ميولهم ورغباتهم يرجع لعدة عوامل، منها ماهي داخلية أو ذاتية مثل عامل الوراثة، وقد أكدّت نتائج كثير من الأبحاث تأثير الوراثة في الميول، ودرجة الذكاء، والإمكانات الجسمية .

ومنها ما هي عوامل خارجية أو بيئية تؤثر في ميول الأولاد، وهي كل مايحيط بالأولاد في منزله ودائرة أسرته وفي مدرسته ومجتمعه، فالآباء الذين يميلون نحو هواية معينة في الغالب يميل أولادهم إليها، وكذلك الشأن بالنسبة للمجتمع فالمجتمع الذي تنتشر فيه الصناعة والتجارة في الغالب يميل الأولاد إليها.

٢- كشف ميول البالغين:

سبق أن أشار الباحث إلى أن الأسرة هى المكان الذي يستطيع أن يزاول فيه الفرد كثيرا من ميوله وهواياته، فالوالد الحكيم هو الذي «يحاول أن يتتبع ابنه خلال سنوات دراسته ويحاول أن يستكشف خلال تلك السنوات النواحي التي يتفوق فيها، ويحاول أيضا أن يتلمس ميول ابنه، وأن يتحسسها حتى إذا ماحان وقت توجيهه إلى دراسة أو مهنة معينة أمكن للأب أن يحدد -في ضوء تفاهمه مع الابن، واستعراض الظروف والامكانيات المختلفة- نوع التعليم الذي يمكن أن ينجح فيه الابن ويحقق له ماينشده من السعادة والرضا»(١٢٨). وينبغي على الآباء

والأمهات أن يعيشوا مع البالغين وأن يعمدوا إلى ملاحظتهم ومراقبتهم للتأكد عن مدى صدق الميول والرغبات الموجودة عندهم، وعليهم أن يعلنوا ميول ورغبات أولادهم إلى المؤسسات التعليمية، وخاصة عندما تتكشف للأسرة ميول ومواهب تدلّ على نبوغ وإبداع البالغ، لكي يقابل ذلك بالرعاية والتعهد من قبل رجال التربية والتعليم من جهة، ومن جهة أخرى تحصل الأسرة على التعليمات العلمية التي تعينها على رعاية ولدها الموهوب.

٣- تنمية ميول البالغين :

ويتم ذلك بتشجيع الميول وتعزيزها في نفوس الأولاد، حيث إن التشجيع المستمر والمداومة المستمرة، وتهيئة المناخ الصالح وإفساح المجال أمام ميول مرغوب فيه يسهم إسهاما فعّالا في تنميته، ويعد هذا الأسلوب من أهم الأساليب في تنمية ميولهم، وقد استخدم مثل هذا الأسلوب مربي هذه الأمة محمد ﷺ في تنمية ميول أصحابه الإيجابية، وفي دعم وتعزيز ميل اصحابه إلى الفداء والتضحية في سبيل اللّه، فقال: «ارم فداك أبي وأمي»(١٢٩)، ويقول لأحد أصحابه: «إن فيك لخصلتين يحبهما اللّه تعالى: الحلم والأناة»(١٣٠)، فكان رسول اللّه ينمي اتجاه أصحابه إلى الجهاد بالجنّة، وينمي اتجاههم إلى طاعة اللّه بحفظ اللّه لهم، وحمياتهم ، وإنقاذهم في الدنيا والآخرة.

٤- توجيه ميول البالغين وجهة خيّرة ونافعة:

ولعل ذلك من الأدوار الهامة التي تقوم بها الأسرة في هذا الجانب، وهو توجيه ميول البالغ إلى العمل الذي يعود عليه وعلى مجتمعه بالفائدة، ويشعر في ممارسة ذلك العمل بلذة حقيقية، مثال ذلك توجيه ميول التمارين الرياضية غير الهادفة عند البالغين إلى التمارين العسكرية؛ لكي تسهم في تنمية ميلهم إلى الجهاد، وتوجيه

ميول الترنم والأصوات الجميلة إلى تلحين القرآن وترتيله، والأسرة وهي تقوم بهذا الدور إنما تحقق تعاليم الرسول ﷺ في توجيه كافة الميول العقلية إلى الوجهة الصالحة، ومن بينها توجيه ميل العلم والمعرفة للتعلّم لخدمة الأمة لوجه الله والانتفاع بالعلم، كما في قول رسول الله ﷺ : «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلّمها»(١٣١).

٥- مراعاة ميول البالغين في مجال تعلّمهم وعملهم:

وهذا المبدأ قد لايراعيه بعض الآباء وخاصة عندما يتولّد عندهم الاهتمام الزائد بأعمال أولادهم المدرسية، «فنجدهم يشعرون بالضيق والألم عندما يحصل هؤلاء الأبناء على درجات غير مشجعة.. أو عندما يتعذر على أبنائهم الالتحاق بإحدى الكليات الجامعية أو بإحدى المدارس مثلا»(١٣٢)، والحرص والاهتمام الزائدان دون مراعاة ميول البالغين وقدراتهم يعرضهم للفشل.

والأب الواعي هو الذي: «يعمل على توجيه ابنه إلى نوع التعليم والمهنة التي تبشر كل الدلائل بميله إليها وإمكان نجاحه فيها. إما أن يخضع هذا التوجيه لرغبات الأب نفسه أو الأم بغرض تحقيق آمال معينة، فإننا بذلك نكون قد أنكرنا على الابن حقه في الاستمتاع بنوع الحياة الذي يتفق وتكوينه الطبيعي»(١٣٣)، وقد فطن إلى هذا المبدأ العديد من علماء التربية وعلم النفس، ولعل ابن سينا أول من أشار إلى هذا الاتجاه حين قال: «ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مواتية، لكن ما شاكل طبعه وناسبه وأنه لو كانت الآداب والصناعات تجيب، وتنقاد بالطلب والمرام دون المشاكلة والملاءمة إذن ماكان أحد غفلاً من الأدب، وعارياً من صناعته، وإذن لأجمع الناس كلهم على اختيار أشرف وأرفع الصناعات»(١٣٤). أي أنه ينبغي على الآباء والأمهات مراعاة ميول أولادهم وأن تكون هي الركيزة بدلا من ميول الآباء أنفسهم ورغباتهم .

مراجع الفصل السادس :

(١) الرازي. مختار الصحاح، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٣٨٣هـ ، ص ٤٤٦.

(٢) قدري حافظ طوقان. مقام العقل عند العرب. القاهرة، ١٩٦٠م، دار المعارف، ص ١٠.

(٣) عبد الكريم العثمان. الدراسات النفسية عند المسلمين. ط٢ ، القاهرة ، دار غريب للطباعة ، ١٤٠١هـ ، ص ٣٢٥.

(٤)،(٥) د. جميل صليبا . المعجم الفلسفي ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧٣م ، ج٢، ص ٨٤-٩١.

(٦) د. حسن ابراهيم عبد العال. مقدمة في فلسفة التربية . الرياض ، دار عالم الكتب ، ١٤٠٥هـ ، ص١١٥.

(٧) د. مقداد يالجن . جوانب التربية الإسلامية الأساسية ، بيروت ، مؤسسة دار الريحاني ، ١٤٠٦هـ، ص ٨٨.

(٨) المرجع السابق ، ص ٨٨-٨٩.

(٩) ابن القيم . مفتاح دار السعادة. ج١،، حيدر آباد. الدكن، الهند، مطبعة دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٩هـ، ص ١١٧.

(١٠) د. مقداد يالجن . التربية الأخلاقية الإسلامية ، مصر ، مكتبة الخانجي ، ١٣٩٧هـ ، ص ٥٣٩.

(١١) ابن القيم الجوزية . روضة المحبين ونزهة المشتاقين، (تصحيح أحمد عبيد)، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٥٦م، ص ١٦.

(١٢) محمد شديد . منهج القرآن في التربية . بيروت ، دار الأرقم ، دون تاريخ ، ص ١١٦.

(١٣) محمد قطب . منهج التربية الإسلامية . ط٤، القاهرة ، دار الشروق ، ١٤٠٠هـ ، ج ١ ، ص ٨٨.

(١٤) د. عائشة عبد الرحمن . القرآن وقضايا الإنسان، ط٤، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨١م، ص١١٣.

(١٥) د. مقداد يالجن . التربية الأخلاقية الإسلامية . مرجع سابق ، ص ٥٤٢.

(١٦) د. ابراهيم الشافعي . التربية الإسلامية وطرق تدريسها . ط١، الكويت، مكتبة الفلاح، ١٤٠١هـ، ص١٢١.

(١٧) د. عائشة عبد الرحمن . القرآن وقضايا الإنسان . مرجع سابق ، ص ١٢١.

(١٨) ابن عبد البر . جامع بيان العلم وفضله .(تصحيح عبد الرحمن عثمان)، ط٢، المدينة المنورة، المكتبة السلفيه، ١٣٨٨هـ، ص ١٢١ .

(١٩) د. زكريا ابراهيم . كانت أو الفلسفة النقدية . القاهرة ، دار مصر للطباعة، دون تاريخ، ص١٥٣-١٥٤ .

(٢٠) د. عجيل جاسم النشمي. معالم في التربية. ط١، الكويت، مكتبة المنار الإسلامية، ١٤٠٠هـ، ص١٥٧ .

(٢١) المرجع السابق ، ص١٦٠ .

(٢٢) د. عمر الشيباني . فلسفة التربية الإسلامية . ط٥ ، طرابلس ، الشركة العامة للنشر والتوزيع ، ١٩٨٥م ، ص ٢١٢ .

(٢٣) د. مقداد يالجن . فلسفة الحياة الروحية ، بيروت ، دار الشروق ، ١٤٠٥هـ ، ص ٢٩ .

(٢٤)،(٢٥) د. جميل صليبا . المعجم الفلسفي . مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٣٩٢ .

(٢٦) المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٣٩٣ .

(٢٧) فيليب هـ. فينكس . فلسفة التربية .(ترجمة محمد النجيحي)، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٥م ، ص ٤٦٩ .

(٢٨) د. جميل صليبا . المعجم الفلسفي ، مرجع سابق ، ج٢ ص ٩٩ .

(٢٩) المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٣٩٢-٣٩٣ .

(٣٠) د. عمر الشيباني . فلسفة التربية الإسلامية . مرجع سابق ، ص ١٨٩ .

(٣١) انظر إلى : (أ) د. عمر الشيباني . فلسفة التربية الإسلامية . مرجع سابق ، ص ١٩٠ .

(ب) د.حسن عبد العال.مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية . مرجع سابق ، ص١١٩-١٢٠ .

(ج) د. جميل صليبا . المعجم الفلسفي . مرجع سابق ، ص ٩٩-١٠١ .

(٣٢) د. عمر الشيباني . فلسفة التربية الإسلامية . مرجع سابق ، ص ١٨٤ .

(٣٣) د. عمر الشيباني . الأسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب .بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٧٣م ، ص٤٥٤ .

(٣٤) د. عمر الشيباني. تطور النظريات والأفكار التربوية . ط٢، ليبيا ، الدار العربية للكتاب ، ١٣٩٧هـ، ص ١٢٤ .

(٣٥) د. مقداد يالجن . جوانب التربية الإسلامية الأساسية .مرجع سابق ، ص ٨٥.

(٣٦) د. عمر الشيباني . الأسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب .مرجع سابق ، ص ٤٥٦.

(٣٧) د. مقداد يالجن . جوانب التربية الإسلامية الأساسية .مرجع سابق ، ص ٨٥.

(٣٨) أمين مرسي قنديل . أصول التربية وفن التدريس، ط٢ ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٢٨م ، ص ٢٢.

(٣٩) عبد الحميد فايد . رائد التربية العامة، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨١م، ص ٢٧.

(٤٠) الرازي . التفسير الكبير .القاهرة ، المطبعة البهية المصرية ، ١٩٢٣م ، ج٣٠، ص ٣.

(٤١)،(٤٢) الرازي . التفسير الكبير .مرجع سابق ، ج٧ ، ص ٧٢.

(٤٣) المرجع السابق ، ص ٧٢-٧٣.

(٤٤) د. جميل صليبا . المعجم الفلسفي .مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٤٩١ - ٤٩٢.

(٤٥) أحمد بن مسكويه . تهذيب الأخلاق، بيروت، دار مكتبة الحياة، دون تاريخ، ص ٢٣.

(٤٦) د. مقداد يالجن . جوانب التربية الإسلامية الأساسية .مرجع سابق ، ص ٩٠.

(٤٧) جلال الدين السيوطي صحيح الجامع الصغير وزيادته. (تحقيق محمد ناصر الدين الألباني) ، ط٢، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٩٧٩م ، رقم الحديث (٦٦٣٩)، ج٦، ص٢٩

(٤٨) البخاري . صحيح البخاري تركيا ، استانبول ، المكتبة الإسلامية ، ١٩٨١م ، كتاب العلم، ج١ ، ص ٣٥.

(٤٩) المرجع السابق ، ج١ ، ص ٣٤.

(٥٠) جلال الدين السيوطي. صحيح الجامع الصغير وزيادته . مرجع سابق ، رقم الحديث (٦١٦٠) ، ج٥، ص ٢٩٩.

(٥١) البخاري . صحيح البخاري ، مرجع سابق، كتاب العلم، ج١ ، ص ٣٥.

(٥٢) جلال الدين السيوطي.صحيح الجامع الصغير وزيادته.مرجع سابق برقم الحديث (٤٢٥٨)، ج٤، ص ١٦٤.

(٥٣) رالف ن ، دين. قاموس جون ديوي للتربية. (ترجمة محمد العريان)، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٤م، ص ٢٠٨.

(٥٤) عبد الرحمن حبنكه. ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ط٣، دمشق، دار القلم، ١٤٠٨هـ، ص٢٧٢-٢٧٣.

(٥٥) انظر . زاهر عواض الألمعي. مناهج الجدل في القرآن الكريم، الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، دون تاريخ .

(٥٦) د. يوسف القاضي، د. مقداد يالجن علم النفس التربوي في الإسلام .الرياض ، دار المريخ ، ١٤٠١هـ ، ص٢٥٨.

(٥٧) الإمام الغزالي . إحياء علوم الدين .القاهرة ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٣٩م ، ج١ ، ص٤٢ .

(٥٨) أحمد فائق.ومحمود عبد القادر.مدخل إلى علم النفس ، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٦، ص٢١١

(٥٩) د. السيد محمد خيري وآخرون . علم النفس التربوي، الرياض ، مطبوعات جامعة الرياض ، ١٣٩٥هـ ، ص١٠٧.

(٦٠) د. رجاء محمود أبو علّام . علم النفس التربوي .ط٢، الكويت ، دار القلم ، ١٤٠٤هـ ، ص٣٢٠.

(٦١) د. ذوقان عبيدات، وآخرون . البحث العلمي، عمان ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، ١٩٨٤م ، ص١٢.

(٦٢) جورج شهلا وآخرون . الوعي التربوي .ط٢، دون ناشر ، ١٩٧٢م ، ص ١٥٢.

(٦٣) د. رجاء محمود أبو علام . علم النفس التربوي .مرجع سابق ، ص ٣٢٠.

(٦٤) جورج شهلا ، وآخرون، الوعي التربوي .مرجع سابق ، ص ١٦٧.

(٦٥)،(٦٦) المرجع السابق ، ص ١٦٤.

(٦٧) المرجع السابق ، ص ١٦٣.

(٦٨) المرجع السابق ، ص ١٦٥.

(٦٩) د. رجاء أبو علام . علم النفس التربوي .مرجع سابق ، ص ٣١٥.

(٧٠) جورج شهلا ، وآخرون، الوعي التربوي .مرجع سابق ، ص ١٦٦.

(٧١) د. مقداد يالجن . توجيه المتعلّم. الرياض ، دار المريخ ، ١٤٠٢هـ ، ص ٩٤.

(٧٢) د. فاخرعاقل، معالم التربية . ط٢ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٨م ، ص ١٨.

(٧٣) المرجع السابق ، ص ٢٠.

(٧٤) د. مصطفى فهمي . الصحة النفسية ، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٦م، ص ٩٠-١٠٨.

(٧٥) د. مقداد يالجن . بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام ، الرياض ، دار المريخ ، ١٤٠٨هـ ، ص١٤٧.

(٧٦) البخاري . صحيح البخاري . مرجع سابق ، كتاب الأدب، ج ٧ ، ص ٧٥.

(٧٧) د. عبد الله عبد الدائم: مشروع خطة للأبنية المدرسية في البلاد العربية، صحيفة التخطيط التربوي، بيروت، المركز الاقليمي، العدد السادس عشر ، ١٩٦٨م، ص ١.

(٧٨) عبد الرحمن عبد الخالق. المباني المدرسية حالتها ومشاكلها، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة لجامعة الملك سعود، ١٤٠٢هـ، ص٨-٢٣.

(٧٩) د. عمر الشيباني. من أسس التربية الإسلامية .ط٢ ، طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع ، ١٤٠١هـ، نقلا عن كتاب منصور حسين «التغير الاجتماعي والتعليم»، ص ٥٩.

(٨٠) د. أحمد فؤاد الأهواني . التربية في الإسلام .القاهرة ، دار المعارف بمصر ، دون تاريخ ، ص١٧١.

(٨١) د. مختار حمزة . مشكلات الآباء والأبناء ، ط٣، جدة، دار البيان العربي، ١٤٠٢هـ، ص ٢٢٣.

(٨٢) د. مقداد يالجن . توجيه المتعلّم. مرجع سابق ، ص ٦٢.

(٨٣) المرجع السابق ، ص ٦٤.

(٨٤) المرجع السابق ، ص ٦٨.

(٨٥) د. مختار حمزة . مشكلات الآباء والأبناء . مرجع سابق ، ص ١١٩.

(٨٦) د. مقداد يالجن . توجيه المتعلّم. مرجع سابق ، ص ٩٦.

(٨٧) د. فاخر عاقل . معالم التربية . مرجع سابق ، ص ٣٥٥.

(٨٨) د. مقداد يالجن . توجيه المتعلّم. مرجع سابق ، ص ٩١.

(٨٩) د. فاخر عاقل . معالم التربية .مرجع سابق ، ص ٣٦٠.

(٩٠) المرجع السابق ، ص ٣٦٢.

(٩١) المرجع السابق ، ص ٣٦١.

(٩٢) المرجع السابق ، ص ٣٦٥.

(٩٣) د. مختار حمزة . مشكلات الآباء والأبناء . مرجع سابق ، ص ١٢٢.

(٩٤) د. السيد محمد خيري ، وآخرون . علم النفس التربوي ، مرجع سابق ، ص ١٠٥.

(٩٥) د. فاخر عاقل . معالم التربية ، مرجع سابق ، ص ٣٥٠.

(٩٦) محمد قطب . دراسات في النفس الإنسانية .طه ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٤٠١هـ ، ص.١٢٠-١٢١.

(٩٧) د. الكسيس كارل . الإنسان ذلك المجهول .(تعريب شفيق فريد) ، بيروت ، مكتبة المعارف ، دون تاريخ ، ص٣٨٦.

(٩٨) د. مقداد يالجن . توجيه المتعلّم .مرجع سابق ، ص ٧٣.

(٩٩) د. فاخر عاقل . معالم التربية .مرجع سابق ، ص ٧٢.

(١٠٠) د. مقداد يالجن . توجيه المتعلّم .مرجع سابق ، ص ٧٣.

(١٠١) المرجع السابق ، ص ٧٤.

(١٠٢) ابن عبد البر . جامع بيان العلم وفضله .مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٢٦.

(١٠٣) د. مقداد يالجن .توجيه المتعلم ، مرجع سابق ، ص ٩٦.

(١٠٤) د. مختار حمزة . مشكلات الآباء والأبناء . مرجع سابق ، ص ١٢٣.

(١٠٥) جورج شهلا . الوعي التربوي .مرجع سابق ، ص ١١٦.

(١٠٦) المرجع السابق ، ص ١١٤.

(١٠٧) جان جاك روسو . إميل . (ترجمة نظمي لوقا) ، القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٥٨م، ص١٥٧.

(١٠٨) جورج شهلا . الوعي التربوي .مرجع سابق ، ص ١١٨.

(١٠٩) المرجع السابق ، ص ١١٦.

(١١٠) د. عمر الشيباني . تطور النظريات والأفكار التربوية .ط٢ ، ليبيا ، الدار العربية للكتاب ، ١٣٩٧هـ، ص ٣٤١.

(١١١) جون ديوي. المدرسة والمجتمع، (ترجمة د.أحمد حسن)، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٤م، ص٨٣.

(١١٢) د. مقداد يالجن . أهداف التربية الإسلامية . الرياض ، مطابع القصيم ، ١٤٠٦هـ ، ص ٩.

(١١٣) د. مقداد يالجن . توجيه المتعلّم .مرجع سابق ، ص ٧٨.

(١١٤) د. الدمرداش عبد المجيد سرحان. المناهج المعاصرة، ط٢، الكويت، مكتبة الفلاح، ١٣٩٩هـ، ص٩٧.

(١١٥) د. مقداد يالجن .توجيه المتعلّم ، مرجع سابق ، ص ١١٠.

(١١٦) د. عمر الشيباني . فلسفة التربية الإسلامية .مرجع سابق ، ص ١٩٤.

(١١٧) د. عجيل جاسم النشمي . معالم التربية . الكويت ، مكتبة المنار الإسلامية، ١٤٠٠هـ ، ص ٤٧.

(١١٨) د. عمر الشيباني . فلسفة التربية الإسلامية .مرجع سابق ، ص ١٩٢.

(١١٩) د. الكسيس كارل . الإنسان ذلك المجهول .مرجع سابق ، ص ١٥.

(١٢٠) د. مقداد يالجن . جوانب التربية الإسلامية الأساسية . مرجع سابق ، ص ٩٠.

(١٢١) د. مقداد يالجن . التربية الأخلاقية الإسلامية .مرجع سابق، ص ٢٢٦.

(١٢٢) جلال الدين السيوطي . صحيح الجامع الصغير وزيادته . مرجع سابق ، رقم الحديث (٧٤٠٩)، ج٦، ص ١٩٨.

(١٢٣) د.عمر الشيباني . فلسفة التربية الإسلامية .مرجع سابق ، ص ٢١٦.

(١٢٤) د. الكسيس كاريل . الإنسان ذلك المجهول . مرجع سابق ، ص ٢٣٢.

(١٢٥) جلال الدين السيوطي . صحيح الجامع الصغير وزيادته، مرجع سابق ، رقم الحديث (١٣٠٦)، ج١، ص ٤٠٨.

(١٢٦) د. محمد منير مرسي . فلسفة التربية . القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٨٣م ، ص ٣٢٣.

(١٢٧) جلال الدين السيوطي . صحيح الجامع الصغير وزيادته، مرجع سابق ، رقم الحديث (٦٦٧٣)، ج٦، ص ٣٧.

(١٢٨) د. مختار حمزة . مشكلات الآباء والأبناء . مرجع سابق ، ص ١١٧.

(١٢٩) البخاري . صحيح البخاري .مرجع سابق .كتاب الجهاد والسير ، ج٣ ، ص ٢٢٨.

(١٣٠) جلال الدين السيوطي . صحيح الجامع الصغير وزيادته، مرجع سابق ، رقم الحديث (٢١٣٢)، ج٢، ص ٢٢٣.

(١٣١) البخاري . صحيح البخاري .مرجع سابق ، كتاب العلم، ج١، ص ٢٦

(١٣٢) د. مصطفى فهمي . الصحة النفسية، مرجع سابق ، ص ١٠٨

(١٣٣) د. مختار حمزة . مشكلات الآباء والأبناء .مرجع سابق، ص ١١٧.

(١٣٤) د. أحمد الأهراني . التربية في الإسلام .مرجع سابق ، ص ٢٠٣.

الفصل السابع

دور الأسرة المسلمة في التربية الأخلاقية والاجتماعية

أولا : مفهوم الأخلاق وأهميتها وغايتها ·

ثانيا : النزعة الأخلاقية والاجتماعية

ثالثا : مجال الأخلاق الإسلامية وأقسامها

رابعا : مفهوم التربية الأخلاقية وأهميتها وعلاقتها بالتربية الاجتماعية

خامسا : أهم وظائف الأسرة التي يجب القيام بها في مجال التربية الأخلاقية والاجتماعية ·

سادسا : الأساليب والوسائل التي تساعد الأسرة في تحقيق وظائفها في تربية الجانب الأخلاقي والاجتماعي

أولا - مفهوم الأخلاق وأهميتها وغايتها .

أ - مفهوم الأخلاق في اللغة والاصطلاح :

أما الأخلاق لغة فتأخذ عدة معان، منها الخُلُق والخُلْق بضم اللام وسكونه: هو الدين والطبع والسجّية(١).

وقد تمكّن أحد الباحثين من تلخيص معاني الخلق في ثلاث نقاط بارزة هي :

الأولى : الخلق يدل على الصفات الطبيعية في خلقة الإنسان الفطرية على هيئة مستقيمة متناسقة.

والثانية : تدل الأخلاق أيضا على الصفات التي اكتسبت وأصبحت كأنها خلقت مع طبيعته .

والثالثة : أن للأخلاق جانبين: جانبا نفسيا باطنيا وجانبا سلوكيا ظاهريا »(٢).

أما الأخلاق في الاصطلاح ، فقد اختلفت المذاهب والفلسفات في تحديد مفهومها، وذلك راجع إلى اختلاف الأفكار والمعتقدات والبيئات والأزمنة ثم اتساع مجال ميادين الأخلاق نفسها، وانقسم العلماء من حيث طريقة تناول موضوع الأخلاق، «فقد خلطوه بالشخصية حينا، وبالوجدان حيناً آخر، وبالذكاء أحيانا، وزعم بعضهم أنه يستطيع دراسة الأخلاق عن طريق الكيمياء، وتحليل عناصر الجسم مدعيا أن لبعض المواد الكيماوية التي يتركب منها الجسم أثرا واضحا في أخلاق الفرد، كما رأى أخرون إمكان دراسة الأخلاق عن طريق دراسة تقاطيع الوجه أو شكل الجمجمة . كما لم يحجم أنصار علوم التشريح والأحياء والوراثة عن الإدلاء بدلوهم في هذا الموضوع زاعمين أن لهذه العلوم القدح المعلى في اكتشاف حقيقة الأخلاق »(٣).

وتمخض عن ذلك ظهور اتجاهات فلسفية متعددة ومختلفة حول الأخلاق وهي: «الاتجاه الاجتماعي الوضعي والمثالي والتجريبي والواقعي والعقلي والحدسي والنفعي»(٤).

ويمكن تقسيم مفهوم الأخلاق إلى قسمين :

مفهوم الأخلاق لدى بعض المفكرين الغربيين وتعريفاتهم لها:

أما مفهوم الأخلاق لدى الغربيين فهناك تعريفات عديدة من بينها :

١- تعريف «مكدوجل»: يقول: «الخلق القويم: هو نظام تصاعدي متكامل من العواطف تسيطر عليه سيدة العواطف، وتكامله نتيجة لتلك السيطرة. فالخلق في نظر «مكدوجل» وجهة خاصة في الشخصية النامية تؤدي بالشخص إلى التماسك، والعزيمة والصلابة، وضبط النفس والتوجيه».

٢- تعريف «باجلي»، ويرى أن الخلق عبارة «عن كثير من العادات الصالحة النافعة فأساس الخلق في نظره هو العادات النافعة».

٣- تعريف «روباك» يعرّف الخلق بأنه «حالة أوميل نفسي يتحكم في الغرائز ويمنعها من تحقيق أهدافها ، وذلك بمقتضى مبدأ منظم لتلك الغرائز».

٤- تعريف «هادفيلد»، يرى أن الخلق هو «قيمة النفس المتزنة والنفس المتزنة هي تلك النفس التي تنسقت فيها الميول الطبيعية، والعواطف، وتضافرت هذه الميول، وتلك العواطف على غاية واحدة، فالخلق صفة النفس، والإرادة سلاحها»(٥).

٥- تعريف «كانت» يرى أن الخلق هو الأفعال التي تصدر عن «مبدأ الواجب»(٦).

٦- تعريف «جون دوي»، عرّف «ديوي» الأخلاق بأنها: «كل ماينطوي عليه العمل من عمليات الإمعان: أي الموازنة والتروي والرغبة أو الدافع سواء أكانت هذه العمليات قريبة أم بعيدة»(٧).

والآن نلاحظ من تلك التعريفات أن بعضها قصر الأخلاق على جانب واحد مثل تعريف «باجلي» فقد قصر الأخلاق على العادة وأهمل أهمية العاطفة في الأخلاق، وعلى العكس من ذلك تعريف «روباك» أهتم بالعاطفة وجعلها أساس الأخلاق وأهمل العادة بينما نجد أن تعريف «هادفيلد» وتعريف «جون ديوي» كانا أكثر شمولا.

مفهوم الأخلاق لدى بعض علماء المسلمين وتعريفاتهم لها :

لقد عرّف ابن مسكويه الأخلاق بأنها «حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية»(٨)، ويعرف الإمام الغزالي الخلق بأنه : «عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية؛ فإذا كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا»(٩). ويعرّف الدكتور مقداد يالجن مفهوم الأخلاق في نظر الإسلام بأنه: «عبارة عن المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه»(١٠).

ويعرّف الباحث مفهوم الأخلاق في نظر الإسلام بأنه: «العمل بالقرآن بنية مخلصة وطيبة من غير تكلّف لقاء مرضاة الله وحسن الثواب». ويعرف الباحث الخلق بهذا التعريف؛ لأن الإنسان إذا وصل من قطعه، وعفا عمّن ظلمه، وأحسن إلى من أساء إليه، إلى غير ذلك من تعاليم القرآن الكريم، كان على خلق عظيم، وصدق الله حين يقول عن رسوله: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ (القلم : ٤)، وقد ذكر بعض المفسرين إن معنى الآية: «أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمرا ونهيا سجية له وخلقا تطبعه وترك طبعه الجبلي فمهما أمره القرآن فعله ومهما نهاه عنه تركه»(١١)، وعندما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ ، قالت : «كان خلقه القرآن (١٢). أما توفرّ النية المخلصة في العمل، فهذا شرط أساسي في الأخلاق؛ فالأعمال التي لاتصدر عن نية مخلصة طيّبة لاتكون أخلاقا. مثال ذلك أن من يبذل المال في أحوال عارضة مثل الشهرة ليقال عنه كريم، أو التبذير في أمور لاتستحق الإنفاق، أو غير ذلك، لايقال إن خلقه السخاء أو الإنفاق، وقد اعتبر رسول الله ﷺ النيّة الخيّرة أساس الأعمال، فقد قال في هذا الصدد: «العمل بالنيّة وإنما لامرىء مانوى»(١٣).

ب - مكانة الأخلاق وأهميتها :

للأخلاق أهمية كبيرة فهي دعامة كل نهضة ، وأساس كل تقدّم وتطور ورقي، وبضياع الأخلاق وإهمالها تنهار الأمم وتضيع، فالأخلاق ضرورة من ضرورات الحياة الإنسانية، يقول أحد الباحثين: «إن الأخلاق أمر لابد منه لدوام الحياة الاجتماعية وتقدمها من الناحية المادية والمعنوية، وذلك حق لايمارى فيه من يتأمل المبادئ الأخلاقية، ومدى ضرورتها للحياة الإنسانية، ولنتصور حياة مجتمع ماذا يحدث فيه لو أهملت المبادئ الأخلاقية وسادت فيه الخيانة والفسق والكذب والغش والسرقة وسفك الدماء، والتعدي على الحرمات والعقوق، وزالت كل المعاني الإنسانية في علاقات الناس من المحبّة والمودة والنزاهة والتعاون والتراحم والإخلاص، فهل من الممكن أن تدوم الحياة الاجتماعية في هذه الحالة ؟! لاشك في أن الحياة عندئذ تتحول إلى جحيم لايطاق ويتحول الناس إلى وحوش ضارية أكثر من وحوش الغاب، ويشقون شقاءً مابعده شقاء»(١٤)، ولأهمية ذلك دعا كثير من الفلاسفة والمصلحين بالاهتمام بالجانب الأخلاقي، يقول أحد الباحثين في هذا الصدد: «لوبذل الإنسان في سبيل السيطرة على كبح جماح نفسه بعض مايبذله من الجهد في السيطرة على قوى الطبيعة، لكان عالمنا اليوم عالم طهارة وسعادة»(١٥).

أما الأخلاق في الإسلام فتحتل مكانة عظيمة، وشرفا رفيعا، وقد ربط الإسلام بين الإيمان والأخلاق في مواطن عديدة، كما في قوله تعالى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبّه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾ (البقرة : ١٧٧)، وقال رسول الله : «لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه»(١٦)، كما جعل الأخلاق مناط الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة، فالإنسان يعاقب في الدنيا بالهلاك لفساد أخلاقه، كما في قوله تعالى: ﴿بلاغ فهل

يهلك إلا القوم الفاسقون﴾ (الأحقاف : ٣٥) ويكافئ في الدنيا بالمكانة الحسنة وفي الآخرة بالجنّة لحسن أخلاقه، قال تعالى: ﴿ إن الأبرار لفي نعيم﴾ (الانفطار : ١٣) ، وقال رسول اللّه: « إن خياركم أحاسنكم أخلاقا »(١٧).

ومن أهم أهداف الإسلام في الحياة هو تحقيق غاية أخلاقية لقول رسول اللّه: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق »(١٨)، يقول أحد الباحثين في تعليقه على هذا الحديث الشريف: «نحن نعرف أن أداة «إنما» في البلاغة العربية تعد أداة حصر، فالرسول ﷺ يحصر هدف رسالته في الأخلاق. ثم كلمة لأتمم مهمة أيضا، لأن الرسول ذكر في حديث آخر أنه جاء ليكمل الرسالات السماوية »(١٩) مستشهدا بقول الرسول: «مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارا، فأحسنها، وأكملها، وأجملها، وترك فيها موضع لبنة لم يضعها، فجعل الناس يطوفون بالبنيان،ويعجبون منه، ويقولون: لوتم موضع هذه اللبنة، فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة »(٢٠).

ولعلو مكانة الأخلاق في الإسلام نجد الحق سبحانه يمتدح رسوله الكريم بهذه الميزة، ميزة الأخلاق ويعلي من شأنها، على الرغم من وجود مزايا عديدة في شخصيته ﷺ ، قال تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ (القلم : ٤)، ومعنى هذه الآية كما قال أحد المفسرين: «لعلى أدب عظيم»(٢١) ، «وعن سعيد بن هشام قال أتيت عائشة أم المؤمنين رضي اللّه عنها، فقلت لها أخبريني بخلق النبي ﷺ فقالت كان خلقه القرآن أما تقرأ قوله تعالى: «وإنك لعلى خلق عظيم»... »(٢٢)

فالأخلاق تحتل مكانة متميزة في الإسلام لدرجة أن النظام الأخلاقي «ليس جزءا من نظام الإسلام العام، بل إن الأخلاق هي جوهر الإسلام وروحه السارية في جميع جوانبه. فالنظام الإسلامي عموما مبني على فلسفته الخلقية أساسا »(٢٣)؛ لأن الأخلاق أساس علم الخير والشر، والشريعة الإسلامية جاءت لتحقيق الخير وإبعاد الناس من الشرور، ولهذا فكل أوامر القرآن تحقق الخير للناس من قريب أو بعيد، وكل النواهي وردت لإبعاد الناس من الشرور والآيات القرآنية الكريمة والأحاديث

النبوية الشريفة التي تحث على مكارم الأخلاق، وتنهى عن الأخلاق السيئة عديدة، حيث «ورد في القرآن الكريم ألف وخمسمائة وأربع آيات تتصل بالأخلاق، سواء في جانبها النظري أو في جانبها العملي، وهذا المقدار يمثل مايقرب من ربع عدد آيات القرآن الكريم»(٢٤) .

جـ - الغاية الخلقيــــة :

مما لاشك فيه أن الاتجاهات المختلفة في مفهوم الأخلاق- والتي تعرّض لها الباحث في مبحث مفهوم الأخلاق- ستؤدي إلى اختلاف في تحديد الغاية من الأفعال الخلقية، وقد تمكن أحد الباحثين من حصر تلك الغايات الخلقية المختلفة وسنوجزها في النقاط التالية:

١- تحقيق اللذة الحسية، جعل بعض المفكرين اللّذة الحسّية غاية الأعمال الخلقية، وأنصار هذا المذهب قليلون، لأن الأخذ باللّذات الحسّية يؤدي إلى آلام كثيرة، كما يتعارض مع تقدّم الإنسانية.

٢- تحقيق السعادة. ذهب «سقراط» و «أفلاطون» و «أرسطو» إلى جعل السعادة هي الغاية من الأفعال الخلقية، وفي السعادة راحة النفس والضمير، وسرور الفرد، وغبطة المجتمع، والسعادة أشرف من اللّذة الحسّية، كما يمكن تحقيقها والتوفيق بين سعادة الفرد والآخرين.

٣- تحقيق الكمال. وأصحاب هذا المذهب ينشدون غايات خارجية موضوعية للأخلاق، منها الكمال، أو التطور، فالذي يفعل الخير إنما يريد أن يصل إلى الكمال.

٤- الحياة الموافقة مع الطبيعة. ذهب أصحاب الفلسفة الطبيعية وعلى رأسهم «روسو» إلى جعل الطبيعة هي الغاية الخلقية، فالحياة الموافقة للطبيعة هي الحياة الخيرّة التي تجلب اللّذة والسعادة.

٥- تحقيق المنفعة. وأصحاب هذا المذهب يرون أن الغاية من الأعمال الخلقية هي المنفعة العامة التي تحقق الخير لأكبر عدد ممكن.

٦- تحقيق الواجب الخلقي. وأصحاب هذا المذهب وعلى رأسهم «كانت» يرون أن الخير واجب لذاته، يفعله المرء لأنه واجب، فالواجب الخلقي هو الغاية، لا الكمال أو التطور أو الطبيعة أو المنفعة»(٢٥).

أما وجهة نظر الإسلام في الغاية الخلقية فهي تحقيق سعادة الدارين، فالأخلاق الإسلامية لاتقتصر غايتها على تحقيق سعادة الدار الآخرة والفوز بالنعيم الأخروي الذي وعد اللّه به عباده المتقين، كما في قوله تعالى: ﴿ إن الأبرار لفي نعيم. وإن الفجّار لفي جحيم﴾ (الانفطار : ١٣-١٤). بل تشمل أيضا السعادة الدنيوية المباحة وقد أكّد الإسلام أن الخلق الحسن هو طريق السعادة، وأن الخلق السيء هو طريق الشقاوة، لقول رسول اللّه: «من سعادة المرء حسن الخلق ومن شقاوته سوء الخلق»(٢٦)، وذلك على أساس أن روح الأخلاق الإسلامية تدعو إلى الخير والتسابق فيه، وتدعو أيضاً إلى تجنب الشرور، والسعادة لاتتحقق إلا بانتشار الخيرات وزوال الشرور من حياة الفرد والجماعة.

والمتأمل في أقوال بعض الفلاسفة عن حقيقة السعادة يجدها تختلف باختلاف الغايات الأخلاقية، فمنهم من يقول: «إن السعادة هي الاستمتاع ، ومنهم من يقول: إنها في اتباع الفضيلة، ومنهم من يقول: إنها في الاستمتاع باللّذات الحسّية العليا، ومنهم من يقول: «إنها في العمل والجهد، ومنهم من يرجع السعادة إلى الفعل الموافق للعقل، ومنهم من يرجع السعادة إلى أداء الواجب، ومنهم من يقول : إن السعادة حالة مثالية يتقرب الإنسان منها بالتدريج دون بلوغها بالعقل.(٢٧) .

أما رأي ابن مسكويه في السعادة فهو يتفق مع رأي «فيثاغورس» و «بقراط» و «أفلاطون»، حيث أجمعوا على أن الفضائل والسعادة كلها في النفس وحدها، وأجمعوا على أن هذه الفضائل وهي، الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدالة، كافية في السعادة.(٢٨) أما رأي الإمام الغزالي في السعادة فقد ذهب إلى ماذهب إليه «أرسطو» في أقسام السعادة ، وتناول في كتابه «ميزان العمل» توضيح مايدخل تحت السعادة

الدنيوية بالنسبة للفرد، من بينها الخيرات البدنيه مثل الصحة والجمال والإحساس بجمال الطبيعة وجمال المخلوقات، والخيرات الخارجية مثل المال والأهل والعز، والخيرات النفسية المتمثلة في الفضائل الأربع الكبرى وهي: الحكمة، والشجاعة والعفّة والعدالة، ومما يدخل تحتها من فضائل فرعية أو جزئية، والخيرات التوفيقية المتمثلة في هداية الله ورشده وتأييده(٢٩)، وهذا التقسيم أشبة مايكون -كما أسلفنا- بتقسيم «أرسطو» للسعادة.

أما سعادة الدارين التي تعد غاية الأخلاق الإسلامية، فيندرج تحتها معظم الغايات الخلقية التي أشارت إليها بعض المذاهب والفلسفات السابقة الذكر، إلا أنها تأخذ مفهوما مخالفا لمفاهيم واضعيها، بمعنى أن القوانين الأخلاقية في الإسلام راعت طبيعة الإنسان وجاءت موافقة لفطرته، إلا أنها لم تذهب إلى ماذهبت إليه الفلسفات الطبيعية بترك الحرّية المطلقة للطبيعة بدون ضوابط، بل سمحت للفرد أن يتعايش الطبيعة فيتمتع بالطعام والشراب والتلذّذ ولكن كل ذلك وفق ضوابط قيمية أو أخلاقية، كي تكون هذه المعيشة الطبيعية ملائمة لمطالب الفرد ومطالب المجتمع، وبالتالي يتحقق فيها سعادة الفرد والمجتمع، كما في قوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولاتسرفوا إنه لايحب المسرفين﴾ (الأعراف : ٣١)، كما أن المنفعة الدنيوية تدخل ضمن غايات الأخلاق الإسلامية، إلا أنها لم تقتصر على المنفعه الدنيوية فحسب بل أخضعتها لغاية أسمى هي الفوز بالدار الآخرة، قال تعالى: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الأخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولاتبغ الفساد في الأرض إن اللهّ لايحب المفسدين﴾(القصص : ٧٧).

كما أن الأخلاق الإسلامية اعتبرت الواجب الخلقي غاية، فهناك مصالح رفعها الله إلى مرتبة الواجبات كالصلاة والزكاة والصوم وغيرها من العبادات المفروضة «فالذي يؤدي الزكاة إنما يؤديها لأنها واجب ديني، وهي في الوقت نفسه واجب خلقي، وبذلك تتوحد الواجبات الدينية والخلقية»(٣٠)، إلا أن الواجب الخلقي في الإسلام يختلف عن الواجب الخلقي عند «كانت»، حيث يرى : «أن قيمة الواجب كامنة في صميم الواجب نفسه، بغض النظر عن أية فائدة أو منفعة أو كسب ماديّ،

والإنسان هو الكائن الوحيد الذي يعمل الواجب، علما في الوقت نفسه أنّ قيمة الفضيلة إنما تزيد كلّما كلّفتنا الكثير، دون أن تعود علينا بأي كسب، ويتسم الواجب بأنه منزّه عن كل غرض، بمعنى أنه لايطلب من أجل تحقيق المنفعة، أو بلوغ السعادة بل هو يطلب لذاته»(٣١)، أما الواجبات الإسلامية فهي ليست غايات في ذاتها ولكن تطلب من أجل الجزاء والثواب والفوز بالجنّة لمن أحسن أداءها.

ثانيا - طبيعة النزعة الأخلاقية والاجتماعية :

أ- النزعة الأخلاقية :

هناك آراء مختلفة حول طبيعة الأخلاق، والطبيعة البشرية نفسها، ويود الباحث أن يوجزها في النقاط الآتية:

١- من العلماء من يقول إن الناس كلهم يخلقون أخيارا بالطبع، ثم بعد ذلك يصيرون أشرارا بمجالسة أهل الشر، والميل إلى الشهوات الرديئة، التي لاتقمع بالتأديب .

٢- ومنهم من يقول إن الناس خلقوا من الطينة السفلى، وهي كدر العالم، فهم لأجل ذلك أشرار بالطبع، وإنما يصيرون أخيارا بالتأديب والتعليم.

٣- ومنهم من يرى أن الناس فيهم من هو خير بالطبع، وفيهم من هو شرير بالطبع، وفيهم من هو متوسط بين هذين.(٣٢).

وهناك آراء أخرى تمكن أحد الباحثين من حصرها في الاتجاهات الآتية :

الاتجاه الأول: يرى أن الطبيعة الإنسانية طبيعة خيرة في أصل الخلقة.

الاتجاه الثاني: يرى أن الإنسان شرير في طبيعته الأساسية.

الاتجاه الثالث: يرى أن بعض الناس أخيار وبعضهم أشرار بالطبع وفيهم من هو متوسط بين الأمرين.

الاتجاه الرابع : يرى أن في طبيعة الإنسان جانباً خيراً وآخر شريراً.

الاتجاه الخامس، يرى أن الطبيعة الإنسانية محايدة ليست خيرة ولا شريرة في ذاتها وفي أصلها الخلقي بل هي محايدة وفيها استعداد لأن تكون خيرة أو شريرة على حسب التربية وظروف البيئة لكن لايوجد شئ في الإنسان خير بالفطرة أو شر بالفطرة على الإطلاق.(٣٣)

والباحث يرى أن الطبيعة الإنسانية في حد ذاتها خيرة وإنما يرجع الشر إلى سوء استخدامها؛ ولإيضاح ذلك يسوق الباحث بعض الأمثلة ، فمثلاً دافع الجنس ليس شراً في ذاته بل هو خير لبقاء النوع والنسل والتكاثر، كما في قوله تعالى: ﴿وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾ (النحل : ٧٢) ومايقال عن دافع الجنس يمكن أن يقال عن دافع الطعام والشراب ودافع التملك وبقية الدوافع الأخرى التي تتكون منها الطبيعة الإنسانية، ولهذا فالطبيعة الإنسانية خيرة. هذا من جهة ومن جهة أخرى قد يسأل سائل ويقول : إذا كانت الفطرة خيِّرة فلما ذا يصبح بعض الناس أشراراً؟ ، نقول إن الدوافع الفطرية عند الإنسان لاتتبدل أي يستحيل أن نبدل دافع الجنس بدافع أخر، أو نبدل جوهره، وكذلك يستحيل أن نبدل دافع الطعام والشراب بدافع آخر، أو نبدل جوهره، وكذلك الشأن في بقية الدوافع. فالأشياء المفطورة في الطبيعة الإنسانية لاتتبدل وصدق الله حين قال: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾ (الروم : ٣٠) ، ولكن عندما تشبع تلك الدوافع الفطرية بأشياء غير مشروعة أو توجه توجيهاً غير صحيح؛ كما في حالة إشباع الدافع الجنسي بالزنى مثلاً فالدافع في حد ذاته لم يحدث له تبديل، وإنما حدث له تغيير عن مساره الصحيح وأصبح مصدر الشرور وبالتالي يؤدي ذلك إلى تغيير الطبيعة الإنسانية إلى طبيعة شريرة، وصدق الله حين قال: ﴿ إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾(الرعد : ١٣). والذي يحدث هذا التغيير في الطبيعية الإنسانية هي البيئة المحيطة بالإنسان، يقول أحد الباحثين في هذا الصدد: «إني أسألكم من أين لكم البرهان أن تلك الميول الخبيثة التي تزعمون عملكم على شفائه منها، ليست في الواقع إلا ثمرة جهودكم ، لا ثمرة خلقته الفطرية»(٣٤).

كما أشار العديد من الباحثين إلى أن الإنسان لديه حاسة أخلاقية شأنها شأن الحواس الأخرى المفروزة في طبيعة الإنسان، وبهذه الحاسية الخلقية يستطيع أن يميز بين الخير والشر، ويستطيع أن يضبط دوافعه وشهواته ويضعها في قوالب وقيم أدبية، ومن بين العلماء الذين أقروا هذه الحقيقة «وليم مكدوجل» الذي يقول: «وفي نفوسنا نزعة تدفعنا إلى أن ننبذ كل ماهو كريه ممقوت وننفر منه في اشمئزاز وتقزز»(٣٥)، وقال «جان جاك رسو»: «إن في قرارة النفوس مبدأ فطريا للعدل والفضيلة نقيس إليه أفعالنا وأفعال سوانا من الناس ونحكم عليها بالخير أو السوء»(٣٦)، ويقول «كانت» رأيا مشابها لذلك فيقول: «إن الله الذي أقام الميزان وبث العدل في العالم وهيأ لنا محكمة عليا يحاكمنا فيها، لم يشأ أن يتركنا في الأرض بلا محكمة، فجعل لكل نفس حاكما من داخلها»(٣٧).

كما يرى الدكتور مقداد يالجن أن الحاسة الخلقية من بين الحواس التي أودعها الله في الطبيعة البشرية، حيث يقول: «إن اللهَ خلق في طبيعة الإنسان حواس تهديه إلى كل مايحتاج إليه في هذه الحياة، فقد وضع فيه حاسة الجنس ليتناسل ووضع فيه حاسة الجوع ليبحث عن الطعام ويتغذى، ووضع فيه حاسة البصر ليرى الحقائق، وحاسة السمع ليسمع، وحاسة العقل ليميز بين الحق والباطل، وحاسة الأخلاق ليميز بين الخير والشر في السلوك وفي العلاقات الاجتماعية والإنسانية»(٣٨).

أما نظرة الإسلام إلى وجود إحساس أخلاقي في طبيعة الإنسان، فهناك آيات عديدة تقر ذلك، منها قوله تعالى: ﴿ونفس وما سوَّاها. فألهمها فجورها وتقواها﴾ (الشمس : ٧-٨)، وقال تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى. الذي خلق فسوى. والذي قدّر فهدى﴾ (الأعلى : ١-٣)، قال الإمام الرازي (٣٩) : «أما قوله (فهدى) عبارة عن خلق تلك القوة في تلك الأعضاء بحيث تكون كل قوة مصدرا لفعل معين، ويحصل من مجموعها تمام المصلحة، وللمفسرين فيه وجوه، قال مقاتل: هدى الذكر للأنثى كيف يأتيها، وقال آخرون: الهداية بمعنى الدعاء إلى الإيمان «إنك لاتهدي» أي تدعو، وقال آخرون هدى الإنسان لسبل الخير والشر والسعادة والشقاوة وذلك لأنه جعله حساسا

مدركا متمكنا من الإقدام على مايسره والإحجام عما يسوؤه، كما قال: ﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ﴾ (الإنسان : ٣).

ولكن يود الباحث أن يشير إلى أنه بالرغم من وجود حاسة خلقية عند الإنسان وقوة ضابطة تتحكم في دوافعه وشهواته إلا أنها «لاتنمو بمفردها دون معونة خارجيّة، إن هذا لايعني أنها مفروضه على الكيان البشري من خارجه، وإنما شأنها في ذلك شأن القدرة على المشي، والقدرة على النطق، مالم تنميا من الخارج فلن تنموا نموهما الطبيعي، مع أنهما في ذاتهما طبيعتان وفطريتان »(٤٠)، وهذا مصداق لقول الرسول ﷺ : «مامن مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»(٤١)؛ أي أن التنشئة والتربية تؤثران في سلوك الفرد وفي تغيير عاداته واتجاهاته.

من الحديث السابق يتضح أن الحاسة الخلقية من الأمور الفطرية عند الإنسان، أما التخلق بالشيء فهو من الأمور المكتسبة، فالخلق ليس من الأمور الطبيعية -أي فطرية- فلو كان الأمر كذلك لكان من غير الممكن الانتقال من خلق إلى خلق آخر، ولكن نقول وهذا ماذكر ابن مسكويه حين قال: « ولانقول إنه غير طبيعي وذلك أنا مطبوعون على قبول الخلق بل ننتقل بالتأديب والمواعظ أما سريعا أو بطيئا»(٤٢)، وقد أيّد «وليم مكدوجل» هذا الرأي بالرغم من أنه قد أشار في عدة مواطن(٤٣) بأن الخلق يتركب من أشياء فطرية وخص منها الميول والامزجة والطباع، فيقول في هذا الصدد: «فليس الخلق بالشيء الذي يمنح لنا في تكويننا الفطري، بل إنه شيء نكتسبه بالتدريج ، كل منا بمقدار.. فأحيانا نقول عن امرئ إنه عديم الأخلاق، وعن آخر بأنه صاحب خلق... ولكن من الأجدى والأصح أن نعترف بأننا كلنا ننمي في أنفسنا خلقا مابدرجة معينة، ومن نوع معين، سواء أكان طيبا أم خبيثا، قويا أم ضعيفا، مصقولا أم خشنا.. وإننا لنجد في تنمية هذا الخلق -وهي عملية يمكن ، بل ينبغي أن تستمر طوال حياتنا- أوسع مجال لإرشاد الذات وتوجيهها»(٤٤).

ب- النزعة الاجتماعية:

والإنسان كما يمتاز بنزعته الأخلاقية ، فإنه يمتاز أيضا بنزعته الاجتماعية حتى إن بعض علماء الاجتماع عرّفوا الإنسان بأنه اجتماعي بطبعه أو مدني بطبعه، يقول ابن مسكوية: «إن الإنسان مدني بالطبع أي هو محتاج إلى مدينة فيها خلق كثير لتتم له السعادة الإنسانية، فكل إنسان بالطبع وبالضرورة يحتاج إلى غيره، فهو لذلك مضطر إلى مصافاة الناس ومعاشرتهم العشرة الجميلة، ومحبتهم المحبّة الصادقة لأنهم يكملون ذاته ويتممون إنسانيته، وهو أيضا يفعل بهم مثل ذلك»(٤٥)، كما عرّف الإنسان بأنه «ذو النزعة الاجتماعية والاستعدادات لبناء علاقات اجتماعيّة وللتعاون الاختياري مع غيره ولصنع الثقافة والحضارة»(٤٦). وقد أشار أحد الباحثين إلى أن في الإنسان «ميولا اجتماعيّة طبيعية وعاطفة إنسانية نبيلة يدركها كل منا عندما يتأمل في إعجابه بالنبل وميله إلى التعاطف مع الآخرين وحبّه الخير لهم»(٤٧)، كما أكدّ «أدم سميث» أن في «الدنيا غريزة التعاطف الإنساني وجعلها منبع الأخلاق الإنسانية»(٤٨). فالإنسان مفطور على الحياء والشعور بالذنب والشعور بالخير والتألم عند الأمور المؤلمة، والتعاطف في الحالات التي تتطلب العطف والشفقة، وهذا وغيره تكوّن النزعة الاجتماعية عند الفرد، أو الاستعداد إلى التعارف والحياة الاجتماعية.

أما نظرة الإسلام إلى ذلك فقد نلمح في قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾ (الحجرات : ١٣). إشارة إلى وجود استعدادات اجتماعية عند الإنسان، وموطن الاستشهاد في الآية الكريمة التعارف؛ وهذا ما أشار إليه الرازي، وقال: «في الآية فائدة التعارف لا التناكر»(٤٩) ويضيف في موطن آخر ويقول: «وفيها – الآية السابقة- معان لطيفة (الأولى) قال تعالى (إنا خلقناكم)، وقال (وجعلناكم) لأن الخلق أصل تفرع عليه الجعل (شعوباً) فإن الأول هو الخلق والإيجاد، ثم الاتصاف بما اتصفوا به، ولكن الجعل شعوباً للتعارف والخلق للعبادة، كما قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾(الذاريات:٥٦).

فالمعاشرة والتعارف والحياة الاجتماعية حاجة أساسية عند الإنسان، يقول أحد الباحثين في هذا الصدد: «إن الإنسان محتاج إلى صديق عند حسن الحال وعند سوء الحال، فعند سوء الحال يحتاج إلى معونة الأصدقاء، وعند حسن الحال يحتاج إلى المؤانسة وإلى من يحسن إليه»(٥٠).

ولكن بالرغم من وجود استعدادات اجتماعية في طبيعة الإنسان يستطيع بواسطتها التفاعل مع مجتمعه، والاندماج فيه، وبها يستطيع أن يُحِبَّ ويُحَبَّ من قبل الآخرين، إلا أن تلك الاستعدادات شأنها شأن الاستعدادات الخلقية لاتنمو بمفردها، وإنها بحاجة إلى معونة خارجيّة، أي إلى تربية وتوجيه وتعليم، وقد ذهب العديد من علماء التربية المحدثين إلى تأكيد تربية هذا الجانب الاجتماعي في الفرد، ومن بينهم «فروبل» الذي يرى أن نمو الفرد لايتحقق إلا في بيئة اجتماعية، وذلك عن طريق «تفاعله الاجتماعي ودخوله في علاقات اجتماعية إنسانية»(٥١).

ثالثاً - مجالات الأخلاق الإسلامية وأقسامها :

أ- مجال الأخلاق الإسلامية :

ومجال الأخلاق في الإسلام مجال واسع وشامل لجميع أوجه النشاط الفردي والاجتماعي على حد سواء، مثل علاقة الإنسان مع ربه ونفسه ومجتمعه وبيئته؛ أي أن مجال الأخلاق في الإسلام هو مجال الحياة كلها -كما يقول أحد الباحثين- «هو هذا الكون كله هو علاقة الإنسان بالكائنات في هذا الكون، وهذه العلاقة المرسومة من قبل الإسلام في ضوء عقيدته. تدخل في نطاق الأخلاق الإسلامية علاقة الإنسان بالله وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان ثم علاقته بالحيوانات أيضاً.. لأن الإسلام يأمر بالأدب مع الله ومع الناس ومع الحيوانات ومع الملائكة»(٥٢). فإيمان المسلم بربه أخلاق، قال تعالى ﴿ليس البرّ أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكنّ البرّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنّبيين﴾ (البقرة : ١٧٧)، فالآية الكريمة تبين أن الإيمان بالله يعني البر ، والبر كما عرّفه الرسول في قوله: «البر حسن الخلق والإثم

ماحاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس »(٥٣)، فالإيمان يدخل في الأخلاق؛ لأن الاعتراف بالحق والخالق فضيلة، وإنكارهما مكابرة، والمكابرة من سوء الأخلاق في الإنسان، والعبادات في الإسلام لها غايات خلقية، مثال ذلك الصلاة، قال تعالى: ﴿ إنّ الصّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ (العنكبوت : ٤٥) ، وكذلك الحج ، قال تعالى : ﴿الحجّ أشهر مّعلومات فمن فرض فيهنّ الحجّ فلا رفث ولا فسوق ولاجدال في الحجّ﴾ (البقرة:١٩٧) والزكاة أيضا، قال تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهّرهم وتزكّيهم بها﴾ (التوبة : ١٠٣)، والعبادات تدخل في الأخلاق من حيث أنها كلها عبارة عن أساليب الشكر للمنعم، فالشكر لمن أحسن إليك فضيلة وأدب، وعدم الشكر سوء الأدب، فإن لم يعترف الإنسان بالمنعم وهو اللّه، فهذا من سوء الخلق.

ويتسع نطاق الأخلاق في الإسلام ليشمل الأخلاق النظرية والأخلاق العملية، والسلوك الظاهري والباطني معا، ومايدخل تحتهما من أخلاق فردية وأخلاق اجتماعية وأخلاق أسرية وأخلاق اقتصادية وأخلاق سياسية وأخلاق علمية، وقد تناول عدد من الباحثين مجال الأخلاق في الإسلام بالشرح والإيضاح، فليرجع إلى كتاباتهم (٥٤) من أراد مزيداً من التفصيل.

ب- اقسام الأخلاق في الإسلام:

والأخلاق الإسلامية بمعناها الشامل الواسع يمكن تقسيمها إلى عدة أنواع وأقسام، وذلك حسب الأسس والاعتبارات التي روعيت في تقسيمها ويود الباحث أن يورد بعضا من تلك التقسيمات في النقاط التالية:

١- تقسم إلى أخلاق فطرية، وأخلاق مكتسبة.

٢- تقسم إلي أخلاق نظرية، وأخلاق عملية.

٣- تقسم إلى أخلاق بسيطة واضحة يمكن اعتيادها، وأخلاق صعبة ليس من السهولة تأديتها.

٤- تقسم إلي أخلاق فردية، وأخلاق اجتماعية.

٥- تقسم من حيث المناشط إلى أخلاق أسرية؛ وأخلاق اقتصادية، وأخلاق سياسية، وأخلاق علمية، وأخلاق حربية.

٦- تقسم إلى أخلاق مع الله، وأخلاق مع الإنسان نفسه، وأخلاق مع الناس، وأخلاق مع الحيوان، وأخلاق مع الملائكة.

٧- تقسم إلى أخلاق محمودة، وأخلاق مذمومة (٥٥)، ولعل هذ التقسيم الأخير أكثرها شيوعا، لهذا سيعمد الباحث إلى إيضاحه باختصار فيمايلي:

الأخلاق المحمودة:

دعا الإسلام إلى العديد من الأخلاق المحمودة الفاضلة من بينها الإخلاص، والإحسان، والاستقامة، والتقوى، والحياء، والأمانة، والرحمة، والرفق، والحلم، والصدق، والصبر، والتواضع، والكرم، والاقتصاد، والعدل، والمساواة، والشجاعة، والإصلاح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة، والتعاون على الخير وعدم التعاون على الشر، والستر، والمروءة، والقناعة، والإيثار، والشكر، والعفّة، والعفو، والصفح، والاحتمال، وعزة النفس عن الدناءات، والمكافأة على الإحسان بمثله أو أفضل منه، والتغافل عن زلات الناس، وترك الاشتغال بمالا يعنيه، وأن يضع الإنسان نفسه موضع غيره في التعامل معه، والتسابق إلى الخيرات والفضيلة، وإتقان العمل وتنفيذ العهود والمواثيق والوعود وأداء الأمانات كما ينبغي ويجب.

ويدعّم هذه الأخلاق المحمودة الفاضلة كثير من آيات القرآن الكريم وأحاديث المصطفى ﷺ.

الأخلاق المذمومة :

وفي المقابل فقد أشار الإسلام إلى العديد من الأخلاق المذمومة أيضا ودعا إلى تجنبها ومن بينها: الفحش، والخيانة ، والغش، والعنف، والظلم، والكذب، والبخل،

والإسراف، والبغي، والنفاق، والتجسس، وسوء الظن، والغيبة، والنميمة، والحسد، والشماته، والرياء، والمراء، والإغواء، والخسة، والمكر، والطمع، والعجز، والجبن، والكسل، والذل لغير اللّه، والفخر، والبطر، والأشر، والعجب، والخيلاء، والإعراض، وإباء قبول النصيحة، والأثرة أو الأنانية، والإخلاد إلى الأرض وملذاتها، وحب الذكر والحمد بما لايستحق، واستبدال الذي أدنى بالذي هو خير، والأدلة من الكتاب والسنة على تلك الأخلاق المذمومة عديدة .

رابعا - مفهوم التربية الأخلاقية وأهميتها وعلاقتها بالتربية الاجتماعية

أ - مفهوم التربية الأخلاقية:

قبل الحديث عن مفهوم التربية الأخلاقية الإسلامية يود الباحث أن يشير إلى بعض الأفكار والآراء عن مفهوم التربية الأخلاقية عامة، وقد استطاع أحد الباحثين تصنيفها تحت الاتجاهات التالية:

الاتجاه الأول : يرى أن التربية الأخلاقية هي الاعتياد على المبادئ الأخلاقية، وممارستها من الصغر زمنا طويلا حتى تصبح عادة، غير أن بعض المفكرين لايرون مجرد الاعتياد تربية أخلاقية؛ لأنه كثيرا مايعتاد الناس على سلوك معين ثم يغيرونه عندما يقتنعون بفكرة أخرى

الاتجاه الثاني : يرى أن التربية الأخلاقية هي تكوين بصيرة أخلاقية عند المرء بها يستطيع التميز بين الخير والشر.

الاتجاه الثالث : يرى أن التربية الأخلاقية هي تلقين المبادئ الأخلاقية للناشئين، وإلقاء دروس في علم الأخلاق كدروس العلوم الأخرى.

الاتجاه الرابع : يرى أن التربية الأخلاقية هي تنمية استعداد خلقي بحيث يتشعب هذا الاستعداد إلى سلوك أخلاقي بسهولة، ومن تلقاء نفسه في جميع المواقف التي تتطلب عملا أخلاقيا.

الاتجاه الخامس : هو الاتجاه الروحي الصوفي الذي يرى أن التربية الأخلاقية ليست مجرد الاعتياد على الأفعال الخلقية الظاهرية المادية، وليست كذلك مجرد خلق بصيرة أخلاقية، وليست أخيرا مجرد تلقين وتعليم المبادئ الأخلاقية، بل إنها فوق ذلك تطهير النفس من كل الرذائل والنوازع الشريرة وتحليتها بالفضائل الأخلاقية ظاهرا وباطنا.(٥٦).

أما مفهوم التربية الأخلاقية الإسلامية فهو يشمل تلك الاتجاهات جميعها دون التركيز على واحد منها أو إغفال أحدها، ويود الباحث أن يوجز تحليل تلك الاتجاهات في النقاط التالية:

١- إن تطهير النفس أولا من جميع الرذائل الأخلاقية والإرادات الشريرة أمر لاغنى عنه، ولهذا وردت نصوص في هذا الجانب منها قوله تعالى: ﴿يريد ليطهّركم وليتّم نعمته عليكم﴾ (المائدة : ٦)، وقوله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾ (التوبة : ١٠٣) .

٢- ولكن تنمية الروح الأخلاقية تحتاج إلى تعليم وتبصير أخلاقي، إذ لابد من وعي أخلاقي، ليدرك الإنسان حكمة المبادئ الأخلاقية. ولابد من بصيرة أخلاقية ليستطيع بها المرء التمييز بين السلوك الخيّر والسلوك الشرير ومايترتب على الفضيلة من الخيرات وما يترتب على الرذائل من مضار وشرور، وقد قال الإمام الفخر الرازي عن سبب جمع الله تعالى بين التعليم والتزكية عند تفسير قوله تعالى: ﴿يتلوا عليهم آياتك ويعلّمهم الكتاب والحكمة ويزكّيهم﴾ (البقرة : ١٢٩)، «واعلم أن كمال حال الإنسان في أمرين . أحدهما أن يعرف الحق لذاته. والثاني أن يعرف الخير لأجل العمل به، فإن أخل بشيء من هذين الأمرين لم يكن طاهرا من الرذائل ولم يكن زكيا عنها»(٥٧). ولهذا كان من أساليب التعاليم الإسلامية التبصير بالحقائق، وأن يكون المربي على بصيرة بأساليب التربية .

٢- لكن لايكفي تكوين بصيرة أخلاقية، إذ لابد مع ذلك من تكوين الاستعداد الكامل للالتزام بالمبادئ الأخلاقية، واجتناب الرذائل والشرور في كل الظروف والمواقف، بحيث لايكتفي بالتزام ذلك بنفسه، بل يدعو غيره كذلك إليه ويحارب الشر إينما وجد وحيثما كان.(٥٨).

من العرض السابق يتضح أن مفهوم التربية الأخلاقية في الإسلام يستلزم وعيا أخلاقيا ليدرك الناشئة حكمة المبادئ الأخلاقية، ولابد من بصيرة أخلاقية ليستطيع التمييز بين السلوك الخير والسلوك الشرير، ولابد من تطهير النفس من كل الرذائل وتنمية الروح الأخلاقية، وتكوين الاستعداد الكامل للالتزام بالمبادئ الأخلاقية والوصول بالناشئة إلى جعل ذلك الاستعداد استعدادا كاملا، ولابد من تكوين الشعور بالمسئولية الأخلاقية أمام الله بحيث يحاسب نفسه كأنه يرى اللهَ، فإن لم يكن يرى الله، فالله يراه، وأن يخاف من عقابه كأنه واقع، وأن يكون مؤمنا قولا وعملا بما تنص عليه الآية الكريمة ﴿يعلم خائنة الأعين وماتخفي الصّدور﴾ (غافر:١٩)، ويعلم أن الله معه حيثما كان، وهذه هي درجة الإحسان التي تتميز بها الأخلاق الإسلامية عما سواها.

ب - أهمية التربية الأخلاقية:

للتربية الأخلاقية أهمية كبيرة، لأن المبادئ الأخلاقية حين يكتفي بتلقينها لاتكون مجدية، «وأن مجرد معرفة قيمة الأخلاق وتعليمها لاتكفي أيضا بأي حال من الأحوال ليسلك الإنسان السلوك الأخلاقي في الحياة العملية بل لابد من تربية أخلاقية، ولهذا فإن قيمة التربية الأخلاقية تساوي قيمة الأخلاق»(٥٩)، والتربية الأخلاقية هامة وضرورية، نظرا لما لها من آثار بالغة سلبا أو إيجابا على الفرد والمجتمع على حد سواء، وقد أشار أحد الباحثين إلى أن أهمية التربية الأخلاقية وضرورتها تكمن في النقاط التالية:

١- إنها الوسيلة المثلى لحل مشكلة ازدياد الجرائم والشرور بجميع صورها الظاهرة والباطنة في الحياة الاجتماعية.

٢- إنها خير وسيلة لبناء خير فرد، وخير مجتمع، وخير حضارة إنسانية، وهذا أمر لابد منه لسلامة الحياة الاجتماعية واستقرارها أولا، ثم لسعادتها ثانيا.

٣- ضرورية للنهوض بالمجتمع والتقدم الحضاري، فهي لاتكتفي بمجرد إزالة الرذائل والشرور، بل تعمل بعد ذلك لبث الطاقة الروحية الخيّرة الدافعة إلى التقدم.

٤- إنها ضرورية لبناء دولة قوية منظمة، يعمل موظفوها بأمانة ونزاهة بعيداً عن الإهمال والتهاون وعن الرشوة والاختلاس، وأن أية دولة لاتسود التربية الأخلاقية أفرادها محكوم عليها بالانهيار والسقوط.

٥- إنها ضرورية لكونها وسيلة من وسائل تحقيق السعادة في الحياة الاجتماعية، لأنه إذا غرست التربية الأخلاقية الروح الإنسانية الخيّرة بعد إزالة جميع الشرور والرذائل، فإن ذلك يؤدي إلى انتشار الأمن والثقة والمحبة والإخاء والمودة واحترام الحقوق والمشاعر وتنتشر بقية الفضائل، وهذه تعد من الشروط الأساسية لتحقيق السعادة.(٦٠).

لهذا كله فقد تبوأت التربية الأخلاقية في نظر المربين المسلمين منزلة عظيمة، بل جعلها بعضهم هدفا أساسيا ونهائيا للتربية بعد تحقيق شريعة الله، وهذا مانلمحه في قول الإمام الغزالي: «أيها الولد كم من ليال أحييتها بتكرار العلم، ومطالعة الكتب، وحرمت على نفسك النوم، لا أعلم ماكان الباعث فيه. إن كان نيل غرض الدنيا، وجذب حطامها، وتحصيل مناصبها، والمباهاة على الأقران والأمثال، فويل لك ثم ويل لك، وإن كان قصدك إحياء شريعة النبي ﷺ ، وتهذيب أخلاقك، وكسر النفس الأمّارة بالسوء فطوبى لك ثم طوبى لك»(٦١). وقد ذهب بعض المربين المسلمين إلى جعل طهارة النفس واستقامتها شرطا في قبول طالب العلم في التعلّم، وإلا منع من التعلّم خشية أن يستعين بالعلم على الفساد ، حيث قال الإمام الغزالي في هذا الصدد: «كما لاتصح الصلاة إلا بتطهير الظاهر من الأحداث والأخباث، فكذلك

لاتصح عبادة القلب بتعلّم العلم إلا بعد طهارته من خبائث الأخلاق ونجاسات الصفات»(٦٢)، قال تعالى: ﴿يوم لاينفع مال ولابنون. إلا من أتى اللّه بقلب سليم﴾ (الشعراء : ٨٨-٨٩). والتربية الأخلاقية مقدمة على التربية العقلية، كما يقول بعض الباحثين: «إن بناء الشخصية الأخلاقية أهم من تكوين العالم في ميدان بناء الإنسان، ذلك أن الإنسان الجاهل المتخلّق خير من العالم غير الأخلاقي، لأن الثاني أضر بالناس وبالمجتمع من الأول، والعالم الفاسد أكثر فتكا بالمجتمع من الجاهل الفاسد ولأن الجاهل مهما كان فتّاكا فضرره محدود لايتجاوز حدود أفراد معينين، أما العالم الفاسد فيستطيع أن يفسد المجتمع بأسره بل المجتمعات بأسرها»(٦٣)، كما أن الضرر الناتج عن إهمال التربية الأخلاقية أشد ضررا من إهمال التربية العقلية؛ لأن العلم يمكن تداركه أما الأخلاق وتهذيبها فمن الصعوبة تداركها، وهذا ما أكّده «كانت» في قوله «إن النقص الحاصل من إهمال التهذيب أشد وطأة وأضر بالإنسان من نقص التعليم، فإن العلم يمكن تداركه في الكبر، أما التهذيب وتحسين الخلق فهيهات هيهات أن يصلح شأنه بعد فوات فرصته في الصغر، إن الخطأ في تهذيب الطفل لن يصلح أمد الدهر»(٦٤) .

ونظرا لأهمية التربية الخلقية في الإسلام فقد كانت هدفا أساسيا من أهداف تربية الرسول ﷺ ، كما بيّن ذلك في حديثه: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»(٦٥)، وكما بيّن الحق سبحانه وتعالى الغاية من إرسال رسوله لعباده في قوله تعالى: ﴿لقد منّ اللّه على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾(آل عمران : ١٦٤)، فكلمة يزكيهم مشتملة على أساسيات تربية أخلاقية ؛ لأن ذلك يعني تطهير النفس من الرذائل والشرور وتحسين النية والقصد.

ج - علاقة التربية الأخلاقية بالتربية الاجتماعية:

لعل من الصعوبة الفصل بين التربية الأخلاقية والتربية الاجتماعية، أو

بمعنى آخر أنه لاتوجد تربية اجتماعية مستقلة عن التربية الأخلاقية، حيث يقول أحد المربين : «والحق إن كل تكوين خلقي هو في الوقت نفسه تكوين اجتماعي، ذلك أنه لابد للمرء كي يعي ذاته من أن يمتاز من الآخرين، ولكي يمتاز من الآخرين لابد له أن يتصور الوحدة مع الآخرين. وكما يتطور تصور الذات تبعا لتصور الموضوع، كذلك يتطور تصور الذات تبعا لتصور الآخرين»(٦٦)، فالعلاقة وثيقة بين التربية الأخلاقية والاجتماعية، وتعد التربية الأخلاقية من أهم الوسائل، إن لم تكن الوسيلة الوحيدة، لتحقيق إسعاد المجتمع، لأنه إذا زالت التربية الأخلاقية «جميع الشرور والرذائل من النفوس، وغرست بعد ذلك الروح الإنسانية الخيِّرة، يؤدي الأمر عندئذ إلى انتشار الأمن والثقه والمحبة والمودة واحترام الحقوق والمشاعر الأدبية والإنسانية لكل فرد في الحياة الاجتماعية، ثم تسود روح الأخوة وروح التعاون في سبيل الخير والمصلحة العامة، ومن ثم يؤدي الأمر إلى تعميم الخير وزوال الشرور وهذا شرط أساسي لتحقيق السعادة الاجتماعية»(٦٧). فالحياة الاجتماعية لاتستقيم ولايصلح شأنها إذا غاب الصدق والأمانة والعفة والعدالة والشجاعة والحكمة وغيرها من الفضائل، وساد فيها الخيانة والكذب والغش والخداع والفاحشة والرشوة وغيرها من الرذائل. ولهذا يرى البعض أن المقصود بالتربية الخلقية هو : «تدريب الناشئين على العادات الاجتماعية التي تفي بحاجات الجماعة والتي تتكون منها الحياة الاجتماعية. »(٦٨).

وإذا كانت التربية الاجتماعية نتاجا للتربية الأخلاقية، فإنه في الوقت نفسه لاتنمو الفضيلة في الفرد ولايستطيع تعلمها في معزل عن الحياة الاجتماعية، حيث يرى «افلاطون» أننا : «لانستطيع أن نعلّم الفضيلة مالم نتصل بالحياة الاجتماعية، وأن الحديث فيها بعيدا عن المجتمع سقطة ولغو لاقيمة له»(٦٩). ولتوضيح ذلك إذا أخذنا قيمة من القيم الأخلاقية كالعدل مثلا، فإن تربية الأولادعلى هذه الفضيلة بحاجة إلى تهيئة الخبرات العملية والمناخ الصالح لتنميتها في نفوس الأولاد، وبدون المجتمع لانستطيع تحقيق ذلك، هذا بالإضافة إلى أن معظم بواعث الأخلاق هي

بواعث اجتماعية مصاحبة للبواعث الدينية، فمثلا باعث الامتناع عن الزنى باعث اجتماعي لمافيه من أضرار تحل بالمجتمع، نتيجة تفشي الفاحشة فضلا عن كونه باعثا دينيا لأنه محرم، ولهذا فإن الأخلاقيات في الإسلام تشمل الاجتماعيات، لأن المجتمع في نظرالإسلام خاضع للقيم الإسلامية، وليست القيم الأخلاقية خاضعة للمواصفات الاجتماعية، ولأهواء المجتمع وأهدافه ورغباته، كما هو الشأن في نظر الاجتماعية الوضعية، حيث يرى «جون ديوي»: «أن الأخلاق من الأمور الإنسانية تنبع من صميم الحياة التي يعيشها الإنسان على ظهر هذه الأرض، وليست أخلاقيا متعالية تفرض على الإنسان فرضا من جهة عليا»(٧٠). وهذا فرق جوهري بين الأخلاق الإسلامية وغيرها، وهذه الفكرة نفسها تنعكس على التربية الأخلاقية. ولهذا سيعمد الباحث في مناقشة المواضيع اللاحقة إلى دمج التربية الاجتماعية بالتربية الأخلاقية.

خامسا - أهم وظائف الأسرة التي يجب القيام بها في التربية الأخلاقية والاجتماعية:

١- تهيئة الجو العائلي الصالح من الناحية الخلقية والاجتماعية.

٢- تزويد البالغين بالمعارف الخلقية والاجتماعية وتبصيرهم بها عمليا وإقناعهم عقليا.

٣- تبصير البالغين بمعايير القيم الأخلاقية والاجتماعية.

٤- تكوين الشعور بالمسئولية الأخلاقية والرقابة الآلهية الدقيقة عند البالغين.

٥- تهذيب دوافع البالغين وإشباعها بالطرق المشروعة.

٦- تنمية العاطفة الأخلاقية والاجتماعية عند البالغين.

٧- تعويد البالغين على ممارسة الفضائل الخلقية والاجتماعية في حياتهم اليومية.

سادسا - الأساليب والوسائل التي تساعد الأسرة في تحقيق وظائفها في التربية الأخلاقية والاجتماعية:

الوظيفة الأولى : تهيئة الجو العائلي الصالح من الناحية الخلقية والاجتماعية:

يتأثر البالغون في نموهم الاجتماعي والخلقي بالجو النفسي المهيمن على الأسرة التي يعيشون فيها، وبالتفاهم القائم بين الآباء والأمهات، وبالجو الأسري الحاني الذي يغمر الأسرة، وبالعلاقة القائمة بين البالغين وبين أبائهم، وبالحالة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للأسرة، وبالنظام الذي ينبني عليه حياة الأسرة، وبشخصية الوالدين وتصرفاتهم.

والحديث عن أهمية الجو العائلي في عملية تهذيب سلوك الأولاد، وعملية تفاعلهم مع مجتمعهم أصبح من الأمور المسلّم بها لدى علماء التربية والأخلاق، حيث يضعون البيت في المكان الأول، ويدركون خطره في صنع الأخلاق، وتوجيهها، وتربيتها، ويحسبون حسابا لكل مافيه ومن فيه، يقول أحد الباحثين : «إن الحياة العائلية المضطربة، والمشاحنات بين الوالدين، والمشاكسات الدائمة داخل جدران المنزل تؤثر تأثيرا بليغا في تكوين ميول الأطفال، وقد تؤدي بعض الحالات التي تنشأ في البيت إلى تكوين شخصية تنفر من الحياة وتكرهها»(٧١)، ويشير أحد الباحثين إلى : «أن أكثر الأمراض الخلقية كالأنانية، والفوضى، وفقدان الثقة بالنفس، وعدم الشعور بالمسئولية ، والرياء، والنفاق، إنما تنشر جرثومتها الأولى في البيت، وعسير على المدرسة، والمجتمع استئصال هذه الجرثومة بعد أن تتمكن وتزمن»(٧٢)، وقد كشفت دراسات احصائية قام بها مكتب الخدمة الاجتماعية للأحداث بالقاهرة أن «٧٦٪ من حالات الإجرام وذنوب الأحداث تعود إلى فساد البيئة المنزلية ؛ فإن كثيرا من الأولاد الجانحين الذين يظهرون الشذوذ في سلوكهم تعود التبعة في عملهم غالبا إلى أسرهم، وسوء وضعها الاجتماعي والاقتصادي، وجهلها بأبسط مبادئ التربية وعلم النفس، مما دعا كثيرا من الأمم الواعية إلى تأسيس

مدارس ليلية لتعليم الآباء والأمهات الأسس العلمية لهذه العلوم المفيدة، التي أدى جهلها إلى أغلب حوادث الإجرام لدى الأحداث»(٧٣).

من هذا يتضح أن القضية ليست قضية إبراز أهمية الجو العائلي على سلوك الأولاد إنما القضية هي: ما الطرق والأساليب التي تعين الأسرة كي تقيم جوا عائلياً صالحا لتربية أولادها تربية أخلاقية واجتماعية؟ وللإجابة على ذلك سيعمد الباحث إلى توضيح ذلك في النقاط التالية:

١- أن تقوم الحياة الزوجية من أولها إلى آخرها على الأخلاق:

ويتم ذلك بتطبيق تعاليم الإسلام في بناء الأسرة، منذ الشروع في الزواج، حتى المطاف الأخير في حياة الأسرة، وقد تناول الباحث ذلك بإيضاح في الفصل الثاني.

٢- أن تعمد الأسرة إلى إشاعة المودة والرحمة بين أطرافها:

وهذا يؤثر على نمو الأولاد اجتماعيا وخلقياً، وعلى تكيفهم مع أسرهم، حيث يرى أحد الباحثين: «أنه إذا كنا نبغي للمراهق أو للطفل نمواً عادياً، وجب أن يعيش في جو من الاطمئنان والعطف بين عالم الكبار المحيط به، أما إذا كان البيت من النوع الذي يسود فيه الشجار المتصل، فتظهر آثار ذلك واضحة على شخصية وسعادة المراهق، لأن هذا الجو المضطرب يمنعه من الحصول على الحنان اللازم من والديه»(٧٤).

ولكي تقوم حياة زوجية سعيدة يسودها المودة والرحمة، ينبغي على الزوجين أن يتلّطف كل واحد منهما للآخر ويراعي شعوره، ولعلّ الأسرة تجد في كلمة أبي الدرداء لامرأته بعض التعاليم والتوجيهات الصائبة في هذا الجانب عندما قال: «إذا رأيتني غضبت فرضيني وإذا رأيتك غضبى رضيتك وإلا لم نصطحب»(٧٥). وقد أورد الباحث العديد من الخطوات والأساليب التي تسهم في تكوين حياة زوجية سعيدة في الفصل الخاص بخصائص الأسرة.

٣- منح البالغين الحرية اللازمة في الأسرة:

الأولاد في هذه المرحلة بحاجة إلى نوع من الحرية والاستقلال خلافا للمرحلة السابقة تمهيداً لجعلهم يعتمدون على أنفسهم في حياتهم، ولكي تحقق الأسرة دورها التربوي في هذا الجانب ينبغي عليها مراعاة مايلي:

أ) عدم تعصب الآباء لآرائهم وخبراتهم. إن بعض الآباء والأمهات بحكم تجاربهم الطويلة في الحياة، وتعدد الخبرات التي واجهتهم في حياتهم، فإن بعضا منهم يريد أن يفرض تلك التجارب والخبرات مع عدم مراعاة صلاحيتها لزمان أولاده، فليست كل التجارب والخبرات التي تعرّض لها الآباء والأجداد صالحة لزمان الأولاد ومفيدة لأن يتربوا عليها. وقد جاء في الأثر : «لاتقسروا أولادكم على تربيتكم فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم»(٧٦). وقد توصل أحد الباحثين إلى أن مثل هذه المعاملة مع البالغين «تهدف إلى إعاقتهم عن النمو»(٧٧)، كما قد تؤدي إلى سوء العلاقات بين الآباء والبالغين، إذ إن البالغين في هذه المرحلة من حياتهم يتميزون باعتزاز بآرائهم وأفكارهم.

ب) عدم تدخل الآباء في كل صغيرة وكبيرة. هناك من الآباء والأمهات من يضع البالغين تحت المراقبة الشديدة معتقداً أن البالغين إذا تركوا لأنفسهم سيرتكبون أخطاء، فهم يراقبونهم بشده، يتدخلون في شؤون حياتهم، وفي مواعيد راحتهم وعملهم وفي خروجهم من المنزل وعودتهم إليه، وفي طريقة تعاملهم مع الآخرين ومصاحبتهم لهم، وهذا الأسلوب قد يضعف في نفوسهم النزعات الطبيعية للنمو الحر، وقد أشار أحد الباحثين إلى أن: «الأولاد الذين ينشئون في هذا الجو يكبرون متصفين بالتردد وضعف الشخصية وعدم القدرة على القطع برأي في موقف ما»(٧٨). أي ينبغي أن تقوم معاملة الآباء لأولادهم على التسامح الذي لايصل إلى درجة التساهل. وقد أكد الإمام الغزالي ذلك في قوله: «ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس، فإن

خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه، ولايهتك ستره ولايكاشفه، ولايظهر له أن يتصور أن يتجاسر أحد على مثله، ولاسيما إذا ستره الصبي واجتهد في اخفائه، فإن إظهار ذلك عليه ربما يفسده جسارة حتى لايبالي بالمكاشفة فعند ذلك إن عاد ثانية فينبغي أن يعاتب»(٧٩).

ج) احترام شخصية البالغين . الأولاد في هذه المرحلة يميلون فيها إلى الزعامة والقيادة ويعتبرون أنفسهم راشدين، ومن الأساليب الخاطئة التي يتبعها بعض الآباء والأمهات معاملتهم لأولادهم وكأنهم لازالوا أطفالاً، وقد أورد بعض الباحثين أن من أهم أسباب الخلافات التي تنشأ بين الآباء وأولادهم في مرحلة البلوغ هي: «إصرار الآباء والأمهات على معاملة أبنائهم على أنهم مازالوا أطفالاً»(٨٠).ولتربية هذا الجانب ينبغي على الأسرة أن تعامل أولادها معاملة الراشدين» ، وعلى الآباء والأمهات أن يعلنوا أن ابنهم فلان لم «يعد الآن طفلاً! إنه أصبح رجلا»(٨١)، وكذلك الشأن بالنسبة للبنت، وأن يعمدوا إلى تنمية ذوات أولادهم وتدريبهم على احترام أنفسهم، ويتم ذلك باحترام فردية الأولاد، وعدم فرض أوامر ونواهي تعسفية في توجيههم، وأن يعمد الوالدان إلى تقديم كافة المعلومات والاقتراحات حول موقف مايعترض أولادهم لمساعدتهم في إتخاذ القرارات المناسبة، وأن تُسند بعض الأعمال المناسبة للأولاد، كل حسب جنسه وميوله وقدراته واتجاهاته. فمثلا يرسل الأب ولده «بين الحين والحين نائباً عنه في قضاء أمر من الأمور. يقابل أحد معارفه، أو يبلغه رسالة منه، أو يقضي عملاً في السوق، أو في مكتب البريد، أو في ديوان من دواوين الحكومة... إلى آخر مايعن للوالد من حاجات، كما أن الأم تستطيع أن تعهد إليه بعض المسؤوليات التي يقوم بها أبوه في العادة، لتشعره أنها تثق به كما تثق بوالده، أي على مستوى الرجوله»(٨٢). وكذلك الشأن بالنسبة للبنت تسند إليها بعض الأعمال المنزلية.ومن الأساليب لتربية هذا الجانب أيضا ينبغي على الآباء والأمهات إعطاء الأولاد الحرية في التفكير والتعبير، والحرية في اختيار نوع العمل.

د) أن يصاحب الحريّة المعطاه للبالغين ضوابط: إن إعطاء البالغين الحريّة المطلقة في شؤون حياتهمدون تدخل الآباء والأمهات، ودون مراقبتهم، لها نتائجها السيئة أيضا على حياتهم الخلقية والاجتماعية، إن الحريّة الفعّالة لتربية البالغين هي التي يصاحبها ضوابط وتوجيه، ولتوضيح ذلك، على الآباء والأمهات أن يتركوا الحرية لهم في اختيار أصدقائهم، مع توجيههم إلى حسن اختيار الأصدقاء، والتأكد من سلامة المعايير الاجتماعية، وترك الحريّة لهم في تنظيم أوقاتهم وراحتهم، وعملهم، مع التوجيه إلى حسن استغلال الوقت، والتأكد من صلاحية الأعمال والأفعال التي يشغلون أوقاتهم بها، وقد نوه أحد الباحثين بالحريّة التي تُعطى للبالغ في منزله، وقال ينبغي: «إعطاء المراهق الحريّة في تفكيره وتعبيره وفي اختيار نوع عمله في حدود مصلحة الجماعة وأهدافها العامة، وهكذا تصير الحريّة في المنزل حريّة تحدها ضوابط اجتماعية، فيكون مثلها كمثل حركة المرور في ميدان من الميادين العامة، لابد لها من إشارات وقواعد ولوائح تتيح لكل فرد أن يتجه الوجهة التي يرغبها في سلام وأمان، دون أن يتعرض لسلامة غيره»(٨٣).إن أحسن سياسة يتبعها الوالدان مع أولادهم هي إشباع رغباتهم في التحرر والاستقلال، دون إهمال رعايتهم وتوجيههم.

وعلى الآباء والأمهات أن يدركوا أن كل حرّية في الإسلام منوطة بمسئولية، وهذا مايجب أن يُربى عليه البالغون، «فحرية التفكير منوطة بالمسئولية عن كل أدوات التفكير من سمع وبصر وعقل.. وحريّة العمل منوطة بالمسئولية عن نتائج هذا العمل.. وحريّة الطعام والشراب محدودة بالمسئولية عن الإسراف وعن شكر النعم»(٨٤) . وهذا أسلوب جيد يجب أن يعمل به في تربية البالغين وهو أن تُناط كل حريّة بمسئولية مناسبة، ومما يجب عمله إزاء الحريّة تكوين اتجاه إيجابي للضوابط، والقيم الضابطة بأنها مهمة وضرورية للحياة، لأنها تسهم في تنمية المعايير السلوكية عند البالغين.

٤- توفير الحاجات اللازمة للبالغين:

ينبغي على الأسرة أن تشبع حاجات أولادها البالغين الأولية الماديّة والنفسية، وحاجاتهم الشخصية بالطرق المشروعة، لأنه: «إذا لم تشبع حاجات الفرد، عضوية كانت أم نفسية... فإنه يحاول أن يجد أية وسيلة يشبع بها حاجاته، وقد تكون هذه الوسيلة غير خلقية، لايقرها الدين والمجتمع، ومن هنا ينحرف الفرد أو يجنح، فتختل بذلك عملية التوافق»(٨٥).

أما الحاجات الأساسية التي ينبغي للأسرة مراعاتها، فقد أوجزها أحد الباحثين في حاجتين أساسيتين هما:

أ- الحاجات الفسيولوجيّة، مثل الحاجة إلى الهواء، والغذاء، والماء، ودرجة الحرارة المناسبة، والوقاية من الجروح والأمراض والسموم، والتوازن بين الراحة والنشاط.

ب- الحاجات النفسية الأساسية ، مثل الحاجة إلى الأمن ، والحاجة إلى الحب والمحبّة، والحاجة إلى الرعاية الوالديه والتوجيه، والحاجة إلى إرضاء الكبار، والحاجة إلى إرضاء الأقران، والحاجة إلى التقدير الاجتماعي، والحاجة إلى الحريّة والاستقلال، والحاجة إلى تعلّم المعايير السلوكيّة، والحاجة إلى تقبل السلطة، والحاجة إلى التحصيل والنجاح، والحاجة إلى مكانة واحترام الذات، والحاجة إلى اللعب.(٨٦)

والأساليب والطرق التي تعين الأسرة على إشباع حاجات الأولاد البالغين، منها تقبل الأولاد، وإبداء السرور والمحبة لهم، وإحاطتهم بالرعاية المحفوفة بالمودة والرحمة، وإظهار التقدير والاحترام لهم، وإتاحة فرص التفاعل الاجتماعي مع أقرانهم، والمشاركة معهم في اللعب والعمل، ومعاملتهم على أن لهم شخصيتهم المستقلّة، وإفساح المجال أمامهم لتسيير أمورهم بأنفسهم، وتشجيعهم على الأعمال التي يقومون بها.

٥- أن تحيا الأسرة مع البالغين :

لايزال الأولاد في هذه المرحلة بحاجة إلى مساعدة الآباء والأمهات، بأن يقفوا إلى جوارهم، وأن يمنحوهم المزيد من الحنان، وأن يفهموا أحاسيس أولادهم ومشاعرهم، وأن يكونوا صرحاء معهم، وأن يمنحوهم الفرصة للتعبير عن مشاعرهم، وأن يعمدوا إلى معرفة البواعث التي دعت أولادهم إلى ارتكاب سلوك غير سوي، بدلا من النهي والأمر والإحباط دون فهم ذلك، فاتباع مثل هذه الأساليب تجعل الأسرة أولادها: «لايستريحون إلى مجالسة الناس كما يستريحون إلى مجالسة الآباء ولايتمتعون بمصاحبة الغير كما يتمتعون بمصاحبة آبائهم وأمهاتهم، لأنهم لايجدون أحدا يفهمهم ويوجههم ويخلص في توجيههم كالوالدين، وهذا يمنعهم من مصاحبة الرفقاء الأشرار والفاسدين وكل هذه الأمور مهمة في هذه المرحلة (٨٧) .

فالآباء والأمهات الذين يقضون معظم أوقاتهم خارج منازلهم، ولايهتمون بمتابعة أولادهم، يؤدي ذلك إلى انحراف الأولاد أخلاقيا، وإلى مصاحبة رفقاء السوء، وإلى ضعف العلاقة بآبائهم ، فضلاً عن تدني مستوى تحصيلهم الدراسي .

الوظيفة الثانية : تزويد البالغين بالمعارف الخلقية والاجتماعية وتبصيرهم بحكمتها عمليا وإقناعهم بها عقلياً:

من العوامل الموجهة والدافعة إلى الفضيلة والمبعدة عن الرذيلة في نفوس البالغين، تزويدهم بالمعارف الخلقية، وتنمية البصيرة العلمية الخلقية لديهم، أي توضيح الحقائق الأخلاقية، وقيمها المختلفة للأولاد، وتوضيح معايير الخير والشر، وبهذه الطريقة تكون الأسرة قد أعانت أولادها على توجيه سلوكهم نحو الخير والابتعاد عن الشر، وذلك عن علم وبصيرة، لا عن اتباع تقليد أعمى أو إشباع هوى مضل، لأن تزويد المرء بالمعارف والعلوم الخلقية كما يقرره أحد الباحثين: «يجعل المرء يرى الأمور على حقيقتها رؤية العين، وكلما كانت رؤيته واضحة لقيم الأمور كان ذلك أدعى إلى الالتزام بها وترك الأمور الضارة في العاجل أو الآجل»(٨٨). ولعل

كثيراً من الرذائل التي يرتكبها الأولاد سببها الجهل بها وعدم وجود البصيرة الخلقية لديهم حولها، كما قد يخلط بعضهم الفضيلة بالرذيلة مثل تفسير بعض حالات التبذير والإسراف بالكرم، وكذلك تفسير التردد في الإقدام على شيء ما بالحذر، وتفسير الخنوع بالتواضع، كل ذلك يعود في الغالب إلى عدم إدراك القيم الخلقية والاجتماعية وفهمها، ثم إن معرفتهم بالمعايير الخلقية تساعدهم في كل زمان ومكان على التمييز بين المواقف الخلقية وغيرها، وبين السلوك الأخلاقي وغيره.

ولأهمية هذا العنصر – البصيرة الأخلاقية– من بين عناصر التربية الأخلاقية اتّخذه بعض المربين هدفاً عاماً للتربية الأخلاقية، ومن بينهم «كانت» الذي قال: «هذا التعليم يراد به أن يكوّن للفتى بصيرة يعرف بها ماهو حسن نافع، وماهو قبيح ضار. وتعليمه الحقائق في أنفسها؛ لتتربى فيه الأخلاق الفاضلة من ذات نفسه لا من الخارج»(٨٩). ويقرر «سقراط» أن التربية الأخلاقية لاتكون مجدية ما لم يتشبع عقل المتربي بالأسس العلمية الخلقية، حيث يرى «أن الفضيلة التي لاتقترن، أولا تقوم على أساس فكري فهي خداع للبصر وهي فضيلة ذليلة»(٩٠). كما يشير أحد الباحثين إلى أن معرفة القيم الخلقية ضرورية لنجاح التربية الأخلاقية، حيث يقول: «إن معرفة أفضل الأشياء في كل لون من ألوان الدراسات.. ضروري للنجاح، وإذا كان هذا واجبا في ميادين الطب والتعليم وما إلى ذلك أفليس هو واجباً في رياضة الخلق؟»(٩١).

والأسرة المسلمة وهي تنفذ ذلك الأسلوب، إنما تحاكي سيدنا لقمان عليه السلام وتقتدي به في تربية ابنه، فهو بعد أن بصّر ابنه بالجانب العقدي، انتقل بعد ذلك تبصيره بالجانب الخلقي والاجتماعي قال تعالى: ﴿يابني لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾ (لقمان : ٣١)، وقال تعالى: ﴿يابنيّ أقم الصّلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إنّ ذلك من عزم الأمور. ولا تصعّر خدّك للنّاس ولاتمش في الأرض مرحاً إنّ الله لا يحب كل مختال فخور. واقصد في مشيك وأغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾(لقمان : ١٧-١٩).

ومن الأساليب والوسائل لتحقيق تلك الوظيفة ينبغي على الأسرة تطبيق مايلي:

١- تبصير البالغين بالفضائل:

سبق أن أوضح الباحث في فصل خصائص مرحلة البلوغ، أن الأولاد في هذه المرحلة يستطيعون إدراك المعاني المجردة، ومنها إدراك المثل والقيم الأخلاقية، وهذه فرصة جيدة للآباء والأمهات لتبصير البالغين بالفضائل والرذائل التي سبق عرضها في هذا الفصل.

ومما يعين الأسرة على معرفة الفضائل والرذائل، وتوضيحها لأولادها كتاب الله، وسنّة رسوله، ثم قصص الأنبياء والصالحين التي تصف مكارم أخلاقهم، والدراسات الأخلاقية الإسلامية، وهذا مايراه القابسي بأن: «يطلب العلم بالفضائل أولاً، أو المعرفة بها، على أن يكون هذا العلم مستمداً من القرآن والسنّة بطبيعة الحال، والقرآن غني بالفضائل وقيمتها، زاخر بالتوجيهات الخلقية، والدوافع إلى الخير»(٩٢). فعلى الآباء والأمهات -كما أشار الباحث سابقاً- أن يحددوا زمناً ولو يسيراً لتدارس كتاب الله وسنّة رسوله، وعند تدارس ذلك معهم، وعند ورود آية تتعلق بالأخلاق، مثل قوله تعالى: ﴿إنّ اللّه يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكّرون﴾ (النحل : ٩٠)، فإنه بمقدور معظم الآباء والأمهات توضيح معاني الفضائل والرذائل التي تشير إليها الآية الكريمة وذلك بالرجوع إلى أحد كتب التفاسير وهذا ميسر لمعظم الأسر في وقتنا الحاضر. فيوضح لهم معنى العدل بأنه «القسط والموازنة» ، وترك الظلم ، والإنصاف مع نفسك وكل أفراد المجتمع وحتى مع الأعداء، والإحسان هو «الندب إلى الفضل» ، «وأن تكون سريرة الإنسان أحسن من علانيته»(٩٣)، والإحسان يشمل فضائل عديدة، فقد يعني الإتقان والجودة والإخلاص والصدق، ويعني البر والرحمة والشفقة. ثم يوضح للأولاد «إيتاء ذي القربى» وهو عون المحتاج منهم باعطائهم

حقوقهم من المال الذي انعم الله به عليه، وكل محتاج للعون، وكذلك الفحشاء وهي تعني كل قبيح من قول أو فعل، وقد يندرج تحت ذلك كل الرذائل والمعاصي والأفعال القبيحة على اختلاف أنواعها. وبجانب التوضيح اللفظي للفضيلة والرذيلة هناك أسلوب جيد ينبغي على الآباء والأمهات مراعاته - وهو مما يساعد الأولاد على فهم القيم -، وهو التوضيح الحسي للمعاني، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمةً طيّبةً كشجرة طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السّماء. تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها ويضرب الله الأمثال للنّاس لعلّهم يتذكرون . ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار﴾ (إبراهيم : ٢٤-٢٦). قال أحد المفسرين: «اعلم أن الله تعالى ذكر شجرة موصوفة بصفات أربع ثم شبّه الكلمة الطيبة بها.

فالصفة الأولى: كونها طيبة المنظر وطيبة الرائحة وطيبة الثمرة وطيبة بحسب المنفعة.

والصفة الثانية: قوله «أصلها ثابت» أي راسخ باق أمن من الانقلاع والانقطاع والزوال والفناء.

والصفة الثالثة : قوله «وفرعها في السماء» وهذا الوصف يدل على كمال حال تلك الشجرة من وجهين :

الأول: أن ارتفاع الأغصان وقوتها في التصاعد يدل على ثبات الأصل ورسوخ العروق.

والثاني : أنها متى كانت متصاعدة مرتفعة كانت بعيدة عن عفونات الأرض وقاذورات الأبنية، فكانت ثمراتها نقية طاهرة طيبة عن جميع الشوائب.

والصفة الرابعه : قوله «توتي أكلها كل حين بإذن ربها»، وهي أن ثمراتها لابد أن تكون حاضرة دائمة في كل الأوقات»(٩٤).

من هذا يتضح أهمية الكلمة الطيبة وفوائدها العديدة، وكذلك الشأن في خطورة الكلمة الخبيثة وأثارها العديدة.

٢- تبصير البالغين بما ينطوي تحت الفضيلة من خير وصلاح، وما ينطوي تحت الرذيلة من شر وبلاء:

إن معرفة الخير في عمل ما قد يكون من أهم الدوافع للإقدام على فعله، وكذلك الحال معرفة الشر في عمل ما قد يكون من أهم الدوافع للإحجام عنه. ولهذا يقول أحد الباحثين : «لايكفي إطلاقا أن نقول إن الفضيلة خير وإن الرذيلة شر، بل يجب أن نكشف مدى مافي كل مبدأ من المبادئ الأخلاقية الفاضلة من خيرات تعود على نفس الفرد والمجتمع، ومن منافع وقيم مختلفة وكذلك لابد من كشف مدى مافي كل رذيلة من شرور تعود على حياة الفرد والمجتمع حتى يتبين للمتربين لماذا كانت الفضيلة طيبة والرذيلة خبيثة»(٩٥)، وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ما كان اللّه ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتّى يميز الخبيث من الطيّب﴾ (آل عمران : ١٧٩).

والأسرة حين تزود أولادها بالمعارف الكافية عن الفضيلة والمعارف الكافية عن الرذيلة ويتم ذلك بتزويدهم بالتعليل والتفسير، وتحليل الخلق، وتوضيح دقائقه والعلّة في حكمة ذلك تكون عندئذ قد حملت أولادها على التمييز بين الخير والشر، وعلى الاقتناع بأن الخير في الفضيلة والشر في الرذيلة، وهذا مطلب هام في التربية الخلقية إن لم يكن لب التربية الخلقية، ولتوضيح ذلك يورد الباحث المثال التالي: عندما يقال للولد: «الغش عادة سيئة فاقلع عنها!!» إن مثل هذه الأوامر والنواهي لاتجدي، بل ينبغي على الأسرة أن تبيّن لأولادها مافي هذه الرذيلة من إفساد سريرة الفرد وعلانيته، وأنها تجعله محل احتقار، وتدعو الآخرين إلى النفور منه، ونبذه، وجعله يعيش في عزلة عن تعامل المجتمع معه، إضافة إلى ماتسببه هذه الرذيلة من قلق وتوتر نفسي، وماتؤدي به هذه الرذيلة من أضرار فادحة للجماعة في مصالحهم وأعراضهم وأنفسهم، فضلاً عن أنها محرمة في الإسلام، لقوله تعالى ﴿فأوفوا الكيل

والميزان ولاتبخسوا النّاس أشياءهم﴾ (الأعراف : ٨٥)، وأن مصير صاحبها حرمانه من الجنة والنعيم بها، لقول رسول اللّه ﷺ : «ما من وال يلي رعيّة من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرّم اللّه عليه الجنّة»(٩٦)، وتبيّن أيضا أن الغش إذا انتشر في المجتمع أدى إلى زوال الثقة في العلاقات ، وأدى إلى فساد التعلّم وتخلّفه، وفساد الصناعة والتجارة .

٣- تبصير الأولاد بالمبادئ التي أكدها الإسلام لتدعيم تماسك المجتمع ووحدته وقوته:

ومثال ذلك، مبدأ المصلحة العامة، ومبدأ العدالة، ومبدأ المساواة، ومبدأ التكافل والتضامن، ومبدأ التآخي والتآلف والتواد والتراحم والتناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومبدأ التقدم، ومبدأ تكريم الإنسان والمحافظة على كرامته وحقوقه وحريّته. والأسرة وهي تنشئ أولادها على ذلك إنما تعمل وفق ماينادي به الدين الإسلامي في أكثر من موضع في القرآن الكريم والسنّة المطهّرة، كما في قوله تعالى: ﴿يا أيّها النّاس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند اللّه أتقاكم﴾ (الحجرات : ١٣).

ويود الباحث أن يوجه أنظار الآباء والأمهات إلى أن هناك روابط تعمل على تلاحم وترابط البالغين بمجتمعهم، وتعمل على تقوية ووحدة وتلاحم المجتمع المسلم، يجب على الآباء والأمهات تبصير أولادهم بها، من بين تلك الروابط مايلي:.

أ- رابطة الدين ، وهي تعد أهم رابطة للمجتمع المسلم. فالدين الإسلامي يربط المجتمعات الإسلامية في كافة أرجاء العالم، فهو ليس عقيدة فحسب ولكنه بالإضافة إلى ذلك رباط أخوي يربط بين الجميع في إطار واحد وعلى منهج واحد في الحياة الاجتماعية، حيث يعمد إلى توحيد العبادة والأحكام والشرائع والمعاملات والاتجاه والثقافة والقيم والعادات والتقاليد بين كافة المجتمعات التي تعتنق الدين الإسلامي، لأن الإسلام كما عرّفه أحد الباحثين: «هو النظام الإلهي الذي ختم اللّه به الشرائع،

وجعله الله نظاماً كاملاً شاملاً لجميع نواحي الحياة، وارتضاه لتنظيم علاقة البشر بخالقهم وبالكون والخلائق ، وبالدنيا والآخرة، وبالمجتمع والزوجة والولد والحاكم والمحكوم ولتنظيم كل الارتباطات التي يحتاج إليها الناس، تنظيماً مبنياً على الخضوع لله وحده وإخلاص العبودية له، وعلى الأخذ بكل ماجاء به الرسول ﷺ»(٩٧).

ب- رابطة اللغة، من بين مهام اللغة إنها أداة تخاطب وتواصل وتفاهم بين الفرد وطبيعته، وقد أشار أحد الباحثين إلى أن اللغة بمعناها الواسع من أوثق الروابط الاجتماعية وذلك لأمرين جوهريين :

الأمر الأول: إن استعمال لغة واحدة أدعى إلى التقارب والتفاهم بين أفراد الأمة من استعمال لغات مختلفة.

الأمر الثاني: إن اللغة مستودع ثقافة المجتمع وتراثه الاجتماعي، ولذلك كانت الأداة لنشر الثقافة المشتركة في صفوفه(٩٨).

وفوق هذا وذاك فهناك لغة يتعبد بها المسلمون جميعاً ، ويتلون القرآن بها.

ج- رابطة العادات والتقاليد، لكل مجتمع عاداته وتقاليده وأعرافه ونظمه الاجتماعية، وهذه الأمور الاجتماعية لها أثر في جمع شمل أفراد المجتمع وتقريب بعضهم إلى بعض حيث يرى بعض المؤرخين: «أن هذه القيم الاجتماعية إنما هي مظاهر خارجية لنفسية القوم، وأن هذه النفسية من أقوى عوامل التوحيد والتقارب»(٩٩).

د- الروابط التاريخية، إن تاريخ عظماء الأمة الأسلامية وماقدموه من تضحيات يولد في نفس كل مسلم مشاعر تلاحم الأمة الإسلامية، والدفاع عنها تأسياً بدور هؤلاء الأبطال.

هـ- الروابط الجغرافية، لكل مجتمع وطن يعيش عليه، ويأكل من خيراته، وينعم بمناظره ولهذا فكل فرد من أفراد المجتمع يحب وطنه ويدافع عنه، فالوطن يربط أفراده الذين يعيشون فيه.

و- الروابط الاقتصادية، معظم المصالح الاقتصادية التي تقوم في أي مجتمع من المجتمعات تكون مصالح مشتركة، كالمصالح الزراعية والتجارية والصناعية، ولهذا

يتداخل أفراد المجتمع الواحد في أعمال مشتركة، يستثمرون أموالهم في مصالح مشتركة، ويكونون مؤسّسات وجمعيات مشتركة، ويتبادلون المنتجات والسلع والمحصولات، وهذه المصالح المشتركة تعمل على ترابط أفراد المجتمع.

ز - الروابط السياسية، لكل مجتمع من المجتمعات سلطة تدير شؤون مصالحه وترعاها، وبالتالي تعد من الروابط الجيدة بين أفراد المجتمع خاصة عندما تقوم هذه السلطة على مراعاة حقوق كل من الفرد والجماعة وواجباتهما.

إن الاهتمام بتلك الروابط وتنشئتها في نفوس البالغين يقودهم إلى تربية اجتماعية فعّالة، حيث يولد في نفوسهم حب الوطن والدفاع عنه، وحب المعتقدات والقيم واللغة والمصالح والدفاع عنها بكل غال ونفيس. ويتطلب الأمر من الآباء والأمهات أن يبصروا أولادهم بكل مايؤدي إلى تفكك المجتمع المسلم والإخلال بنظامه الاجتماعي مثل الاغتصاب، وقطع الطريق والسرقة والاختلاس، وأكل أموال الآخرين بغير حق والربا والقمار والرشوة والغش والتدليس والاحتكار وكافة صور الظلم والطغيان في مختلف أشكالهما وألوانهما.

٤- تبصير الأولاد بالقيم الأخلاقية المتعلقه بالجنس:

لقد أشار الباحث في فصل سابق إلى أن هذه المرحلة تتميز عن غيرها بنمو دافع الجنس عند الأولاد ونمو دافع حب الاستطلاع عن الأمور المتعلقة بالجنس. فليس بالغريب على الأولاد في هذه المرحلة أن يستفسروا ويبحثوا عن المعلومات المتعلقة بذلك، فإذا تحاشى كل من الآباء والأمهات التحدث لأولادهم في هذا الموضوع، فإنه من المتوقع أن يتلقاها الأولاد من أشخاص لا يوثق باستقامتهم فيفسدون عليهم أخلاقهم. وهذا ما أكّده أحد الباحثين في قوله: «فمن المؤكد أن كل طفل تقريبا سيصل إلى المعلومات الجنسية على أقصى تقدير في السنوات الأولى من بلوغه من مصادر غير مرغوب فيها، ويترتب على هذا فساد الصحة وانحطاط الخلق. والطريق الآمن

الوحيد هو خلق اتجاه صحي في عقل الناشىء بتعليمه بالتدريج، أولاً بأول»(١٠٠). وإن ترك الآباء والأمهات أولادهم بدون علم وحرصهم على التحكم الشديد، وإخفاء المعلومات الجنسية عنهم إن ذلك من العوامل المؤثرة على سلوكهم لما قد «يترتب على هذا التدفق الجنسي المصحوب بالجهل وبالخوف وبالشعور بالقذارة أغلب المشكلات الجنسية المعروفة في دوري المراهقة والبلوغ. وفي الحياة الزوجية يترتب عليه أغلب أنواع الشقاء الزوجي، وتترتب عليه أيضاً مشكلات أخرى تظهر نتيجة لتعقد المشكلةالجنسية»(١٠١).

من هذا يتضح أنه من غير الصواب في التربية الخلقية والاجتماعية أن تترك المعلومات الخاصة بالجنس للصدفة، بل ينبغي على الآباء والأمهات تزويدهم بها، حيث يرى كثير من الباحثين، «أن عبء التربية الجنسية يجب أن يقوم به الآباء»(١٠٢).

لهذا ينبغي على الأسرة وهي تتحدث لأولادها عن هذا الجانب أن لاتنظر إليه نظرة احتقار أو دناءة، والإسلام ينظر إلى هذا الجانب نظرة تأدب، كما أنه لم يحكم على الفطرة الجنسية بأنها شرٌ أو مصدر الشرور، ولكنها «قد تكون بالفعل مصدر الشرور إذا استخدمت في الشرور، ولكن يمكن أن تكون في الوقت نفسه مصدر الخيرات إذا استخدمت في الخير أما هي في ذاتها فلانستطيع أن نقول إنها شر»(١٠٣)، وعلى الأسرة أن تصارح أولادها بقدر الاستطاعة ، فلاسر ولاغموض ولا استقذار، في نقل المعلومات الجنسية إلى الأولاد، ومن الأفضل أن يتولى الأب تبصير أبنائه في هذا الجانب وأن تتولى الأم تبصير بناتها وخاصة في بعض القضايا الجنسية.

أما المعلومات التي ينبغي أن يزود بها الأولاد في هذا الجانب، فهي المعلومات المتعلقة بالتكاثر والتلقيح وأعضاء التناسل، وعن الاستمناء ، والاحتلام والحيض، وحكمة التشريع الإسلامي للزواج، وكيفية المباشرة الجنسية المشروعة، وعن الأحكام الشرعية المترتبة عن الاتصال الجنسي غير المشروع، وعن الأمراض الناتجة عن الأعمال الجنسية غير المشروعة، ولكن قد يجد بعض الآباء والأمهات حرجاً في نقل

مثل ذلك للبالغين، ولكن يفضل الرجوع إلى الآيات الكريمة والأحاديث وإلى وضع كتب تربوية سليمة يقرأها الأولاد بأنفسهم.

٥- تبصير البالغين بالنظام الأسري الإسلامي:

تعد هذه المرحلة - مرحلة البلوغ - المرحلة المناسبة لتزويد الأولادبالأحكام والمعارف المتعلقة بنظام الأسرة وتكوينها، وهذا جانب هام في التربية الاجتماعية للأولاد بل يعد من أولويات تلك التربية لأن أساس بناء المجتمع هو الأسرة وتبصير الأولاد بتلك النظم يعد مرحلة أولية وأساساً في تكوين زوج يقدّر أهمية الأسرة ويتحمل واجباتها عن طيب خاطر ويعمد إلى تدعيمها وتماسكها وتحقيق سعادتها .

والنظم الأسرية التي ينبغي على الآباء والأمهات تزويد أولادهم بها هي ماجاء به الإسلام، وقد تناول ذلك النظام كافة الواجبات الأسرية وأحكامها من بداية الشروع في الزواج حتى نهاية الحياة الزوجية، فوضّح طريقة اختيار الزوج أو الزوجة الصالحة وطريقة الخطبة، وطريقة التملك، وطريقة العشرة الزوجية، ووضّح الحقوق والواجبات على كل من الزوجين، وبيّن مسئولية كل منهما، ثم واجبات الآباء نحو الأبناء، وواجبات الأبناء نحو الآباء، وهكذا . ويعد كتاب الله وسنّة رسوله، ومعظم كتب فقهاء الأمة الإسلامية خير مورد للآباء والأمهات لاستقاء تلك المعلومات، وما من كتاب من كتب فقهاء الأمة الاسلامية السابقين إلا تحدث عن نظام الأسرة في الإسلام وأحكامها، أما الشواهد من القرآن الكريم والسنّة المطهّرة فقد تناول الباحث بعضاً منها بشيء من الإيضاح في فصل سابق هو خصائص الأسرة المسلمة .

الوظيفة الثالثة : تبصير البالغين بمعايير القيم الأخلاقية والاجتماعية:

ويرتبط بالوظيفة السابقة وظيفة أخرى قريبة في معناها من معنى سابقتها، وهي تبصير البالغين بمعايير القيم الأخلاقية والاجتماعية، التي تسهم هي الأخرى في تثقيف البالغين بالمعارف الخلقية والاجتماعية، وتنشئتهم عليها .

أما توضيح هذه الوظيفة فقد سبق أن أشار الباحث في بداية هذا الفصل إلى أن النفس البشريه من طبيعتها الإحساس بالخير أو الشر، وبالفضيلة أو الرذيلة، وهذه القوة الباطنة في طبيعة الإنسان تفتقر إلى معونة خارجية تسهم في تبصير الناشئة بمعايير القيم الأخلاقية الاجتماعية، إذ من الواضح أن أي فعل إنساني إمّا أن يكون خيراً أو شراً، أو يكون لكل من الخير والشرنسبة في هذا العمل، ولكي تسهل الأسرة على أولادها الحكم على عمل ما بأنه خير أو شر أو أنه يتضمن الخير والشر ينبغي عليها أن تزودهم بالمعايير أو المقاييس التي ينبني عليها الحكم الخلقي، وهذه المعايير والمقاييس تختلف باختلاف عوامل عدة منها المذاهب والفلسفات والمجتمعات والبيئات والمناشط والنشأة الأولى ثم العامل الوراثي ، وخير عون للأسرة في هذا الجانب العمل بنظرية الإسلام في هذه المعايير والمقاييس، وهذه النظرية لاتخرج عن المبادئ والقواعد التي جاء بها التشريع الإسلامي، أي أن الشرع هو المصدر الأساسي للحكم على أفعال النّاس بالخيريّة أوالشريّة، وهو عبارة «عن تلك المبادئ الأخلاقية التي جاء بها الإسلام والتي تحدد بصفة عامة إرادة اللّه فيما ينبغي أن يكون عليه سلوك الإنسان في هذه الحياة سواء أكان هذا السلوك متعلقاً بصلته مع الغير أو بالنفس، وهذه المبادئ متمثلة في القرآن والسنّة بصورة قانونية أو تشريعية، وعلى هذا الأساس يعد كلاهما معياراً واحداً»(١٠٤). لهذا نجد التشريعات السماوية قد حددت سلوك الإنسان بدقة في بعض المجالات مثل بعض العبادات كالصلاة والزكاة والصوم والحج، وبعض الحدود كالسرقة والقذف والزنى وشرب الخمر والردة والحرابة، وهناك مجالات أقل تحديداً من المجال السابق مثل مجال التعامل الاجتماعي، وبعض النظم السياسية في الإسلام تركت للمعايير الأخرى تدخلاً في تقدير القيمة الخلقية أو مايسمى بالحكم الخلقي عليها، ويأتي في مقدمة تلك المعايير الأخرى، مقياس العقل، نظراً لما يتصف به الإنسان من قوة عقلية تميزه عن سائر الكائنات الأخرى، ويستطيع بها أن يميز بين الخير والشر، لذا فإن المقياس العقلي هو «الذي يختص بالتمييز بين الحق والباطل، والحق خير والباطل شر، فيظهر دور العقل باعتباره معياراً لوزن الأعمال الأخلاقية وتمييز أخلاقيتها من عدم أخلاقيتها»(١٠٥).

فالعقل مقياس مدّعم للشرع، وقد ذهب الإمام الغزالي وأيده الدكتور محمد زكي مبارك(١٠٦)، إلى أن العمل يكون خيراً إذا وافق الشرع والعقل ويكون شراً إذا خالف الشرع والعقل، والمتصفح للقرآن الكريم والسنّة المطهرة يجد النصوص المؤيدة لهذا المقياس وقد استدل علماء المسلمين ببعض الآيات القرآنية على استخدام القياس العقلي ومن بينها قوله تعالى: ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ (الحشر : ٢)، ووجه الاستدلال في رأي علماء المسلمين في هذه الآية : «أن الله سبحانه بعد أن قصّ ما كان من بني النضير الذين كفروا وبيّن ماحاق بهم من حيث لم يحتسبوا قال فاعتبروا يا أولي الأبصار. أي فقيسوا أنفسكم بهم، لأنكم أناس مثلهم، إن فعلتم مثل فعلهم حاق بكم مثل ماحاق بهم»(١٠٧).

وقد أقرّ الرسول مقياس العقل عندما أرسل معاذ بن جبل إلى اليمن، قال: كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال أقضي بكتاب الله. قال: «فإن لم تجد في كتاب الله؟» قال: فبسنّة رسول الله ﷺ . قال: «فإن لم تجد في سنّة رسول الله ﷺ ولافي كتاب الله ؟» قال : اجتهد برأي ولا آلو فضرب رسول الله ﷺ صدره فقال: «الحمد لله الذي وفّق رسول الله لما يرضي رسول الله»(١٠٨). ولكن من الأهمية بمكان أن عمل العقل واجتهاده يجب أن يكون منضبطاً بضوابط وقواعد ذكرها أهل الاجتهاد(١٠٩) .

وفي إطار هذين المقياسين -مقياس الشرع ومقياس العقل- للحكم الخلقي هناك العديد من المقاييس الفرعية يعتد بها الإسلام للحكم على السلوك بالخيرية أو الشرية، وقد أشار إلى ذلك بعض الباحثين(١١٠)، وتناولوها بالشرح والإيضاح، ولهذا فإن تبصير الأولاد بها يسهم في نمو قدرتهم على الحكم الخلقي. ومن بين تلك المقاييس مايلي:

١- مقياس النية الحسنة أو الإرادة الخيِّرة:

فالأعمال التي تصاحبها إرادة خيِّرة تكون في الغالب أعمال خيِّرة وكذلك الأعمال التي تصاحبها إرادة سيئة تكون في الغالب أعمال سيئة، مصداق ذلك قول الرسول ﷺ راوياً عن ربّه قال: «إن اللّه كتب الحسنات والسيئات ثم بيّن ذلك فمن همّ بحسنة فلم يعملها، كتبها اللّه له عنده حسنة كاملة فإن هو همّ بها فعملها كتبها اللّهُ له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها اللّه له عنده حسنة كاملة فإن هو همّ بها فعملها كتبها اللّه له سيئة واحدة»(١١١).على أن تكون الأعمال التي تقترنها النية الخيرة أعمالاً مشروعة ومباحة، لإن النية الخيِّرة لاتحول الأعمال غير المشروعة خيراً ، ولايسمح بذلك.

٢- مقياس النفع العام أو الصالح العام:

فالأعمال التي تؤدي إلى منفعة سواء أكانت هذه المنفعة مادية أو معنوية، اجتماعية أو فردية -بشرط أن لاتؤثر المنفعة الفردية على المنفعة الاجتماعية-، تكون هذه الأعمال في الغالب أعمال خيِّرة، أي يمكن أن يقال أن العمل خيِّر، إذا كان منافعه أكثر من مفاسده وأنه شر إذا كان مفاسده أكثر من منافعه، وهذا مانلمحه في قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾ (البقرة : ٢١٩). فالخمر من الأعمال السيئة والمحرّمة لأن إثمها أكبر من نفعها.

٣- مقياس الاطمئنان وانشراح النفس للعمل :

وهو من المقاييس الهامة في الأخلاق، لأن الأفعال الخيِّرة تورّث صاحبها السعادة والراحة النفسية والاطمئنان، أما الأعمال الشريرة فتجعل صاحبها في قلق واضطراب وهم وضيق، ذلك أن المجرم يكون دائماً قلقاً خائفاً مشتت النفس متألم

الوجدان، ولهذا قال علماء النفس«إن المجرمين في عقاب مستمر وإن نجوا من العقاب القانوني أو انتهوا منه»(١١٢)، أي أن الأعمال التي تصاحبها آلام نفسية تكون في الغالب أعمال سيئة، ولهذا يقول الرسول: «البر حسن الخلق والإثم ماحاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس»(١١٣). وفي رواية أخرى: «البر ماسكنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم مالم تسكن إليه النفس، ولم يطمئن إليه القلب، وإن أفتاك المفتون»(١١٤)

٤- مقياس حسن السلوك :

وهذا المقياس يشمل العديد من المقاييس التي يمكن استنباطها من القواعد والقيم الخلقية التي جاء بها القرآن ، أي الأعمال التي يصاحبها فضائل مثل الإخلاص، والصدق، والإحسان، والاستقامة، والتقوى، والحياء، والأمانة، والرحمة، والرفق والحلم والصبر والتواضع والكرم والاقتصاد، والعدل والمساواة والشجاعة والإصلاح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة والتعاون على الخير وعدم التعاون على الشر والستر والمروءة والقناعة والإيثار والشكر والعفة والعفو والصفح والاحتمال وعزة النفس عن الدناءات، والمكافأة على الإحسان بمثله أو أفضل منه، وغير ذلك من الفضائل ، فالأعمال التي يصاحبها شيء من تلك الفضائل تكون في الغالب أعمالاً خيّرة، وكذلك الشأن بالنسبة للأعمال التي تصاحبها رذائل مثل الفحش، والخيانة والغش، والعنف، والظلم، والكذب، والبخل، والإسراف، والبغي، والنفاق والتجسس، وسوء الظن والغيبة والنميمة والحسد والشماتة والرياء، والإغواء، والخسة، والمكر ، والطمع والعجز والجبن والكسل والفخر وغيرها من الرذائل تكون هذه الأعمال أعمالاً منبوذة وسيئة وشريرة أو تؤدي إلى الشرور إن عاجلاً أو آجلاً.

٥- أن يعامل الآخرين بما يجب أن تعامل نفسه به :

وهو من المعايير التي يمكن أن نميز بها السلوك السوي من غيره؛ أي ينبغي على البالغ أن ينظر في السلوك الذي يريد أن يعرف ما إذا كان أخلاقياً أم غير أخلاقي، ويفترض لو أن أحداً عامله به، هل يرضى؟ أو لا يرضى؟ فإن رضي به كان سلوكاً خلقياً، وإن لم يرض به كان سلوكاً غير أخلاقي. فمثلا لا يحب أي إنسان أن يُسْرَق ماله، أو أن يُضْرب، أو أن يُؤذى ، إذن عليه ألا يسرق أموال الناس ولايضربهم ولايؤذي أحداً؛ لأن تلك الأعمال لايرضاها على نفسه، والدليل على ذلك قول الرسول: «لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه»(١١٥).

٦- أن يجعل السلوك قانوناً عاماً للناس :

فإذا صلح أن يكون قانوناً عاماً دون أن يضر الآخرين ويكون نافعاً خيراً فهذا سلوك أخلاقي، فمثلا السرقة لوجعلت قانوناً عاماً لأدى ذلك إلى إباحة الأموال، وإلى قلّة الأمن، وإلى تعقّد المصالح وإلى حياة فوضوية ، حياة سلب ونهب واغتصاب، وامتلاك الأموال بطرق غير مشروعة. وكذلك القتل، والزنى، وشرب الخمر، وهكذا.

الوظيفة الرابعة : تكوين الشعور بالمسئولية الأخلاقية والرقابة الإلهية الحقيقة عند البالغين:

ومعنى المسئولية الخلقية هي: «تحمل الشخص نتيجة التزاماته وقراراته واختياراته العملية من الناحية الإيجابية والسلبية أمام الله في الدرجة الأولى، وأمام ضميره في الدرجة الثانية وأمام المجتمع في الدرجة الثالثة»(١١٦)، والمسئولية الخلقية في نظر الإسلام كما قال أحد الباحثين: «إن الإسلام ينظر إليها على أنها لب العمل الخلقي، ومناط الحكم الخلقي ومناط الجزاء الخلقي، ومايرتبط به من ثواب أو عقاب بأنواعه المختلفة»(١١٧).

ولأهمية هذا الجانب في التربية الخلقية فإن الإسلام يضع شروطاً بحيث لاتتحقق المسئولية الخلقية إلا عند وجودها لدى الإنسان، ولعدم توفر أحد هذه الشروط لايترتب على الفرد مسئولية خلقية، و ينبغي على الأسرة مراعاتها قبل أن تحمل أولادها المسئولية الخلقية .

شروط المسئولية الأخلاقية

١- **تحقيق الإرادة الحرة والاختيار الكامل في السلوك :**

أي إذا لم يكن المرء حراً في إرادته واختياره وتصرفه فليس مسئولاً عن أعماله، فلا مسئولية مع الجبر والإكراه على أي عمل ما، قال تعالى: ﴿ولاتكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾(النور : ٣٣)، ولا مسئولية أيضاً إذا كان المرء مضطراً إلى ذلك ، قال تعالى : ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه﴾ (البقرة:١٧٣)، كما أن المسئولية الخلقية تنتفي من الفرد إذا سها أو أخطأ بدون إرادة قال تعالى: ﴿ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ (البقرة : ٢٨٦)، وقال رسول الله ﷺ : «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»(١١٨).

٢- **توافر العقل السليم والوعي الكامل:**

إذا لم يكن الفرد بكامل قواه العقلية ، واعياً بذاته، ومقاصده من أفعاله، فإن الإسلام في هذه الحالة لايعتبره مسئولاً عن عمله، فالمجنون أو فاقد الوعي، والصغير والنائم ومن في حكمهم، ليسوا مسئولين عن أعمالهم لانتفاء العقل السليم والوعي الكامل عندهم، لقول رسول الله: «رفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يشب، وعن المعتوه حتى يعقل»(١١٩)

٣- الاستطاعة بالقيام بالعمل أو القدرة على العمل :

ومن «الظلم تكليف إنسان بأعمال لايستطيع تحمل أعبائها والقيام بها»(١٢٠). فلامسئولية خلقية تترتب عليه في حالة عدم استطاعته بسبب عجزه البدني أو العقلي أو النفسي، قال تعالى:﴿لايكلف اللّه نفساً إلا وسعها﴾(البقرة:٢٨٦)، وقال تعالى: ﴿الآن خفف اللّه عنكم وعلم أن فيكم ضعفا﴾ (الأنفال : ٦٦).

٤- الاعتقاد الجازم، والقيام بالفعل حسب هذا الاعتقاد :

فالإنسان لايعتبر مسؤولاً خلقياً عن فعل فعله حسب اعتقاده الجازم، ثم تبيّن له فيما بعد خلاف ذلك، مثل «الذي وجد خمراً في زجاجة عصير فاكهة فاعتقد أنه عصير فاكهة فشرب منه، فإن هذا الشخص لم يعص اللّه بالشرب من الزجاجة، وليست عليه مؤاخذة شرعية ولاخلقية طالما أنه كان يعتقد أن مافي الزجاجة هو عصير فاكهة»(١٢١)، أي أن الأفعال الناتجة عن غير قصد وتعمّد لايترتب على فاعلها مسئولية خلقية، قال تعالى: ﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ماتعمدت قلوبكم﴾ (الأحزاب : ٥).

٥- النية والتصميم على فعل الشيء:

إذا أضمر الفرد عملاً ما وبيّت في نفسه الإقدام على تنفيذه، فإن المرء في هذه الحالة مسئول عن ذلك سواء نفّذ ذلك العمل أم لم يستطع تنفيذه لمانع ما، قال تعالى: ﴿قل إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها ومابطن والإثم والبغي بغير الحق﴾ (الأعراف: ٣٣)، وقد أشار أحد الباحثين إلى أن: «الإثم الباطن هو النية على فعل الجريمة، ولايدخل في نطاق هذه المسئولية مايدخل في قلب الإنسان من خطرات الخير ووساوس الشر أو بتعبير آخر حديث النفس»(١٢٢)، ويستشهد على ذلك بحديث رسول اللّه الذي قال: «إن اللّه تجاوز لي عن أمتي ماوسوست به صدورها مالم تعمل أوتكلّم»(١٢٣).

وبعد توافر شروط أهلية المسئولية السالفة الذكر يكون الإنسان مسئولاً عن كل أفعاله .

ومسئولية الفرد لاتقتصر على نفسه فحسب في كل الأحوال، وإنما يكون مسئولاً عن الآخرين أحياناً، أي أن مسئولية الإنسان عن نفسه فقط أمر ليس مطلقاً. فهناك نصوص في الكتاب والسنة ، تقرر مسئولية الفرد عن سلوك غيره بجانب مسئوليته عن أفعاله، قال تعالى: ﴿واتقوا فتنة لاتصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة﴾(الأنفال : ٢٥)، وقال تعالى: ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون﴾ (المائدة : ٧٨-٧٩) . فالفرد في نظر الإسلام مسئول عن سلوك غيره حتى يؤدي الواجب الذي عليه، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتناصح والتوجيه الحكيم، وقد يتطلب الواجب مقاطعة هذا المنحرف إذا تعدى حدود الله ولم تفلح معه الأساليب السابقة، وحتى ولو كان من أقرب الأقرباء قال تعالى: ﴿لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾ (المجادلة : ٢٢). وبعد قيام الفرد بهذا الواجب تكون المسئولية عندئذ مسئولية فرديّة، أي أن الفرد مسئول عن نفسه فقط، وبهذا يكون الإسلام قد وفّق بين المسئولية الفردية والمسئولية الاجتماعية.

أساليب ووسائل تكوين الشعور بالمسئولية الأخلاقية :

١- تكوين الوعي عند الأولاد بتحمل المسئولية:

ينبغي على الأسرة أن توضح لأولادها أن تحمل هذا الواجب الذي يجب عليهم تأديته نحو الله ونحو النّاس، لنيل رضى الله، والفوز بالآخرة، والسعادة في الدنيا، لالقصد الإثقال عليهم، أو إهانتهم، بل في تحمل هذه المسئولية، الفضل والرفعة والشرف لهم، وحول هذا الجانب يقول أحد الباحثين: «هذا الوعي بتحمل المسئولية ضرورة نظرية كأساس للتربية بالمسئولية؛ لأنه من الخطأ تربوياً أن نجعل النّاس

عن طريق هذه التربية وكأنهم يحملون على أكتفاهم ليل نهار حملاً ثقيلاً يرزحون تحته، ومن ثم يعيشون حياة شقية بوجوه عابسه»(١٢٤). ومن الاهمية بمكان أن تكوّن الأسرة في نفوس البالغين الشعور بالاعتزاز والكرامة بالقيام بالمسئوليات العظيمة، لأن أعظم الناس هم الذين يقومون باكبر المسئوليات.

٢- تنمية الشعور بالمسئولية نحو الله:

ويتم ذلك عن طريق تذكير الأولاد بأن الله معهم أين ماكانوا، وهو مطلّع على أعمالهم وأقوالهم الظاهرة منها والباطنة، قال تعالى: ﴿ ألم تر أن الله يعلم مافي السموات ومافي الأرض مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم﴾ (المجادلة :٧)، كما نلمح في حديث رسول الله الأسلوب الجيد لإيقاظ الشعور بالمسئولية نحو الله عند الأولاد، حيث قال: «ياغلام! إني أعلّمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك إذ سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك بشيء إلا قد كتبه الله عليك، جفّت الأقلام ورفعت الصحف»(١٢٥).

وعلى الأسرة أن ترشدهم إلى المسئولية الربانية الدقيقة التي لاتغيب عن الله أي عمل، ولو مقدار ذرّة من خير أو شر، فيكافئ على الأول ويعاقب على الثاني. وعلى الأسرة أن تنصح أولادها بما كان ينصح به لقمان ابنه، كما في قوله تعالى: ﴿يابني إنها إن تك مثقال حبّة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير﴾(لقمان : ١٦).

٣- تنمية الشعور بالمسئولية نحو النفس :

ويتم ذلك عن طريق تذكير الأولاد وتعليمهم بأن الإسلام قد كفل للفرد حقوقه

الطبيعية المشروعة ومن بينها الحرية المسئولة التي لاتضر بالعقيدة ولاتؤثر على الغير، وحقه في العمل، وحقه في الرعاية الصحية والنفسية والاجتماعية، وحقه في التملك والتصرف في ممتلكاته، كما أكّد الإسلام الشخصية المستقلة للفرد وأكّد مسئوليته الخلقيه المستقلة، وكذلك استقلال إرادته أي أن تعاليم الإسلام تكفل للفرد حقوقه، وتمنحه الحريّة المعتدله وتنوطه بمسئوليات. فالفرد مسئول عن عمله، وعن عواطفه، وأفكاره وأحكامه ومقاصده - بعد أن تتحقق شروط المسئولية التي سبق ذكرها - وهناك العديد من الشواهد لتأكيد المسئولية الفردية كما في قوله تعالى: ﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾ (الطور : ٢١)، وقوله تعالى: ﴿كل نفس بماكسبت رهينة﴾ (المدثر : ٣٨)، وقوله تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ماسعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾(النجم : ٣٩-٤١). وقال تعالى: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً﴾ (الإسراء : ١٣) وأن على الفرد أن يراعي حق الله عليه وحق نفسه وحق أهله، وهذا ما أقرّه رسول الله عندما قال سلمان لأبي الدرداء: «إن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبى ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ : صدق سلمان»(١٢٦).

٤- تنمية الشعور بالمسئولية نحو المجتمع :

وذلك بأن يوضّح للأولاد أن الفرد مرتبط إرتباطاً شديداً بمجتمعه، ومن الصعوبة التعايش بدون المجتمع أو بمعزل عنه، فالمجتمع مصدر أنسه وأمنه وسعادته، وعلى الفرد واجبات ومسئوليات نحو مجتمعه من بينها التآخي والتآلف والتوادد والتراحم والتعاون والتناصح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأسرة وهي تنمي هذا الشعور في نفوس أولادها إنما تطبق تعاليم دينها، كما في قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون. يا أيها الذين أمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولانساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولاتلمزوا أنفسكم ولاتنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد

الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾(الحجرات : ١٠-١١)، وقال تعالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ (الحشر : ٩)، وقال تعالى: ﴿وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها﴾ (النساء : ٨٦)، وقال رسول اللّه: «المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان اللّه في حاجته ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج اللّه عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره اللّه يوم القيامة»(١٢٧). وعلى الأسرة أن توضح لأولادها أن الإنسان الناجح اجتماعياً هو الذي يقوم بمسئولياته إزاء مجتمعه، ولاقيمة للحياة إذا فشل الإنسان في الحياة الاجتماعية.

الوظيفة الخامسة : تهذيب دوافع البالغين وإشباعها بالطرق المشروعة:

من المعلوم لدى علماء النفس والتربية أن سلوك الكائن الحي هو : «عبارة عن علاقة ديناميكية بين الكائن الحي وبين بيئته»(١٢٨)، أي أنّه يؤثر في سلوك الفرد عاملان رئيسان أحدهما داخل الفرد والآخر خارجه، فالعوامل الخارجية هي العوامل البيئية بشقيها الطبيعية والاجتماعية، أمّا العوامل الداخلية فهي الدوافع والعواطف وتعرف بأنها «استعداد فطري لايحتاج إلى تعلّم، يدفع الكائن الحي إلى القيام بسلوك خاص في موقف معين»(١٢٩). وهي بذلك تكون عبارة عن «استعدادات فطرية» يولد الفرد مزوداً بها.

فالدوافع تعد من العوامل الهامة في سلوك الفرد حتى أن بعض العلماء مثل «روباك» عرّف الخلق بأنه : «ميل نفسي يتحكم في الغرائز، ويمنعها من تحقيق أهدافها، وذلك بمقتضى مبدأ منظم لتلك الغرائز»(١٣٠). وقد ورد في هذا التعريف كلمة «الغرائز» وهي تعني الدوافع الفطرية، أو النزعات الفطرية.

ونظراً لأهميتها في سلوك الإنسان ذهب العديد من علماء النفس في تحديد الدوافع عند الإنسان من حيث أنواعها وعددها. وقد قال «وليم مكدوجل» الذي يعد من أكثر العلماء اهتماما بتحديدها وتحديد انفعالتها: «لانستطيع أن نذكر على وجه

الدقة عدد هذه النزعات الفطرية الواضحة التي تشتمل عليها الطبيعة البشرية، ولكننا نستطيع أن نتعرف بثقة واطمئنان على عدد من تلك النزعات، يبدو أنها عامة في بني الإنسان على أختلاف أجناسهم وأزمنتهم»(١٣١).

إلا أن التصنيف الغالب للدّوافع عند علماء النفس يقوم على نوعين أساسيين هما:

الدوافع الأولية أو (الفطرية)، ويقصد بها تلك التي لم تكسب عن طريق الخبرة، وتشبه الغرائز الموجودة عند الحيوان، وتتعلق بالحاجات الجسمانية وبقاءالنوع والفرد، منها مثلاً دافع الشراب والطعام، ودافع الأمومه، ودافع الجنس، ودافع الخوف.

الدوافع الثانوية أو (المكتسبة)، وهي التي يختص بها الإنسان، ويكون للبيئة أثرها الكبير في تكوينها، وإن كانت تؤمن في النهاية بحاجات أساسية للإنسان منها المحافظة على البقاء وتحسينه، منها الأمن، والتقدير، واحترام الآخرين..(١٣٢)

أما تصنيفها عند الإمام الغزالي فإنها تأخذ أشكالاً متعدده نوجزها فيمايلي:

١- يصنفها حسب طبيعة الإنسان الخلقية إلى:

- الميول البهيمية كالشره والحرص على قضاء الشهوة، وينتج عنها استعدادات نفسية، وصفات أخلاقية مذمومة، مثل الوقاحة، والخبث، والتبذير، والتقتير، والمجانة والعبث.

- الميول السبعية أو الغضبية مثل العداوة والبغضاء، وينتج عنها استعدادات وصفات خلقية مثل الغضب، والتهجم على النّاس بالقوة.

- الميول الشيطانية، وتتكون من اجتماع الغضب مع الشهوه، وتولّد بعض الصفات الخلقية المذمومة مثل الحيلة والمكر والخداع.

- الميول الربوبية، وينتج عنها الكبر والفخر وحب المدح والثناء والعز ودوام البقاء وطلب الاستعلاء، كما ينتج عنها حب العلم والحكمة واليقين والإحاطة بحقائق الأشياء .

٢- يصنفها أيضاً على أساس النظر إلى حب البقاء إلى:

- الميول الفردية التي يقوم عليها البقاء، وهي الميل إلى الطعام والجنس والتملك وحب الدنيا والجاه.
- الميول الاجتماعية التي تتصل بالعائلة أو مجتمع العشيرة والأصدقاء.
- الميول العالية، أي حب الخير والحقيقة والميول الدينية الجمالية .

٢- يصنفها كذلك على أساس النظر إلى الغرض والمقصد إلى :

- دوافع أو «بواعث» الدين، وهي التي تبعث على الطاعات والحياة الصالحة، ويندرج تحتها باعث الخوف من الله ، والرجاء فيه، والمحبة والشكرله والتوكل عليه.
- دوافع «بواعث» الهوى، وهي تشمل الشهوة والغضب ويندرج تحتها عدد من البواعث.(١٣٣) وقد أورد الإمام الغزالي بعضاً من الأدلة من الكتاب والسنة على ذلك.

والذي يهم الأسرة في هذا الجانب الأساليب والوسائل التي تعينها على إشباع تلك الدوافع عند البالغين وتهذيبها وتوجيهها، وهذه النزعات الفطرية كما وصفها «وليم مكدوجل» في قوله «هذه النزعات الفطرية ينبوع من الطاقة.. إمّا أن هذه الطاقة ستتجه إلى الخير أم إلى الشر، فأمر يتعلّق بتوجيهها إلى غايات نبيلة أو وضيعة»(١٣٤).

ويود الباحث أن يستعرض بعضاً من تلك الدوافع الداخلية مع إيضاح طريقة توجيهها وتنميتها وإشباعها حسب التوجيهات الإسلامية التربويّة، كي تكون عوناً للآباء والأمهات في تربية أولادهم، في النقاط التالية:

أ- دافع المقاتلة :

ينبغي أن يوجه هذا الدافع ويشبع في أشرف مجال أقره الإسلام به وهو الجهاد في سبيل الله حفاظاً على الدين ونشره بين النّاس، كما يوجه إلى الدفاع عن النفس والعرض والمال والأهل والوطن والمظلومين في الأرض، وهذا هو الإشباع السوي والإرضاء الصحيح لذلك الدافع، ومنع إشباعه في ظلم الآخرين، والاعتداء عليهم،

وسلب أعراضهم وممتلكاتهم، فقال تعالى فيما يتعلق بقتال المعتدين: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا إنّ الله لايحبّ المعتدين﴾ (البقرة : ١٩٠)، وقال تعالى: ﴿من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنّما قتل النّاس جميعا ومن أحياها فكأنّما أحيا النّاس جميعا﴾(المائدة : ٣٢). وفيما يتعلق بالدفاع عن المظلومين في الأرض، قوله تعالى: ﴿ومالكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً﴾(النساء:٧٥).

وفيما يتعلق بالدفاع عن المال والممتلكات بما فيها الأوطان، وعن العرض والأهل، وعن الدين والنفس، قول رسول الله: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد»(١٣٥).

٣- دافع حب الاستطلاع :

ينبغي أن يوجه هذا الدافع إلى التعلّم الجيد والعلم النافع والمعرفة الصالحة، وإلى طريقة الفهم المبني على التدبر والتعقل والتفكر، والدليل قوله تعالى: ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض وماتغني الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون﴾ (يونس : ١٠١). وأن يوجه هذا الدافع نحو السلوك الأخلاقي، ومعرفة الحق والباطل، والفضيلة والرذيلة، والخير والشر والتمييز بينهما، وقد دعا الحق سبحانه وتعالى إلى توجيه هذه الطاقة - طاقة حب الاستطلاع والمعرفة - إلى التفكر والتدبر في القيم الخلقية ومبادئها ، لمعرفة ماتحويه الفضائل من نفع، وماتحويه الرذائل من ضرر، كما في قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس، وإثمهما أكبر من نفعهما، ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبيّن الله لكم الآيات لعلّكم تتفكرون﴾ (البقرة : ٢١٩). وأن تعمد الأسرة إلى تهذيب ذلك الدافع والسمو به، وإبعاد البالغين عن تتبع عيوب الآخرين والتجسس عليهم وكشف عوراتهم لقول رسول الله: «لو اطلّع في بيتك أحد، ولم تأذن له خذفته بحصاه ، ففقأت عينه ماكان عليك من جناح»(١٣٦).

٣- دافع الطعام والشراب :

وقد دعت التربية الإسلامية إلى إشباع هذا الدافع بالرزق الطيب الحلال، وباتزان دون إفراط أو تفريط، كما في قوله تعالى: ﴿يابني آدم خذوا زينتكم عند كلّ مسجد وكلوا واشربوا ولاتسرفوا إنّه لايحبّ المسرفين. قل من حرّم زينة اللّه الّتي أخرج لعباده والّطيبات من الرّزق قل هي للّذين آمنوا في الحياة الدّنيا خالصة يوم القيامة﴾ (الأعراف : ٣١-٣٢)، وفي الوقت نفسه يحرم إشباع ذلك الدافع بالأشياء المضرة مثل لحم الخنزير والميتة والدم والمنخنقة والمترديّة والنطيحة وغير ذلك من المحرمات التي تشير إليها الآية الكريمة: ﴿حرّمت عليكم الميتة والدّم ولحم الخنزير وما أهلّ لغير اللّه به والمنخنقة والموقوذة والمتردّية والنّطيحة وما أكل السّبع إلاّ ماذكيتم وما ذبح على النّصب﴾ (المائدة : ٣).

وعلى الأسرة أن توجّه البالغين إلى المعايير السليمة في إشباع هذا الدافع، ومن تلك المعايير مايلي:

أ) أن يكون الطعام حلالاً

ب) أن يكون طيباً مفيداً

ج) أن يتناول دون إسراف ولاتبذير

د) الا يستغرق في ملذات الدنيا وينسى الآخرة.

ثم لاينبغي الاكتفاء بالتوجيه بل على الأسرة أن تدرب أولادها على ذلك باستمرار وبكل عناية؛ لأن التربية لاتحصل إلا بالممارسة والتدريب المستمر.

٤- دافع الاستغاثة والخنوع :

يشعر الفرد بالضعف وفي الغالب يحتاج إلى مساعدة الآخرين الذين هم أقدر منه وأقوى، وعلى الآباء والأمهات أن يدركوا أن الإشباع السوي لهذا الدافع هو طلب العون والمساعدة من اللّه بعد اتخاذ الأسباب، لأنه هو الذي يملك القدرة المطلقة على

إغاثة وإعانة وإنقاذ المضطر، قال تعالى: ﴿أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أئله مع الله قليلاً ماتذكرون﴾ (النمل : ٦٢). ولكي ينقذ الله الإنسان، ويستجيب لدعائه وتضرعاته يجب أن يكون الإنسان محبوباً لديه، ولايكون الإنسان محبوباً عند الله إلا إذا كان مطيعاً لله ومرتبطاً به دائماً. وذلك بعبادته وحسن طاعته والخضوع لمشيئته، كما في قوله تعالى: ﴿والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً﴾(الفرقان : ٦٤)، وفي الوقت الذي توجه الأسرة هذا الدافع إلى الخضوع لله سبحانه وتعالى، ينبغي أن تصرف ذلك الدافع عن الخضوع للآخرين والتذلل لهم، أي تنمي فيهم عزّة النفس والاعتماد على الله ثم على أنفسهم.

٥- دافع التملك :

وهو من الدوافع الهامة التي تدفع بالإنسان إلى العمل والكفاح، ومن السبل الناجحة التي ينبغي على الأسرة مراعاتها عند إشباع ذلك الدافع في نفوس أولادها، الكسب الحلال، والتملك المشروع من غير ظلم أو غش أو خداع أو ربا، وهذا مانادى به الإسلام، كما في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾ (النساء : ٢٩). والإسلام وجه التملك ليكون من أجل قضاء حاجات الإنسان من المأكل والمشرب والملبس والمسكن والمركب، ثم من أجل العمل المزيد للكسب من أجل الإنفاق على الفقراء والمحتاجين، وعلى الأسرة أن تحفز أولادها للإنفاق ولنيل رضى الله، ولإقامة المشروعات الخيرية، على أساس أن خير الناس أنفعهم للناس كما قال الرسول ﷺ «خير الناس أنفعهم للناس »(١٣٧).

٦- دافع الجنس :

وهو من أهم الدوافع البارزة في مرحلة البلوغ، وأكثر الدوافع المسيطرة على سلوك الفرد ، وهو من أهم مايواجه الآباء والأمهات من المشكلات في تربية أولادهم في هذه المرحلة، وأصبح إشباع ذلك الدافع بطرق غير مشروعة في وقتنا الحاضر من أهم ماتعاني منه المجتمعات من تفسخ في الأخلاق، وانحطاط في القيم بين صفوف

البالغين ، حيث انتشر الزنى بصورة مرعبة لدى كثير من المجتمعات، حيث ورد في تقرير منظمة الصحة العالمية عام ١٩٧٦م بأن عدد حالات الإجهاض الجنائي في العالم يقدّر «بخمسة وعشرين مليون طفل في كل عام»(١٣٨) ، وقد ذكرت مجلة «التايم» الأمريكية في عددها الصادر ٦ أغسطس ١٩٨٤م أن الرقم «قد ارتفع إلى خمسين مليون حالة إجهاض جنائي سنوياً في العالم وأن أكثر من نصف هذه الحالات تتم في العالم الثالث»(١٣٩).

ولم يقتصر الأمر في إشباع تلك الغريزة على اتصال الرجال بالنساء عن الطريق غير المشروع، بل وصل الأمر إلى حالة الشذوذ الجنسي وهو «اللواط» و «السحاق».

وقد أشار أحد الباحثين إلى أن «عدد الشاذين في الولايات المتحدة الأمريكية يبلغون ١٧ مليون ويقدّرهم بعض الباحثين الآخرين بعشرين مليوناً، وهناك معابد وكنائس خاصة في الولايات المتحدة تقوم بتزويج الرجال بالرجال والنساء بالنساء»(١٤٠).

والشيء المرعب حقاً أن بعض المجتمعات لم تكتف بانتشار الزنى واللواط والسحاق بل تعدى الأمر إلى الهجوم على الأطفال الأبرياء، حيث «يقدر عدد الأطفال الذين يواجهون اعتداءات بدنية وجنسية في الولايات المتحدة بمليون وستمائة ألف طفل سنوياً .. وأن خمسمائة طفل يباعون إلى محلات الدعارة في كل أسبوع في تايلند»(١٤١).

كما وصل الشذوذ في بعض المجتمعات إلى أمر يثير أقصى درجات الاشمئزاز والاحتقار وهو وطء المحارم، حيث يقول بعض الباحثين في أمريكا «إن جميع الاتصالات الجنسية مفيدة ولو كانت بين الأب وابنته أو ابنه وبين الأم وابنها، وبين الأخ وأخته»(١٤٢).

وأصبح نكاح المحرمات كما يقول بعض الباحثين: «لم يعد نادر الحدوث وإنما هو منتشر لدرجة يصعب تصديقها، فهناك عائلة أمريكية من كل عشرات يمارس فيها هذا الشذوذ»(١٤٣).

ولا تقتصر أضرار هذه الغريزة -إذا أطلق لها العنان بدون ضوابط تتحكم في إشباعها- على تفسخ الأخلاق وانحطاط القيم، وزعزعة الأمن في المجتمع، وفقد الأمن والاطمئنان به، لاتقتصر على ذلك فحسب، بل تؤدي إلى انتشار العديد من الأمراض التي باتت تهدد البشرية في وقتنا الحاضر وسيعمد الباحث إلى توضيح ذلك في الفصل اللاحق.

من العرض السابق يتضح للآباء والأمهات مدى خطورة تلك الغريزة الجنسية على سلوك الأولاد ، فالدافع الجنسي أو «الغريزة الجنسية» كما نلمحها في الآية الكريمة: ﴿زُيِّن للنَّاس حبُّ الشَّهوات من النِّساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذَّهب والفضَّة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدُّنيا واللّه عنده حسن المآب﴾ (آل عمران : ١٤)، هذه الآية تشير إلى أن الفطرة الجنسية وحب النَّاس لها أقوى وأشد من حبِّهم للبنين والمال، فبدأت الآية بها قبل ذكر البنين والمال، وقد فسَّر ابن كثير هذه الآية، فقال: «يخبر تعالى عما زين للنَّاس في هذه الحياة الدنَّيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين، فبدأ بالنِّساء لأن الفتنه بهن أشد»(١٤٤).

والذي يهم الباحث في الدرجة الأولى في هذا المقام هو إبراز الأساليب والخطوات التي تعين الآباء والأمهات على تهذيب الدافع الجنسي عند الأولاد، والسمو به، وإشباعه بالطرق المشروعة، وفق التوجيهات الإسلامية، وعندما يتناول الباحث معالجة هذا الموضوع بتوسع فذلك راجع إلى حساسية الموضوع، كما أشار إليه الباحث قبل قليل من جهة، وتمكين الأسرة من أن تستفيد من تلك الأساليب والخطوات في معالجة الدوافع السابقة بشكل أوسع من جهة أخرى.

أساليب ووسائل التربية الجنسية :

١- الإهتمام بتنمية الوازع الديني:

يعد الدين من أهم العوامل الرئيسة في ضبط انفعالات الأولاد ودوافعهم، وفي مقدمتها الغريزة الجنسية، وهو من أهم الوسائل الناجعة في تهذيب تلك الدوافع وتوجيهها، وبقدر مايهتم الآباء والأمهات بهذا الجانب تكون النتائج الايجابية التي يحققونها، وبالتالي يصبحون أكثر خشية من ارتكاب الفواحش، وأكثر اندفاعاً في عمل الخيرات، وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ إنّ الّذين هم مّن خشية ربّهم مّشفقون. والّذين هم بآيات ربّهم يؤمنون. والّذين هم بربّهم لايشركون والّذين يؤتون ما أتوا وّقلوبهم وجلة أن ّهم إلى ربّهم راجعون. أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾(المؤمنون : ٥٧-٦١). والإيمان يعد أفضل حصانة يحصّن بها الأولاد ضد ارتكاب الفواحش ما ظهر منها ومابطن، وهذا مايؤكده رسول الهدى ﷺ في قوله: «لايزني العبد حين يزني وهو مؤمن، ولايسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب حين يشرب وهو مؤمن، ولايقتل وهو مؤمن»(١٤٥). ولعل في موقف يوسف عليه السلام الدليل القاطع للآباء والأمهات وعموم المربين على أن الإيمان هو خير حصن للأولاد من الوقوع في الرذائل. ونخص بالذكر رذيلة الزنى، حيث كان يوسف عليه السلام في ريعان شبابه، وراودته امرأة ذات حسن وجمال، وهيأت له سبل ارتكاب الفاحشه، وأمّنت له ذلك، وأحكمت تغليق الابواب جيداً، كما حكى القرآن الكريم: ﴿وراودته التي هو في بيتها عن نّفسه وغلّقت الأبواب وقالت هيت لك﴾(يوسف:٢٣)، وكان إيمانه القوي هو الذي حال بينه وبين ارتكاب الفاحشة على الرغم من توفر السبل أمام الشاب يوسف عليه السلام لإشباع شهوته الجنسية، قال تعالى: ﴿قال معاذ اللّه إنّه ربي أحسن مثواي إنه لايفلح الظالمون﴾(يوسف : ٢٣)، ولم تقف عزيمة يوسف عند حد رفض دعوة امرأة له ذات حسن وجمال، بل إنه في حالة رفضه مطلبها سوف يطرد من نعيم القصر، ويحرم من المتع الكثيرة، ويودع في السجن. ومع هذا كله امتنع أشد الامتناع، واختار السجن على ذلك، قال تعالى: ﴿ولئن لم

بفعل مّا أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين، قال ربّ السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه﴾ (يوسف : ٣٢-٣٣)، ويقول أحد المفسرين إن عمل يوسف هذا «في غاية مقامات الكمال إنه مع شبابه وجماله وكماله تدعوه سيدته وهي امرأة عزيز مصر وهي مع هذا في غاية الجمال والمال والرياسة ويمتنع من ذلك ويختار السجن على ذلك خوفاً من اللّه ورجاء ثوابه»(١٤٦).وبجانب ذلك أنه لايملك بيتاً ولا مأوى يلتجئ إليه إذا طرد من هذه النعمة ومع كل ذلك رفض هذا الطلب بكل إباء وإعزاز.

ب) تنمية دافع الحياء عند الأولاد :

وهذا الدافع موجود في الطبيعة البشرية، ويزداد وضوحاً في هذه المرحلة - مرحلة البلوغ- حيث قرّر العديد من المربين «أنه يقترن ظهور غريزة الحياء بظهور غريزة الجنس في هذه المرحلة»(١٤٧). وقد أشار الحق سبحانه إلى هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿فلمّا ذاقا الشّجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنّة﴾(الأعراف : ٢٢)؛ بل إن الرسول ﷺ جعله من الإيمان في قوله : «الحياء من الإيمان»(١٤٨)، وقد اتصف به فكان «أشد حياء من العذراء في خدرها»(١٤٩) وفي تعليق ابن حجر على هذا الحديث مايشير إلى أن الحياء نوعان «غريزي ومكتسب» حيث قال: «وكان النبي ﷺ قد جمع له النوعان فكان في الغريزي أشد حياء من العذراء في خدرها وكان في الحياء المكتسب في الذروة العليا»(١٥٠).ومن فضل اللّه أن درجة الحياء تزداد لدى البالغ أكثر من المراحل السابقة لتكون وقاية للشاب البالغ.

والحياء له آثاره الجيدة على سلوك الإنسان وتصرفاته ، كما يقرر أحد الباحثين (١٥١) بأن «الحياء يقتضي الخجل من اللّه أن يفعل الإنسان الرذائل، والخجل من النّاس مما يستنكره النّاس ثم الخجل من نفسه، من ضميره الأدبي، أن يفعل أمراً يرفضه قلبه وضميره ولهذا قال الرسول: «إذا لم تستح فاصنع ماشئت»(١٥٢).

ولهذا ينبغي على الآباء والأمهات استغلال ذلك الدافع وتنميته منذ ظهوره، وقد أكد الإمام الغزالي أهمية ذلك في ميدان التربية الأخلاقية وقال: «مهما رأى -

المربي – فيه مخايل التمييز فينبغي أن يحسن مراقبته، وأول ذلك ظهوراً أوائل الحياء فإنه إذا كان يحتشم ويستغنى ويترك بعض الأفعال فليس ذلك إلا لإشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الأشياء قبيحاً ومخالفاً للبعض، فصار يستحي من شيء دون شيء وهذه هداية من الله تعالى وبشارة تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبي المستحي لاينبغي أن يهمل بل يستعان على تأديبه بحيائه »(١٥٣).

ومن الأساليب التي ينبغي على الأسرة اتباعها في تنمية هذا الجانب الابتعاد عن كثرة اللوم والشتم، على أدنى بادرة تحدث من الولد، فإن كثرة اللوم والشتم الزائدين يعملان على هتك حيائه ويجعلانه لايبالي بالحياء، ويجب أن يشجع على كل بادرة حسنة، وهذا ما أكده الإمام الغزالي في قوله: «ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه بما يفرح به، ويمدح بين أظهر النّاس، فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه، ولايهتك ستره ولايكاشفه ولايظهر له أن يتصور أن يتجاسر أحد على مثله، ولاسيما إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه »(١٥٤).

ج) تنمية روح التسامي والاستعلاء على الدافع الجنسي (العفّة):

وهذا الأسلوب من انجح الأساليب لإصلاح نفوس الأولاد، وإحصان فروجهم لمن لم يتيسر لهم سبل الزواج، وقد أكّدته التربية الإسلامية في أكثر من موطن.. كما في قوله تعالى: ﴿وليستعفف الّذين لايجدون نكاحاً حتى يغنيهم اللّه من فضله﴾ (النور : ٣٣). وكذلك الشأن بالنسبة للنساء، قال تعالى: ﴿والقواعد من النّساء اللّاتي لايرجون نكاحاً فليس عليهنّ جناح أن يضعن ثيابهنّ غير متبرجّات بزينة وأن يستعففن خير لّهنّ﴾(النور : ٦٠).

ويقرر اليوم كثير من العلماء ماسبق للإسلام تقريره في جعل العفّة خير وسيلة للتغلّب على العديد من المشكلات الجنسية، حيث يقول أحد الباحثين: «تعتبر

العفّة من الناحية النظرية الصرفة أفضل حل للمشكلات الجنسية التي تهدد العزاب»(١٥٥)، وقد ذكر «وليم مكدوجل» في هذا الجانب أن «الوسيلة الوحيدة التي تستطيع بها أن تحقق لنفسك ، عن طريق الغريزة الجنسية، متعة أكبر مما تسبب لك ضيقاً وحرجاً، هي أن تأخذ هذه الغريزة مأخذ الجد فتسيطر عليها وتوجهها وتعليها فبذلك تصبح لها سيداً لاعبداً»(١٥٦).

وعلى الآباء والأمهات أن يدركوا أن العفّة المطلوب تنميتها في نفوس الأولاد هي العفّة الناتجة عن التسامي والاستعلاء ، لا العفّة الناتجة عن الكبت لأن «من يعف مكبوتاً ، أي الذي يريد أن يمارس الفاحشة لكنه لايستطيع ذلك لخوفه من العار أو لعدم تيسر السبيل إلى ذلك ومن ثم يضيق، ويشعر بالكآبة وبين من لايريد الفاحشة تسامياً عليها ولشعوره بالاستعلاء عليها فهذا لايجعله يضيق من عدم فعله الفاحشة»(١٥٧).

ومن الأساليب والطرق المهمة التي تعين الأسرة على تنمية روح التسامي والاستعلاء على الدافع الجنسي تقوية الوازع الديني في نفوس البالغين، وتذكيرهم بالأضرار المترتبة عن الاتصال الجنسي غير المشروع، سواء الأضرار الفردية، أو الأضرار الاجتماعية وضرب الأمثال لهم وإخبارهم بالقصص الهادفة، ويأتي في مقدمتها قصة يوسف عليه السلام، وتوضيح قيمة العفّة لهم في حياة الإنسان ومنافعها.

د) منع ما قد يثير الدافع الجنسي عند البالغين:

من الأمور التي ينبغي على الآباء والأمهات مراعاتها كي لاتكون سبباً في إثارة دوافع أولادهم مايلي:

١- عدم التبرج، فالفتاة عندما تظهر مفاتنها أمام الشباب فإنها تثير دافع الجنس عندهم، وبالتالي قد يرتكب الشاب الفاحشة بسبب ما أفتتن به من مفاتن الفتاة، وتحاشياً لمثل ذلك فقد منع الإسلام التبرج، كما في قوله تعالى: ﴿ولا تبرّجن تبرّج

الجاهليّة الأولى﴾ (الأحزاب : ٣٣). ولمواجهة ذلك ينبغي على الآباء والأمهات تدريب الفتاة على الحشمة والتستر، وعدم إبداء شيء من زينتها والتعود على الحجاب، والأسرة عندما تطبق ذلك إنما تعمل بتعاليم نهج الإسلام، كما في قوله تعالى: ﴿يا أيّها النّبيّ قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهنّ من جلا بيبهنّ ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين﴾(الأحزاب : ٥٩)، وأن لاتخرج الفتاة من منزلها إلا عند وقت الحاجة ، وأن تُربي على التزام البيت، قال تعالى : ﴿وقرن في بيوتكنّ﴾ (الأحزاب : ٣٣)، وفي ذلك إحصان لها.

٢- غض البصر : النظر من أهم العوامل التي تهيج الشهوة عند الفتى والفتاة، وهو أول وسيلة من وسائل الاتصال الجنسي غير المشروع، وهو اللغة الأولى بين العاشق ومعشوقته، ولتربية هذا الجانب، فقد نادى الإسلام بغض البصر، قال تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إنّ اللّه خبير بما يصنعون. وقل للّمؤمنات يغضضن من أبصارهنّ ويحفظن فروجهنّ ولايبدين زينتهنّ إلاّ ما ظهر منها وليضربن بخُمُرهنّ على جيوبهنّ﴾ (النور : ٣٠-٣١)، ومن الأساليب التي تسهم في غض البصر عند الأولاد تنمية وتشجيع الحياء عندهم، وكذلك الغيرة، وتبين عظم مكانة العرض ، وغرسها في نفوس الأولاد مع ضرب الأمثلة لهم، وأن تهتم الأسرة بلبس الحشمة والتستر عند البنات حتى لايعرفن، وحتى لايكن محط أنظار السوء.

٣- عدم الخضوع بالقول: إن بعض العبارات اللطيفة، وخاصة الصادرة من الفتاة من العوامل التي تثير الغريزة الجنسية عند الأولاد، ولهذا تشير التربية الإسلامية إلى هذا الجانب كما في قوله تعالى: ﴿فلا تخضعن بالقول فيطمع الّذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفا﴾ (الأحزاب : ٣٢)، وعلى الآباء والأمهات أن يربوا بناتهم على العزم والإعراض عند مقابلة الرجال، وتحويل الوجه والنظر عنهم، وأن لاتنخدع الفتاة بابتسامة الشاب الفاسق، أو لين كلامه، أو تقديمه خدمة لها أو إظهار حب خادع، وأن يبيّنوا لبناتهم قيمة العفّة ومفخر الفتاة بها، وإهانتها ومذلّتها في حالة فقدانها ذلك، ثم يوضحوا للفتاة أن الشاب الفاسق مايريد من الأفعال التي سبق ذكرها إلا

هتك شرفها، وجعل حياتها بعد ذلك حياة بؤس وشقاء.

٤- تربية البنات على عدم إبداء أية حركة مثيرة للشهوات: ينبغي أن ينشىء الآباء والأمهات الفتيات على عدم إظهار مفاتنهن وقد سبق الحديث عن ذلك، ولكن هذا الجانب يتناول الحركة التي تثير الدوافع الجنسية عند البالغين، وقد يدفع ذلك إلى السقوط في الرذائل، وتكون الفتاة هي المسئولة عن سقوط الشاب، وتكون سبباً للفساد وهذا ماتنصح به التربية الإسلامية، كما في قوله تعالى: ﴿ولا يضربن بأرجلهنّ ليعلم مايخفين من زينتهنّ﴾ (النور : ٣١).

٥- حفظ الأولاد ذكوراً وإناثاً من وسائل الإعلام المفسدة التي تدعو إلى إثارة الغريزة الجنسية ولعلّ هذه المشكلة من أهم ماتواجه الأسرة في وقتنا الحاضر، نظراً لكثرة المجلاّت والصور والأفلام والمسارح ودور السينما وغيرها مما يدعو إلى ذلك، ومن الأساليب التي تعين الأسرة في تربية هذا الجانب محاربة كل ما يتصل بذلك، ومنع دخوله إلى المنزل، وأن يعمد الآباء والأمهات إلى الملاحظة المستمرة لمدى ما تتمتع به الكتب والمجلات والصحف والأفلام التي تكون بحوزة أولادهم من نزاهة وسلامة من الإفساد، وعليهم أن يساهموا ويشجعوا أولادهم لاقتناء الأشياء المفيدة من ذلك، وأن يتأكدوا من نزاهة النوادي والأماكن التي يرتادها الأولاد.

٦- تدريب الأولاد على الاستئذان عند دخول البيوت، ومراعاة الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المرء حسب القيم الإسلامية، مثل الاستئذان والاستئناس والتسليم قبل دخول البيوت، كما ورد في قوله تعالى: ﴿يا أيّها الذّين آمنوا لاتدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتّى تستأنسوا وتسلّموا على أهلها ذلكم خيرلكم﴾ (النور : ٢٧)، فإذا كان هذا الخلق ينبغي أن يتطبع به الأولاد عند الدخول في بيوت الغير، فإنه في الوقت نفسه ينبغي أن يتطبع به الأولاد عند الدخول على الوالدين وخاصة في أوقات راحتهما، تجنباً لما يمكن أن تقع عليه عيونهم من عوراتهما، وهذا مانلمحه في قوله تعالى: ﴿يا أيّها الذّين آمنوا ليستأذنكم الذّين ملكت أيمانكم والذّين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرّات مّن قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم مّن الظّهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لّكم﴾ (النور : ٥٨)، وهذه الآية تكشف للآباء والأمهات أمراً هاما يجب

مراعاته لما له من تأثير كبير على التربية الجنسية عند الأولاد، وهو التعود على التستر أمام الأولاد، وأخذ الحيطة والحذر من عمل أي فعلة أو حركة أمامهم تشير إلى ما يفعله الزوج مع زوجته، وعلى الوالدين أن يطبقا تعاليم الرسول ﷺ في هذا الجانب، وإلا أصبحا مصدر قلق وإزعاج وتهيّج للغريزة الجنسية عند الأولاد، ومن تلك التعاليم ما رُوي عن معاوية: «قال قلت يارسول الله، عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال احفظ عورتك إلا من زوجك أو ما ملكت يمينك»(١٥٨).

٧- حماية البالغين من قرناء السوء: سبق أن أشار الباحث إلى أن للرفقة في هذه المرحلة أثر كبير على سلوك الأولاد، وإذا كانت الرفقة رفقة سوء فإنه لامحالة أن يؤدي ذلك إلى تحلل أخلاق الأولاد، وإلى الانزلاق في متاهات الرذيلة والفحشاء، ومن بينها الاتصال الجنسي غير المشروع. وهذا مايؤكده حديث المصطفى ﷺ : «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»(١٥٩). ولهذا يجب على الأسرة حماية أولادها من مصاحبة أهل الهوى والضلال وأن تعمد إلى إبعادهم عن أية علاقة تتكون بينهم وبين أولادها، وأن تحمل أولادها على إقامة علاقات مع أهل التقى والصلاح، وهذا من توجيهات الإسلام القيمة نجدها في مواطن كثيرة، فمنها مثلاً قوله تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولاتعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً﴾ (الكهف : ٢٨)، ومنها حديث الرسول ﷺ : «مثل الجليس الصالح والسوء، كحامل المسك ، ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة»(١٦٠).

٨- حماية البالغين من السفر إلى بلاد تبيح الجنس، كثير من المجتمعات الغربية والشرقية تبيح الجنس، وتسمح به، وتنظمه بقوانين ولوائح، وقد تدعو إليه، وبالتالي فإن سفر الأولاد بمفردهم في مرحلة البلوغ من دون ضرورة تستدعي ذلك من أشد العوامل تهيّجاً لدوافعهم الجنسية، وجرّهم إلى ارتكاب الفاحشة، لأن قوة تحكّمهم في دوافع شهواتهم تضعف أمام المغريات، والشاهد على ذلك ماتشير إليه

القاعدة الفقهية: «كل تصرّف جرّ فساداً أو دفع صلاحاً فهو منهي عنه»(١٦١). ومن باب سد الذرائع «فوسيلة المحرّم محرّمة ووسيلة الواجب واجبة»(١٦٢)

٩- التفريق بين الأولاد في المضاجع : لايجوز أن ينام الأولاد على فراش واحد من بداية هذه المرحلة -مرحلة البلوغ- لأن في ذلك مدعاة لإثارة دوافعهم الجنسية، والأسرة وهي تطبق ذلك على أولادها، إنما تنفذ تعاليم تربية نبيها محمد ﷺ : «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرّقوا بينهم في المضاجع»(١٦٣).

١٠- المحافظة على عدم إختلاط الأولاد بالبنات الأجنبيات: ينبغي على الأسرة أن تحرص الحرص كله بأن لاتدع فرصة للاختلاط، كما ينبغي على الأسرالتي أجبرتها الظروف لاستخدام الخدم بالمنازل أن لاتدع فرصة الخلوة تحدث بين الأولاد والخدم، وخاصّة بين الذكور والخادمات، والإناث والسائقين.

والغريب في حياتنا المعاصرة أنه شاع في أوساط العديد من الأسر كثرة الخدم ذكوراً وإناثاً، وكلا الصنفين لهما خطورتهما البالغة، نظراً لاختلاط الأولاد بالخادمات في المسكن، واختلاط الفتيات بالسائقين في السيارة، وقد يحدث وبأيسر السبل إختلاء الأولاد بالخدم، فإن حدث مثل ذلك فإنه لامحالة سيؤدي إلى تفسخ الأولاد وانحلال خلقهم. وقد أوضحت بعض الدراسات الميدانية في منطقة الخليج إلى أن كثر المستقدمات من الخادمات غير المسلمات بلغت نسبتهن حوالي ٦٠٪ إلى ٧٥٪، وعدد كبير منهن ينتمي إلى ديانات غير سماوية، تقدّس الأوثان، وتعبد الأبقار.. والغريب أن حوالي ٥ر٩٧٪ منهن يمارسن طقوسهن الدينية حسب الأديان والمعتقدات التي ينتمين إليها ويؤمن بها، كما تشير إلى خطورة هذا الصنف من الخادمات على النشء»(١٦٤). كما كشفت الدراسة أيضاً أن: «المجتمعات التي ينتمي إليها ٦ر٥٨٪ من المربيات الأجنبيات تحبذ وتفضل إقامة العلاقات العاطفية والجنسية قبل الزواج»(١٦٥). وعلى الأسرة أخذ الحيطة والحذر من عدم ترك أولادها البالغين مع الخادمات في المنزل وحدهم ، أو السماح لبناتها البالغات بالذهاب مع السائق إلى

المدرسة، أو المستشفى، أو الأسواق، وحدهن وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك بقول «لايخلونّ رجل بامرأة إلا مع ذي محرم»(١٦٦).

هـ) صرف الطاقة الغريزية عند الأولاد في مناشط بناءة:

الدافع الجنسي طاقة، ويعد صرف هذه الطاقة في المناشط البناءة، من الوسائل الفعّالة في التربية الجنسية للأولاد، ويود الباحث أن يشير إلى بعض منها في النقاط الآتية لتكون نبراساً للأسرة في تربية أولادها :

١- صرفها في بعض العبادات ، إذ إن العبادة من أهم الوسائل الناجحة في امتصاص الطاقة الجنسية عند الأولاد، ويأتي في مقدمة تلك العبادات ، الصوم، كما يشير إليه مربي هذه الأمة محمد ﷺ في قوله: «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»(١٦٧)، وذلك لما في الصوم من جوع ومشقة وهذا يؤدي إلى نفاذ طاقة جسدية وبالتالي يضعف الطاقة الجنسية، وكذلك بعض العبادات. وبجانب كون العبادة مصرف جيد للطاقة الجنسية فهي تحفظ أيضا هذه الطاقة من صرفها في طرق الحرام لقوله تعالى: ﴿إنّ الصّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾(العنكبوت : ٤٥).

٢- صرف الطاقة الجنسية في أعمال إيجابية. ومن الأعمال التي ينبغي على الآباء والأمهات صرف طاقات أولادهم فيها مذاكرة الدروس، وتحفيزهم إلى المزيد من المطالعة وطلب العلم لأهداف عليا؛ وإسناد بعض الأعمال المنزلية إليهم، وتعويدهم على بعض أساليب الرياضة، وتوجيههم إلى خدمة الناس والمجتمع لغاية سامية.

٣- تحاشي تقديم المأكولات المقوية للجنس عند الأولاد. ذلك أننا نعلم أن الغذاء يمد الإنسان بالطاقات المختلفة، وإذا كان البحث عن تصريف الطاقة الجنسية جزءاً من التربية الجنسية ، فإنه من باب أولى أن تهتم الأسرة بالأغذية التي لا تؤدي إلى زيادة الطاقة الجنسية عند الأولاد، وأن تكون كمية الأغذية ونوعها مناسبين لحالة الأولاد، مع مراعاة الاعتدال وتجنب الإفراط، وذلك تمشياً مع حديث الرسول القائل:« ماملأ آدمي وعاء شراً من بطنه بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لامحالة،

فثلث لطعامه وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»(١٦٨).

٤- شغل أوقات فراغ الأولاد بالأنشطة البناءة. يشير أحد الباحثين إلى: «أن الفراغ مفسد للنفس، مفسد للطاقة المختزنة بلا ضرورة، وأول مفاسد الفراغ هو تبديد الطاقة الحيوية لملء الفراغ! ثم التعود على العادات الضارة التي يقوم بها الإنسان لملء هذا الفراغ»(١٦٩). وليس القصد بملء الفراغ هنا أن يكون وقت الأولاد كله عملاً وجهداً متواصلاً، فهذا جانب قد سبق الحديث عنه وإنما القصد هنا الوقت الذي يزيد عن أوقات العمل، أو بمعنى أخر وقت الترويح عن النفس لأن الطبيعة البشرية ليس في مقدورها العمل المتواصل دون راحة، وقد أقرّ الإسلام هذا المبدأ، لقول رسول اللّه: «إن لكل شيء شرّة، ولكل شرّة فترة، فإن صاحبها سدّد وقارب فارجوه، وإن أشير إليه بالأصابع، فلا تعدوه»(١٧٠)، وقال رسول اللّه: «خذوا من العمل ما تطيقون فإن اللّه لايمل حتّى تملّوا»(١٧١).

ومن بين الأشياء التي تريح الجسد والنفس السمر البرئ مع الأسرة والأصدقاء، وكذلك اللعب الهادف الذي يعد وسيلة من وسائل الاستعلاء على الغرائز ، يقول أحد الباحثين إن: «الإنسان لايمكن أن يتخلص نهائياً من ميوله للقسوة أو الرذيلة، ولكنه عن طريق اللعب يتمكن من أن ينفّس عن هذه النزعات الضارة، وفي الوقت نفسه يمكنه عن طريق اللعب إعلاء هذه النزعات إلى أخرى ذات قيمة خلقية»(١٧٢). ومن الخطأ أن تنظر الأسرة إلى اللعب بأنه ضياع للأولاد ولافائدة منه، حيث أخذ اللعب في وقتنا الحاضر بعداً مغايراً عما كان عليه في السابق عند معظم علماء التربية إذا كان مرسوماً ومحدداً، حيث يقول أحد الباحثين: «وليس من المبالغة أن نقول إننا إذا فهمنا طبيعة اللعب استطعنا أن نحل جميع المشكلات العملية في التربية... وإننا لنخطيء أشد الخطأ إذا تصورنا أنه ليس للعب الترفيهي ولا للاستجمام أي هدف سوى التخلّص من أعباء الحياة الواقعية ومتاعبها»(١٧٣). لهذا ينبغي على الأسرة أن تشغل أوقات فراغ أولادها بأي نوع من أنواع الترويح البري، ولاتترك حياة أولادها فراغاً يشغله الشر والفساد والنفس الأمّارة بالسوء، والأسرة

حينما تفعل ذلك إنما تعمل بتوجيهات مربي هذه الأمّة محمد ﷺ القائل: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»(١٧٤).

ومن تلك الأمثلة في الترويح والأنشطة في التربية الإسلامية ماذكره أحد الباحثين مدعماً أقواله بالأدلّة من السنّة المطهرة، وهي كمايلي:-

١- السباق على الخيول
٢- السباق على الأبل
٣- الجري
٤- الرمي
٥- حفر الخنادق وفتح الطرق
٦- بناء المساجد
٧- ذكر بعض القصص والأحاديث
٨- استماع الشعر
٩- إنشاد الرجز
١٠- الخطابة والموعظة
١١- طرح المسائل، والمسابقات العلمية.
١٢- المصارعة
١٣- المزاح
١٤- الصيد
١٥- المؤاخاة.(١٧٥)

و) إشباع الدافع الجنسي بالزواج المشروع:

يعد الزواج الطريقة المشروعة لإشباع الدافع الجنسي، إذ أن البدن يهدأ به من الاضطراب، وتسكن النفس من الصراع، ويكف النظر عن كثرة التطلع إلى الحرام، وهو خير وسيلة لإحصان الشباب والشابات في الوقوع في الفاحشة، وهذا ما أشارت

إليه الآية التالية: ﴿ومن آياته أن خلق لكم مّن أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة﴾ (الروم : ٢١). وقد ذكر ابن القيم ما في الجماع المباح من فوائد فقال: «ومن منافعه غض البصر وكف النفس والقدرة على العفّة عن الحرام»(١٧٦). ولهذا ينبغي على الآباء والأمهات أن يشجعوا أولادهم على الزواج، وأن يحببوا إليهم ذلك وأن يوضحوا لهم أهميته وفوائده، والأسرة وهي تقوم بذلك إنما تطبق تعاليم الرسول الذي حثّ الشباب على الزواج وشجعهم عليه وأكّد دعوتهم إليه عندما قال: «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»(١٧٧).

وعلى الآباء والأمهات أن يقدموا العون والمساعدة في زواج أولادهم، لأن الأموال التي تنفق في هذا الجانب تعد من القربات إلى الله، وأن يراعوا تخفيض المهور، وتيسير الزواج، وتخفيض نفقاته، التي أصبحت عائقاً عن الزواج أمام العديد من الشباب في وقتنا الحاضر لدى معظم المجتمعات الإسلامية، وذلك تمشياً مع توجيهات الرسول في هذا الجانب حيث قال: «خير النكاح أيسره»(١٧٨).

وعلى الآباء والأمهات أن يجعلوا شروط الزواج ميسرة، ويتركوا الشروط القاسية، كأن يطلبوا الزوج بصاحب الثروة أو الجاه أو الذي يحمل شهادة أو من أسرة فلان، وعلى الأسرة أن تهتم بشرطين جوهريين في تزويج الأولاد هما: الدين والخلق، وماعداهما ينبغي على الأسرة أن لاتكثر الاهتمام به، وهذا ما أشار إليه حديث الرسول ﷺ عندما قال : «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، أن لاتفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد»، قالوا يارسول الله، وإن كان فيه؟ قال: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه» - ثلاث مرات»(١٧٩).

وقبل الانتهاء من هذا الموضوع يود الباحث أن يوجه أنظار الآباء والأمهات بالنسبة لبعض الأولاد الذين لم تجد في تربيتهم الجنسية الأساليب السالفة الذكر، ولم تستطع أسرهم تزويجهم، أو لم يستطيعوا تزويج أنفسهم، ويكونون مغلوبين على شهواتهم الجنسية، وتخاف أسرهم عليهم من الوقوع في الفاحشة، فإنه قد يكون

الاستمناء باليد (العادة السريّة) حلاً مؤقتاً لمشكلة قد تجر جرماً عظيماً، وقد ذهب ابن القيم إلى إباحة ذلك لمن كان على مثل هذه الحالة، فقال: «وإن كان مغلوباً على شهوته يخاف العنت كالأسير والمسافر والفقير جاز له ذلك»(١٨٠). وهذا ماذهب إليه الأحناف، فقد قالوا: «إنّه يجب الاستمناء إذا خيف الوقوع في الزنى بدونه، جرياً على قاعدة: «إرتكاب أخف الضررين»، وإنه يحرم إذا كان لاستجلاب الشهوة وإثارتها»(١٨١). وقال الحنابلة : «إنه حرام، إلا إذا استمنى خوفاً على نفسه من الزنى، أو خوفاً على صحته، ولم تكن له زوجة أو أمة، ولم يقدر على الزواج ، فإنه لاحرج عليه»(١٨٢).

الوظيفة السادسة: تنمية العاطفة الأخلاقية والاجتماعية عند البالغين:

قبل الحديث عن أهمية العاطفة الأخلاقية والاجتماعية وطريقة تنميتها، يود الباحث أن يوضح معنى العاطفة، فالعاطفة عبارة عن «اتجاه وجداني نحو موضوع بعينه، مكتسبة بالخبرة والتعليم»(١٨٣)، ويعرفّها البعض الآخر بأنها: «استعداد عقلي مكتسب يرتبط بموضوع، ويؤدي إلى دفع الكائن الحي للقيام بأنواع من السلوك ترتبط بهذا الموضوع»(١٨٤).

وعلى ضوء التعريفات العامة للعاطفة، يعرف الباحث العاطفة الأخلاقية بأنها عبارة عن استعداد نفسي يتقوى ويترسخ بالاكتساب حول القيم الأخلاقية، ويربط أفعال المرء وأقواله بتلك القيم، ولكي تكوّن الأسرة في نفوس أولادها عاطفة أخلاقية إسلامية ينبغي أن تنمى ذلك الاستعداد على ضوء القيم الأخلاقية الإسلامية بأن تولّد في نفوسهم حب الفضائل التى دعا إليها الإسلام، وكره الرذائل التى نهى عنها الإسلام.

وتنمية العاطفة الأخلاقية جزء من التربية الأخلاقية الاجتماعية، ذلك أنها لاتتم إلا بها، لأنها تؤثر في مكونات شخصيات الناشئين، وكذلك في سلوكهم وتصرفاتهم وأنشطتهم، ومواقفهم واتجاهاتهم، ونظرتهم إلى الحياة، وتكيفهم مع

ظروفهم المختلفة، وقد أكّد أهمية ذلك في ميدان التربية الأخلاقية العديد من المتخصصين، حيث أشار أحد الباحثين إلى: «أن العواطف الثابته تعطي الحياة الوجدانيه نظاماً واتساقاً ثابتاً نحو أهداف الذات، وأن عاطفة قوية لهي كافية لتحديد نشاط الفرد واتجاهاته في حياته»(١٨٥). لهذا فإن تربية الأولاد خلقياً «ليست من الأمور التي يمكن فصلها عن النمو العاطفي، فالأخلاق تقوم في جوهرها على عدد من الاتجاهات العامة والعادات اليومية التي تيسر للأنسان التفاعل في بيئته وفي حياته مع نفسه ومع الناس»(١٨٦).

أما الطرق والأساليب التي تعين الأسرة على تكوين العاطفة الخلقية عند الأولاد، فقد أشار بعض الباحثين إلى أن التربية الأخلاقية العاطفية تتم عن طريق «تكوين عناصر العاطفة الأخلاقية وأهم هذه العناصر أربعة وهي: الحب والكره والرغبة والرهبة، فالحب أساس الرغبة ، كما أن الكره أساس الرهبة، لأن الحب يولد الرغبة في العقل ويدفعه إليها والكره يولد الرهبة والزجر ويدفع إلى تجنب المكروه»(١٨٧).

ويعد الحب للفضائل والكره للرذائل المرتكزان الأساسيان في تكوين وتنمية العاطفة الأخلاقية، لأن العمل أو السلوك الذي يرتبط تكراره بخبرات سارة يكوّن عاطفة الحب لذلك السلوك، والذي يرتبط تكراره بخبرات مؤلمة يكوّن عاطفة الكره. أي ينبغي على الآباء والأمهات إبداء الإعجاب والمحبة والثناء للفضيلة والفضلاء أمام أولادهم، وإبداء الاحتقار والكره والذم للرذيلة والرذلاء أمامهم أيضاً، وهذا ما أشار إليه أحد الباحثين في قوله: «وكل عاطفة خلقية ذات قطب مزدوج، فإن كنت قد تعلّمت أن تميل إلى صفة من الصفات كالكرم فتعجب بها إلى أن تحبها، فمن المرجح أن تكون قد تعلّمت أيضاً إلى درجة ما أن تنفر من الدناءة والخسة وتحتقرها أو تكرهها، ويصدق هذا على كل زوج من الأضداد كالرقة والفظاظة والاعتدال والشراهة والتواضع والغرور والصراحة والخذلان»(١٨٨).

ومما يسهم في تنمية العواطف الأخلاقية عند الأولاد أيضا بيان ما يترتب على عمل الفضيلة من سعادة للفرد والجماعة، وما يترتب على عمل الرذيلة من شقاء وتعاسة للفرد والجماعة أيضاً، وتستخدم الأسرة في تحقيق ذلك أسلوب التشبيه والتمثيل، تشبيه الفضائل بالأشياء الحسنة الجميلة وتشبيه الرذائل بالأشياء القبيحة الممقوته وتمثيلها بالصور الذهنية والخيالية . مع بيان نتائج الدراسات العلمية عن الأمراض النفسية والجسمية الناشئة عن الانحلال الخلقي، وخسائر الدول نتيجة ازدياد الجرائم.

والعواطف الأخلاقية والاجتماعية متعددة ومتنوعة، ويود الباحث أن يوجز أهمها مع إيراد بعض الأمثلة عن توجيهها التوجيه التربوي السليم في النقاط التالية:

١- عاطفة حب الذات:

وهذه العاطفة أساس تكوين الشخصية الفردية، والاعتداد بالنفس، والاعتماد عليها، وعدم الاتكال على الآخرين، وينبغي عل الاباء والأمهات أن يعمدوا إلى ترسيخها وتعميقها في نفوس أولادهم، ولكن إذا لم توجه التوجيه التربوي السليم فإنها قد تنقلب إلى مرض نفسي، وتجعل صاحبها شديد الإعجاب بنفسه، وقد يؤدي به الأمر إلى الكذب والرياء والنفاق، والإنقاص من قدر الآخرين لكي يبرز مكانته، وقد يقوده ذلك إلى الكبرياء والغرور، وهذا مانلمحه في قوله تعالى: ﴿فلا تزكّوا أنفسكم هو أعلم بمن اتّقى﴾ (النجم : ٣٢).

ولتنمية هذه العاطفة في نفوس البالغين ، ينبغي على الأسرة أن تدفع بأولادها إلى التأمل الباطني عما يجري في داخل أنفسهم؛ أي أن تعمل الأسرةعلى تربيتهم بالحكمة القائلة «اعرف نفسك»، الذي قال عنها «وليم مكدوجل»: «هي الحكمة المأثورة التي أذاعها الحكماء من زمن بعيد كأمر بالغ الأهمية، وإن أهميتها في عصرنا الحديث هذا لأعظم منها في أي وقت مضى»(١٨٩). أي ينبغي على البالغ أن ينظر في أعماق نفسه، ويلاحظ خلجات فكره، وطبيعة رغباته واتجاهاتها، ولايقتصر

الأمر على إدراك هذه الأشياء على ماهي عليه فحسب، بل عليه أن يتعلّم كيف يقدر قيمتها من حيث هي خيّرة أو شريرة، وذلك بتنمية الحاسة الخلقية التي أودعها اللّه في نفوسنا والتي يطلق عليها «الضمير الخلقي» أو الوازع الخلقي»، الذي قال عنه «كانت»: «إن ذلك القانون الكامن في نفوسنا نسميه ضميراً، إن هذا الضمير أو الذمة أو شرف النفس كل هذه أسماء لمسمى واحد، يدفعنا ويحثنا على أن نوجه أعمالنا لتكون على مقتضاه، ولكن الضمير الذي في نفوسنا لن يكون له أثر ما في أقوالنا وأعمالنا، ولافي توبيخنا على مخالفتنا له مالم نعلم أنه يمثل فينا القوة القدسيّة الإلهية العليا، إن الذي أقام الميزان، وبث العدل في العالم، وهيأ لنا محكمة عليا يحاكمنا فيها، لم يشأ أن يتركنا في الأرض بلامحكمة تجعل لكل نفس حاكماً من داخلها»(١٩٠).

كما ينبغي على الأسرة أن تدفع بأولادها إلى التأمل في غيرهم من الناس، وتدريبهم على تقبل آراء الآخرين، ونصائحهم، وتقبّل نقدهم الهادف، والابتعاد عن التشبث بآرائهم وإكراه الآخرين على أن يستمعوا لها. وتدريب الأولاد على الإقلال من الحديث عن نفوسهم، وعن أمورهم الخاصة، وتحويل ذلك إلى الإصغاء عن أحوال الآخرين وأعمالهم، والابتعاد عن الفضول والتدخل في شئون الغير، لأن معظم الناس يفضلون أن يعملوا الأشياء بطريقتهم الخاصة.

٢- عاطفة حب الآخرين:

لاشك أن الفرد تتولد لديه عاطفة حب من يهتمون به، ويولونه الرعاية، ويلبون مطالبه، ويشبعون حاجاته، وفي مقدمتهم الوالدان. وعلى الأسرة أن تعمد إلى ترسيخ تلك العواطف في نفوس أولادها وتنميتها، وهذا يولّد في نفوسهم حبهّم لآبائهم وأمهاتهم والوفاء ببرهم، وهذا مطلب أساسي تقره التربية الإسلامية وتدعو إليه في أكثر من موطن، قال تعالى: ﴿وقضى ربّك ألاّ تعبدوا إلاّ إيّاه وبالوالدين إحساناً إمّا يبلغنّ عندك الكبر أحدهما أوكلاهما فلا تقل لهّما أفّ ولاتنهرهما وقل لّهما قولاً كريماً. واخفض لهما جناح الذّلّ من الرّحمة وقل رّبّ ارحمهما كما ربّياني

صغيراً﴾(الإسراء : ٢٣-٢٤). إلا أنه يجب أن لايقتصر مفهوم تلك العاطفة على حب الوالدين فقط بل يجب أن تشمل الأرحام والجيران وأفراد المجتمع، لكي تصبح تلك العاطفة أساساً قوياً لتلاحم المجتمع وتآزره وتكامله وتعاون الفرد معه. والأدلة من الكتاب والسنة لتنمية هذا الجانب في نفوس الأولاد عديدة منها على سبيل المثال، العاطفة نحو الأرحام، كما في قوله تعالى: ﴿قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ (البقرة : ٢١٥)، أي «اصرفوها في هذه الوجوه، كما جاء في الحديث: «أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك»(١٩١). وكذلك الشأن نحو الجار لقول رسول الله: «والله لايؤمن والله لايؤمن والله لايؤمن وقيل ومن يارسول الله قال الذي لايأمن جاره بوائقه»(١٩٢)، وأيضا نحو المجتمع لقول رسول الله: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم ، وتعاطفهم ، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(١٩٣)، كما أن الرحم ورد في هذه الآية الكريمة: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾ (محمد : ٢٢)، ويعني الرحم الشامل للبشرية لأن المخاطب بها النّاس لانتسالهم من آدم. فهناك ثلاث مستويات من العاطفة الإنسانية -كما ذكرها احد الباحثين- ينبغي على الأسرة تنشئة البالغين عليها، وهي:

(أ) عاطفة الأخوة الرحمية أو النسبية، وهي الأخوة على نطاق ضيق، وتشتمل على الذين تربطهم علاقة القرابة أو صلة الأرحام، وهـــذه الأخوة لها حقوق وعليها واجبات يجب تربية البالغين عليها، ومن واجباتها صلة الرحم، والولاية، والنفقه، والتوارث.

(ب) عاطفة الأخوة الإسلامية، وهي تشمل المسلمين جميعاً باختلاف ألوانهم وأجناسهم وهذه الأخوة أيضاً لها حقوق وعليها واجبات كذلك، ومن هذه الواجبات التعاون على البر والتقوى، وعدم التعاون على الإثم والعدوان، وكذلك المناصرة، والتواصي بالحق والتكافل والتضامن، وهناك محرمات بينهم، ومنها القتل والسرقة والاعتداء على الأعراض والظلم وإيذاء الآخرين.

(ج) عاطفة أخوة على نطاق أوسع وأشمل، وهي تشمل البشرية كلها على وجه الأرض بصرف النظر عن الجنس واللون والدين، ذلك أنهم جميعاً ينحدرون من أصل واحد، وفي ضوء هذا لايبيح الإسلام الاعتداء على أي إنسان، لا على نفسه ولا على ماله ولا على عرضه، مالم يعتد عليه.(١٩٤).

٣- عاطفة حب الحيوانات والأشياء :

تتجه عواطف الإنسان أحياناً إلى بعض الحيوانات فيميل إليها ويحبها، كما تتجه عواطفه أحياناً إلى بعض الأشياء كالملابس، والتحف، أو المسكن أو خلاف ذلك فيميل إليها ويحبها. وهذه العواطف المتجهة إلى الحيوانات وإلى الأشياء هي عواطف طبيعية، وعلى الأسرة أن تنمي تلك العواطف عند الأولاد لأنها هي أساس تكوين الرفق بالحيوان والرحمة به، وهذا من فضائل الأخلاق التي دعا إليها الإسلام . كما أشار إليه حديث الرسول: «في كل ذات كبد رطبة أجر»(١٩٥)، ولكن ينبغي أن تكون هذه العواطف متزنة ومعتدلة، بشرط الا يفتن النّاس بها، لقوله تعالى: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم﴾(التغابن : ١٥)، وأن لايكون هناك مبالغة كما حدث في بعض المجتمعات من تربية الكلاب والقطط، حيث وصل حب هذه الحيوانات والاعتناء بها -كما يبدو للباحث- إلى درجة تفوق حب الأولاد والاعتناء بهم.

وكذلك الشأن بالنسبة للعواطف المتجهة إلى الأشياء كالزينة والمأكل والملبس ينبغي أن تكون تلك العواطف متزنة ومعتدلة فلا إفراط ولاتفريط، وهذا ماتشير إليه بعض النصوص في أكثر من موطن، كما في قوله تعالى: ﴿يابني آدم خذوا زينتكم عند كلّ مسجد وكلوا واشربوا ولاتسرفوا إنّه لايحبّ المسرفين. قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطّيّبات من الرّزق قل هي للّذين آمنوا في الحياة الدّنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصّل الآيات لقوم يعلمون﴾(الأعراف : ٣١-٣٢).

الوظيفة السابعة : تعويد البالغين على ممارسة الفضائل الخلقية والاجتماعية في حياتهم اليومية :

يرى بعض علماء التربية أن التربية الأخلاقية هي الاعتياد على المبادىء الأخلاقية والاجتماعية بحيث تصدر أفعالها عن المرء تلقائياً، وبيسر وسهولة كما تصدر الأفعال الغريزية أو الطبيعية، لأنها عندئذ تصبح طبيعة ثانية، وهذا ما أشار إليه بعض علماء المسلمين منهم ابن مسكويه، والإمام الغزالي، الذي قال: «ولن ترسخ جميع الأخلاق الدينية في النفس مالم تتعود النفس جميع العادات الحسنة ومالم تترك جميع الأفعال السيئة ومالم تواظب عليها مواظبة من يشتاق إلى الأفعال الجميلة، ويتنعم بها، ويكره الأفعال القبيحة، ويتألم بها»(١٩٦). فالولد إذا مارس سلوكاً ما وكرّره زمناً طويلاً وتطبع به يصبح ذلك خلقاً وسجية وعادة، كما يقرر ويوضح ذلك إخوان الصفاء في قولهم: «أنه متى كان الإنسان مطبوعاً على الشجاعة فإنه يسهل عليه الإقدام على الأمور المخوّفة من غير فكر ولا روية، وهكذا متى كان مطبوعاً على السخاء يسهل عليه بذل العطية من غير فكر ولاروية، وهكذا متى كان الإنسان مطبوعاً على العفّة سهل عليه اجتناب المحظورات والمحرمات من غير فكر ولاروية... وعلى هذا المثال والقياس سائر الأخلاق والسجايا»(١٩٧).

لهذا فإن تعلم الأولاد الأخلاق دون تربيتهم بها لم يعد كافياً إذا لم تترجم تلك المعارف والمعلومات إلى سلوك صالح للفرد والجماعة، وقد أشار إلى ذلك العديد من الباحثين، فمنهم من قال: «إن أي إنسان يريد أن يتقدّم في أي مجال من المجالات المهنية أو الفنية أو العلمية يجب أن يمارسها بعد إحاطته بالدراسة النظرية فإن الممارسة بعد ذلك تغذية وتنمية»(١٩٨).

والإسلام يؤكّد أهمية الممارسة، وأن تكون الأفعال مصاحبة للأقوال والمعارف والمعلومات الصالحة التي تعلمها الفرد، كما في قوله تعالى: ﴿يا أيّها الّذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون. كبر مقتا عند اللّه أن تقولوا مالا تفعلون﴾ (الصف : ٢-٣)،

ويعلي من شأنها كما في حديث رسول اللّه: «أحب الأعمال أدومها إلى اللّه وإن قل»(١٩٩).

كما أن المداومة على الأفعال الخلقية تسهم في جعل القيمة الخلقية أكثر وضوحاً وإدراكاً لأذهان الأولاد، ولتوضيح ذلك، إذا أخذنا قيمة من القيم الأخلاقية كالعدالة مثلاً، فإن إدراك الأولاد لهذه الفضيلة يحتاج إلى ممارسة وخبرة عملية لغرسها في نفوسهم وقد أشار «أفلاطون» إلى ذلك في قوله: «لانستطيع أن نعلّم الفضيلة مالم نتصل بالحياة الاجتماعية، وأن الحديث فيها بعيداً عن المجتمع سقطة ولغو لاقيمة له»(٢٠٠).

لذا ينبغي على الآباء والأمهات أن يعودوا أولادهم من العادات مايفيدهم ويساعدهم على تنظيم حياتهم، أي أن يعودوهم على الفضائل من صدق وإخلاص وعطف وشجاعة وكرم وأمانة وعفّة.. الخ، بعد تكوين بصيرة علمية، وقناعة عقلية بها، وأن يعودوهم على النظم والقيم الأخلاقية والاجتماعية، مثل زيارة المريض، وحقوق الجار، والعمل بالعدالة، واحترام مشاعر الآخرين وممتلكاتهم.. إلخ.

أما الطرق والأساليب التي تعين الأسرة على تكوين وتنمية تلك القيم المرغوبة في نفوس البالغين، فإنه ينبغي عليها إثارة الوجدان والرغبة في تلك القيم المرغوب تنميتها، أي أن تعمد الأسرة إلى استخدام الأساليب المشوقة في تعويد الأولاد عليها، وتحبيبها إلى نفوسهم، عن طريق الإرشاد والتوجيه التربوي، لأن النفس بطبيعتها تهوى الشيء الذي تحبه، ثم بعد ذلك يدرّب الأولاد على القيام بتلك القيم زمناً طويلاً، وإذا اقترن هذا التكرار بالرضا والقبول من قبل الأولاد، صار ذلك خلقاً وسجيّة وعادة يسهل عليهم القيام بها، ولكن أحياناً قد لاتجْدِ أساليب التشويق على ممارستها ، لعدم إدراكهم قيمة تلك القيم على الوجه المطلوب، ولهذا يقل الباعث الذي يدفعهم لذلك، فعندئذ ينبغي على الأسرة استخدام أسلوب الرهبة والشدة والعقاب عند اللزوم، وخاصة عند عدم ممارستهم بعض الواجبات الإلزامية، وهذا مّا يوصي به حديث الرسول في قوله: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع

سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين»(٢٠١).

ولايقتصر دور الآباء والأمهات على تكوين العادات الصالحة، وتدريب البالغين على الإتيان بها والمداومة عليها فحسب، بل يجب عليهم اقتلاع العادات السيئة، ومن الأساليب والطرق التي تعين الأسرة على اقتلاع العادات السيئة إشعار الأولاد بالأضرار الناتجة عن تلك العادات، وهذا سوف يؤدي إلى إثارة الوجدان، وإنشاء الكره لتلك العادات، وتقوّي إرادتهم في تركها، كما ينبغي على الأسرة المبادرة في استئصالها حين ظهورها، وقبل أن ترسخ ويعتادها الأولاد، وأن تستبدلها الأسرة بالعادات الحسنة لكي لاتترك العادة السيئة فراغاً في نفوسهم، وأن تعمد إلى إبعادهم عن كل ما قد يكون سبباً في تنمية العادات السيئة، كترك ارتياد الأماكن غير الطاهرة، وترك رفقاء السوء، وترك تناول المشروبات الضارة.

أما الأساليب التي تعين الأسرة على استئصال العادات السيئة إذا استحكمت في نفوس البالغين، فيكون ذلك -كما ذكر الإمام الغزالي- «إما بالقطع الفاصل، أو بالتدرج البطئ حسب وسائل المجاهدة والتربية»(٢٠٢). والتربية الإسلامية تستخدم أسلوب التدرج للإقلاع عن بعض العادات السيئة، منها على سبيل المثال، عادة شرب الخمر، حيث نلمح أن تحريم ممارسة تلك العادة جاء بالتدريج ، مع الإشارة إلى أضرار تلك العادة، حيث كانت أول إشارة لتحريم الخمر، قوله تعالى: ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون﴾(النحل:٦٧)، ثم في التدرج الثاني بيّن بعض أضراره، فقال تعالى: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للنّاس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾(البقرة : ٢١٩)، ثم في التدرج الثالث جاء النهي أثناء الصلاة، كما في قوله تعالى: ﴿يا أيها الّذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون﴾ (النساء : ٤٣)، ثم جاءت الخطوة الحاسمة الأخيرة في تحريمه وذلك في قوله تعالى: ﴿يا أيها الّذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ (المائدة : ٩٠).

والتخلّص من العادات الضارة ليس بالأمر السهل، وخاصة العادة الراسخة، فالأمر يحتاج إلى جهد وعناء من قبل الآباء والأمهات، وإلى وقت وصبر، وقد تلجأ الأسرة إلى استخدام العقاب إذا لم تُجْدِ الطرق السابقة الذكر لذلك. وعلى الآباء والأمهات أن يدركوا أن طريقة المعالجة لاينبغي أن تكون واحدة بالنسبة لجميع الأولاد، لأن هناك فروقاً فردية، ثم إن الحالة غير السويّة تختلف من إنسان إلى آخر، كالحالات المرضية من حيث مضاعفتها، فيجب أن يختلف علاجهم باختلاف أمزجتهم وطبائعهم وأعمارهم وبيئتهم، ولهذا يقول الإمام الغزالي في هذا الصدد: «إن كل فرد يختلف عن الآخر، فكما أن الأجسام تختلف أمزجتها فلا تعالج كلها علاجاً واحداً، كذلك فالنفوس مختلفة الطباع، ومعالجتها جميعاً بنمط واحد من المعالجة يهلك أكثرها، أي يهلك الذي لايوافقه هذا النمط»(٢٠٣).

مراجع الفصل السابع :

(١) ابن منظور. لسان العرب. بيروت ، دار لسان العرب ، دون تاريخ ، ج١، ص ٨٨٩.

(٢) د. مقداد يالجن. الاتجاه الأخلاقي في الإسلام. القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٣٩٢هـ ، ص ٣٤.

(٣) د. صالح عبد العزيز. التربية وطرق التدريس. ط٧ ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٣٩١هـ، ص٢٣٢-٢٣٣.

(٤) د. مقداد يالجن. الاتجاه الأخلاقي في الإسلام. مرجع سابق، ص ٣٥.

(٥) د. صالح عبد العزيز. التربية وطرق التدريس. مرجع سابق، ص ٢٣٣-٢٣٤

(٦) د. زكريا ابراهيم. كانت أو الفلسفة النقدية . القاهرة ، دار مصر للطباعة ، دون تاريخ ، ص١٩٠.

(٧) د. صالح عبد العزيز. التربية وطرق التدريس. مرجع سابق، ص ٢٣٥

(٨) ابن مسكويه . تهذيب الأخلاق . بيروت، مكتبة الحياة، دون تاريخ، ص ٣٦.

(٩) الإمام الغزالي. إحياء علوم الدين، القاهرة ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٣٩م ، ج٣، ص٥٦.

(١٠) د. مقداد يالجن . الاتجاه الأخلاقي في الإسلام. مرجع سابق ، ص ٤٧.

(١١) ابن كثير . تفسير القرآن العظيم . القاهرة ، المطبعة البهية المصرية ، ١٩٣٣م ، ج ٤ ، ص ٤٠٢.

(١٢) جلال الدين السيوطي . صحيح الجامع الصغير وزيادته ط٢ ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٩٧٩م، رقم الحديث (٤٦٨٧)، ج٤، ص ٢٣٨

(١٣) البخاري . صحيح البخاري .تركيا ، استانبول ، المكتبة الإسلامية ، ١٩٨١م ، كتاب النكاح، ج٦، ص١١٨.

(١٤) د. مقداد يالجن . الاتجاه الأخلاقي في الإسلام. مرجع سابق ، ص ١٠٢

(١٥) د. صالح عبد العزيز . التربية وطرق التدريس . مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٢٣٠.

(١٦) البخاري . صحيح البخاري . مرجع سابق ، كتاب الإيمان، ج١ ، ص ٩

(١٧) المرجع السابق ، كتاب الأدب، ج٧، ص ٨٠

(١٨) جلال الدين السيوطي .صحيح الجامع الصغير وزيادته، مرجع سابق، رقم الحديث (٢٣٤٥)، ج٢، ص ٢٨٥.

(١٩) د. مقداد يالجن . بناء البيت السعيد. الرياض ، دار المريخ ، ١٤٠٨هـ ، ص١٥٨

(٢٠) جلال الدين السيوطي .صحيح الجامع الصغير وزيادته، مرجع سابق، رقم الحديث (٥٧٢٣)، ج٥، ص ٢٠٤

(٢١)،(٢٢) ابن كثير . تفسير القرآن العظيم. مرجع سابق، ج٤، ص ٤٠٢

(٢٣) د. مقداد يالجن .الاتجاه الأخلاقي في الإسلام. مرجع سابق ، ص ٤٨.

(٢٤) د. عمر الشيباني . فلسفة التربية الإسلامية . ط٥ ، طرابلس ، الشركة العامة للنشر والتوزيع ، ١٩٨٥م ، ص ٢٢٢.

(٢٥) د. أحمد فؤاد الأهواني . التربية في الإسلام . القاهرة ، دار المعارف بمصر ، دون تاريخ ، ص١٠٨-١١٠.

(٢٦) الإمام أحمد بن حنبل.مسند الإمام أحمد بن حنبل. بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر ، دون تاريخ ، ج١، ص١٣٢.

(٢٧) د. جميل صليبا. المعجم الفلسفي . بيروت ، دار الكتا ب اللبناني ، ١٩٧٣م ، ج١، ص٦٥٦-٦٥٧.

(٢٨) ابن مسكويه. تهذيب الأخلاق، بيروت ، مكتبة الحياة ، دون تاريخ ، ص ٨٤.

(٢٩) انظر الإمام الغزالي ميزان العمل (تحقيق د. سليمان دنيا)، القاهرة ، دار المعارف بمصر،١٩٦٤م، ص٢٨٧-٣٣٠.

(٣٠) د. أحمد الأهواني . التربية في الإسلام . مرجع سابق ، ص ١١٠.

(٣١) د.زكريا إبراهيم. كانت أو الفلسفة النقدية . مرجع سابق ، ص ١٩٤.

(٣٢) ابن مسكويه. تهذيب الأخلاق . مرجع سابق ، ص ٣٦-٣٧.

(٣٣) د. مقداد يالجن . التربية الأخلاقية الإسلامية . مصر ، مكتبة الخانجي ، ١٣٩٧هـ، ص ٢٨٤-٢٨٨.

(٣٤) جان جاك روسو. اميل . (ترجمة نظمي لوقا) . القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٥٨م، ص٨١.

(٣٥) وليم مكدوجل. الأخلاق والسلوك في الحياة .(ترجمة جبران ابراهيم).القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٦١م،ص٢٥

(٣٦) جان جاك روسو . أميل . مرجع سابق ، ص ٢١٣

(٣٧) كانت . كتاب التربية. (ترجمة طنطاوي جوهري) ، القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٣٥٥هـ ، ص٨٩-٩٠.

(٣٨) د. مقداد يالجن. جوانب التربية الإسلامية الأساسية . بيروت ، مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر ، ١٤٠٦هـ، ص ٢٩٤.

(٣٩) الإمام الفخر الرازي . التفسير الكبير . القاهرة ، المطبعة البهية المصرية ، ١٩٣٣م ، ج٣١، ص١٤٠.

(٤٠) د. عمر الشيباني. فلسفة التربية الإسلامية . مرجع سابق ، ص ١٠٢.

(٤١) جلال الدين السيوطي. صحيح الجامع الصغير وزيادته. مرجع سابق، رقم الحديث (٥٦٦٠)، ج٥، ص١٨٤.

(٤٢) ابن مسكوية. تهذيب الأخلاق. مرجع سابق، ص ٣٦.

(٤٣) وليم مكد وجل. الأخلاق والسلوك في الحياة. مرجع سابق، ص ٥٦-٦٢.

(٤٤) المرجع السابق ، ص ٦٣.

(٤٥) ابن مسكويه. تهذيب الأخلاق. مرجع سابق، ص ٣٥.

(٤٦) د. عمر الشيباني. فلسفة التربية الإسلامية . مرجع سابق ، ص ٨٢.

(٤٧) د. مقداد يالجن. الاتجاه الأخلاقي في الإسلام . مرجع سابق، ص ٨٢.

(٤٨) د. مقداد يالجن . مرجع سابق، ص ٤٠

(٤٩) الإمام الفخر الرازي. التفسير الكبير. مرجع سابق، ج٢٨، ص ١٣٨.

(٥٠) ابن مسكويه . تهذيب الأخلاق. مرجع سابق، ص ١٤٢.

(٥١) د. عمر الشيباني. تطور النظريات والأفكار التربويّة، ط٢ ، ليبيا ، الدار العربية للكتاب ، ١٣٩٧هـ، ص ٣٠٤.

(٥٢) د. مقداد يالجن . بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام، مرجع سابق، ص ١٥٧.

(٥٣) جلال الدين السيوطي. صحيح الجامع الصغير وزيادته، مرجع سابق، رقم الحديث (٢٨٧٧)، ج٣، ص ٢٥

(٥٤) انظر كتاب: أ- د. محمد عبد الله دراز. دستور الأخلاق في القرآن . مرجع سابق، ص٦٨٩-٧٧١.

ب- د. مقداد يالجن . الاتجاه الأخلاقي في الإسلام . مرجع سابق ، ص٨٢-٨٩.

(٥٥) د. عمر الشيباني. فلسفة التربية الإسلامية. مرجع سابق، ص ٢٣١-٢٣٢.

(٥٦) مقداد يالجن . جوانب التربية الإسلامية الأساسية .مرجع سابق ، ص ٢٩٧-٣٠١.

(٥٧) الإمام الفخر الرازي. التفسير الكبير . مرجع سابق، ج٤، ص ٧٤.

(٥٨) د. مقداد يالجن. جوانب التربية الإسلامية الأساسية . مرجع سابق، ص ٣٠١-٣٠٤.

(٥٩) المرجع السابق، ص ٢٨١

(٦٠) د. مقداد يالجن . جوانب التربية الإسلامية الأساسية . مرجع سابق، ص ٢٨٢-٢٨٤.

(٦١) الإمام الغزالي. إيها الولد. (تحقيق عبد الله أحمد ابوزينة)، القاهرة، دار الشروق، ١٩٧٥م، ص٩٤.

(٦٢) الإمام الغزالي. فاتحة العلوم. القاهرة، المطبعة الحسنية، ١٣٢٢هـ، ص ٥٦.

(٦٣) د. مقداد يالجن .بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام . مرجع سابق، ص ١٥٥.

(٦٤) كانت . كتاب التربية . مرجع سابق ، ص ١٥.

(٦٥) جلال الدين السيوطي.صحيح الجامع الصغير وزيادته. مرجع سابق ، رقم الحديث (٢٣٤٥) ، ج٢، ص٣٨٥.

(٦٦) رونيه اوبير . التربية العامة .(ترجمة عبد الله عبد الدائم) ، ط٥ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ٢٩٨٢م ، ص٤٨٨.

(٦٧) د. مقداد يالجن . جوانب التربية الإسلامية الأساسية . مرجع سابق، ص ٢٨٣.

(٦٨) د. محمد أمين المصري. لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها . ط٤ ، القاهرة ، دار الفكر، ١٣٩٨هـ، ص ٢١٤.

(٦٩) محمد صالح سمك. فن التدريس للتربية الدينية . ط٢، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٨م، ص ٥٢.

(٧٠) د. أحمد فؤاد الأهواني . جون ديوي . القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٩م، ص ١٢٩.

(٧١) د. صالح عبد العزيز. التربية وطرق التدريس. مرجع سابق، ج٢، ص ٢٧١.

(٧٢) المرجع السابق، ص ٢٧٢-٢٧٣.

(٧٣) محمود مهدي الاستانبولي. نحو أسرة مسلمة، ط٣، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ، ص٨٧.

(٧٤) د. مصطفى فهمي . الصحة النفسية .القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٧٦م ، ص ١١٦.

(٧٥) السيد سابق. فقه السنّة .بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٣٨٩هـ، ج٢، ص ٢٣٣.

(٧٦) محمود الاستانبولي. نحو أسرة مسلمة . مرجع سابق، ص ٨٢

(٧٧) د. مصطفى فهمي . الصحة النفسية . مرجع سابق، ص ١١٥.

(٧٨) د. عبد العزيز القوصي. أسس الصحة النفسية . ط٢ ، الكويت ، دار القلم ، ١٩٧٠م ، ص١٧٦-١٧٧.

(٧٩) الإمام الغزالي. إحياء علوم الدين . مرجع سابق، ج٣، ص ٧٣ .

(٨٠) فؤاد البهي السيد. الأسس النفسية للنمو . ط٤ ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٥م ، ص٣١٧.

(٨١) محمد قطب. منهج التربية الإسلامية . ط٤ ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٤٠٠هـ، ج٢، ص٢٠٤.

(٨٢) المرجع السابق، ج٢، ص ٢٠٥.

(٨٣) د. مصطفى فهمي . الصحة النفسية . مرجع سابق ، ص ١١٣.

(٨٤) عبد الرحمن النحلاوي. التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة. بيروت . المكتب الإسلامي، ١٤٠٢هـ،ص١٤٩-١٥٠

(٨٥) د. مصطفى فهمي. الصحة النفسية ، مرجع سابق، ص ٣٥-٣٦.

(٨٦) د. حامد زهران. علم نفس النمو، ط٤، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٧٧م ، ص ٢٦٧-٢٧٠.

(٨٧) د.مقداد يالجن . بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام، مرجع سابق، ص ١٤٧.

(٨٨) د. مقداد يالجن . جوانب التربية الإسلامية الأساسية . مرجع سابق ، ص ٣٨١.

(٨٩) كانت . كتاب التربية . مرجع سابق، ص ٥٤.

(٩٠) د. مقداد يالجن . التربية الأخلاقية الإسلامية . مرجع سابق، ص ٤٧١، نقلا من كتاب الأصول الافلاطونيه، ص ٤١

(٩١) سيرريتشرد لفنجستون. التربية لعالم حائر. (ترجمة وديع الضبع)، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٨م، ص ٦٥-٦٦.

(٩٢) د. أحمد الأهواني . التربية في الإسلام . مرجع سابق، ص ١١٤.

(٩٣) ابن كثير . تفسير القرآن العظيم. مرجع سابق، ج٢، ص ٥٨٢.

(٩٤) الإمام الفخر الرازي. التفسير الكبير . مرجع سابق، ج١٩، ص ١١٦-١١٧.

(٩٥) د. مقداد يالجن . جوانب التربية الإسلامية الأساسيه. مرجع سابق، ص ٣٦١.

(٩٦) البخاري، صحيح البخاري . مرجع سابق، كتاب الأحكام، ج٨، ص ١٠٧.

(٩٧) عبد الرحمن النحلاوي -أصول التربية الإسلامية -دمشق ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ ، ص ١٧.

(٩٨) جورج شهلا . الوعي التربوي ، ط٣، دون ناشر ، ١٩٧٢م ، ص ٥٠٠-٥٠١.

(٩٩) المرجع السابق، ص ٥٠٣-٥٠٤.

(١٠٠) د. عبد العزيز القوصي. أسس الصحة النفسية، مرجع سابق، ص ٥١٩.

(١٠١) المرجع السابق، ص ٥٠٥.

(١٠٢) المرجع السابق، ص ٥٠٨.

(١٠٣) د. علي عبد الواحد واقي . الأسرة والمجتمع . ط٦، القاهرة؛ مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، ١٣٨٦هـ، ص ٨٨.

(١٠٤)،(١٠٥) د. مقداد يالجن . الاتجاه الأخلاقي في الإسلام . مرجع سابق ، ص ٢٧٧-٢٧٨.

(١٠٦) د. محمد زكي مبارك. الأخلاق عند الغزالي. القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، دون تاريخ، ص٨٩.

(١٠٧) عبد الوهاب خلاّف. علم أصول الفقه . ط١٧ ، الرياض ، مكتبة الصفحات الذهبية ، ١٤٠٦هـ، ص٥٥.

(١٠٨) أبو داود. سنن إبي داود، كتاب القضاء، ط١، حلب، المطبعة العلمية، ١٣٥٢هـ، ج٤، ص١٦٥.

(١٠٩) انظر (أ) د. محمد زكريا البرديس . أصول الفقه. مرجع سابق، ص ٤٦٧-٤٧٢.

(ب) عبد الوهّاب خلاف. علم أصول الفقه. مرجع سابق، ص ٢١٦-٢٢١.

(١١٠) انظر (أ) د. مقداد يالجن . الإتجاه الأخلاقي في الإسلام. مرجع سابق، ص٢٧٧-٢٨٩.

(ب) د. عمر الشيباني . فلسفة التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٢٦٥-٢٦٨.

(١١١) البخاري. صحيح البخاري ، مرجع سابق، كتاب الرقاق، ج٧، ص ١٨٧.

(١١٢) د. مقداد يالجن . توجيه المتعلّم . الرياض ، دار المريخ ، ١٤٠٢هـ ، ص ٥٤.

(١١٣) جلال الدين السيوطي، صحيح الجامع الصغير وزيادته ، مرجع سابق، رقم الحديث (٢٨٧٧)، ج٣، ص٢٥

(١١٤) المرجع السابق، رقم الحديث (٢٨٧٨)، ج٣، ص ٢٥ .

(١١٥) البخاري ، صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب الإيمان، ج١، ص ٩ .

(١١٦) د. مقداد يالجن ، الاتجاه الأخلاقي في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٢٣٧ .

(١١٧) د. عمر الشيباني ، فلسفة التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٢٦٨ .

(١١٨) جلال الدين السيوطي،صحيح الجامع الصغير وزيادته مرجع سابق، رقم الحديث (٣٥٠٩)، ج٣، ص١٧٩

(١١٩) المرجع السابق، رقم الحديث (٣٥٠٨)، ج٣، ص١٧٩.

(١٢٠) د. مقداد يالجن ، الاتجاه الأخلاقي في الإسلام ، مرجع سابق، ص ٢٣٨ .

(١٢١) د. عمر الشيباني ، فلسفة التربية الإسلامية ، مرجع سابق، ص ٢٦٩ .

(١٢٢) د. مقداد يالجن ، الاتجاه الأخلاقي في الإسلام ، مرجع سابق، ص ٢٤٢ .

(١٢٣) البخاري ، صحيح البخاري ، مرجع سابق، كتاب العتق ، ج٣، ص ١١٩ .

(١٢٤) د. مقداد يالجن ، التربية الأخلاقية الإسلامية ، مرجع سابق، ص ٢٣٧ .

(١٢٥) جلال الدين السيوطي، صحيح الجامع الصغير وزيادته، مرجع سابق، رقم الحديث (٧٨٣٤)، ج٦، ص٣٠١ .

(١٢٦) البخاري، صحيح البخاري ، المصدر السابق،كتاب الصوم، ج٢، ص ٢٤٣ .

(١٢٧) المرجع السابق، كتاب المظالم ، ج٣، ص ٩٨ .

(١٢٨) د. عبد العزيز القوصي، أسس الصحة النفسية ، مرجع سابق، ص ٧١ .

(١٢٩) د. مصطفى فهمي ، الصحة النفسية ، مرجع سابق، ص ١٧ .

(١٣٠) د. صالح عبد العزيز ، التربية وطرق التدريس، مرجع سابق، ج٢، ص ٢٣٥ .

(١٣١) وليم مكدوجل ، الأخلاق والسلوك في الحياة ، مرجع سابق، ص ٢٣-٢٤ .

(١٣٢) د. مصطفى فهمي ،الدوافع النفسية ، القاهرة ، مكتبة مصر ، ١٩٦٨م ، ص ٤١-٤٧.

(١٣٣) عبد الكريم العثمان ، الدراسات النفسية عند المسلمين ، ط٢ ، القاهرة ، دار غريب للطباعة ، ١٤٠١هـ،ص١٨٩-١٩٥ .

(١٢٤) وليم مكدوجل . الأخلاق وا لسلوك في الحياة . مرجع سابق، ص ٣٧.

(١٢٥) جلال الدين السيوطي. صحيح الجامع الصغير وزيادته .مرجع سابق ، رقم الحديث (٦٣٢١)،ج٥، ص٣٣٥.

(١٣٦) البخاري . صحيح البخاري . مرجع سابق، كتاب الديات، ج٨ ، ص ٤٠ .

(١٣٧) جلال الدين السيوطي.صحيح الجامع الصغير وزيادته. مرجع سابق، رقم الحديث (٢٢٨٤)، ج٣، ص١٢٤

(١٢٨)،(١٣٩) د. محمد علي البار. الأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها . ط٢، جدة، دار المنارة، ١٤٠٦هـ، ص٣١.

(١٤٠) د. محمد علي البار. الأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها .مرجع سابق ، ص ٤٣

(١٤١) المرجع السابق ، ص ٥١ .

(١٤٢) المرجع السابق، ص ٧٣ .

(١٤٣) المرجع السابق ، ص ٧٤ .

(١٤٤) ابن كثير . تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق، ج١، ص ٣٥١ .

(١٤٥) البخاري . صحيح البخاري . مرجع سابق، كتاب الحدود ، ج٨، ص ٢٠ .

(١٤٦) ابن كثير . تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق ، ج٢، ص ٤٧٧ .

(١٤٧) د. مقداد يالجن . التربية الأخلاقية الإسلامية . مرجع سابق، ص ٤٧٤ .

(١٤٨)،(١٤٩) البخاري . صحيح البخاري . مرجع سابق، كتاب الأدب ، ج٧، ص ١٠٠ .

(١٥٠) ابن حجر . فتح الباري . بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، دون تاريخ ، ج١٠، ص٥٢٢-٥٢٣ .

(١٥١) د. مقداد يالجن . التربية الأخلاقية الإسلامية . مرجع سابق ، ص ٤٧٤ .

(١٥٢) البخاري . صحيح البخاري . مرجع سابق، كتاب الأدب، ج٧، ص ١٠٠.

(١٥٣) الإمام الغزالي . إحياء علوم الدين . مرجع سابق ، ج٣، ص ٧٢

(١٥٤) المرجع السابق ، ص ٧٣

(١٥٥) د. مقداد يالجن وآخرون. علم النفس التربوي في الإسلام، الرياض ، دار المريخ ، ١٤٠١هـ ، ص ١٢٢ . نقلاً من كتاب فردريك كهن ، حياتنا الجنسية، ص ٣٢٣ .

(١٥٦) وليم مكدوجل . الأخلاق والسلوك في الحياة . مرجع سابق ، ص ٢٤٣ .

(١٥٧) د. مقداد يالجن . التربية الأخلاقية الإسلامية . مرجع سابق، ص ٤٧٧.

(١٥٨) جلال الدين السيوطي . صحيح الجامع الصغير وزيادته. مرجع سابق، رقم الحديث(٢٠١)، ج١، ص١١٧

(١٥٩) المرجع السابق، رقم الحديث (٣٥٢٩)، ج٣، ص١٨٧.

(١٦٠) البخاري . صحيح البخاري . مرجع سابق، كتاب الذبائح والصيد، ج٦، ص ٢٣١.

(١٦١) علي أحمد الندوي. القواعد الفقهية . دمشق ، دار القلم ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٧٧.

(١٦٢) د. محمد زكريا البرديسي. أصول الفقه. مرجع سابق، ص ٣٥٥.

(١٦٣) جلال الدين السيوطي . صحيح الجامع الصغير وزيادته. مرجع سابق، رقم الحديث (٥٧٤٤)، ج٥، ص٢٠٧.

(١٦٤) إبراهيم خليفة. المربيات الأجنبيات في البيت العربي الخليجي، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٧هـ، ص ٦٣.

(١٦٥) المرجع السابق، ص ٨٤

(١٦٦) البخاري . صحيح البخاري . مرجع سابق، كتاب النكاح ، ج٦، ص ١٥٩.

(١٦٧) المرجع السابق ، ص ١١٧.

(١٦٨) جلال الدين السيوطي. صحيح الجامع الصغير وزيادته. مرجع سابق، رقم الحديث (٥٥٥٠)، ج٥، ص١٥٥.

(١٦٩) محمد قطب. منهج التربية الإسلامية . مرجع سابق، ج١، ص ٢٠٦.

(١٧٠) جلال الدين السيوطي . صحيح الجامع الصغير وزيادته. مرجع سابق، رقم الحديث (٢١٤٧)، ج٢، ص ٢٢٧.

(١٧١) المرجع السابق ، رقم الحديث (٣٢١٣)، ج٣، ص ١٠٨.

(١٧٢) ت.ب نن التربية مادتها ومبادئها الأولية.(ترجمة صالح شماته) القاهرة،مكتبة النهضة المصرية،١٩٦١م، ص ٨١

(١٧٣) المرجع السابق، ص ٩٥.

(١٧٤) البخاري. صحيح البخاري. مرجع سابق، كتاب الرقاق، ج٧، ص ١٧٠.

(١٧٥) عبد اللطيف الرباح. دراسة تقويمية لبرامج النشاط في المرحلة الثانوية في المملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٩هـ، ص٢٦٧-٢٩٠.

(١٧٦) ابن القيم . الطب النبوي، (تصحيح عبد الغني عبد الخالق) ، القاهرة ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٧٧م ، ص ١٩٥.

(١٧٧) البخاري. صحيح البخاري. مرجع سابق، كتاب النكاح. ج٦، ص ١١٧.

(١٧٨) جلال الدين السيوطي. صحيح الجامع الصغير وزيادته. مرجع سابق، رقم الحديث (٣٢٩٥)، ج٣، ص١٢٦.

(١٧٩) الترمذي. سنن الترمذي . القاهرة ، المطبعة المصرية بالأزهر ، ١٣٥٠هـ ، ج٣، ص ٢٨٥.

(١٨٠) ابن القيم. بدائع الفوائد. ط٢، (تصحيح محمود غانم)، القاهرة، مكتبة القاهرة، ١٩٧٢م، ج٢، ص٩٦.

(١٨١)،(١٨٢) السيد سابق. فقة السنّة، مرجع سابق، ج٢، ص ٤٣٥.

(١٨٣) د. مصطفى فهمي. الدوافع النفسية، القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٦٨م، ص ٩٧.

(١٨٤) د. عبد العزيز القوصي.علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧م،ص٢٢٦.

(١٨٥) د. مصطفى فهمي. الدوافع النفسية، مرجع سابق، ص ٩٧.

(١٨٦) د. مصطفى فهمي . الصحة النفسية ، مرجع سابق، ص ٣٢٣.

(١٨٧) د. مقداد يالجن. جوانب التربية الإسلامية، المصدر السابق، ص٤١٥.

(١٨٨) وليم مكدوجل . الأخلاق والسلوك في الحياة. مرجع سابق، ص ١٥٧.

(١٨٩) المرجع السابق، ص ١٢.

(١٩٠) كانت. كتاب التربية . مرجع سابق، ص ٨٩-٩٠.

(١٩١) ابن كثير . تفسير القرآن العظيم. مرجع سابق، ج١، ص ٢٥١.

(١٩٢) البخاري. صحيح البخاري. مرجع سابق، كتاب الأدب. ج٧، ص ٧٨.

(١٩٣) جلال الدين السيوطي صحيح الجامع الصغير وزيادته. المصدر السابق،رقم الحديث (٥٧٢٥)،ج٥، ص٢٠١.

(١٩٤)د. مقداد يالجن . التربية الإسلامية ودورها في مكافحة الجريمة. الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٠٨هـ، ص٦١-٦٥.

(١٩٥) البخاري . صحيح البخاري . المصدر السابق، كتاب الأدب . ج٧ ، ص ٧٧.

(١٩٦) الإمام الغزالي. إحياء علوم الدين. مرجع سابق، ج٣، ص ٥٨.

(١٩٧) رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٧م، ج١، ص٢٠٥.

(١٩٨) د. مقداد يالجن . جوانب التربية الإسلامية الأساسية. مرجع سابق، ص ٣٩٦.

(١٩٩) البخاري . صحيح البخاري . مرجع سابق، كتاب الرقاق. ج٧، ص١٨٢.

(٢٠٠) محمد صالح سمك . فن التدريس للتربية الدينية . مرجع سابق، ص ٥٢.

(٢٠١) جلال الدين السيوطي. صحيح الجامع الصغير وزيادته. مرجع سابق، رقم الحديث (٥٢٣١)،ج٥، ص٢٠٧.

(٢٠٢) عبد الكريم العثمان . الدراسات النفسية عند المسلمين، مرجع سابق، ص ٢٣٠.

(٢٠٣) الإمام الغزالي. إحياء علوم الدين . مرجع سابق، ج٣، ص ٥٨.

الفصل الثامن
دور الأسرة المسلمة في التربية الصحية

أولاً : مفهوم الصحة

ثانياً : مفهوم التربية الصحية وأهميتها

ثالثاً : أهم وظائف الأسرة التي يجب القيام بها في التربية الصحية ·

رابعاً : الأساليب والوسائل التي تساعد الأسرة على تحقيق وظائفها في التربية الصحية ·

أولاً - مفهوم الصحة :

إن من أبرز التعريفات العلمية الشاملة للصحة هو ماتوصل إليه بعض خبراء الإدارة الصحية بهيئة الصحة العالمية، حيث عرفوا الصحة العامة بأنها «العلم والفن الهادفان إلى صد غائلة المرض، والوقاية منه، ورفع مستوى الصحة والكفاية، نتيجة للمجهودات المنظمة لتحسين صحة البيئة، والتحكم في انتشار الأمراض المعدية، وتعليم الأفراد أصول الصحة الشخصية، وتنظيم الخدمات الطبية، والتمريضية لاكتشاف المرض في بوادره، والوقاية منه، وتنمية الجهاز الاجتماعي حتى يتمكن كل فرد من الارتقاء إلى مستوى معيشي باعث على الصحة، وحتى يمنح كل مواطن حقوقه الطبيعية في الصحة وطول العمر»(١).

وقد أشار أحد الباحثين إلى أن «مفهوم الصحة في الإسلام لايقتصر على الصحة الجسمية كما هو متبادر في أذهان النّاس؛ بل يشمل الصحة الجسمية والنفسية والعقلية أيضاً»(٢).

حيث إن كل جانب له تأثيره على الجوانب الأخرى، فالصحة النفسية مثلاً تؤثر على الصحة الجسمية والعقلية، ومن الصعوبة بمكان فصل الصحة النفسية عن الصحة الجسميه أو التحدث عن إحداهما في معزل عن الأخرى، فالصحة النفسية تجعل الفرد أكثر تكيفاً وانسجاماً مع نفسه ومجتمعه وبيئته، وأكثر تقبلاً للتغيرات التي تواجهه في حياته، وتسهم في قدرته على الثبات والجلد، وعلى ضبط نفسه والسيطرة على انفعالاته ودوافعه وإهمال هذا الجانب -جانب الصحة النفسية- وعدم الاهتمام به له أضراره العديدة ونتائجه الخطيرة على حياة الفرد، وقد أشار أحد الباحثين إلى أن من بين الأمراض الناجمة عن إهمال الصحة النفسية، «التوتر النفسي والكآبة والقلق والوساوس والأفعال القسرية اللاإرادية والتحول الهستيري والشعور بوهن العزيمة والعجز عن تحقيق الأهداف، والمخاوف والأفكار السوداء التي تحاصر الفرد في يقظته فتدعه مشتت البال»(٣) ، وأصبح المصابون بهذه الأمراض

يشكلون نسبة عالية من بين المرضى مما أثار انتباه عدد من المختصين في مجال الصحة، حيث أظهرت البحوث التجريبية «أنّ نصف الذين يشكون من مختلف الأمراض بصورة عامة -على أقل تقدير- يعانون من الأمراض النفسية بل ويمكن القول بأن ثلاثة أربـــاع المرضى (٧٥ بالمائة) في عصرنا الحاضر تنشأ أمراضهم من العلل النفسية»(٤).

فالاضطرابات النفسية والعلل العقلية تؤدي بالفعل إلى أمراض عضوية فهي «تؤدي إلى اضطراب في عمل القلب والأوعية الدموية.. وقد تؤدي بالنتيجة إلى إرتفاع في الضغط الدموي أو أمراض الشريان التاجي للقلب وضيق التنفس. أو أن الاضطرابات النفسية تؤدي إلى اضطراب في الجهاز الهضمي.. وقد تنتج بعدئذ قرحة في المعدة أو الاثنى عشر، أو التهابات الأمعاء الغليظة المتقرحة، أو تؤدي إلى اضطراب في هرمونات الغدد الصماء في الجسم فيحصل من جرائه داء السكر أو أمراض الغدد الدرقية أو اختلال في الوظائف الجنسية أو أمراض جلدية وحساسية»(٥).

وعكس ذلك أيضاً فإن الأمراض الجسدية، قد تؤدي إلى أمراض نفسية ، فمثلاً «الأمراض الزهرية مثل السفلس قد يؤدي إلى علل نفسية كارتجاج المخ، وفقدان الذاكرة، والتهيج العصبي، والكآبة أو إلى الجنون أحياناً. كما أن العجز البدني الناشيء من الحوادث كالكسور والشلل والتشوهات البدنية قد يؤدي إلى القلق المستمر، وتوتر الأعصاب، والأرق، والعزوف عن الطعام.. أو بدرجة أشد إلى الكآبة، وكراهية الناس والمجتمع وحب الاعتداء والسلوك اللااجتماعي»(٦).

ثانيا - مفهوم التربية الصحية وأهميتها :

١- مفهوم التربية الصحية :

يتسع مفهوم التربية الصحية باتساع مفهوم الصحة العامة، كما سبق ذكره

ولعلّ أكثر التعريفات شيوعاً لدى عدد كبير من المختصين تعريفان متقاربان إلى حد كبير.

الأول : يرى أن التربية الصحية: «عبارة عن تهيئة خبرات تربوية متعددة، تهدف إلى التأثير الطيب على عادات الفرد وسلوكه واتجاهاته ومعارفه، مما يساعد على رفع مستوى صحته وصحة المجتمع الذي يعيش فيه»(٧).

والثاني : يرى أنها: «عملية ترجمة الحقائق الصحية المعروفة إلى أنماط سلوكية صحية سليمة على مستوى الفرد والمجتمع وذلك باستعمال الأساليب التربوية الحديثة»(٨).

من خلال التعريفين السابقين، يعرف الباحث التربية الصحية بأنها: تنمية كل الجوانب الصحية - الجسمية والنفسية والعقلية- والحفاظ عليها، وتكوين الوعي لدى الفرد بعلم الصحة، وتوجيهه وفق القيم الإسلامية، وترجمة ذلك إلى حياة عملية سلوكية باستخدام أساليب ووسائل وطرق التربية التي بينها الإسلام.

ومفهوم التربية الصحية مفهوم قديم، توصّل إليه عدد من علماء التربية والتعليم، وقد أخذت التربية الصحية مكان الاهتمام، وخاصّة التدريبات على شئون البطولة، وكانت القوة الجسدية والقدرة الحربية هي الخصال المفضلّة لدى عديد من المجتمعات القديمة.

والمتأمل في تعاليم الإسلام يجد عرضاً واضحاً لما يعنيه مفهوم الصحة، فهناك التعاليم الواضحة حيال نظافة الجسد وغذائه، ووقايته وعلاجه من الأمراض، وراحته وتدريباته الرياضية، وسيعمد الباحث إلى تقديم الشواهد والأدلّة من الكتاب والسنّة عند مناقشة تلك المواضيع في فقرات لاحقة.

ب - أهمية التربية الصحية :

للتربية الصحية أهمية بالغة للفرد والجماعة، والاهتمام بصحة الأولاد يعد

هدفاً أساسياً يجب أن تضعه الأسرة نصب عينيها، إذا أرادت أن توفر لأولادها نمواً طبيعياً متكاملاً، لأن الصحة هي الدعامة الأولى في الشعور بالرضا والسعادة في حياة الناشىء، ولأنها هي التي تمده بالقدرة والطاقة للقيام بأعماله ومناشطه في الحياة، وهي من العوامل الرئيسة في تنمية القدرات العقلية عند الفرد، وذلك باعتبار أن العقل السليم في الجسم السليم، كما أنها من العوامل الهامة في زيادة كفاءة الفرد الخلقية والاجتماعية والتعبدية، وفي عمارة الأرض وترقية الحياة وتنميتها، فالصحة «تكاد تكون أهم شيء في حياة الإنسان، ذلك أنه بغيرها لايستطيع تحقيق آماله فيها، فمن غير الصحة لايستطيع الإنسان أن يعمل، ولايستطيع أن يؤدي حتى واجباته الدينية ويحقق الفضيلة»(٩)، وفي هذا الإطار يأتي المثل المشهور «الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لايراها إلا المرضى».

وبالمقابل فضعف القدرة الجسديّة يؤدي إلى أضرار عديدة، فهو يؤدي إلى انخفاض القدرة على أداء العمل، والعبادة، والتفكير.. إلخ. وبالجملة فإنه يؤدي إلى انخفاض كافة جوانب الشخصية وتكوينها.

ولأهمية الصحة البدنية في حياة الفرد، فقد عني الإسلام بالمحافظة عليها واعتبر حفظ الذات، وحفظ الجسد والعناية بهما أمراً واجباً على الفرد، كما في قوله تعالى: ﴿يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولاتسرفوا إنّه لايحب المسرفين. قل من حرّم زينة اللّه التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ (الأعراف : ٣١-٣٢). كما أشاد الإسلام بالقوة الجسديّة، وقدّمها على بعض الفضائل، كما في قوله تعالى: ﴿ إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ (القصص : ٢٦). وقال رسول اللّه : «المؤمن القوي خير وأحب إلى اللّه من المؤمن الضعيف وفي كل خير إحرص على ما ينفعك واستعن باللّه ولاتعجز»(١٠)، وإن كان المراد في الآية الكريمة والحديث الشريف القوة الشخصية، فإن القوة الجسمية من عوامل القوة الشخصية إذ المعتل صحياً لايقوى على أداء الواجبات ومواجهة المشكلات.

كما نوه الرسول ﷺ بقيمة الصحة، وضرورة المحافظة عليها، والاستعانة بها في الحياة، كما في قوله: «نعمتان مغبون فيهما كثير من النّاس الصحة والفراغ»(١١)، وقال ﷺ : «خذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»(١٢)، والمقصود من الحديث هو أن يستغل الإنسان صحته في وجوه الخير والعبادة كما ينبغي. وهذا كلّه ينعكس على التربية الصحيّة للفرد.

وفوق هذا كلّه لايمكن أن يكتب لتربية الجوانب الأخرى لشخصية البالغ التقدّم والتطور والرقي، مالم تعط للتربية الصحية أهمية بالغة، أو على أقل تقدير أن لاتقل أهميتها عن أهمية تربية الجوانب السالفة الذكر.

ثالثا - أهم وظائف الأسرة التي يجب القيام بها في مجال التربية الصحية:

١- تزويد البالغين بالأغذية اللازمة لنمو أجسامهم.

٢- تربية البالغين على اكتساب قواعد النظافة والطهارة بما يحفظ سلامة أجسادهم.

٣- وقاية البالغين من أسباب الأمراض الجسمية والنفسية.

٤- مساعدة البالغين في اتخاذ الأساليب والطرق لعلاج أمراضهم واضطراباتهم البدنية والنفسية.

٥- إتاحة الفرصة للبالغين لمزاولة التمرينات الجسدية في ضوء القيم الإسلامية والعمل على راحة أجسادهم.

رابعاً - الأساليب والوسائل التي تساعد الأسرة في تحقيق وظائفها في تربية الجانب الجسمي للبالغين:

إن مسئولية رفع المستوى الصحي عند البالغين لاتقع على كواهل المختصين في الطب والتمريض فحسب؛ وإنما يشاركهم في تحملها مؤسّسات عديدة، ولعل من أهمها

الأسرة، والتي قال أحد الباحثين عنها: «إن للأسرة دوراً كبيراً في مساعدة البالغين على النمو الصحي من الناحية التكوينية والوظيفية، وعلى تحقيق الصحة البدنية الجيدة، واللياقة البدنية المناسبة، وعلى اكتساب المعارف والمفاهيم والمهارات والعادات والاتجاهات الصحية الضرورية لسلامة أبدانهم»(١٣).

وسيعمد الباحث إلى تناول كل وظيفة على حدة مع ذكر الأساليب والوسائل التي تعين الأسرة لتحقيق تلك الوظيفة.

الوظيفة الأولى : تزويد البالغين بالأغذية اللازمة لنمو أجسامهم :

على الأسرة أن تعي أن تغذية الأولاد تغذية كاملة من أهم العوامل في بناء الجسم، وتجديد خلاياه، وتزويده بالطاقة والحيوية والمناعة الجسمية اللازمة، لهذا وغيره فقد أوجب الإسلام على الآباء الإنفاق على أولادهم مما رزقهم الله، كما في قوله تعالى: ﴿لينفق ذو سعة مّن سعته ومن قدر عليه رزقة فلينفق ممّا آتاه الله﴾(الطلاق : ٧). وشجع الآباء على ذلك، واعتبره من القربات إلى الله، لقول رسول الله ﷺ : «أفضل الدنانير دينار ينفقه الرجل على عياله، ودينار ينفقه الرجل على أصحابه في سبيل الله عز وجل»(١٤).

ولتحقيق تغذية جيدة للبالغين ينبغي على الأسرة مراعاة مايلي:

١- تنويع التغذية :

أي ينبغي على الأسرة أن تعمد إلى تقديم الأطعمة التي تحوي العناصر الضرورية لغذاء الجسد والتي أشار إليها العديد من المختصين في هذا المجال(١٥)، وهي المواد الكربوهيدراتية والدهون والبروتينات والأملاح المعدنية والفيتامينات والماء، ومن الضرورة بمكان أن تعي الأسرة أهمية تلك المواد الغذائية للجسم وفوائدها ومايسبب نقصها من أضرار ونوع الأطعمة التي تحتوي تلك المواد، وسيعمد الباحث إلى إيجاز ذلك في النقاط التالية حتى تكون عوناً للأسرة في تغذية البالغين:

أ- الكربوهيدرايتة : ويطلق هذا الاسم على السكريات والنشويات، ومن أهم

وظائفها أنها تمد الجسم بالطاقة، وتساعد على ادخار البروتين في الجسم، وأكسدة الدهون، وعلى تكوين الأنسجة العصبية والغضاريف، والإفراط في تناول الكربوهيدرات يؤدي إلى زيادة الوزن، وتوجد الكربوهيدرات في الخبز والبطاطس والأرز والمكرونة والسكر والعسل والفواكه المجففة والخضروات مثل الفاصوليا.(١٦).

ب- الدهنيات: وهي مصدر مهم للطاقة في جسم الإنسان، فهي تمد الجسم بالطاقة وتساعد على ادخار البروتين في الجسم، وعلى بقاء درجة حرارة الجسم ثابتة، كما أن الدهون تبطن بعض الأعضاء الحسّاسة مثل الكلى من أجل حمياتها من الإصابة والخدوش، وهي تحسن ملمس الجلد، وتجعله ناعماً، كما تساعد على سهولة انزلاق الغذاء في القناة الهضمية، كما أن الإفراط في تناول الدهون قد يكون سبباً لإصابة الجسم ببعض الأمراض الخطيرة مثل الذبحة الصدرية وتصلب الشرايين، ويمكن الحصول على الدهون من مصادر نباتية مثل زيت الزيتون، والسمسم، وبذرة القطن، أو مصادر حيوانية مثل الزبدة، والسمن وغير ذلك(١٧).

ج- البروتينات : يعتبر البروتين أساس الحياة فهو يدخل في تركيب معظم سوائل الجسم وأنسجته، ويدخل في تكوين المواد المنظمة في الجسم بما فيها الانزيمات (هي مواد تفرزها الغدد وتعمل على إتمام العمليات الحيوية، أو الإسراع من عملية التفاعل)، والهرمونات (هي مادة كيميائية تعمل على تنظيم أعمال الأجهزة الحيوية في الجسم وتنسيقها، والهرمونات بشكل عام تعمل على زيادة بعض خلايا الجسم ونشاطها أو نقصها أو تغيرها. كما تعمل على ثبات الوسط الداخلي وخصوصاً تركيب محاليل الجسم)،ويساعد على التوازن المائي في الجسم، كما أن البروتينات تعد مادة رئيسة في تكوين الأجسام الحيوية الوقائية التي تحمي الجسم من الأمراض، بالإضافة إلى كونها مصدراً للطاقة. وبالتالي فإن نقص البروتين في غذاء الأولاد يؤدي إلى ضعف مقاومة أجسامهم للعدوى، وتدهور الصحة. أما مصادر البروتين فهي متوفرة في كثير من الأغذية الشائعة من بينها اللحوم، والسمك، والدواجن، والبيض، واللبن، والجبن، والنباتات البقولية مثل الفول، والفاصوليا، والبازلاء.(١٨).

د- الفتيامينات : وهي ضرورية للحياة والنمو أيضاً، والفتيامينات «لاتنت طاقة في الجسم ولكنها تسهل استعمال العناصر الغذائية المنتجة للطاقة، كما أنه لاتدخل في تركيب الأجزاء الرئيسة من الجسم ولكنها تساهم في تنظيم بنا الجسم»(١٩). ونقص الفيتامينات يعرض الأولاد إلى العديد من الأمراض، كما أز زيادة تناولها عن حاجة الجسم قد يؤدي إلى تجمعها في الجسم ممايسبب ظهور أعراض التسمم. وتوجد الفيتامينات بكثرة في الأغذية النباتية كالخضروات والفواك الطازجة.

وقد أوضح أحد الباحثين أنواع الفيتامينات، وخصائصها ومصادرها ومايسببه نقص كل فيتامين على الجسم، ومقدار احتياج البالغ منها في اليوم(٢٠).

هـ- الأملاح المعدنية : أثبت أحد الباحثين أن الإنسان والحيوان «يجري في عروقهما سائل ملحي يحتوي على عناصر الصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم»(٢١) بالإضافة إلى أن الأملاح تدخل في تركيب العظام، وبناء الجسم، وتكوين الدم، ولم أهمية في بعض وظائف أجهزة الجسم. وتوجد الأملاح والمعادن بكميات وافرة في الخضروات، والأغذية الحيوانية، وقد تحدث أحد الباحثين عن أنواع الأملاح ومايسببه نقص كل نوع من أعراض على الجسم، والمصدر الغذائي لكل نوع، ومقدا احتياج البالغ منها في اليوم (٢٢).ويوصي الباحث الأسرة باقتناء مثل تلك المراجع

و- الماء : وهو من العناصر اللازمة للحياة لأن الماء يشكل نسبة عالية في جس الإنسان، فهو يدخل في تركيب جميع خلايا الجسم، كما يدخل في تركيب الدم بنسب عالية وهو من العوامل الأساسية لنقل مواد الغذاء إلى أجزاء الجسم، كما يساعد ف عملية إخراج الفضلات، كما أنه يدخل في تركيب العصارات الهاضمة والانزيمات ويساعد في تنظيم درجة الحرارة ويقلل الاحتكاك بين مفاصل الجسم. ويحصل الجس على احتياجاته من الماء عن طريق الشرب وعن طريق الأغذية مثل الفواكه والخضار

والأسرة التي تعمد إلى اختيار الأطعمة التي تحوي المواد الغذائية الساب الذكر في تغذية البالغين، إنما هي تحقق بذلك تعاليم الإسلام وتوجيهاته، فالإسلام د الفرد إلى تناول مايحتاج من أنواع الطعام الحلال، كما في قوله تعالى: ﴿كلوا ه

رزق ربكم واشكروا ﴾ (سبأ : ١٥)، وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض الأغذية المفيدة والذي أثبت العلم الحديث ارتفاع قيمتها الغذائية عما سواها من الأغذية، منها اللبن، كما في قوله تعالى: ﴿وإنّ لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم ممّا في بطونه من بين فرث ودم لّبنا خالصاً سائغاً للشّاربين﴾ (النحل : ٦٦)، فاللبن يحتوي على عدد كبير من العناصر الغذائية، حيث أثبت العلم الحديث أن لبن الحيوانات يحتوي على «فيتامينات أ ، ب ، ب٢، ج ، وفيتامينات أخرى، كما يحتوي على أملاح الصوديوم والبوتاسيوم ، والكالسيوم، والمغنيسوم، والمنجنيز، والنحاس، والفسفور، والكبريت، والكلور، ويوجد باللبن أيضاً البروتينات والسكريات والدهون» (٢٣) ، فاللبن غذاء مفيد للإنسان في جميع مراحل حياته وخاصة في مرحلة النمو، ومن التجارب التي تبيّن أهمية اللبن في تغذية الأولاد ماتوصلت إليه دراسة أجريت «بمدرسة داخلية على ١٠٢ طالباً فأعطى ٤١ منهم مقدار نصف ليتر لبن، (مبستر) يومياً لمدة عام زيادة عما يتناولونه من الغذاء العادي، فزاد متوسط وزن التلميذ بمقدار ١ر٣ كيلو جرام، كما زاد طوله بمقدار ٧ر٦سم، أما بقية التلاميذ الذين لم يعطوا اللبن في نفس المدة (٦١ تلميذاً) فلم يزد متوسط وزن الواحد منهم على ٧ر١ كيلو جرام، كما لم يزد طوله على ٧ر٤سم»(٢٤).

كما أشار القرآن الكريم إلى اللحوم المفيدة مثل لحوم الأنعام، ولحوم الطيور غير الجارحة، ولحوم الأسماك، وقد اتضح أنّ اللحوم تحوي مواد غذائية عالية من البروتينات والفيتامينات والأملاح، والدهون، ولكون اللحوم من الأغذية المفيدة فإن القرآن يدعو إلى تناولها، كما في قوله تعالى: ﴿ومن كلّ تأكلون لحماً طرياً﴾ (فاطر:١٢)، وقال تعالى: ﴿وأمددناهم بفاكهة ولحم ممّا يشتهون﴾ (الطور : ٢٢)، كما دعا الإسلام إلى تناول الفواكه وخصّ بعضاً منها بالذكر كالرطب، وأحسن برهان على كون الرطب الغذاء المفيد أنّ الله أمر مريم بعد الولادة بتناوله، لما له من قيمة غذائية عالية، كما في قوله تعالى: ﴿وهزّي إليك بجذع النّخلة تساقط عليك رطباً جنيّاً. فكلي واشربي وقري عيناً﴾ (مريم : ٢٥-٢٦)، وكان رسول الله ﷺ يمكث أياماً عديدة، بل أشهراً لايتناول هو وأهله خلالها سوى التمر والماء بجانب شرب اللبن أحياناً، كما

روته عائشة رضى اللّه عنها لعروة قالت: «إن كنّا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقدت في أبيات رسول اللّه ﷺ ناراً فقلت ياخالة ماكان يعيشكم قالت الأسودان التمر والماء إلا أنه قد كان لرسول اللّه ﷺ جيران من الأنصار كانت لهم منائح ، وكانوا يمنحون رسول اللّه ﷺ من ألبانهم فيسقينا»(٢٥) .
فالتمر غذاء ذو قيمة غذائية عالية حيث أشار أحد الباحثين إلى أنّ «للبلح قيمة غذائية مرتفعة لاتقل عن اللحوم، إذ البلح يحوي ميزاتها كلها ولكن ليس له شيء من أضرارها التي قد تحدث نتيجة للإكثار منها»(٢٦).

ومن بين الفواكه ذات القيمة الغذائية العالية الرمان والعنب والتين والزيتون ولهذا ورد ذكرها في القرآن الكريم كثيرا، كما في قوله تعالى: ﴿والتّين والزّيتون. وطور سينين﴾ (التين : ١-٢)، وقال تعالى: ﴿ينبت لكم به الزّرع والزيتون والنّخيل والأعناب ومن كلّ الثّمرات﴾(النحل : ١١)، كما أشار القرآن إلى البقوليات والخضروات، كما في قوله تعالى: ﴿فادع لنا ربّك يخرج لنا ممّا تنبت الأرض من بقلها وقثّائها وفومها وعدسها وبصلها﴾ (البقرة : ٦١) .

كما يشير القرآن الكريم إلى العسل كما في قوله تعالى: ﴿وأوحى ربّك إلى النّحل أن اتّخذي من الجبال بيوتاً ومن الشّجر وممّا يعرشون. ثمّ كلي من كلّ الثّمرات فاسلكي سبل ربّك ذللاً يخرج من بطونها شراب مّختلف ألوانه فيه شفاء للنّاس إنّ في ذلك لآية لّقوم يتفكّرون﴾(النحل : ٦٨-٦٩)، والعسل يعتبر في مقدمة الأغذية ذات القيمة الغذائية العالية، وقد أشار أحد الباحثين إلى أن العسل يحتوي على عناصر مختلفة «من سكريات وبروتين وأملاح معدنية وفيتامينات وانزيمات ومواد غير معلومة حتى الآن»(٢٧).

٢- مراعاة التوازن والاعتدال في الغذاء :

إذا كان التنوع مهماً في تغذية البالغين -كما أشار إليه الباحث فيما سبق- فإن جعل الكمية بمقدار الحاجة لايقل أهمية عن ذلك، أي إذا لم يكن هناك اتزان في كمية

الغذاء الذي يقدّم للبالغين، فإن ذلك يضر بصحتهم، كما أن الأضرار الصحية لاتتوقف عند حد نقص كمية الغذاء، بل إن الغذاء الفائض يضر بالصحة أيضاً، وقد أشار أحد الباحثين إلى أن الغذاء الزائد عن حاجة الجسم «ينقلب إلى سموم ضارة تؤدي إلى أمراض عديدة كضغط الدم ، وأمراض القلب، وداء السكر، والروماتزم والبواسير.. علاوة على أن السمنة التي لايستطيع صاحبها الحركة المطلوبة منه تعرضه إلى الحوادث بسهولة»(٢٨). وقد أكّد ابن القيم أن أغلب الأمراض سببها «إدخال الطعام على البدن قبل هضم الأول والزيادة في القدر الذي يحتاج إليه البدن، وتناول الأغذية القليلة النفع البطيئة الهضم، والإكثار من الأغذية المختلفة التراكيب المتنوعة، فإذا ملأ الآدمي بطنه من هذه الأغذية، واعتاد ذلك أورثته أمراضاً متنوعة»(٢٩).

وقد دعا الإسلام إلى مبدأ التوازن والإعتدال في التغذية، نظراً لما للزيادة أو النقص في الأكل من أضرار صحية، ولهذا قال تعالى: ﴿ولاتجعل يدك مغلولةً إلى عنقك ولاتبسطها كلّ البسط﴾ (الإسراء : ٢٩)، وقال الرسول ﷺ : «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لامحالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»(٣٠).

وقد ذهب بعض علماء التغذية(٣١) إلى تحديد مايحتاجه الإنسان العادي من العناصر الغذائية، وقد لوحظ استخدام وحدة «المليجرام» لزنة مايحتاج الجسم من بعض العناصر وحتى وحدة «الميكروجرامات»، استخدمت أيضاً، والذي يود الباحث أن يشير إليه أنه من الصعوبة بمكان أن تقوم الأسرة بحساب العناصر الغذائية المختلفة التي تحافظ على مستوى غذائي جيد للأولاد، حسب المقادير والأوزان التي تشير إليها بعض كتب التغذية، ولكن من الأمور التي تعين الأسرة على ذلك ينبغي عليها أن تعي أن مقدار الغذاء الذي يقدّم للأولاد يختلف باختلاف سنهم وجنسهم وأوزانهم ونشاطهم، ومايشكونه من أمراض، كما يختلف باختلاف الأجواء الطبيعية التي يعيشون فيها.

أما الأولاد الذين يشكون من أمراض أو اعتلال صحي فيجب على الأسرة أن تجعل تغذيتهم وفق توجيهات مختصين في هذا الشأن.

بالإضافة إلى ماسبق ذكره فإن هناك علامات ودلائل تكشف للأسرة حسن تغذية أولادها من عدمه، وهي بمثابة اختبار للتغذية التي يتناولها الأولاد، ومن العلامات والدلائل التي تبيّن للأسرة بأن تغذية البالغين جيدة، والتي أشار إليها بعض المختصين مايلي:.

١- أن يكون وزن الجسم مناسباً للطول ونوع البنية والعمر.

٢- فك وأسنان قوية وسليمة.

٣- قوام معتدل، وبطن غائر، وصدر بارز، وأذرع وسيقان مستقيمه، وأكتاف مسطحة.

٤- عضلات جيدة وقوية وغير رخوة.

٥- جلد ناعم ومشدود وغير مبقع، وشعر طري ولامع، وغشاء مخاطي وردي.

٦- عينان لامعتان غير حساستين للضوء ولا تحيط بهمادوائر سوداء.

٧- شهية مفتوحة للأكل وهضم جيد.

٨- طاقة كبيرة في العمل، وقدرة على التركيز.

٩- مقاومة كبيرة للأمراض.

١٠- أن تدل تعابير الوجه على المرح والبشاشة والتفاؤل(٣٢)

وعلى الأسرة أن تكون يقظة حول ظهور أي عارض من أعراض سوء التغذية على أولادها، وأن تتفادى ذلك من بداية ظهور العرض وذلك بتحسين الغذاء أو استشارة طبيب إذا لزم الأمر.

٣- الإعداد الجيد للوجبات الغذائية:

إن الطهي والإعداد الجيد للواجبات الغذائية من المهام الرئيسة التي يجب أن تقوم بها الأسرة وخاصّة الأم لأن ذلك يؤثر على تغذية البالغين، فهو يكسب الطعام

رائحة ونكهة تساعد على فتح الشهية ، كما أنّ له الاثر البالغ في قتل الميكروبات التي توجد بالطعام، ويجعل الطعام أيسر في الهضم، إلاّ أن الطهي إذا زادت حرارته أو مدته فإنه يؤدي إلى بعض الأضرار كفقد القيمة الغذائية، وقد يحوّل بعض المواد إلى مواد عسرة الهضم، فاللحوم مثلاً «تفقد كمية من المواد الغذائية إذا طهيت لمدة أطول من اللازم »(٣٣).

ولكي تتلافى الأم ذلك الفاقد في العناصر الغذائية أثناء الطهى يجب عليها مراعاة ما أشار إليه بعض الباحثين(٣٤) من توجيهات تسهم في الحفاظ على القيمة الغذائية للطعام أثناء طهيه ومن بينها مايلي:

أ- الأغذية المقشرة تفقد كمية أكبر من العناصر الغذائية في أثناء الطهي عن غير المقشرة.

ب- صغر حجم القطع الغذائية يزيد الفقد في أثناء عملية الطهي؛ لأنه يزيد من مساحة السطح المعرض للماء.

ج- زيادة كمية الماء المستعمل في الطهي يزيد من درجة ذوبان العناصر الغذائية وبالتالي تزيد نسبة الفقد .

د- إضافة بيكربونات الصوديوم في أثناء الطهي بقصد إسراع عملية الطهي أو تحسين لون الغذاء يساعد على زيادة فقد العناصر.

هـ- تغطية الإناء أثناء الطهي يساعد على تقليل فقد العناصر الغذائية وتقصير الزمن اللازم لإتمام عملية الطهي له دور في ذلك أيضاً، ولهذا فالطهي في أوان تحت ضغط (البرستو) الذي يساعد على سرعة الطهي يقلل من فقد العناصر الغذائية.

وإضافة إلى ماذكر ، فإنه ينبغي عدم إطالة مدة نقع الخضروات والفواكه وإذا كان لابد من ذلك فينصح بعدم تقشيرها مع إضافة نقط من عصير الليمون، حيث أكّد أحد الباحثين أنه «يؤدي نقع الخضروات والفواكه في الماء بعد تقشيرها إلى فقد العناصر الغذائية الذائبة في الماء مثل الفيتامينات (ب ، ج) والأملاح المعدنية كالحديد والكلسيوم والفوسفور » (٣٥).

كما أن بعض الخضروات والفواكه تفقد بعض عناصرها كلما طالت فترة التخزين فمثلاً أوضحت بعض الدراسات أن مافتقده البامية من فيتامين (ج) «بعد مرور يوم واحد ٤٧٪ وبعد مرور ثلاثة أيام ٥٠٪ وبعد مرور ٥ أيام ٦٨٪ وبعد مرور ٧ أيام ٧٥٪»(٣٦). لذا يجب على الأسرة أن تعمد إلى استخدام الأطعمة الطازجة في تغذية أولادها والابتعاد عن الأطعمة المخزونة أو الأطعمة المعلبة بقدر المستطاع، لأن الأطعمة المعلّبة لها أضرارها الصحية فالمواد الكيماوية المضافة إلى الأغذية المعلّبة بقصد حفظها أو تغيير لونها أو طعمها لها بعض الأضرار، وهذا ما أشار إليه أحد الباحثين حين قال «المادة الصفراء المستعملة في صبغ الزبد المعلبة وبعض أنواع الجبن تسبب السرطان مع مرور الزمن»(٣٧)، كما أشار أحد الباحثين إلى أن : «اللون الأحمر في اللحوم الحمراء المعلبة، واللون الأخضر في الفاصوليا والبازاليا المعلّبة واللون الأصفر في الزبد والجبن المعلّبة.. ليست ألوانها الأصلية.. بل إنها ألوان لمواد كيمياوية سامة»(٣٨). ومما ينبغي أيضاً أن تراعيه الأسرة في إعداد الوجبات الغذائية أن تختار الأغذية ذات اللون والشكل والحجم الجيد، والملمس والقوام والرائحة والمذاق الجيد.

٤- مراعاة الجانب الإنفعالي عند تغذية البالغين :

يؤثر الجانب الانفعالي في قابلية البالغين لتناول الطعام وسهولة هضمه والاستفادة منه، وقد أشار أحد الباحثين إلى «أنّه في أثناء الانفعالات الشديدة لايقوم الجهاز الهضمي بأداء عمله أو يؤديه ناقصاً، فالعصارة الهضمية يقل إفرازها أو يقف، وتتعطل كذلك جميع العمليات اللازمة للهضم، ونلاحظ عادة أننا في أثناء الحزن أو الغضب أو اليأس نفقد شهوتنا إزاء تناول الطعام»(٣٩)، وعلى ذلك يبدو أن هناك صلة قوية بين الجهاز الهضمي والتغيرات الجسمية المصاحبة للانفعال، ولهذا ينبغي على الأسرة أن تهتم بكل مايسهم في تقوية عواطف الحب والارتياح لأولادها وتفادي كل مايؤدي إلى تألمهم ومضايقتهم أثناء تغذيتهم، ومن الأساليب التي تعز

الأسرة في تحقيق ذلك مايلي:

أ- اختيار المكان المريح والمناسب لتناول الطعام، واختيار الخلاء مكاناً لتناول بعض الوجبات الغذائية بين فترة وأخرى، فالأولاد يميلون إلى تناول طعامهم بالخلاء، حيث أشار أحد الباحثين إلى أن قابلية الأولاد لتناول الطعام وسهولة هضمه واستمرائه تتوقف على «نشاطهم ومرحهم وسرورهم وانتظام غذائهم، وانتظام نزهتهم وخروجهم للفسحة في الهواء الطلق»(٤٠).

ب- استبدال الأطعمة التي قد يتأفف منها الأولاد، بما يحل محلها في القيمة الغذائية، مع مراعاة عدم تكرار النوع الواحد من الطعام، عدة وجبات متتالية، لئلا يؤدي ذلك إلى قلة ميل الأولاد إلى تناوله.

ج- عدم التفرقة والتمييز بين الأولاد في التغذية، فعلى الأسرة تقديم غذاء موحد ولايحق المفاضلة بين الأولاد في التغذية إلا في الحالات التي يتطلب الأمر ذلك كما في المرض مثلاً.

د- عدم الاهتمام الزائد بالأولاد أثناء الطعام، ينبغي على الأسرة أن لاتبالغ في الاهتمام بأي واحد من أولادها أثناء الأكل ، كأن ترجو منه أن يأكل هذا وأن يأكل ذاك، وقد أشار أحد الباحثين إلى هذا في قوله: «يخطيء بعض الآباء إذ يقومون بإغراء الأولاد أو بإجبارهم أو بإقناعهم بمختلف الأساليب لتناول الطعام عامة، أو لتناول نوع معين منه»(٤١).

هـ- يستحسن تأجيل طعام الولد إذا كان في حالة انفعال شديد أو إرهاق حتى تهدأ انفعالاته ثم يقدّم له الغذاء، لأنّ «الوصول إلى حالات استرخاء قبل بدء تناول الطعام من العادات الطيبة»(٤٢).

و- تجنيب الأولاد العوامل المسببة للإنهاك العصبي، إذ يعد الإنهاك من العوامل المؤثرة على تغذية الأولاد، حيث لوحظ «أنّ تلاميذ المدارس يأكلون في الإجازات الصيفية أكثر مما يأكلون شتاءً في أثناء العمل، هذا على الرغم من أن حاجتهم للغذاء شتاءً أكثر منه في الصيف، وسبب ذلك العمل المستمر الخالي من فترات الراحة»(٤٣)، ومن العوامل التي ينبغي على الأسرة تجنبها والتي قد تؤدي إلى

الإنهاك العصبي عند الأولاد قلة النوم، والراحة، وسوء التهوية، وقلة الرياضة، والتدخين، وتعاطي المخدرات، ووجود الأولاد في جو مليء بالمشاحنات، والمضايقات وتقييد الحرية، واستثارة حالاتهم النفسية كالغيظ، والغضب، والحزن واليأس .

ز- أن لايستغل وقت الطعام للتلقين والتوجيه والتعليم، قد ينتهز بعض الآباء والأمهات فرصة تناول الطعام لتلقين أولادهم بعض الأفكار، أو مناقشتهم عن بعض الواجبات والأعمال أو توجيههم أو نحو ذلك، وهذا أمر قد يصرف الأولاد عن الطعام نفسه، ومن الأفضل أن لاتشغل الأسرة أولادها أثناء الأكل أو توجه اليهم بعض النقد أو اللوم وأن تترك ذلك إلى الوقت المناسب، إلا إذا دعت الحاجة، وكانت الفرصة سانحة لتقديم التوجيهات عن آداب المائدة فعل الأبوان ذلك، كما فعله رسول الله ﷺ مع عمر بن سلمة عندما كان غلاماً وكانت يده تطيش في الصحفة قال له: «ياغلام سمّ الله وكل بيمينك وكل مما يليك»(٤٤).

ك - الاشتراك مع الأولاد في تناول الطعام، ينبغي على الآباء والأمهات أن يشاركوا أولادهم في وجباتهم الغذائية لما لذلك من أثر نفسي طيب على الأولاد، وليعلم الآباء أن الأولاد يتأثرون بمواقف آبائهم من الأطعمة ذلك أن «كراهية الأولاد مثلاً لكثير من أنواع الطعام، وحبهم لكثير من الأنواع الأخرى يأتي غالباً عن طريق إيحاء ومواقف آبائهم من تلك الأطعمة»(٤٥).

ل- تنشئة الأولاد على مراعاة آداب الأكل والشرب في الإسلام، ينبغي تعويد الأولاد على ذكر الله قبل البدء في الطعام، وعلى الحمد والثناء، إذا فرغوا منه لما في ذكر الله من راحة وطمأنينة في أوقات الغذاء وفي غيره، كما في قوله تعالى﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (الرعد : ٢٨)، وقد أرشد مربي هذه الأمة إلى التسمية، وذكر الله قبل البدء في الطعام، كما مرّ بنا سابقاً في حديث عمر بن أبي سلمه ، كما طبّق رسول الله ذلك عملياً أمام أصحابه، فعن أبي أمامة قال: «إن النبي ﷺ كان إذا رفع مائدته قال الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مكفيّ ولامودع ولامستغنًى عنه ربنا»(٤٦)، وعلى الأسرة تذكير أولادها بنعم الله عليهم حيث خلق هذه النعم باختلاف ألوانها ومذاقها مع أنها تسقى من ماء واحد.

الوظيفة الثانية: تربية البالغين على اكتساب قواعد النظافة والطهارة بما يحفظ سلامة أجسادهم:

للنظافة أهمية بالغة في نمو أبدان البالغين ومقاومتها للعديد من العلل والأمراض وقد قيل عن النظافة بأنها «ركن الصحة.. ووسيلة الوقاية من الأمراض السارية.. والحصن المنيع أمام الأوبئة الفتاكة، بالإضافة إلى كونها رمزاً للذوق والجمال ودليلاً للأدب الرفيع(٤٧).

ولأهمية هذا الجانب في صحة الإنسان وحياته، فقد جعل الرسول ﷺ النظافة نصف الإيمان إعلاءً لشأنها وتأكيداً لأهميتها، حيث قال «الطهور شطر الإيمان»(٤٨)، وقد أكّد الإسلام الالتزام «بالطهارة» في البدن والثوب ونحوها وجعلها شرطاً لازماً لصحة الصلاة، قال تعالى: ﴿يا أيّها الّذين آمنوا لاتقربوا الصّلاة وأنتم سكارى حتّى تعلموا ماتقولون ولاجنباً إلا عابري سبيل حتّى تغتسلوا﴾ (النساء : ٤٣)، وقال رسول الله : «لاتقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ»(٤٩).

ولهذا ينبغي على الأسرة إرشاد البالغين إلى الأخذ بأسباب النظافة الشخصية في أبدانهم وملابسهم وبيوتهم وغذائهم، وتعويدهم ذلك لكي يمارسوها في حياتهم اليومية، وعلى الآباء والأمهات أن يجعلوا من أنفسهم قدوة لهم بالتزام قواعد النظافة، وسيعمد الباحث إلى إيضاح ذلك تحت أربعة أقسام وهي :

القسم الأول : التربية على نظافة البدن ، وتشمل مايلي:

١- نظافة اليدين وغسلهما جيداً كلما دعت الحاجة إلى استخدامهما، وخاصة بعد الاستيقاظ من النوم مباشرة، وقبل تناول الطعام وبعده، لأن اليدين من أكثر الأعضاء تعرضاً للأوساخ لكثرة استعمالهما في لمس ومسك الأشياء وحملها، وقد نوه رسول الله بنظافة اليدين في حديثه: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فليغسل يده قبل أن يدخلها في وضوئه فإن أحدكم لايدري أين باتت يده»(٥٠). وزيادة على ذلك فقد

ركّز رسول الله على نظافة اليد اليمنى بالذات، ولهذا نهى عن استعمالها في الاستنجاء، أو لمس السبيلين بها أثناء البول أو الغائط، فقال: «إذا شرب أحدكم فلايتنفس في الإناء وإذا أتى الخلاء فلايمس ذكره بيمينه ولايتمسح بيمينه»(٥١).

٢- نظافة الفم : الفم هو أول الجهاز الهضمي، وبالتالي فإن إهمال نظافته يؤدي إلى تعفن الفضلات المتبقية من الطعام ولهذا الشأن أضراره الصحية من حيث صحة اللثة والأسنان والمعدة وباقي أجهزة البدن. كما أنه مهم من الناحية الاجتماعية، إذ تفوح عندئذ من الفم الروائح الكريهة، فتعويد البالغين على تنظيف الفم بالمضمضة والسواك أوماينوب عنه في وقتنا الحاضر «الفرشاة والمعجون» أمر في غاية الأهمية. والإسلام يدعو إلى تنظيف الفم باستمرار، كما أوجبت السنّة النبوية في الوضوء أن يمضمض الإنسان فمه، كما عرف عن رسول الله أنّه كان يمضمض فمه وكان يستعمل السواك دائماً، فعن سويد بن النعمان قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فلّما كنّا بالصهباء دعا بطعام فما أتى إلا بسويق فأكلنا فقام إلى الصلاة فتمضمض ومضمضنا»(٥٢)، وقال رسول الله: «لولا أن أشق على المؤمنين -وفي حديث زهير على أمتي- لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»(٥٣). والسواك له مزايا صحية جيدة، حيث ثبت أخيراً من تحليل مادة السواك «أنه يحتوي على مواد مطهرة للفم، ومعادن واقية من تسوس الأسنان لاتوجد في المعاجين المعروفة، فضلاً عن أنه أسهل تناولاً وأخف حملاً وأنظف وأقل ثمناً»(٥٤). وقد صنعت بعض الشركات معجوناً من السواك يباع الآن في الصيدليات باسم «كوالي مسواك».

٣- نظافة الأنف : والأنف من الأعضاء الرئيسة التي يتنفس منها الإنسان، والأنف ومايحويه من أهداب وغشاء مخاطي هو الذي يقوم بتنقية الهواء الداخل إلى الرئتين وتصفيته، وإذا أهملت نظافته فإنه قد تلتصق به بعض الأوساخ والجراثيم العالقة بالهواء فتؤثر على سير عملية التنفس، وبالتالي تؤثر على صحة الولد، وتعويد الأولاد على نظافة هذا الجزء الهام أمر هام، ويتم تنظيفه عن طريق

الاستنشاق والاستنثار أكثر من مرة حرصاً على تنظيفه تنظيفاً جيداً، وقد أمر الرسول بذلك كما في قوله: «إذا استيقظ أحدكم من منامه فليستنثر ثلاث مرات»(٥٥).

٤- نظافة الوجه : والوجه يحوي أجزاء هامة في جسم الإنسان منها العينان والأذنان بالإضافة إلى الفم والأنف اللذين سبق ذكرهما، إضافة إلى أن الوجه من أهم محاسن مظاهر الفرد في حياته، لهذا فإن تنظيفه من الأمور الضرورية من الناحية الصحية والاجتماعية التي ينبغي أن يعتادها البالغون في حياتهم اليومية.

ونظافة الوجه ومايحويه من أجزاء هامة قد أكّدها الإسلام أكثر من مرة في اليوم كما شمل هذا التأكيد كافة أجزاء جسم الإنسان التي تكون عرضة للأوساخ، وقد جعل نظافتها شرطاً أساسياً في صحة الوضوء، بل أوجب تنظيف كل عضو ثلاث مرات أثناء الوضوء تأكيداً لنظافتها تنظيفاً تاماً، فعن حمران مولى عثمان بن عفان «أنّه رأى عثمان دعا بوضوء فأفرغ على يديه من إنائه فغسلهما ثلاث مرات ، ثم أدخل يمينه في الوضوء ثم تمضمض واستنشق واستنثر، ثم غسل وجهه ثلاثاً، ويديه إلى المرفقين ثلاثاً، ثم مسح برأسه ثم غسل كل رجل ثلاثاً ثم قال: رأيت النبي ﷺ يتوضأ نحو وضوئي هذا»(٥٦).

٥- نظافة السبيلين : وهما من الأجزاء التي تتطلب نظافةباستمرار حتى لاتسبب روائح كريهة للجسم أو تكون مصدراً لكثير من الأمراض، وتنظيفهما يكون بالاستنجاء بالماء عند التبول أو التغوط، وفي حالة غياب الماء يكون التنظيف بالاستجمار بالحجر أو منديل أو ورق نظيف أو ماشابه ذلك، وعدم استخدام المواد الضارة في نقل الآفات والجراثيم كالروث أو البعر أو العظم، أو ما كان قذراً، على أن يكون الاستجمار ثلاث مرات فاكثر، وقد ربى رسول الله ﷺ أصحابه حتى على مثل هذه الأمور، فعن عبد الرحمن بن يزيد عن سلمان قال: قيل له: «قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراءة، قال، فقال: أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول أو نستنجي باليمين، أو أن نستنجي باقل من ثلاثة أحجار»(٥٧).

٦- نظافة الجسد: وإذا كانت الأجزاء التي سبق ذكرها أكثر عرضة للتلوث والأوساخ، ويتطلب الأمر نظافتها يومياً، فإن الجسد أيضاً يتعرض لبعض من ذلك إضافة إلى مايفرزه من عرق عن طريق مسامات موزعة على الجلد، ولهذا فإن نظافته بالماء والصابون مرة واحدة في الأسبوع على الأقل أمر ضروري لصحة الأولاد، وإذا تطلب الأمر -كما في المناطق الحارة والعالق بجوها الأتربة والغبار- فإنه يجب أن يستحم الأولاد في فترات متقاربة وباستمرار ولو يومياً.

والأسرة وهي تربي أولادها على ذلك إنما تنفذ تعاليم الرسول كما في قوله: «حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يوماً يغسل فيه رأسه وجسده»(٥٨).

ومن بين أمور النظافة الجسدية التي ينبغي على الأسرة أن تعود أولادها عليه تقليم الأظافر وقص الشعور، وخاصة الشعور التي قد تكون سبباً في إصدار روائح كريهة للجسد مثل شعر الأبط والعانة، وهذا ماوجهت إليه السنّة المطهرة، لقول رسول الله ﷺ : «الفطرة خمس الختان، والاستحداد ، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الأبط»(٥٩).

القسم الثاني : التربية على نظافة الملبس :

تعمل الملابس على حماية الجسد عن بعض الغبار والأتربة والقاذورات، كما أنها ستر لتغطية جسد الإنسان، ولها ارتباط وثيق بحسن المظهر والذوق الجمالي، وهي عنوان طهارة صاحبها وحسن نظافته، فمن واجب الأسرة أن تحرص على نظافة ملابس أولادها، وأن تعودهم العناية بها ونظافتها باستمرار والاعتياد على لبس الملابس النظيفة والنفور من لبس الملابس القذرة ، وتعويدهم تغيير ملابسهم باستمرار وكلما دعت الحاجة لغسلها وتنظيفها ، وخاصة الملابس الداخلية الملاصقة للجسم ، وأن تعوّد أولادها على حسن الهيئة والمظهر . وهذا مبدأ تقره تعاليم الإسلام، التي تدعو إلى نظافة الملابس كما في قوله تعالى: ﴿وثيابك فطهر﴾ (المدثر:٤)، وعن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من

كبر». قال رجل: إن الرجل ليحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة. قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بطر الحق وغمط النّاس»(٦٠)، وفي هذا الحديث دعوة إلى حسن المظهر «إنّ الله جميل يحب الجمال»، ولأنّ الحاجة إلى الجمال من الحاجات النفسية في الإنسان، لذا فالله أمر مايحقق هذه الحاجة، فقال تعالى: ﴿يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولاتسرفوا إنه لايحب المسرفين. قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾(الأعراف: ٣١-٣٢).

ومن العوامل التي تسهم في حسن المظهر التطيب، فهو يجعل رائحة الفرد مقبولة ومحبوبة عند الآخرين، إضافة إلى الراحة النفسية المنعكسة على الشخص نفسه، فوضع الطيب في ملابس الأولاد وتعويدهم على التطيب وحمل الطيب من العادات الحميدة في جانب النظافة، وقد طبّق ذلك رسول الله على نفسه، فعن عائشة قالت: «كنت أطيب رسول الله ﷺ بأطيب مايجد حتى أجد وبيص الطيب في رأسه ولحيته»(٦١). وأن النبي ﷺ «كان لايردّ الطيب»(٦٢).

القسم الثالث: التربية على نظافة البيئة:

والنظافة لاتقتصر على الجانب الجسدي فحسب بل يجب أن تشمل البيئة التي يعيش فيها الأولاد فإذا كان محيط بيئتهم نظيفاً ساعد على نمو أجسامهم نمواً سليماً، وإذا كان مليئاً بالأوساخ والقاذورات كان مصدراً للأمراض والعلل التي تضر بصحتهم وتعرقل نموهم.

لهذا ينبغي على الأسرة مراعاة نظافة البيئة التي يحيا فيها أولادها، وتنقيتها من كل عوامل القاذورات والأوساخ، أي أن تعمد الأسرة وبالدرجة الأولى إلى نظافة المنزل الذي هو مكان راحة الأولاد وجلوسهم، وهو محل تغذيتهم وإقامتهم، بالإضافة إلى أن قذارة البيت قد تكون عاملاً رئيساً في تنفير البالغين وكرههم لمسكنهم.

ومما ينبغي أن تشمله النظافة المنزلية -حسبما أشارت إليه بعض كتب الصحة- هو كنس المنزل وغسله ومسحه من الأتربة والغبار، وغسل وتنظيف أغطية المسكن وفرشه مع التركيز على الملابس التي يستخدمها الأولاد في النوم، وتعريضها إلى أشعة الشمس، والهواء للقضاء على بعض الجراثيم والميكروبات وبيض الديدان العالقة بها. ومما تشمله نظافة المنزل أيضاً القضاء على الحشرات الناقلة للأمراض مثل الذباب والبعوض والصراصير بالمبيدات الحشرية، وسدّ جميع الشقوق والفتحات التي قد تكون بيئة صالحة لتكاثرها، وخاصة الشقوق والفتحات الموجودة بالمطبخ ودورات المياه.

ومن نظافة المنزل أيضاً التخلص من الفضلات أولاً بأول وإبعادها عن المنزل؛ لأنها مصدر لانتشار كثير من الأمراض، وعدم تربية الحيوانات بالمنزل مثل تربية القطط والكلاب، أو الدواجن كالحمام والدجاج وغيره، أو بعض المواشي لأنها قد تكون سبباً في انتشار بعض الأمراض إضافة إلى ماتصدره من روائح، وإن كان ولابد، فلابد من إبعاد أماكن مثل هذه الحيوانات عن المساكن والبيوت.وإضافة إلى ماسبق ينبغي على الأسرة أن تقوم من وقت لآخر ومتى دعت الحاجة بكشط وحك الأرض والأخشاب بالفرشاة القوية ثم القيام بصبغ البيت بالطلاء المناسب.

ومن الأمور التي تعين الأسرة على تنظيف منزلها هو اقتناء الآلات والمواد المتعلقة بالنظافة مثل آلات الكنس والغسيل، ومواد النظافة مثل الصابون وبعض مواد التطهير «كالديتول»، ومما يسهل عملية النظافة أيضاً الترتيب والتنظيم المستمر لجميع أثاث البيت وأدواته، ومراعاة اقتناء الأثاث الذي يمكن تحريكه وتنظيفه بسهولة .والأسرة وهي تهتم بنظافة منزلها إنما تحقق دعوة تعاليم الإسلام إلى النظافة كما في قول رسول الله ﷺ : «إنّ الله تعالى طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب الكرم جواد ويحب الجود فنظفوا أفنيتكم (٦٣)».

القسم الرابع : التربية على نظافة المشرب والمأكل :

وسيعمد الباحث إلى مناقشة كل جانب على حدة فيما يلي :

١- نظافة المشرب : من المعلوم أن هناك العديد من الديدان المعوية والملاريا والكوليرا والحمى الصفراء وعديد من ميكروبات وجراثيم بعض الأمراض تنتشر في الماء وهو البيئة الصالحة لحياتها ولاتستطيع الحياة فيما سواه. ويعتبر تلوث المياه ومياه الشرب بالذات من الأخطار البالغة التي تهدد صحة الفرد.

والاهتمام بماء الشرب ونقاوته من واجبات الأسرة والمجتمع والدولة والعالم، أمّا واجب الأسرة، وهو الذي يعني الباحث، فينحصر في التأكد من نظافة الخزّانات التي تحفظ فيها مياه الشرب للمنزل، وكذلك أنابيب الماء المستعملة في المنزل، وأن تعود الأسرة أولادها وتربيهم على المحافظة على مصادر المياه نظيفة وعدم تلويثها بالقاذورات والفضلات التي تضر بالصحة عند شربها أو الاغتسال بها، وهذا مانوه إليه رسول الله ﷺ في قوله : «لايبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل منه»(٦٤)، والمحافظة على تغطية أواني الشرب وعدم تركها مكشوفة تنفيذاً لما حواه حديث رسول الله في قوله: «أطفئوا المصابيح إذا رقدتم وغلقوا الأبواب وأوكوا الأسقية وخمرّوا الطعام والشراب»(٦٥). وتعويد الأولاد بعدم الشرب من فم الإناء خشية من أن ينتن الإناء، ووقاية من نقل بعض الأمراض عن طريق ملامسة الفم الإناء، واستخدام كأس أو إناء صغير للشرب ويغسل باستمرار بعد الاستعمال، وقد نهى رسول الله ﷺ «عن الشرب من فم القربة أو السقاء»(٦٦)، ومن المحافظة على نظافة مياه الشرب أيضاً عدم التنفس فيها لما قد يختلط من النفس الصادر من الفرد من روائح وثاني أكسيد الكربون بالماء فيؤثر عليها،، وهذا مانهى عنه أيضاً رسول الله في قوله: «إذا شرب أحدكم فلايتنفس في الإناء»(٦٧) .

٢- نظافة المأكل : كثير من المأكولات وخاصة الخضروات والفواكه التي لاتطبخ على النار قد تكون حاملة العديد من بويضات بعض الديدان المعدية أو قد تحمل بعض الميكروبات والجراثيم، فغسلها وتنظيفها النظافة الجيدة أمر في غاية الأهمية

لصحة الأولاد، ومما قد يضر بصحتهم أن تقدّم الأسرة لهم بعض الخضار أو الفواكه دون غسلها وتنظيفها النظافة الجيدة. كما ينبغي على الأسرة أن تحرص على نظافة جميع الأواني المستخدمة للطبخ، وأن تحرص أيضاً على نظافة جميع الآلات المستخدمة مثل آلات التقطيع، والعصر، والتقشير، وما إلى ذلك، ومكمن الخطورة في عدم تنظيف مثل هذه الآلات أن الأسرة قد تنظف الأجزاء الخارجية للآلة ، وتهمل بعض الأجزاء الداخلية لها، وعند استخدامها للمرة الثانية يتلوث الغذاء الجديد بمخلّفات الغذاء القديم، ولهذا ينبغي على الأسرة أن تعمد إلى نظافة جميع أجزاء الآلة التي تلامس الغذاء نظافة جيدة، وأن تدرب البالغين على كل أنواع التنظيف ومعايشتها باستمرار.

ومن الجوانب الهامة لنظافة مأكولات الأولاد والتي يجب على الأسرة مراعاتها الحفظ الجيد للأغذية من الفساد، أي ينبغي على الأسرة أن تتبع الطرق السليمة في حفظ الأغذية لأن معظم فساد أغذية الأولاد وتلوثها ناتج عن طرق التخزين الخاطئة، التي قد تؤدي إلى التسمم الجزئي أو الكلي ومن بين الطرق السليمة والتي ينصح علماء الصحة(٦٨) باتباعها في حفظ الأغذية مايلي :

(أ) التخزين البارد (التبريد)، وهو يستعمل في حفظ الطعام بالمنزل عند درجة حرارة معينة -كالثلاجة مثلاً- وذلك لحفظ الطعام «اللحوم والبيض والفواكه والخضروات» لمدة معينة تتفاوت بين أسبوعين وشهر.

(ب) التثليج (التجميد)، يستخدم للأطعمة التي يراد حفظها لمدة طويلة قد تصل إلى ٦ شهور ويستخدم في ذلك «الفريزر» علي أن لاتزيد حرارته عن -١٥م، ومن مزايا هذه الطريقة أن الفيتامينات التي توجد بالأطعمة المثلجة لاتتأثر أو تفقد شيئاً من قيمتها.

(ج) التجفيف، وهي طريقة قديمة ومعروفة وتستعمل في حفظ الأسماك واللحوم والفواكه والحليب، ولكن عيب هذه الطريقة أن فيتامين (ج) الذي يوجد في هذه الأطعمة يفقد قيمته، والأطعمة التي تحتوي على دهون تتأكسد وتفسد بمرور الزمن.

(د) التسكير والتمليح. وذلك باستعمال محلول السكر المركّز أو الملح المركّز في حفظ بعض الأطعمة مثل المربيات والمخللات، وهذه المواد تمنع تكاثر البكتيريا والفطريات.

(هـ) إضافة مواد كيماوية حافظة. تضاف هذه المواد إلى الأغذية بقصد إيقاف أو تعطيل نشاط الميكروبات المسببة للفساد، أو لتعطيل عملية الأكسدة، كما قد تستخدم في تحسين الطعم أو لون وقوام المادة الغذائية، وهذه المواد الكيماوية عديدة من بينها الأحماض مثل حمض الفليك والستريك وبنزوات الصوديوم، إلا أن إضافة هذه المواد للأغذية يجب أن يكون عن دراية وعلم بالمقادير اللازمة لما لها من آثار سيئة إذا استخدمت استخداماً غير صحيح أو أضيفت بكميات غير مناسبة.

(و) التعليب وهذه الطريقة تستعمل بكثرة في حفظ أكثر أنواع الطعام وتتم العملية بطرد وتفريغ العلبة تماماً من الهواء، ثم تضاف مواد كيماوية حافظة حسب الطلب، ثم تلحم العلبة جيداً لمنع دخول الهواء، وغالباً مايقوم بتلك العملية مؤسّسات متخصصة وعلى الأسرة المستخدمة لتلك الطريقة أخذ كل التدابير اللازمة ليكون الطعام المعلّب نظيفاً من البكتيريا، وأن تكون العلب مفرغة تماماً من الهواء قبل اللحام، وإلا فإن الطعام سيحدث به عفن وحموضة، وتنتج منه غازات، ويتغير لونه وشكله وطعمه ورائحته.

والأسرة وهي تعتمد على المحافظة على أغذيه أولادها من الفساد والتعفن وتنظيفها النظافة الجيدة، إنما تحقق واجباً دينياً يمليه عليها دينها الإسلامي، كما في قوله تعالى: ﴿يا أيّها الّذين آمنوا كلوا من طيّبات مارزقناكم﴾ (البقرة : ١٧٢)، والطيبات هو الأكل الحلال، ومن أبرز علامات الأكل الطيب أن لايكون مضراً بالجسم، فالمحافظة على الطعام من الأوساخ والفساد والتعفن من الشروط الأساسية في جعل الأكل طيباً، وبإهمال ذلك يصبح الأكل غير نافع أي ضار بالبدن، وقد حرّم الإسلام جميع الأغذية الضارة بالبدن، وعبّر عنها بالخبائث، كما في قوله تعالى: ﴿ويحل لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث﴾(الأعراف : ١٥٧)، وقد فسر الإمام الرازي، قوله تعالى: «يحل لهم الطيبات». أي الأشياء المستطابة بحسب الطبع وذلك لأن تناولها

يفيد اللّذة والأصل في المنافع الحل، فكانت هذه الآية دالّة على أن الأصل في كل ماتستطيبه النفس ويستلذه الطبع الحل إلا لدليل منفصل كما فسر قوله تعالى: «ويحرم عليهم الخبائث»، أي كل مايستخبثه الطبع، وتستقذره النفس وكان تناوله سبباً للألم، والأصل في المضار الحرمة، فكان مقتضاه أن كل مايستخبثه الطبع فالأصل فيه الحرمة، إلا لدليل منفصل(٦٩). وقد أكّد رسول اللّه المحافظة على الأطعمة والأشربة وتغطيتها وعدم تعرضها للتلوث، كما حثّ عليه السلام على نظافة الأواني والأدوات التي يستخدمها الإنسان في طعامه وشرابه وصونها من أيّ تلوث ينقل الأمراض إلى الإنسان، ومن حرصه الشديد في هذا الجانب أمر بغسل الإناء الذي ولغ فيه الكلب سبع مرات أولاهن بالتراب، وقد كشف العلم الحديث أن «داء الكلب» ينتقل إلى الإنسان عن طريق ولوغ الكلب الإناء، ولهذا قال الرسول: «إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً»(٧٠)، وفي رواية «طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب»(٧١).

الوظيفة الثالثة: وقاية البالغين من أسباب الأمراض الجسمية والنفسية:

إن وقاية الجسد وحمايته من أي عامل يؤثر عليه هي جزء هام من الصحة العامة، وهي من العوامل الهامة في تحسين صحة الفرد والمحافظة عليها، والأسرة وهي تقوم بهذاالجانب -الجانب الوقائي- إنما تحفظ لأولادها البالغين صحة جيدة، وتجنب أولادها ونفسها المضار الماديّة والصحية التي تترتب على إغفال أو إهمال تلك الأشياء. ومن بين الأساليب والوسائل التي ينبغي على الأسرة مراعاتها في حماية ووقاية أجساد أولادها مايلي:

١- وقاية البالغين من الأطعمة المحرّمة :

ينبغي على الأسرة أن تقي البالغين من كافة الأطعمة والمشروبات التي تضر بصحتهم، والتي اصبحت تهدد صحة الشباب في وقتنا الحاضر ومن بينها مايلي :

(أ) وقاية البالغين من الخمور والمسكرات :

وهذه المشكلة تعد من أخطر المشكلات التي تواجه شباب العالم في وقتنا الحاضر ، حيث أشارت إحصاءات بعض المجتمعات إلى أن هناك تفاقماً وازدياداً في عدد المدمنين حيث تقدر نسبة مدمني الخمور «بحوالي ٥٪ من مجموع سكان الولايات المتحدة . و ٢٪ من مجموع سكان بريطانيا، وقد تصل هذه النسبة إلى أكثر من ٨٪ في بعض دول أوربا »(٧٢)، وهذه المرحلة – مرحلة البلوغ- من أخطر المراحل في البدء في استعمال المخدرات، ففي عام ١٩٧٥م أشارت بحوث القوات المسلحة في النرويج إلى: « أن نصف من يستعملون المخدرات قد بدأوا قبل سن الخامسة عشرة »(٧٣)، كما أشارت صحيفة في استبيان تم توزيعها في مدارس (استوكهولم) عام ١٩٧٠/١٩٧١م: إلى « أن تلميذاً من كل ثلاثة تلاميذ قد جرّب استخدام المخدرات مرّة واحدة على الأقل »(٧٤).

لهذا فإن انتشار المخدرات بين صفوف البالغين في العالم المعاصر من أكبر المشكلات التي تواجه الأسرة المسلمة في تربية البالغين، والذي يزيد الأمر تعقيداً انتشار المخدرات واستخدامها بصورة خفية أو ظاهرة، وغزت المخدرات الطبيعية منها والمصنّعة أسواق العالم، وتنوعت أشكالها وألوانها وتركيباتها ومسمياتها لدرجة يصعب على الأسرة تمييزها وملاحظتها، ولكن سيعمد الباحث وباختصار إلى ذكر أكثر أنواع المخدرات شيوعاً إضراراً بالصحة، حسبما ذكرها المختصون في هذا الجانب، كي يكون عوناً للأسرة في تربية أولادها على وقايتهم منها والابتعاد عنها ومن بين هذه الأنواع مايلي:

(أ) **المسكنات المخدرة :** وهي تشمل الأفيون ومشتقاته، مثل المورفين، والهيروين والكودين وغيرها، وهي من أخطر المخدرات التي تقلق دول العالم، وأن استعمالها يسبب كما يقول أحد الباحثين: «الغثيان، وعدم القابلية لتناول الطعام، وتحدث الإمساك والارتباك وتصبب العرق، وقد يحدث قيء وخاصة عند استخدامه والمعدة ممتلئة بالطعام، كما يعيق التبول ويحدث صعوبة في التخلص من البول، ويجف

اللعاب، ويحمر الوجه، ويشعر الإنسان بالدوخة، وبطء ضربات القلب، وخفقان القلب وغيبوبة، وتغيرات في الحالة المزاجية، وتعب وضيق حدقة العين، وارتفاع الضغط في الجمجمة، والجرعات الكبيرة تحدث هبوطاً في التنفس وانخفاضاً في ضغط الدم مع هبوط الدورة الدموية، وغيبوبة شديدة، وقد يحدث وفاة لهبوط التنفس»(٧٥).

(٢) **المنومات والمهدئات** : وهي تصنع من مواد كيميائية، ومنها أنواع عديدة منها «الباربيتيورات» و«الميثاكوالون» و«البنزوديازبينز» ، وكل واحد من هذه الأنواع له عدد كبير من المشتقات وهذه العقاقير استخدمت في البدايه للتغلب على الأرق، وعدم القدرة على النوم، وتضاعف خطرها إلى الإدمان عليها وخاصة عندما تزداد الجرعة، وقد ذكر أحد الباحثين بعضاً من تأثيرات العقاقير المنومة، وقال: «تهبط المنومات وظائف المخ مثل الخمر، فتضعف القدرة على التركيز والانتباه وتنخفض القدرة على قيادة المركبات بكفاءة، والمهارات الحركية الأخرى كالسباحة. ويشعر المتعاطي بالنشوة في البداية عند تعاطي العقار، ثم النعاس والنوم، ثم الخمول وضعف حدة الإبصار، والخطأ في تقدير مدة المؤثرات السمعية واختلال صواب الحكم على الأمور، .. وتهبط المنومات وظائف مراكز التنفس ... كما أنها تخفض ضغط الدم وكمية الدم التي يضخها القلب»(٧٦).

(٣) **المذيبات الطيارة (المستنشقات)** : وهي المواد التي تسبب الإدمان عند استنشاقها مثل البنزين، ومخفف الطلاء (التربنتين) ومزيل طلاء الأظافر، والصمغ، ومزيلات البقع وسوائل التنظيف، ومواد أخرى كثيره، يقول أحد الباحثين لقد: «انتشر استنشاق الصمغ وباقي المواد المتطايره، ومن العجيب أنها كانت بين الأطفال والمراهقين من ٩-١٨ سنة»(٧٧).

وعن تأثير المواد المتطايرة وأضرارها، فإن المتعاطي يشعر «بالدوار والاسترخاء والهلوسات البصرية والغثيان والقيء أحياناً، أو يشعر بالنعاس. ومن أهم المضاعفات ماقد يحدثه من الوفاة الفجائية نتيجة لتقلص أذين القلب وتوقف نبض القلب أو هبوط التنفس، حيث يكون تأثير هذه المذيبات ذا ضرر بالغ على المخ كتأثير المخدرات العامة. .ومن مضاعفات وأضرار هذه المواد الانتحار، وحوادث

السيارات، وجرائم العنف، وتلف المخ، أو الكبد أو الكليتين. كما أن القلب يعطب والكبد نتيجة الاستنشاق المتواصل والنخاع الذي يصنع كريات الدم، فيصاب المتعاطي بفقر الدم الشديد وعطب المخ الذي قد يؤدي إلى التخريف، وقد تسبب بعض هذه المواد تورماً في الرئتين »(٧٨).

(٤) **عقاقير الهلوسة** : ويطلق عليها المهلوسات والمخبلات، وتصنف عقاقير الهلوسة إلى فئتين رئيسيتين هما :

– عقاقير الهلوسة الموجودة في النباتات ، ومن هذه العقاقير وأهمها انتشاراً في الاستخدام والإدمان: الحشيش وهو يستخرج من نبات القنب ويستخرج أيضاً من نبات القنب «الماريوانا» و «زيت الحشيش»، والحشيش من أخطر المخدرات التي تواجه العالم في وقتنا الحاضر، فهو لايقل في خطورته عن مخدر الأفيون ، والمورفين، والهيروين الذي سبق ذكرها.

والحشيش له أضرار صحية بالغة منها «اضطراب الذاكرة، وتشتت الأفكار وعدم القدرة على إدراك الأخطار، واحمرار العينين، وسرعة دقات القلب، ويعطل الحشيش خمائر الكبد، ويؤدي إلى تشويه جنين الحيوان المنوي، وقد يسبب الإجهاض في النساء، وعطب خيوط النواة الملونة التي تنقل الصفات الوراثية للجنين، وتؤدي الجرعة الواحدة لمن يتعاطى الحشيش لأول مرّة إلى النعاس ثم النوم، وقد يسبب آثاراً مزعجة، فيشعر الفرد بفقدان السيطرة على التنفس وانعدام الزمن والقلق الشديد والشعور بأنه يوشك على الموت. كما يؤدي إلى اضطرابات نفسية بصورة متقطعه، فيمر المتعاطي بدورات متوالية من الهلوسة واختلال الإحساس واضطراب الانفعال ليعود إلى حالته الطبيعية بعد فترة، ثم يضطرب بعد ذلك، وهكذا . »(٧٩)

وهناك عدد كبير من عقاقير الهلوسة الموجودة في النباتات(٨٠) منها «الأمانيتا ماسكاريا» وهو نوع من الفطر و «الزايلوسايبين» وهو أيضاً نوع من الفطر، و «المسكالين» ويوجد بحالة طبيعية في صبار البيوت، و «بذور نبات مجد الصباح»، وجوزة الطيب» و «قشور الموز»، حيث يقول أحد الباحثين: «ينتشر بين بعض المراهقين عادة إحراق قشور الموز المجففة واستنشاق أبخرتها ، وهذه القشور

تحتوي مادة «تايزمين» الشبيهة في تركيبها بأجزاء من عقاقير الهلوسة»(٨١).

– عقاقير الهلوسة المصنّعة : وهي من العقاقير المركبّة كيميائياً، ويذكر أحد الباحثين أن أخطرها «الفانسايكلدين» أو «بي.سي.بي» وأيضاً عقار «ال.اس.دي»، بالإضافة إلى أصناف أخرى عديدة من المهلوسات.(٨٢)

ومواد الهلوسة جميعها تحدث أضراراً صحية فادحة، حيث يفقد المرء حسه بالمكان والزمان، وتسبب أوهاماً وهلوسات مثيرة للصور الذهنية، ويكون الاكتئاب أحياناً من الشدة بحيث أن المرء يصبح ميالاً إلى الانتحار. ولكن أشد الأخطار شيوعاً كما يقرره أحد الباحثين هو «ضعف القدرة على الحكم السليم، مما يؤدي في كثير من الأحيان إلى وقوع حوادث، وينبغي مراقبة الأشخاص الذين هم في مثل هذه الحالة مراقبة دقيقة للحيلولة دون إلحاق أذى بأنفسهم وبالآخرين»(٨٣).

ونظراً لخطورة عقاقير الهلوسة فإن بيعها وشراءها واستخدامها محرم دولياً.

(٥) **المنبهات والمنشطات** : وتعرف أيضاً بالمحفزات أو مضادات الكآبة أيضاً ويعتمد مستخدموا هذه العقاقير على المنبهات لزيادة طاقتهم وحيويتهم ولبقائهم متيقظين أو السيطرة على شهيتهم، ولكن هذه المنبهات يمكن أن تسبب إدماناً ، لأن الذين يعتادون على استخدام هذه العقاقير بصورة متكررة يشعرون بأعراض الانقطاع عنها إذا توقفوا عن تعاطيها.

وتندرج تحت المنشطات والمنبهات مجموعة من العقاقير، منها: «الأمفيتامينات»، و«الكافين»، و«الكوكاين»، و «تينوات»، و«ريتالين»، و«نيكوتين»، و«ايبيدرين» ،و«ستركنين» ، و«القات»(٨٤).

وقد ذكر أحد الباحثين أن استخدام المنهبات بصورة متكررة، وخاصّة الذين يعتادون على تناول المنبهات في الصباح والمهدئات في المساء: «يؤثر على وظائف الجسم العادية. ويمكن أن يؤدي إلى مرض جسماني وعقلي، ويمكن أن تكون الكميات الكبيرة من المنبهات قاتلة، وعندما يقترن استخدام هذه المنبهات بالتمارين الجسمانية فإن أخطارها تزداد»(٨٥).

وبالإضافة إلى أضرار المخدرات الصحيّة والنفسية، فإن لها أضراراً اقتصادية واجتماعية وأخلاقية، فتؤدي إلى «قلة الانتاج وتفكك الأواصر الأسريّة والاجتماعية، والتدهور الاقتصادي، وكثرة الحوادث والجرائم»(٨٦).

فالخمر أم الخبائث، كما روى أبوبكر بن عبد الرحمن بن المرث عن أبيه، قال: سمعت عثمان رضي اللّه عنه يقول: «اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث، أنّه كان رجل من قبلكم تعبّد فعلقته امرأة غويّة ، فأرسلت إليه جاريتها ، فقالت له إنّا ندعوك للشهادة ، فانطلق مع جاريتها ، فطفقت كلّما دخل باباً أغلقته دونه حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام ، وباطية خمر، فقالت : إني واللّه ما دعوتك للشهادة ولكن دعوتك لتقع عليّ ، أو تشرب من هذه الخمرة كأساً ، أو تقتل هذا الغلام ، قال : فاسقيني من هذا الخمر كأساً ، فسقته كأساً ، قال : زيدوني ، فلم يرم حتى وقع عليها، وقتل النفس، فاجتنبوا الخمر، فإنها واللّه لايجتمع الإيمان وإدمان الخمر، إلا ليوشك أن يخرج أحدهما صاحبه»(٨٧).

ونظراً لما للخمور والمسكرات من أضرار فادحة على الأفراد والمجتمعات، فقد حرّمها الإسلام، كما في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلّكم تفلحون﴾ (المائدة : ٩٠).

أساليب حماية البالغين من المخدرات والمسكرات :

ومن الأساليب التي تعين الأسرة على وقاية البالغين من هذا الوباء الخطير مايلي:

١- تقوية الوازع الديني في نفوس البالغين، وجعل ابتعادهم عن شرب الخمور والمسكرات لا من أجل مضارها الصحيّة والاجتماعية والاقتصاديّة والأخلاقية فحسب، ولكن فوق هذا وذاك لأن الإسلام حرّمها.

٢- تبصير البالغين بالأضرار الناجمة عن تعاطي الخمور والمسكرات صحياً واجتماعياً واقتصادياً، وثقافياً ، وأخلاقياً.

٣- التغلب على الخلافات الأسرية التي تنشأ أحياناً بين الوالدين أو بين أفراد الأسرة عموماً، وأن يعمد الوالدان إلى خلق جو حميم، يسوده المودة والرحمة، حيث أشارت بعض الإحصاءات إلى أن «٩٧٪ من الشباب المدمنين ينتمون إلى أسر مضطربة أو أسر تسود فيها التوتر والعداء بين الوالدين»(٨٨).

٤- أن تجنب الأسرة أولادها البالغين قرناء السوء، فقد أوضحت الدراسات التي أجريت عن أسباب تعاطي المخدر للمرة الأولى: «أن السبب وراء ذلك يرجع في الغالب إلى إلحاح الرفاق»(٨٩).

٥- أن تسهم الأسرة في محاربة كل من يعمد على نقل وتهريب وبيع وشراء المواد المخدرة، وإبلاغ السلطة بذلك، وتأييد تطبيق حكم الله عليهم.

ب - وقاية البالغين من الدخان :

وهذا الوباء لايقل خطورة عن وباء الخمور السابقة الذكر، حيث أفادت بعض الدراسات التي أجريت حول التدخين أن هذا الوباء منتشر وبنسبة عاليه لدى معظم المجتمعات، فمثلاً هناك «(٥ر٦) مليون مدخن في كندا وحدها.. وأكثر من (٢٠) مليون مدخن في المملكة المتحدة»(٩٠).

وهذا الوباء عادة يكون منتشراً في مرحلة البلوغ أكثر من غيرها من المراحل، حيث أوضحت بعض الدراسات أن «نسبة المدخنين من طلبة المرحلة الثانوية في أمريكا ٥٠٪»(٩١).

والتدخين له أضراره الصحية، حيث أفادت التجارب أن السيجارة الواحدة تحتوى على «١مجم من النيكوتين في المتوسط، والجرعة المميتة للإنسان هي٣٠مجم، أي أن كمية النيكوتين الموجودة في ٣٠ سيجارة كافية لقتل الإنسان إذا تناولها مرة واحدة»(٩٢)، كما تؤكد الحقائق العلمية أن التدخين من الأسباب الهامة للإصابة «بأمراض القلب والشرايين كالجلطة واحتشاء العضلة القلبية، والذبحة الصدرية وأنّه أهم سبب لأمراض الرئتين كالتهاب القصبات الهوائيةالمزمن، وتليف الرئتين،

وسرطان الرئة، وأنه أهم سبب لعدم شفاء المصابين بقرحة المعدة والاثني عشرية، وأنه أهم سبب أيضاً للشيخوخة المبكرة»(٩٣). فضلاً عن بعض التشوهات التي تظهر على وجه المدخن، حيث أثبت أحد الباحثين أن التدخين يؤدي إلى «ظهور تجاعيد عميقة في وجه المدخن، وأن ظهور هذه التجاعيد مبكراً له علاقة بزيادة احتمال تعرض المدخن للإصابة بسرطان الرئة»(٩٤)، كما يعد التدخين من أخطر العوامل التي تؤثر على صحة الحامل والجنين، أي أن العوامل الوراثية تتأثر بالتدخين وقد يؤدي ذلك إلى حدوث تشوهات خلقية، حيث توصلت بعض الدراسات إلى أن التدخين المفرط «يضعف من خصوبة الرجل والمرأة، كما أنه يغير من الخواص الطبيعية للكروموزومات ناقلات الصفات الوراثية، وهذا يؤدي إلى حدوث تشوهات في الأجنة»(٩٥).

كما أن للتدخين أضراراً اقتصادية منها صرف الأموال الضخمة في تصنيعه وشرائه، حيث تدل الإحصاءات أن كندا وحدها انفقت مايقرب من «٣ر٢ بليون دولار سنوياً لإنتاج التبغ.. وأنه في عام ١٩٧٦م استهلكت أمريكا وحدها أكثر من (٦٠٠) بليون سيجارة»(٩٦)، إضافة إلى ما يسببه التدخين في خفض نسبة الإنتاج العام للمجتمع، نظراً لما ينتاب المدخن من تعب وإرهاق، ولم تقتصر أضراره على الخسارة المادية فحسب بل تتعدى إلى خسارة الأرواح، ففي الولايات المتحدة الأمريكية وحدها تبيّن «أنه من بين (٩ر١) مليون حالة وفاة هناك (٣٢٥) ألف حالة بسبب التدخين و (٢٠٠) الف حالة ناتجة عن إدمان الخمور»(٩٧) . فعلى الأسرة أن تبصر أولادهاالبالغين بهذه الحقائق، وأن تنفرهم بها عن التدخين وأن تجعل من نفسها قدوة لهم، فالأب المدخن يصعب عليه أن يمنع ابنه من الوقوع في التدخين.

والمتأمل في تعاليم الإسلام وقواعده العامة في الطعام والشراب، يجد أنه أحل مافيه نفع للنّاس وحرّم ماكان فيه ضرر، أو خبث طعمه أوريحه وقاية لصحتهم كما في قوله تعالى: ﴿ويحلّ لهم الّطيبات ويحرّم عليهم الخبائث﴾ (الأعراف : ١٥٧).

ج - حماية البالغين من تناول لحم الخنزير:

مما هو معلوم أن حيوان الخنزير قذر في أكله وفي صورته ومنظره، وبجانب ذلك فإن تناول لحوم الخنزير يؤدي إلى أضرار صحية اثبتها العلم والتجربة وقد أكدت الحقائق العلمية أن «أليافاً في لحمه تحتوي على نسبة كبيرة من الدهن، كما تحوي في كثير من الأحيان على الدودة الوحيدة المسلحة، وتظهر بشكل حويصلات صغيرة منتشرة في الألياف العضلية، ولاسيما في القسم الأسفل من اللسان، ولهذه الدودة الوحيدة خطرها على الإنسان.. فهي تمتص غذاء الإنسان وتعيش على احتياجاته الضرورية.. وعندما تكون داخل جسم الإنسان، ويتحرك جنين الدودة حتى يصل إلى المخ أو العين يسبب الجنون أوالعمى»(٩٨). كما أن تناول لحوم الخنزير يعمل على إضعاف النسل ويسبب العقم، وقد أكدت الأبحاث العلمية أن «لحم ودهن الخنزير يحتوي على مواد تؤثر على الهرمونات الجنسية عند الذكر والأنثى مما يقلل النسل ويسبب العقم»(٩٩).

ولوقاية الجسم وحمايته من تلك الأضرار الناجمة عن أكله فقد حرّم الإسلام أكله كما في قوله تعالى: ﴿ إنّما حرّم عليكم الميتة والدّم ولحم الخنزير (النحل : ١١٥).

وهناك مواد غذائية ينبغي على الأسرة أن تقي أولادها من تناولها وهي من بين المحرّمات في الإسلام مثل لحم الميتة ، والدم ولحوم ذات المخلب، وما لم يذكر اسم الله عليه .

٢- إعطاء الأولاد اللقاحات والأمصال اللازمة :

لقد كشف العلم الحديث العديد من الأمصال واللقاحات التي تكسب الجسم مناعة ضد المرض الذي تعطى من أجله، وأصبحت المحافظة عليها وإعطائها للأولاد إلزاماً لدى كثير من المجتمعات، والقيام بذلك أصبح عنواناً على ثقافة الأسرة في المحافظة على وقاية أولادها من الأوبئة والأسقام.

وهناك لقاحات تعطى للأولاد عند سن معينة ولعلّ أهمها اللقاحات التي تعطى في الأشهر الأولى من حياة الطفل -وهذه المرحلة خارجة عن نطاق البحث- وهناك لقاحات -وهي التي تعني موضوع الباحث- تعطى عند انتشار بعض الأمراض المعدية مثل مرض (الكوليرا) ، و(الحمى الصفرا) و(الملاريا) .

وهذه الأمراض وماشاكلها يعد التطعيم الفعّال خير وقاية منها، ومن واجب الأسرة أن تدفع بأولادها إلى المؤسّسات المختصة التي تقوم بعملية التطعيم وأن تشجعهم على ذلك، وأن تجعل من نفسها قدوة صالحة لأخذ اللقاحات اللازمة، وأن تعمل على زيادة وعي أولادها بدور اللقاحات في تحصين أجسادهم أمام أي وباء يظهر في المجتمع.

٣- حماية البالغين من الأماكن الموبوءة والأشخاص المرضى:

هناك العديد من الأمراض تنتقل من المريض إلى السليم بملامسته، أو الجلوس معه، أو استخدام أدواته وملابسه، ولهذا فإنه ينبغي على الأسرة أن تجنب أولادها الأماكن الموبوءة ومخالطة المرضى الذين يخشى من مرضهم العدوى، حتى ولو كان المريض أحد أفراد الأسرة .

والأسرة وهي تعمل بذلك إنّما تطبق تعاليم نبيها محمد ﷺ والذي أشار إلى هذا الأسلوب الذي يعد من الأساليب الأساسية للوقاية، وحصر انتشار الأوبئة، وهو عزل المرضى الذين ينتقل مرضهم، وعدم مخالطتهم، كما في قوله: «لا توردوا المرض على المصح»(١٠٠)، كما نهى الرسول الدخول إلى المناطق، أو الخروج منها إذا وجدت فيها أوبئة فتّاكة وخطيرة فقد قال ﷺ عن الطاعون: «فإذا سمعتم بهِ بأرض فلا تدخلوها عليه وإذا دخلها عليكم فلا تخرجوا منها فراراً»(١٠١)، أي المقصود في الحديث كل مرض خطير وفتّاك وينتقل بالعدوى، وزيادة على ذلك فقد قدّم رسول الله درساً عملياً لأخذ الحيطة من وقاية انتشار أمراض الآخرين إلى الأصحاء، فعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: «كان في وفد ثقيف رجل مجذوم، فأرسل إليه النبي

ﷺ «إنّا قد بايعناك فارجع»(١٠٢). ولكن قد يسأل سائل ويقول : كيف نوفق بين الأحاديث السابقة وحديث رسول الله: «لاعدوى ولا طيرة ولاهامة ولا صفر ، وفرّ من المجذوم كما تفرّ من الأسد(١٠٣). وللإجابة على ذلك من العلماء من يشير إلى أن الحديث مخصص بتلك الأحاديث. فقد قال أبو بكر الباقلاني: «إثبات العدوى في الجذام ونحوه مخصوص من عموم نفي العدوى، قال: فيكون معنى قوله: «لاعدوى» أي إلا من الجذام والبرص والجرب مثلاً، فكأنه قال لايعدي شيء شيئاً إلا ماتقدم تبيني له أن فيه العدوى»(١٠٤). ومنهم من يشير إلى أن الأشياء لاتعدي بطبعها من غير مشيئة الله. فقد قال البيهقي : «وأما ماثبت عن النبي ﷺ أنه قال «لاعدوى» فهو على الوجه الذي كانوا يعتقدونه في الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله»(١٠٥).

٤- وقاية البالغين من الأمراض الجنسية:

تعد هذه المرحلة – مرحلة البلوغ- من أشد المراحل إثارة للجنس، وقد تجر البالغين إلى الوقوع في الرذيلة ، والاتصال الجنسي غير المشروع ، ينجم عنه العديد من الأمراض التي أصبحت تشكل خطراً فادحاً في بعض المجتمعات. بل إن معظم المجتمعات أخذت تعاني من تلك الأمراض، ولهذا فقد عمد الباحث إلى إيضاح بعض جوانب خطورة هذه الأمراض لكي تتنبه الأسرة لها، وتعمل جاهدة في الأخذ بكل الأساليب والطرق لحماية أولادها ووقايتهم من تلك الأمراض، ومن بين ماقيل عن تلك الأمراض هو: «إن الأمراض الناتجة عن طريق الجنس (الزنى والعلاقات الجنسية الشاذة) هي أكثر الأمراض المعدية انتشاراً في العالم اليوم، ويزداد كل عام عدد المصابين بهذه الأمراض، وذلك منذ عقدين من الزمن تقريباً، وتقدر هيئة الصحة العالمية عدد الذين يصابون بالسيلان بأكثر من ٢٥٠ مليون شخص سنوياً، كما أن عدد المصابين بالزهري يفوقون خمسين مليون شخص سنوياً»(١٠٦). ويقول أحد الباحثين: «رغم التقدّم الطبي الباهر في مجال التشخيص والعلاج والذي قضى على

كثير من الأمراض الوبائية في العالم، إلا أنّ الأمراض الجنسية زادت زيادة كبيرة خلال الخمسة والعشرين عاماً الماضية»(١٠٧). وقد اتضح أن معظم الأمراض الجنسية أمراض معدية ، تنتقل من المريض إلى السليم، وأنّ أكثر بيئة خصبة لتكاثرها وانتشارها تكون في البغايا والشاذين جنسياً، حيث أشار أحد الباحثين إلى أن هذه الأمراض «لاتنتقل في الأساس إلا عن طريق الزنى أو اللواط أو العلاقات الجنسية الشاذة الأخرى»(١٠٨) وباستخدام أدوات المصابين.

ومن بين هذه الأمراض التي ينبغي على الأسرة أن تعي خطورتها مايلي:

(أ) مرض فقدان المناعة المكتسب (الايدز):

وهذا المرض قد أدخل الرعب في كثير من الأقطار وخاصة الشعوب التي أباحت الاتصال الجنسي غير المشروع، وقد أفاد أحد الباحثين إن «البغايا ومدمني المخدرات بالوريد قد أخذ الرعب من «الإيدز» يدب في أوصالهم ، وأدى ذلك إلى أن يتوقف بعضهم عن الإدمان والبغاء»(١٠٩).

وهو من الأمراض العصرية الحديثة، ظهر لأول مرة عام ١٩٧٨م في بلجيكا، وفي عام ١٩٨١م أطلق «اسم «إيدز» على الوباء الجديد الذي لم يعرف من قبل والذي يتميز بفقدان شديد للمناعة- دون وجود سبب ظاهر لذلك- والذي يؤدي إلى غزو للجسم من قبل الميكروبات والطفيليات وإلى انتشار أنواع من الأورام الخبيثة النادرة في جسم المصاب»(١١٠). ويتصف هذا المرض بسرعة انتشاره، يقول أحد الباحثين: «إن عدد الحاملين لفيروس الأيدز يتضاعف على شكل متواليات هندسية. ففي نهاية عام ١٩٨٥م قدّر الباحثون عدد حاملي فيروس الأيدز في الولايات المتحدة فقط بمليونين وخمسمائة ألف نسمة ، وفي راوندا في أفريقيا وهي بلد صغير لايتجاوز سكانه ٥ ملايين بلغ عدد المصابين ربع مليون»(١١١).

ونظراً لخطورة هذا المرض الذي بات يهدد العالم فقد استنفرت أجهزة الإعلام ودوائر البحث العلمي لمواجهة هذا المرض المحيرّ، وقد صرحت وزيرة الصحة في

لولايات المتحدة «بأن الإيدز هو الشغل الشاغل لوزارة الصحة في الولايات لتحدة»(١١٢).

وقد أشار أحد الباحثين إلى أنه لايوجد علاج ناجح لمرض الإيدز حتى الآن، وأن ذا المرض قاتل خلال ثلاث سنوات منذ ظهور الأعراض بنسبة ١٠٠ بالمئة، وهذا هو لسبب الذي يجعل هذا المرض مرعباً ومخيفاً لحد الهلع، ورغم أنه لايوجد علاج حتى لآن لهذا المرض، إلا أن تكاليف العناية بمرض الإيدز مرتفعة، فقد أوضح أحد الباحثين ن: «تكاليف العناية بمريض الإيدز تتراوح بين خمسين ألف ومائة وخمسين ألف ولار»(١١٣).

أما الفئات التي تصاب بالإيدز فقد أوضحت كتب الصحة أن المصابين بهذا لمرض ينقسمون إلى الفئات التالية:

١- الذكور البالغين أغلبهم من الشاذين جنسياً، ونسبة أخرى مهمة من مدمني لمخدرات وقليل منهم ممن تلقوا نقل دم، أو محتويات الدم.

٢- النساء: أغلبهن من البغايا، أو مدمنات على المخدرات، وبعضهن أصبن نتيجة صابة أزواجهن، كما أن قليلاً منهن أصبن نتيجة نقل الدم.

٣- الأطفال: أغلبهم ممن يعانون من مرض الهيموفيليا (الناعورية)، وبعضهم أصيب تيجة العدوى من أحد الأبوين، كما أن بعض الحالات سجلت نتيجة نقل الدم.(١١٤).

ب) الزهري (السفلس):

وهو من الأمراض الخطيرة والمنتشر بأعداد كبيرة في العالم على الرغم من كتشاف بعض العقاقير الطبية مثل «البنسلين»، حيث أوضح تقرير منظمة الصحة لعالمية لعدد حالات الزهري لعام ١٩٧٥م هو «خمسون مليون حالة.. كما تشير إحدى لإحصاءات إلي أن عدد المصابين بالزهري في الولايات المتحدة عام ١٩٧٦م كان ٤٠٠,٠٠٠)حالة»(١١٥).

وينتقل هذا المرض عن طريق الاتصال الجنسي، أو بواسطة الملامسة أو لقبلات أو عن طريق المشيمة من الأم إلى جنينها، أو بواسطة نقل الدم.

وهذا المرض يصيب مناطق عديدة من الجسم، وقد أشار أحد الباحثين إلى أنه «يصيب أي عضو في البدن، وأي نسيج فيه، إنّه يشابه كل الأمراض، ويقلد كل واحد منها فيسمى بقرد الأمراض»(١١٦). ويذكر باحث آخر «أن ميكروب هذا المرض لايترك جزءاً من الجسم إلا وهاجمه، فهو يصيب الجهاز العصبي بأكمله محدثاً شللاً، ويصيب العظام والمفاصل والعضلات محدثاً تورماً، وقد لايستطيع المريض الحراك، ويصيب الأحشاء الداخلية، مثل الكبد والطحال والرئتين والكليتين والمثانة، كما يصيب الخصيتين، وكذلك أجزاء العينين، كما يصيب الجلد، ويحدث تسلخات وتقرّحات وأوراماً درنية، وكذلك يصيب اللسان وغيره من أعضاء الجسم»(١١٧).

(ج) مرض «الهربس» :

وهو من الأمراض القديمة إلا أن شدة انتشاره قد ازدادت في الوقت الحاضر، فقد بلغ «عدد المصابين بالهربس التناسلي في الولايات المتحدة عشرين مليوناً»(١١٨). وهذا المرض ينتشر بواسطة الإباحة الجنسية ولعل ذلك من العوامل الرئيسة في انتشاره، كما أنه ينتقل عن طريق القبلة، لأنّه مرض جلدي يصيب الفم والشفاة، الأمر الذي حدا بأحد أباطرة الرومان قبل الفي عام إلى إصدار «منشور يمنع القبلات أثناء إقامة الأعياد والاحتفالات للحد من انتشار هذا المرض»(١١٩). وهذا المرض يصيب أجزاء عديدة من جسم الإنسان منها الشفاه وما حولها، وقرنية العين والدماغ وأجهزة التناسل، والأجنّة وعنق الرحم.

(د) التهاب مجرى البول (الكلاميديا) :

وهو مرض منتشر بنسبة عالية في كثير من المجتمعات حيث أوضحت بعض الإحصاءات أنه «تقدر حالات التهاب مجرى البول الجنسي من غير السيلان بستة ملايين حالة سنوياً بالمقارنة مع ثلاثة ملايين حالة من السيلان.. وأن ٩ر٥ بالمئة من جميع السكان البالغين في أثيوبيا مصابون بالكلاميديا الجنسية»(١٢٠)، وهذا المرض ينتقل من المريض إلى السليم سواء كان ذكراً أم أنثى عن طريق الاتصال الجنسي

لمريض. وفي حالة مرض أحد الزوجين فإن الأمر يستلزم الامتناع من الجماع حتى
فائه التام منه، بل إن هذا المرض ينتقل أيضاً إلى الأطفال، كما يشير أحد الباحثين
ى أن المصابين بهذا المرض «قد يصيب أولادهم بالعمى من أمهاتهم أثناء الولادة عن
ريق المهبل»(١٢١). وقد أكّدت بعض الأبحاث الطبية أن انتشار الزنى والإباحية من
م عوامل الانتشار، حيث أجرى بحث في إحدى الجامعات الامريكية على الطالبات
وجد أن الطالبات اللاتي كانت لهن ممارسات جنسية كن مصابات بالكلاميديا.
ينما كانت الفتيات اللاتي لم يكن لهن ممارسات جنسية خاليات من الكلاميديا
جميع الميكروبات الأخرى المسببة للأمراض التناسلية . كما أن هذا المرض قد ينتقل
ى أجزاء جسم المريض مسبباً له أمراضاً أخرى فقد ينتقل إلى العين عن طريق اليد
مسبباً مرض التراخوما، وهو مرض يصيب العين وهو منتشر في كثير من
جتمعات حيث يقدر عدد المصابين به في العالم بخمسمائة مليون شخص، وهو من
كثر الأمراض المعدية انتشاراً، وتعتبر التراخوما أهم سبب للعمى في العالم ،
لإضافة إلى أن هذا المرض يؤدي إلى بعض الالتهابات في جسم الإنسان مثل التهاب
لتحمة العين، والتهاب عنق الرحم، والتهاب قناتي الرحم، والتهاب الشرج ،
التهاب الفم والحلق والبلعوم، والتهاب المثانة في الرجال والنساء، وزيادة على ذلك
هو من الأسباب الرئيسة للعقم في الرجال والنساء، حيث أشار أحد الأبحاث إلى :
ن ثلث حالات العقم ناتجة عن التهابات تسببها الكلاميديا(١٢٢).

ـ) السيلان :

وهو من الأمراض الجنسية الأكثر شيوعاً في العالم، إذ يبلغ عدد المصابين به
سنوياً حسب تقرير منظمة الصحة العالمية لعام ١٩٧٥م بـ « ٢٥٠ مليون شخص»(١٢٣).
عادة يكون هذا المرض منتشراً بين البغايا ، لدرجة أن بعض الشعوب التي كان
بغاء يزاول فيها رسمياً منعت ذلك وإن وجد البغاء فيها بصورة غير رسميّة.

ولهذا المرض أضرار عديدة على صحة الفرد، فهو يؤدي إلى «العقم والتهاب
ناتي الرحم، والمبايض، وإلى آلام شديدة في الطمث، وأوجاع حادة في الظهر، وإلى

الإجهاض، أو انتشار المرض إلى الكبد، أو وجود خرّاج، أو الحمل خارج الرحم»(١٢٤).

من هذا العرض الموجز لبعض الأمراض الجنسية يتضح للأسرة إن الأمر خطير على صحة البالغين، وأنه يجب عليها أخذ كافة الأساليب والطرق لحمايتهم، والأسرة وهي تبحث عن الأساليب والطرق التي تعينها على ذلك، فإنها ستجد في تعاليم إسلامها مايكفل للبالغين الوقاية الفعّالة من الوقوع في مثل هذه الأمراض الفتّاكة، وقد أوضح الباحث تلك الأساليب في الفصل السابق .

٥- وقاية البالغين من الأمراض النفسية :

لقد أصبح الحديث عن الأمراض النفسية والبحث عن أساليب وطرق الوقاية منها أمراً في غاية الأهمية ، إذ أخذت هذه الأمراض تشكل نسبة عالية من المصابين، وقد أظهرت البحوث التجريبية «بأن نصف الذين يشكون من مختلف الأمراض بصورة عامة -على أقل تقدير- هم يعانون من الأمراض النفسية بل ويمكن القول بأن ثلاثة أرباع المرضى (٧٥ بالمائة) في عصرنا الحاضر تنشأ أمراضهم من العلل النفسية»(١٢٥) . والأمراض النفسية عديدة ومتنوعة منها على سبيل المثال التوتر النفسي والقلق والوساوس والكآبة والخوف وغير ذلك، وقد أوضح بعض المختصين في مجال الصحة(١٢٦)، أن الاضطرابات النفسية تؤدي بالفعل إلى العديد من الأمراض العضوية مثل الاضطراب في عمل القلب والأوعية الدموية وارتفاع ضغط الدم وضيق التنفس.

ومن واجب الأسرة أن تعي خطورة هذه الأمراض النفسية التي تلمّ بشباب عصرنا الحاضر أكثر من أي وقت مضى، وأن تحمي أولادها من التعرض للصراع والتوتر والقلق والاضطراب النفسي.

والذي يهم الباحث في هذا المقام هو كشف وإيضاح الطرق والأساليب التي تعين الأسرة على حماية البالغين من مثيرات الانفعالات والتي هي أساس الأمراض النفسية ومن بينها ما يلي :

ج - حماية البالغين من تناول لحم الخنزير :

مما هو معلوم أن حيوان الخنزير قذر في أكله وفي صورته ومنظره، وبجانب ذلك فإن تناول لحوم الخنزير يؤدي إلى أضرار صحية اثبتها العلم والتجربة وقد أكدت الحقائق العلمية أن «ألياف في لحمه تحتوي على نسبة كبيرة من الدهن، كما تحوي في كثير من الأحيان على الدودة الوحيدة المسلحة، وتظهر بشكل حويصلات صغيرة منتشرة في الألياف العضلية، ولاسيما في القسم الأسفل من اللسان، ولهذه الدودة الوحيدة خطرها على الإنسان.. فهي تمتص غذاء الإنسان وتعيش على احتياجاته الضرورية.. وعندما تكون داخل جسم الإنسان، ويتحرك جنين الدودة حتى يصل إلى المخ أو العين يسبب الجنون أوالعمى»(٩٨). كما أن تناول لحوم الخنزير يعمل على إضعاف النسل ويسبب العقم، وقد أكدت الأبحاث العلمية أن «لحم ودهن الخنزير يحتوي على مواد تؤثر على الهرمونات الجنسية عند الذكر والأنثى مما يقلل النسل ويسبب العقم»(٩٩).

ولوقاية الجسم وحمايته من تلك الأضرار الناجمة عن أكله فقد حرّم الإسلام أكله كما في قوله تعالى: ﴿ إنّما حرّم عليكم الميتة والدّم ولحم الخنزير (النحل : ١١٥).

وهناك مواد غذائية ينبغي على الأسرة أن تقي أولادها من تناولها وهي من بين المحرّمات في الإسلام مثل لحم الميتة ، والدم ولحوم ذات المخلب، وما لم يذكر اسم الله عليه .

٢- إعطاء الأولاد اللقاحات والأمصال اللازمة :

لقد كشف العلم الحديث العديد من الأمصال واللقاحات التي تكسب الجسم مناعة ضد المرض الذي تعطى من أجله، وأصبحت المحافظة عليها وإعطائها للأولاد إلزاماً لدى كثير من المجتمعات، والقيام بذلك أصبح عنواناً على ثقافة الأسرة في المحافظة على وقاية أولادها من الأوبئة والأسقام.

وامتناع عن بعض المأكولات، ويجعل الذكر يميل إلى الأنوثة أكثر من ميله إلى الرجولة»(١٢٩).

ولهذا ينبغي على الآباء والأمهات اتخاذ الأسلوب الوسط في تربية أولادهم، أي لايكون تدليلاً مفرطاً ولاشدة قاسية بمعنى أنه لا إفراط ولاتفريط، وهذا مانلمحه في أساليب التربية الإسلامية، ففي الوقت الذي تنبذ فيه الشدة والقسوة في تربية الأولاد فإنها في الوقت نفسه تمنع التدليل والتساهل المفرط في التربية ، كما في قول رسول الله : «مروا أولادكم بالصّلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرّقوا بينهم في المضاجع»(١٣٠).

(د) تجنب التردد والتذبذب ، ينبغي على الآباء والأمهات أن يستخدموا معاملة ثابتة ونهجاً واضحاً في تربية البالغين، وأن يجتنبوا التردد والتذبذب في تربيتهم، بمعنى أنه في المواطن التي تستلزم الموافقة على عمل شيء ينبغي أن تكون تلك الموافقة مستمرة، وأن لايواجه الأولاد بالموافقة في فترة من الفترات، وبالرفض في فترة أخرى على العمل نفسه، مع مراعاة الصدق مع الأولاد والتوافق بين الأقوال والأعمال، حيث نوه أحد الباحثين «بأن أسلوب التردد والتذبذب في تربية الأولاد يجعلهم يعيشون في حيرة من أمرهم، ويولد في نفوسهم بعض الاضطرابات كما يقلل ثقتهم بآبائهم».(١٣١) .

(هـ) مراعاة العدل بين الأولاد، إن تفضيل ولد على ولد، أو وقوف الوالدين مع أحد الأولاد والانحياز له ضد الآخرين، إما لتقدمه الدراسي، أو لحسن معاملته، أو خلقه أو مّا شاكل ذلك، له أضراره النفسية على حياة البالغين، فهو يعمل على نجاح أحد الأولاد على حساب تثبيط همة الآخرين، كما أشار أحد الباحثين: «إلى أن هذا الأسلوب قد يقود إخوانه إلى التذمر والتشرد ويخلق فيهم الحسد وكره الأبوين»(١٣٢). ولعل في قصة إخوان يوسف البرهان الشافي لما يتولد في نفوس الإخوة من كره وبغض نتيجة إحساسهم بأفضلية أحدهم على الآخرين، كما في قوله تعالى: ﴿ إذ قالوا ليوسف وأخوه أحبّ إلى أبينامنّا ونحن عصبة إنّ أبانا لفي ضلال مبين. اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين﴾

(يوسف : ٨-٩)، لهذا دعا رسول الله الآباء والأمهات إلى مراعاة العدل والمساواة بين الأولاد، كما في قوله: «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم»(١٣٣) .

(و) تجنب تحميل الأولاد فوق طاقتهم ، إن تكليف الأولاد فوق طاقتهم ضار بنموهم مثل تكليفهم بالمذاكرة مدة طويلة، أو تكليفهم بحل واجبات أكثر من المعقول، أو اختيار تخصص أو مهنة تفوق قدراتهم وطاقاتهم، كل ذلك يؤدي إلى نشوء الغضب والقلق في نفوس الأولاد، لهذا فإنه ينبغي على الأسرة أن لاتحمل أولادها فوق طاقتهم، وهذا ماتمليه تعاليم دينها الحنيف التي تؤكّد في أكثر من موطن عدم تكليف الفرد فوق طاقته، كما في قوله تعالى: ﴿لايكلّف الله نفساً إلا وسعها لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت﴾ (البقرة : ٢٨٦).

(ز) إشباع الحاجات والرغبات المشروعة للبالغين بقدر الإمكان وبقدر الحاجة : إن عدم إشباع حاجات البالغين قد تؤدي بهم إلى انحرافات واضطرابات عقلية وجسمية وخلقية ونفسية، ولعل كثيراً من الاضطرابات النفسية التي يتعرض لها البالغون تعود في معظم الأحيان إلى عدم إشباع تلك الحاجات وهذا ما أشار إليه أحد الباحثين في قوله: «إذا لم يتمكن الفرد من إشباع هذه الحاجات في البيئة فإنه يتعرض لكثير من عوامل الإعاقة والإحباط؛ التي تؤدي عادة إلى نوع من الاختلال في التوازن أو عدم الملاءمة، فإشباع الحاجات لدى الإنسان شرط أساسي من شروط حصوله على التكيف الذي يحقق له الاستقرار النفسي» (١٣٤).

أما الأساليب والوسائل التي تعين الأسرة في إشباع الحاجات والرغبات المشروعة لأولادها البالغين فقد تناولها الباحث في فصل سابق.

(ك) تنمية القدرة على مواجهة المشكلات والصعوبات : إن بعض الاضطرابات النفسية ناشئة عن عدم القدرة على مواجهة المشكلات والصعوبات، ولهذا فإن تنمية تلك القدرة في نفوس البالغين تعد حصانة لهم أمام الأزمات النفسية والانفعالية التي تعترض حياتهم، ومن الأمور الرئيسة التي تعين البالغين على مواجهة تلك الاضطرابات والانفعالات، وتجعلهم أكثر توافقاً وانسجاماً في حياتهم هي : تقوية الوازع الديني ، والأخلاقي ، وتنمية البصيرة والحكمة .

الوظيفة الرابعه : مساعدة البالغين في اتخاذ الأساليب والطرق لعلاج امراضهم واضطراباتهم البدنية والنفسية :

من المعلوم أن الحديث عن التربية الصحية يتناول الجانب البنائي ، والجانب الوقائي، والجانب العلاجي . وقد تحدث الباحث عن الجانبين السابقين، وسيتكلم هنا عن الجانب العلاجي، ذلك أنه السبيل لتخليص جسد المريض من علله وأسقامه، وهو السبيل أيضاً لدوام الصحة في مسيرتها.

ولأهمية هذا الجانب في صحة الإنسان فإن الإسلام يوليه أهمية، ويدعو إلى طلب الدواء النافع، ومن الخطأ أن يبقى الإنسان على مرضه دون البحث عن الأسباب للعلاج بحجة أن ذلك مقدر له، فاللّه سبحانه خالق الداء والدواء، وقدره تقديراً يشمل الاثنين معاً، وهذا مايشير إليه حديث الرسول في قوله: «ما أنزل اللّه داء إلا أنزل له شفاء»(١٣٥).

وقد توصل العلم في وقتنا الحاضر إلى معالجة العديد من الأمراض المتنوعة، وقد كشف العديد من المستحضرات الطبية لغرض المعالجة، إضافة إلى التقدم في علم الجراحة، والعلاج النفسي. ومن الواضح أن مجال الطب يحتاج إلى مختصين من أطباء وفنيين ليتمكنوا من تشخيص الداء ثم تقديم العلاج المناسب. ولكن لايعني هذا أن الأسرة معفاة من هذا الجانب - العلاجي- بل عليها دور ينبغي القيام به، وسيعمد الباحث إلى إيضاح الطرق والأساليب التي تعين الأسرة لتحقيق ذلك الدور في النقاط التالية:

١- الأغذيـة :

وهنا قد يتكرر الحديث أحياناً عن الغذاء لكونه وسيلة علاجية، فالغذاء أثناء المرض له أثره في سرعة شفاء المريض أو تأخره على حسب مقتضيات المرض، ومن المعلوم أن المريض في الغالب يتناول أغذية معينة حسب إرشادات الطبيب وتوجيهه، ففي بعض الحالات ينصح الطبيب بعدم تناول أغذية معينة والإكثار من تناول أغذية

أخرى، وكذلك عن مقادير الغذاء وعدد الوجبات، والأسرة لها دورها الفعّال في تنفيذ تلك التعليمات.

إضافة إلى ذلك فإن كثيراً من الأغذية لها فوائدها العلاجية، ولعلّ إحاطة الأسرة بتلك الفوائد العلاجية لبعض الأغذية أمر في غاية الأهمية لعلاج الأولاد، وباستطاعة الأسرة استخدامها مع ندرة مايترتب عليها من أضرار على صحة الأولاد فهي إذا لم تشف تلك الأمراض فإنها تسهم في تغذية الجسد وزيادة مناعته ضد الأمراض، وليدرك الآباء والأمهات أن المعالجة عن طريق الأطعمة أفيد وأصلح من استخدام المستحضرات الكيمياوية - إذا كان الاستغناء عنها ممكناً- وخاصة المبيدات والمضادات الحيوية. وقد أشار أحد الباحثين إلى أن تلك المستحضرات «يثبت العلم كل يوم ضرر نوع منها حتى اختفى ماكان يستعمل منها قبل عشرين سنة»(١٣٦).

ومن بيّن تلك الأغذية ذات القيمة العلاجية عسل النحل، وللعسل قيمة علاجية عالية فضلاً عن قيمته الغذائية العالية التي سبق ذكرها. ويعتبر أقدم الأدوية في معالجة كثير من الأمراض، وكان «جالينوس» : «يعتقد أن العسل علاج نافع لكثير من الأمراض وكان يصفه علاجاً لحالات التسمم المختلفة ولأمراض القناة الهضمية» ، وكان ابن سينا: «ينصح بالعسل لإطالة العمر، وحفظ القدرة على العمل في سن متأخرة» ، ولايزال العسل حتى وقتنا الحاضر يحتل المكانة الأولى بين الأدوية. فلاتكاد تخلو نشرة طبية حديثة أو كشف جديد في جميع أنحاء العالم من استعمال عسل النحل في علاج مرض خطير أو داء مستعص . ومما يؤكّد أن العسل مفيد لعلاج معظم الأمراض ، التجربة التي قام بها أحد الباحثين بكلية «كولورادو» الزراعية حيث «زرع جراثيم مختلف الأمراض على العسل الصافي ولبث ينتظر النتيجة ولكن الذي حدث بعد ذلك آثار عجيبة ، إذ ماتت هذه الجراثيم وقضى عليها كلها في فترة بضع ساعات أو في مدة أقصاها بضعة أيام»(١٣٧).

ولما للعسل من فوائد علاجية كثيرة وغذائية عالية فقد ورد ذكره في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿وأوحى ربّك إلى النّحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن

الشّجر ومما يعرشون. ثمّ كلي من كلّ الثّمرات فاسلكي سبل ربّك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكّرون﴾ (النحل : ٦٨-٦٩)، وتشير الآية صراحةً إلى أنّ في العسل شفاء، وأوضح ذلك حديث الرسول ﷺ ، قال :« إن كان في شيءٍ من أدويتكم أو يكون في شيء من أدويتكم خير ففي شرطة محجم أو شربة عسلٍ أو لذعة بنار توافق الداء وما أحب أن اكتوى»(١٢٨).

ومن الأغذية ذات القيمة العلاجية ثمرات بعض الفواكه، مثل الرطب، فهو دواء صالح ومفيد لعدد من الأمراض، فهو يفيد في حالات« اضطرابات المجاري البولية ويدر البول ويساعد الجهاز الهضمي وينبه حركته، ويسبب في الأمعاء ليناً لطرد البقايا الغذائية فيزيل الإمساك»(١٣٩)، وزيادة على ذلك له صفة نفسيه، فهو «يضفي السكينة والدعة على النفوس القلقة المضطربة، وكذلك المزاج العصبي الناجم عن نشاط الغدة الدرقية الرابضة في مقدّم العنق»(١٤٠). ومن فوائده العلاجية أيضاً أنه يفيد في السعال المزمن وأوجاع الصدر والبلغم، وبعض أوجاع الظهر ويساعد في الحمل وعند الولادة، ونظراً لما للرطب من قيمة غذائية ودوائية فقد نوه الإسلام بتلك الفاكهة المفيدة في أكثر من موطن، كما في قوله تعالى: ﴿وهزّي إليك بجذع النّخلة تساقط عليك رطباً جنياً. فكلي واشربي وقرّي عيناً﴾ (مريم : ٢٥-٢٦). كما نبه الرسول إلى ذلك ، فقال: «من تصبح سبع تمرات عجوة لم يضرّه ذلك اليوم سمٌّ ولا سِحْرٌ»(١٤١).

ومن ثمار الفواكه ذات القيمة الدوائية الرمان، فهو يفيد في كثير من الأمراض فقد قيل عن شرابه: «أنه مسكّن للآلام وعن قشره أنه قابض للإسهال وعن بذوره وعصيره إنهما قاتلان للدود المعوي، وعن منقوع قشر ثماره أو غليه أنه مانع للأنزفة الدموية وخصوصاً في حالات البواسير والأغشية المخاطيه وقرحات اللثة»(١٤٢) ، وقد ورد ذكر هذه الثمرة المفيدة في أكثر من موطن في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿فيهما فاكهة ونخل ورمان﴾ (الرحمن : ٦٨)

ومن بين الفواكه المفيدة في علاج كثير من الأمراض التين ، وقد أشار أحد الباحثين إلى أن التين يقلل الأحماض في الجسم ويقلل أثرها السيء، ويستعمل التين من الخارج في معالجة الجروح بتضميدها بثماره المجففة، وذلك بشق بضع ثمار جافة وتغلى لمدة بضع دقائق بالحليب العادي، وبعد أن تبرد قليلاً يغطى الجرح بحيث يكون سطحها الداخلي فوق الجرح، وتثبت على الجرح مع تغيير ذلك ثلاث أو أربع مرات في اليوم حتى يبرأ الجرح، كما يستخدم في معالجة الإمساك المستعصي وذلك بتناول بعض تينات في الصباح على الريق، أما إذا كانت الثمار جافة فتنقع (٣-٤) حبات في ربع كوب من الماء البارد وتؤكل في صباح اليوم التالي ويشرب ماؤها على الريق، كما يفيد منقوع التين في علاج التهابات الجهاز التنفسي، كما يخفف الآلام الناجمة عن التهاب البلعوم باستعمال الغرغرة، كما يستخدم التين في معالجة البواسير ، ويذهب عسر البول، وهزال الكلى والخفقان والربو وعسر التنفس والسعال وأوجاع الصدر، كما ينفع التين في الأورام وأوجاع المفاصل (١٤٣).

والتين ثمرة مفيدة ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز وأقسم بها، قال تعالى: ﴿والتين والزيتون. وطور سينين﴾ (التين : ١-٢)، كما تشير الآية الكريمة إلى الزيتون الذي يستخدم بشكل واسع في تداوي الأبدان، وخاصة زيت الزيتون الذي يستخرج من البذور حيث أشار أحد الباحثين إلى أنه «يستعمل ويدخل في عديد من المستحضرات الصيدلية والمركبات الطبية»(١٤٤)، وزيت الزيتون يستخدم مليناً ومسهلاً، كما يستخدم في دهن الشعر والجلد.

وكذلك من الفواكه فاكهة العنب، والعنب له فوائد كبيرة في الوقاية والعلاج على السواء، ومن بين فوائده العلاجية التي ذكرها أحد الباحثين أنه مفيد «في حالات سوء الهضم والإمساك والبواسير والحصاة البولية والتسمم المزمن بالزئبق والرصاص وازدياد الضغط الدموي، وهو منشط قوي لوظائف الكبد، وينصح بإعطائه للرضع والكهول وبصفة خاصة للمصابين بفقر الدم والعصبيين ومن ينقصهم الكالسيوم والناقهين وزائدي البدانة»(١٤٥).

ولأهمية ثمار العنب فقد ورد ذكره في القرآن في أكثر من موطن، كما في قوله تعالى: ﴿ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات﴾ (النحل : ١٢) .

ومن الأغذية ذات القيمة الدوائية اللبن، واللّبن له أهميته الخاصة في تغذية بعض المرضى والناقهين، كما أنّه علاج مفيد لمرضى النقرس، وقد أفاد أحد الباحثين أنّ «هذا المرض يعالج بإعطاء المريض كمية لابأس بها من اللبن»(١٤٦) بالإضافة إلى فوائده المتعددة لبعض الحالات المرضية فهو مفيد لتصلب الشرايين، وفي عملية الهضم ومهدئ للأعصاب، وفي إذابة الرمال البولية، كما يمنع تشكيل الحصيات في الكلى والمثانة، كما أنّ اللبن ملطف وملين، كما أوضح أحد الباحثين بأن الجبن الذي يشتق من اللبن، له فوائد طيبة كثيرة فهو «يفيد في علاج آفات الجلد والتهاب الملتحمة العينية، والتهاب غشاء المثانة، والتهاب الشبكة العينية، وإذا أخذ الجبن بعد الطعام فإنه يساعد على الهضم ويحول دون حدوث الحرقة والآلام لدى المصابين بفرط الحامضية والقرحة المعدية أو الاثني عشرية»(١٤٧).

والإسلام يشير إلى اللّبن، كما في قوله تعالى: ﴿وإنّ لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم ممّا في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشّاربين﴾ (النحل :٦٦). ويشير بصراحة إلى أن فيه شفاء، كما ورد في حديث أنس قال: «إن ناساً كان بهم سقم قالوا يارسول اللّه أونا واطعمنا فلّما صحّوا قالوا إن المدينة وخمة فأنزلهم الحرّة في ذود له فقال اشربوا من ألبانها»(١٤٨)، وعن عائشة رضي اللّه عنها أنها كانت تأمر بالتلبين للمريض وللمحزون على الهالك، وكانت تقول إني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «إن التلبينة تجم فؤاد المريض وتذهب ببعض الحزن»(١٤٩).

كما أن الماء له أهميته الدوائية إضافة لأهميته الغذائية، فالماء يستخدم لعلاج كثير من الحالات مثل معالجة الحمى بالماء البارد، وهذا العلاج معروف قديماً، ولايزال معمولاً به حتى وقتنا الحاضر، ويتم ذلك إما بصب الماء البارد على الجسم أو غمس القدمين والساقين في ماء بارد أو وضع كيس الثلج على الجبهة وماشابه ذلك، وهذه

الاجراءات تخفف درجة حرارة الحميات. كما يفيد الماء البارد في ضربة الشمس أو ضربة الحرارة وذلك بغمس البدن في الماء المثلّج.

ويشير حديث الرسول صراحة بعلاج الحمى بالماء البارد، حيث قال : «الحمىّ من فيح جهنم فابردوها بالماء»(١٥٠)، وعلاوة على ذلك فإن الماء البارد يفيد لبعض الالتهابات «كوضع كيس الثلج على محل الزائدة الدودية إذا التهبت، كما تداوى الدمامل والخراجات الحادة الملتهبة برذ «إتيل كلورايد» الذي يجعل درجة حرارة المكان أقل من الصفر فتموت الجراثيم ويبرأ الخراج.. ومن العلاجات المستغربة بالثلج لتخفيف ألم الأسنان فرك الخد المجاور للسن المؤلم بالثلج فركاً مستمراً فيزول ألم السن»(١٥١)، ولازال العلم يكشف فوائد التبريد في مجال العلاج، حيث قام أخيراً أحد المستشفيات في لندن «بإزالة الآم العمليات الكبيرة والصغيرة وكذلك آلام بعض الأمراض المستعصية مثل السرطان وتيبس العظام بتجميد العصب المختص بمسه بمسبار خاصّ يحتوي على غاز بارد مضغوط فتنخفض درجة الحرارة بالعصب فجاة ويزول الألم مباشرة ويبقى حس الألم مفقوداً عدة أشهر ثم يعود بالتدريج بعد أن تكون عملية المرض قد تمت وشفى منها المريض»(١٥٢).

وهناك كتب طبيّة ينصح الباحث الأسرة بالاستعانة بها على أداء دورها في هذا الجانب وخاصة كتاب الموسوعة الغذائية العلمية الذي يتناول كل غذاء وفاكهة ويبين مافيها من فوائد غذائية وعلاجية .

٢- النظافـــة:

للنظافة دور بارز في سرعة تماثل المريض للشفاء، لأنّه من المعلوم أن جسم المريض أقل مقاومة للأجسام الدخيلة من ميكروبات وجراثيم وخلافه، ولهذا فإن من واجب الأسرة أن تحرص الحرص كله على نظافة المريض النظافة الشاملة لجسده ومأكله ومشربه وملبسه ومسكنه، وأن تضاعف جهودها في ذلك. فالمريض يمر بحالة يكون فيها بأمس الحاجّة إلى مدّ يد العون والمساعدة لنظافته . والأسرة وهي تهتم

بنظافة أولادها في الصحة والمرض إنما تحقق توجيهات رسولها والذى أكّد أهمية النظافة وأعلى من شأنها وجعلها شطر الإيمان حيث قال: «الطهور شطر الإيمان»(١٥٣).

أما الطرق والأساليب التي تعين الأسرة على تحقيق النظافة لأولادها فقد سبق الحديث عنها في موطن سابق في هذا الفصل.

٣- **الأدوية والمستحضرات الطبية :**

من الوسائل الفعّالة لعلاج الأولاد استخدام الأدوية المناسبة حسب حالة المرض، ولكن وصف الدواء الذي يناسب المرض وطريقة استخدامه ومدته ليست في مقدور الأسرة ، وإنما يحتاج ذلك الأمر إلى مختص، ولكن دور الأسرة هو البحث عن الطبيب الجيد الحاذق، لأن تشخيص المرض ووصف الدواء ليس بالأمر السهل ، بل يحتاج إلى دراية وحذق من قبل الطبيب المعالج، فإن لم يكن على درجة من ذلك فقد يزيد حالة المريض سوءاً.

كما ينبغي على الأسرة الاستمرار في إعطاء المريض الدواء حسب المدة التي ينصح بها الطبيب، لكي تكتمل دورة فعاليّة الدواء، حيث نبه رسول اللّه إلى المداومة على أخذ الدواء والعلاج كما نلحظه في حديث سعيد قال: «إن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال أخي يشتكي بطنه فقال اسقه عسلاً ثم أتى الثانية فقال اسقه عسلاً ثم أتى الثالثة فقال اسقه عسلاً ثم أتاه فقال فعلت فقال صدق اللّه وكذب بطن أخيك اسقه عسلاً فسقاه فبرأ»(١٥٤).

ومن الإرشادات العامة التي يوصي بها العديد من المختصين في مجال الصحة(١٥٥) والتي ينبغي على الأسرة أن تعيها، وتعمل بموجبها، وتعوّد أولادها عليها من أجل تحقيق الاستفادة من الدواء مايلي:

(أ) حفظ الأدوية بعيداً عن الضوء والحرارة والرطوبة، فكثير من الأدوية تتأثر بهذه العوامل، وكذلك حفظها بعيداً عن متناول أيدي الأطفال.

(ب) حفظ الدواء في عبوته الأصلية مع ملاحظة عدم إزالة الورقة المكتوب عليها اسم الدواء، وإغلاق غطاء الزجاجة جيداً بعد تناول الدواء كما يجب عدم وضع الأدوية المختلفة في زجاجة واحدة.

(ج) عدم إعطاء الولد الدواء في الظلام للتأكد من نوع الدواء الذي يتناوله.

(د) قراءة التعليمات المكتوبة على زجاجة الدواء وملاحظة تاريخ انتهاء مفعول الدواء

(هـ) عند تناول الولد جرعات زائدة من الدواء يتطلب الأمر الاتصال بأقرب مركز صحي.

(و) يجب الاتصال بالطبيب أو الصيدلي إذا اشتكى المريض من حدوث أعراض جانبية بعد تناول الدواء.

(ز) أن لاتعطي الأسرة الدواء لأي ولد من أولادها غير المريض إلا بعد استشارة الطبيب لأن الدواء قد يسبب أضراراً لبعض الأفراد.

(ك) أن يكون تناول الدواء حسب إرشادات الطبيب فيما يتعلق بالالتزام بعدد مرات تناول الدواء، والأوقات المحددة لتناوله والمدة المطلوبة للعلاج، وتجنب المحظورات من الأدوية والأغذية والأشياء التي يحددها الطبيب.

(ل) مصارحة الطبيب المعالج بأعراض المرض وأسبابه، وبأسماء الأدوية والعلاجات التي أخذها المريض قبل ذهابه إلى الطبيب.

٤- القرآن الكريم والأدعية والعبادات :

ومن الأدوية النافعة قراءة القرآن الكريم والتعوذ بآيات القرآن الكريم والرقي المأثورة فهو ينفع لشفاء الأمراض العضوية والنفسية، وقد ورد في القرآن الكريم مايدل على أن فيه شفاء للروح وللجسد، كما في قوله تعالى: ﴿وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ (الإسراء : ٨٢)، ويقول الإمام فخر الرازي : «اعلم أن القرآن شفاء من الأمراض الروحية وشفاء أيضاً من الأمراض

الجسمية»(١٥٦). ويضيف أحد الباحثين قوله : «إنه ليس معنى الشفاء في الآية أنه علاج كيماوي ينبغي أن يستخدم في علاج كل الأمراض ولاتبحث لهاعن أدوية أخرى خارج القرآن كما يفهمه الجهال، وإنما معناه أن القرآن جاء بمبادئ للوقاية من الأمراض النفسية والروحية والأخلاقية والعقلية والجسمية»(١٥٧) . ومن ناحية أخرى، وكما أشار الباحث سابقاً إلى أن كثيراً من الأمراض منشأها اضطرابات وحالات نفسية وأن المؤمن ليجد في قراءة القرآن خير وسيلة لتهدئية نفسه المضطربة، وهذا ماتؤكده الآية الكريمة: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (الرعد : ٢٨)، وابن القيم يقول: «أن طمانينة القلب وسكونه واستقراره بزوال القلق والانزعاج والاضطراب عنه، وهذا لايتأتى بشيء سوى الله تعالى وذكره، وأمّا ماعداه فالطمأنينة إليه غرور والثقة به عجز»(١٥٨).

بالإضافة إلى ذلك فإن الرقي بالقرآن والمعوذات تفيد في علاج بعض الأمراض فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: « إن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات، فلما ثقل كنت انفث عليه بهن وامسح بيد نفسه لبركتها»(١٥٩). كما أقر رسول الله العلاج بالرقية في بعض الأمراض، كما ورد في حديث ابن عباس أنه قال: «إن نفراً من أصحاب النبي ﷺ مرّوا بماء فيهم لديغ أو سليم فعرض لهم رجل من أهل الماء فقال هل فيكم من راق؟ إن في الماء رجلاً لديغاً أو سليماً فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاءٍ فبرأ فجاء بالشاء إلى أصحابه فكرهوا ذلك وقالوا أخذت على كتاب الله أجراً حتى قدموا المدينة فقالوا يارسول الله أخذ على كتاب الله أجراً . فقال رسول الله ﷺ إنّ أحق ما أخذتم عليه أجراً كتابُ الله»(١٦٠). وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: « أمرني رسول الله ﷺ أو أمر أن يُسترقى من العين»(١٦١). والرقية الصحيحة والنافعة في العلاج والتي ينبغي على الأسرة أن لاتعمل بسواها هي إمّا من القرآن الكريم وخاصة الرقية بفاتحة الكتاب أو الرقية بالمعوذات، كما كان يفعله رسول الله، واقتفى أثره أصحابه رضوان الله عليهم، حيث قال عبد العزيز دخلت أنا وثابت على أنس بن مالك فقال ثابت: يا

أبا حمزة اشتكيت فقال أنس ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ قال بلى قال: اللهم ربّ الناس مذهب البأس أشفِ أنْت الشافي لاشافي إلا أنت شفاءً لايغادر سقماً»(١٦٢). والمعوذات تفيد في علاج كثير من الأمراض النفسية من أهمها الغضب، وهذا مانوه إليه رسول الله، حيث روى سليمان بن صرد قال: استب رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس، وأحدهما يسب صاحبه مُغْضِباً قد احمر وجهه فقال النبي ﷺ «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه مايجد لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»(١٦٣).

ومن الوسائل الفعّالة الدعاء والذكر والالتجاء إلى الله في السراء والضراء، والمريض عندما يعلم علم اليقين أن الشافي والمجير من الأمراض هو الله أولاً وحقاً، وأنّ الطبيب وجميع الطرق العلاجية لاتشفي ولاتجير من غير إرادة الله، وإنما هي أسباب ووسائل فإنه سيجد في الدعاء إلى الله والالتجاء إليه راحة نفسية، تزيده أملاً في الشفاء من مرضه، وفي دعائه لربه يكون واثقاً من قبوله إيماناً بقوله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكمْ﴾ (غافر : ٦٠)، ومن بين الأدعية التي ينبغي للأسرة أن تعود أولادها عليها ما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين. فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾ (الأنبياء : ٨٣-٨٤))، ومن كثرت همومه وغمومه فليكثر من قول «لاحول ولا قوة إلا بالله العظيم» وهي من الأدعية المفضلة كما يروي أبو موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا موسى أو يا عبد الله ألا أدُلك على كلمة من كنز الجنة قلت بلى قال: لاحول ولاقوة إلا بالله»(١٦٤).

ومن الأدوية النافعة العبادات من صدقة وإحسان وتفريج عن المكروب وصلاة وصوم وصبر وغير ذلك من أنواع العبادات ، والآية الكريمة تؤكّد أن العبادات من الوسائل الفعّالة للاستعانة على الاضطرابات النفسية والجسمية، كما في قوله تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ (البقرة : ٤٥).

٥- **التسلية والترويح النفسي:**

تعد التسلية والترويح النفسي من الوسائل التي لها أثرها الفعّال في معالجة العديد من الأمراض، ويشير إلى ذلك أحد الباحثين في قوله:«من المعلوم الآن أن داء السكري والقرحة المعدية والصداع وارتفاع ضغط الدم وأمراض أخرى مشابهة تنشأ من شدة الانفعال، واضطراب البال ومن الحزن والهم والغضب والنكد وعدم الاستقرار، وتسبب آلاماً شديدة، واضطراباً كثيراً في حياة المريض وقد لا تشفى بالعقاقير المعروفة بل ربما ازداد ألمها بها، وقد يحتاج بعضها لعملية، ولكن ثبت أن كل هذه الأمراض الواضحة والتي تكون عاقبتها غالباً غير محمودة كلها تشفى دون معالجة بأي دواء أو عقار ويكفي فيها الترويح عن النفس وتبديل المناخ والأنس والفرح والسفر والتسلية وسلوان الهم»(١٦٥). فالكلمة الطيبة والحديث المؤنس يقوي نفس المريض وينشط همّته ويرفع معنوياته ويدفعه إلى الأمل بالشفاء، والأسرة وهي تستخدم ذلك الأسلوب في شفاء أولادها إنما تتبع توجيهات الرسول ﷺ والتي تضمنت العديد من أساليب الترويح عن المريض وأساليب مؤانسته، منها الزيارة والجلوس معه وملاطفته والدعاء له، حيث قال رسول اللهّ: «إذا دخلتم على المريض فنفّسوا له في الأجل، فإنّ ذلك لايرد شيئاً، وهو يطيّب نفس المريض»(١٦٦). وكان رسول اللّه «إذا دخل على مريض يعوده قال له لابأس طهور إن شاء اللّه»(١٦٧)، ومن باب الترويح عن المريض وضع اليد عليه، كما فعل رسول اللّه مع سعد، حيث قال: سعد إن الرسول «مسح يده على وجهي وبطني ثم قال: اللّهم اشف سعداً وأتمم له هجرته فمازلت أجد برده على كبدي فيما يخال إليّ حتى الساعة»(١٦٨)، كما يدعو الحديث إلى الدعاء للمريض، ومن الأساليب التي تريح المريض تلبية حاجاته، وتوفير جميع مايرغب فيه بقدر المستطاع وخاصة ما يشتهيه من الأكل لقول رسول اللّه: «إذا اشتهى مريض أحدكم شيئاً فليطعمه»(١٦٩). وقد يقول قائل: إن بعض المرضى يطلبون شيئاً ومع ذلك يمنعهم الأطباء منعاً باتا؛ نقول ليست كل الحالات المرضية يمنع الأطباء فيها مرضاهم إذا طلبوا شيئاً ما. أما الحالات المرضية التي يتأثر

صاحبها بتناول أطعمة معينة، أو أن الأطباء ينصحون في مثل تلك الحالات عدم تناول أطعمة ميعنة فإن العمل بذلك واجب، لأن الهدف من تقديم المأكولات الشهية في الحديث للمريض، هو لأجل راحته، والإسهام في تماثله للشفاء، لأن الصحة مطلب يقره الإسلام ويدعو إليه وأن مايؤثر في صحة الإنسان فالابتعاد عنه واجب.

ومن الأساليب التي تخفف على المريض آلامه، وتجعله أكثر تقبلاً ورضىً بما ألمّ به إعلامه بالأجر والثواب من الله وأن مرضه ماهو إلا تخفيف من ذنوبه وخطاياه، ولهذا يقول رسول الله: «مامن مسلم يصيبه أذى إلا حاتّ الله عنه خطاياه كما تحاتّ ورق الشجر»(١٧٠)، فليس المرض شراً لصاحبه بل هو خير كثير له.

ومن الأساليب أيضاً الصبر والتحمل وعدم العجز، لأن الصبر من العوامل التي تكبح جماح التضجر، والرضا بما كتبه الله، ولما للصبر من فوائد عديدة في كثير من القضايا التي تواجه الإنسان، فقد حثت الآية الكريمة بالاستعانة بالصبر في كافة المواقف قال تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ (البقرة: ٤٥). وقد أشارت الآية الكريمة إلى أهمية الصلاة في هذا الجانب، وقد أكّد الدكتور «الكسيس كاريل» على أن لحالات عبادة معينة مثل الصلاة تأثيرات قاطعة، وأوضح أثر الصلاة في شفاء بعض الأمراض، وقال: «أما فكرتنا الحالية عن تأثير الصلاة على الأمراض، فقائمة على ملاحظة المرضى الذين شفوا فوراً تقريباً من الأمراض المختلفة، مثل الخراجات الباردة، والتهاب العظام والجروح العفنة، وسل الأنسجة والسرطان»(١٧١)، وهو يقر شفاء المعجزات ويقول: «إن شفاء المعجزات نادر الحدوث، ولكن على الرغم من حالاته القليلة فإنه يدل على وجود عمليات عضويه وعقلية لانعلم عنها شيئاً»(١٧٢)، ويفسر ذلك في قوله: «قد يحدث نشاط روحي معين تعديلاً تشريحياً ووظيفياً في الأنسجة والأعضاء، وتلاحظ هذه الظواهر العضوية في ظروف مختلفة من بينها حالة العبادة، فالصلاة، كما يجب أن تفهم ليست مجرد ترديد آلي للطقوس، ولكنها ارتفاع لايدركه العقل، إنها استغراق الشعور في تأمل مبدأ يخترق عالمنا ويسمو عليه»(١٧٣)، ولهذا أخذت الكتب والنشرات التي تبحث الشفاء الإعجازي تنمو، وأخذت بعض المراكز الطبية مثل مركز «الورد» وهو مركز

لاتحاد طبي دولي يتكون من عدد كبير من الأعضاء يعالجون المرضى بالشفاء الإعجازي كما يقرره أحد المختصين»(١٧٤).

وقد أثبتت إحدى الدراسات أهمية العامل النفسي في علاج المريض، وأكّدت أنّ الاطمئنان والراحة النفسية يساعدان على التغلب على أعراض المرض، ففي أحد المستشفيات «أعطى الطبيب دواءً جديداً لمجموعتين من المرضى الذين يشكون من قرحة المعدة والاثني عشرية، ولقد تحدّث الطبيب مع مرضى المجموعة الأولى عن مزايا هذا الدواء الجديد وقوة تأثيره في علاج القرحة، بينما قالت الممرضة لمرضى المجموعة الثانية إن هذا الدواء ماهو إلا دواء حديث يريد الطبيب تجربته على مرضى القرحة.. وكانت النتيجة أنّ المرضى في المجموعة الأولى قد تخلصوا من القرحة بنسبة ٧٠٪ بينما كانت النسبة في المجموعة الثانية لاتتعدى ٢٥٪»(١٧٥).

الوظيفة الخامسة: إتاحة الفرصة للبالغين لمزاولة التمرينات الجسدية في ضوء القيم الإسلامية والعمل على راحة أجسادهم :

ويمكن للأسرة أن تحقق ذلك بمراعاة نقطتين أساسيتين :

١- التمرينات الجسدية :

تعد التمرينات الجسدية (الرياضة البدنية) من العوامل المؤثرة على صحة الفرد البدنية والعقلية والنفسية والاجتماعية، فإذا كانت سليمة ومناسبة ووفق قدرات وطاقات البدن أسهمت إسهاماً فعّالاً في تكامل النمو الجسمي السليم وقوته، وتطور الجسم وسرعة نموه ونشاطه، ومعظم الدلائل تؤيد العلاقة بين التربية الرياضية المنتظمة وبين الصحة، حيث لوحظ أنّ لها علاقة بصحة الجهاز الدوري وقد أشار أحد الباحثين إلى أنّ: «الرياضة المنتظمه أثناء سنوات البلوغ والمراهقة تساعد على نمو وتطور الجسم بسرعة هائلة، وتعطيه القدرة على احتمال حياة رياضية وبدنية أطول في مراحل العمر المتقدّمة أكثر مما يعطيه أي سبب آخر»(١٧٦)، وأشار باحث آخر إلى أنّ «هناك اتفاقاً عاماً على أن التدريبات الرياضية تقاوم هجمات

الشيخوخه على القلب والأوعية الدموية»(١٧٧). ولإهمال التمرينات الجسدية وجعل الجسم في حالة استرخاء أضراره الصحية المتعددة، وقد أوضح أحد الباحثين: «أنّ الاسترخاء في الفراش لمدة تتراوح بين ٣-٤ أسابيع يسبب نقصاً في حجم القلب وفي قطره المستعرض بطريقة ملحوظة على الرغم من أن هناك قدرات عضلية محدودة قد لاتتأثر بوضوح»(١٧٨).

وقد امتدح الإسلام القوة وأعلى من شأنها، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ ما استطعتم من قوة﴾ (الأنفال : ٦٠)، وقد وردت القوة في الآية الكريمة نكرة، ولهذا يدخل فيها قوة البدن ، وقوة السلاح وقوة العتاد، وقوة الجيش، والقوة المعنوية، وقال رسول الله ﷺ : «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير»(١٧٩). وقد نلمح أن معظم العبادات التي يجب على المؤمن تأديتها يصاحبها تمرينات جسدية وحركة تفيد الجسم، فطلب الرزق -وخاصة العمل والزراعة والفلاحة والبناء- والبحث عنه يصاحبه حركة المشي وغيره كما في قوله تعالى: ﴿هو الذي جعل لكم الارض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشورُ﴾ (الملك : ١٥)، والصلاة يصاحبها مشي إلى المسجد ووقوف وركوع وسجود، كما في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾ (الحج : ٧٧)، والحج يصاحبه طواف (مشي) حول الكعبة وسعي (مشي وهرولَة) بين الصفا والمروة، قال تعالى: ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلاجناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم﴾ (البقرة : ١٥٨).

لهذا ينبغي على الأسرة أن تهتم بالتمرينات البدنية بأشكالها وعناصرها المختلفة وأن تكوِّن الوعي لدى البالغين بأهميتها وأساليبها، وأن تدربهم بها ، وتنشئهم عليها على أن تكون التمرينات في حدود طاقة الولد وتتناسب مع صحته الجسدية، وأن لايكون فيها مخاطر على سلامة نفسه أو سلامة غيره، كما يحدث في بعض البطولات الفظة، وأنّ تزاول باستمرار، وأن تعود بالفائدة على المتدرب، ومن بين التمرينات التي ينبغي على الأسرة تدريب وتعويد أولادها عليها، رياضة المشي التي تعد من أهم التمارين الرياضية حتى وقتنا الحاضر، والمشي الذي يفيد الجسم

هو المشي المقتصد، أي: ليس بالبطيء الذي يكون استفادة الجسد منه قليلة، ولا بالسريع الذي قد ينهك بعض أجزاء الجسم، أي كما كان يفعله رسول الله ﷺ فكان «يمشي مشياً يعرف فيه أنه ليس بعاجز ولاكسلان»(١٨٠)، وكذلك رياضة الفروسية التي أثنى عليها رسول الله، فقال: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»(١٨١)، وكذلك الحال بالنسبة لركوب الإبل، وأيضاً رياضة الرمي والسباحة، لقول رسول الله: «حق الولد على الوالد أن يعلّمه الكتابة والسباحة والرماية»(١٨٢)، وكل ما من شأنه بناء الجسد وتقوية عضلاته، مثل لعبة كرة القدم والسلّة والطائرة وغيرها من الألعاب المعروفة في وقتنا الحاضر. إلا أنه ينبغي على الآباء والأمهات ألا يجعلوا تلك الألعاب هدفاً في حد ذاتها حتى لاينشغل الأولاد طوال أوقاتهم في تلك الألعاب، وبالتالي تصبح مضيعة للوقت والجهد، وأن لاتعطى تلك الألعاب أكثر من استحقاقها في التشجيع والحماسة خشيةً أن يؤدي ذلك إلى الشدة والغلظة في الطباع وإلى بعض البطولات الفظة التي نشاهدها في وقتنا الحاضر مثل الملاكمة، أي لاتكون مهنة بل ينبغي أن تكون وسيلة لأهداف أسمى، كما ينبغي أن تتم ممارسة تلك الألعاب والرياضة في إطار الآداب والقيم الإسلامية.

٢- الراحة الجسدية:

ولحفظ صحة البدن وسلامته من العلل والأمراض يجب أن يعطى الأولاد قسطاً من الراحة بعد العناء والتعب، وهذا أمر لاغنى عنه لأي إنسان حيث إن «أعصاب الإنسان وعضلاته التي هي عرضة للتوتر والتشنج أثناء العمل تحتاج إلى الاسترخاء بين حين وآخر»(١٨٣)، ولأهمية ذلك على صحة الإنسان وحياته، فإن «الراحة الصحيحة والاستجمام الصحيح لاتقل أهميتهما عن أهمية العمل الصحيح، والحق أن الذي لايعرف كيف يرتاح لايعرف كيف يعمل، ولايستطيع أن يعمل»(١٨٤). ومن الطبيعي والمعلوم أن العمل المتواصل لفترة طويلة دون أن تتخلله راحة يؤدي إلى التعب والإرهاق، ومن علامات ذلك الترنح والدوار واضطراب القلب والجهاز

التنفسي، وقد يصل الأمر إلى حد الإغماء، كما أوضحت بعض الدراسات أن حدوث اضطرابات نفسية عند الأولاد ووقوع مشاكسات بينهم «أكثر مايكون منشأها الشعور بالسآمة والضجر والحاجة إلى الترفيه والتفكّه»(١٨٥).

ومن واجب الأسرة تعويد أولادها على الراحة، واستغلال أوقات الراحة والفراغ في الأشياء التي تروح عن أنفسهم وأبدانهم، وهناك مجالات وجوانب عدة بإمكان الأسرة أن تروح عن أولادها فيها. منها ماهو رياضي مثل الصيد، والسباحة والفروسية وغيرها من الألعاب المفيدة، ومنها ماهو فني، مثل التمتع بالمناظر التي أودعها الله في هذا الكون من جبال وأودية وأنهار ونباتات وحيوانات ونجوم وغير ذلك، كما تحويه هذه الآيات: ﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون وجعلنا فيها جناتٍ من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وماعملته أيديهم أفلايشكرون. سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لايعلمون. وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون. والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم. والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾ (يس : ٣٣-٤٠)، والتمتع بالزخارف الجميلة من نحت ونقش. ومنها ماهو علمي مثل قراءة الكتب والقصص والمجلّات والنشرات المفيدة ومنها ماهو اجتماعي مثل زيارات الأصدقاء، وزيارة المتاحف والمعارض وحضور الندوات والحفلات التي تقيمها بعض المؤسّسات المختصة والسياحة والرحلات، ومنها ماهو مهني كالعناية بالنباتات وتجفيف الزهور والنجارة والأشغال اليدوية، وصناعة بعض الأدوات اللازمة للبيوت والمساجد.

والإسلام يقر مبدأ الترويح والتسلية بعد الجهد ، ويوازن بين العمل والتسلية والترويح في الحياة البشرية تمشياً مع الفطرة، وقد طبقّ ذلك عملياً مربي هذه الأمة، فكان عليه الصلاة والسلام يلاطف الأولاد، ويتفكه معهم، فعن أنس بن مالك يقول: « إن كان النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخٍ لي صغير يا أبا عمير مافعل النغير »(١٨٦).

ولكن الترويح والتسلية المطلوبان ينبغي أن يكونا في حدود الأدب، وفي الأشياء المباحة فلايجوز قضاء الوقت في إثارة الدوافع الجنسية أوالتحريض على الفسق والفجور، أو في المراقص والأماكن التي تشيع فيها الفاحشة أو في الإلهاء والغفلة، وشرب المخدرات والمسكرات، لأن الفرد في الإسلام مسؤول عن أيام عمره وطاقات جسمه وعقله ونتائج سعيه، كما ورد في حديث رسول الله: «لاتزول قدما عبد حتى يسأل أربع: عن عمره فيم أفناه وعن علمه مافعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم انفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»(١٨٧)، كما لايجوز الخروج عن الفضيلة من أجل الترويح والتسلية، مثل تحقير الناس وإبراز عيوبهم وعوراتهم ، والاستهزاء بآيات الله وأحكامه، وقد وجه القرآن إلى اجتناب مثل ذلك في قوله تعالى: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره، وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ (الأنعام: ٦٨)، وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ (الحجرات : ١١)، ويجب التزام الصدق وعدم اتخاذ الكذب وسيلة للمزاح والتسلية، للمحافظة على الاحترام والمودة بين الناس، فعن أبي هريرة قال: «قالوا يارسول الله إنك تداعبنا، قال: «إني لا أقول إلا حقاً»(١٨٨).

والنوم من العوامل الرئيسة والهامة في راحة أجساد البالغين، فهو يعيد للبدن قدرته ، ويجدد نشاطه وحيويته، وينظم دورة حياة الإنسان السليمة، وهو ضرورة من ضرورات الحياة، وقد أخذ كثير من العلماء في بحثه وإجراء التجارب حوله، ووضعوا نظريات عدة من بينها نظريه «كلاباريد» الذي يرى «أن النوم ليس نتيجة لحلول التعب وإنما هو وظيفة حيويّة يقوم بها الكائن الحي ليقي نفسه من حلول التعب»(١٨٩). وبالتالي فإن قلة النوم، وعدم انتظامه يعد من العوامل الرئيسة في إجهاد الجسم، كما أشار أحد الباحثين إلى أن كثيراً «من حالات الانقباض ونوبات الغضب، والكسل، وضعف القدرة على التركيز، وانعدام الاستقرار، وكثرة

الوقوع في الخطأ وفقدان التوازن الحركي، وما إلى ذلك، قد يرجع عند الصغار والكبار إلى قلة النوم أو سوء نظامه أو إليهما معاً»(١٩٠).

ولأهمية ذلك فإن من واجب الأسرة أن تعمد إلى تهيئة ظروف الراحة للنوم، فتجنب أولادها الضوضاء المزعجة في أوقات نومهم، والضوء الشديد وارتفاع درجة الحرارة، أو انخفاضها عن الدرجة المألوفة، والفراش المناسب، ومراعاة حالتهم الصحية والنفسية لأنه من الواضح أن الأمراض الجسمية والنفسية تؤثر على راحتهم في النوم، وأن يُفصل بين الذكور والإناث وقت النوم، وكذلك بينهم وبين والديهم وخاصة في هذه المرحلة -مرحلة البلوغ- تلافياً لما قد يتكشف من عورات، قد تكون سبباً في تنشئة العديد من حالات الاضطرابات النفسية عند مشاهدتها، وأن تعوِّد الأسرة أولادها على النوم المبكر في أول الليل والاستيقاظ المبكر في آخره، ووقت القيلولة وهو منتصف النهار، أما ساعات النوم فهي تختلف باختلاف سن الأولاد، واختلاف صحتهم وبيئتهم وتغذيتهم وفي الحالات العادية يحتاج الفرد «إلى مايقرب من تسع ساعات أو عشر في دور المراهقة ثم إلى مايقرب من ثماني ساعات عند اكتمال النمو»(١٩١). كما ينبغي على الأسرة أن تجنب أولادها شرب المنبهات مثل القهوه والشاي قبل موعد النوم، والشبع الزائد كذلك، مع تكوين الوعي بأهمية ذلك، وأهمية الالتزام بها دائماً ما أمكن.

والأسرة وهي تتبع تلك الأساليب في تربية أولادها إنما تطبق ما أشارت إليه تعاليم الإسلام إما بالتصريح أو بالتلميح في مواطن عديدة منها قوله تعالى: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾ (القصص : ٧٣)، وقال تعالى: ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشوراً﴾ (الفرقان : ٤٧)وكان عليه السلام : «ينام أوله (الليل) ويقوم آخره»(١٩٢)، وكان رسول اللّه: «إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خدّه ثم يقول: اللهم باسمك أموت وأحيا، وإذا استيقظ قال: الحمد اللّه الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»(١٩٣)، وكان الرسول إذا أوى إلى فراشه «نام على شقه الإيمن ثم قال: «اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك»(١٩٤).

مراجع الفصل الثامن :

(١) يحيى حامد هندام، وآخرون. أساسيات الصحة المدرسية، القاهرة، دار النهضة العربية ، ١٩٦٤م، ص٩.

(٢) د. مقداد يالجن . جوانب التربية الإسلامية الأساسية. بيروت ، مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر ، ١٤٠٦هـ ، ص ٤٥ .

(٣) د. مصطفى فهمي. الصحة النفسية . القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٧٦م ، ص ٢٢٩ .

(٤)،(٥) د. عبد الرزاق الشهر ستاني . أسس الصحة والحياة. العراق ، مطبعة الآداب ، ١٩٧١م ، ص٢٩٧-٢٩٨ .

(٦) المرجع السابق، ص ٢٩٨-٢٩٩ .

(٧)،(٨) د. علي محمد زكي. التربية الصحية بين النظرية والتطبيق. ط١، الكويت، منشورات ذات السلاسل، ١٤٠٣هـ،ص٣٧ .

(٩) د. مقداد يالجن . جوانب التربية الإسلامية الأساسية . مرجع سابق، ص ٤٥ .

(١٠) مسلم. صحيح مسلم . كتاب القدر، بيروت، دار الفكر، دون تاريخ، ج٨، ص ٥٦ .

(١١)،(١٢) البخاري . صحيح البخاري . تركيا ، استانبول ، المكتبة الإسلامية ، ١٩٨١م ، كتاب الرقاق، ج٧، ص ١٧٠ .

(١٣) د. عمر الشيباني. من أسس التربية الإسلامية .ط٢ ، طرابلس ، النشأة العامة العامة للنشر والتوزيع ، ١٤٠١هـ ، ص ٥١٣.

(١٤) جلال الدين السيوطي.صحيح الجامع الصغير وزيادته. (تحقيق محمد ناصر الدين الألباني) ، ط٢ ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٩٧٩م ، رقم الحديث(١١١٤)،ج١، ص٣٦٢.

(١٥) د. عبد الرزاق الشهرستاني. أسس الصحة والحياة، مرجع سابق، ص ١٠٣-١٠٧.

(١٦) د. شوقي ياسين الزفزاف. أسس التغذي في الصحة والمرض.ط١، الكويت، مكتبة الفلاح، ١٤٠٠هـ، ص٥٥-٥٦ .

(١٧) المرجع السابق، ص ٦٢-٦٦.

(١٨) المرجع السابق ، ص ٤١-٤٣ .

(١٩) المرجع السابق، ص ٦٧.

(٢٠) المرجع السابق ، ص ٦٧-١٠٢.

(٢١) المرجع السابق، ص ١٠٨.

(٢٢) المرجع السابق ، ص ١١٥-١٤١.

(٢٣) د. محمد محمد هاشم.الأدوية والقرآن الكريم. ط١، جدة، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ، ص ١٧.

(٢٤) المرجع السابق ، ص ٣٤.

(٢٥) البخاري. صحيح البخاري . مرجع سابق، كتاب الهبة، ج٣، ص ١٢٩.

(٢٦) د. محمد محمد هاشم . الأدوية والقرآن الكريم. مرجع سابق ، ص ١١١.

(٢٧) المرجع السابق ، ص ٦٦.

(٢٨) د. عبد الرزاق الشهرستاني. اسس الصحة والحياة. مرجع سابق ص ٣٠.

(٢٩) ابن القيم . الطب النبوي . (تصحيح عبد الغني عبد الخالق) ، القاهرة ، مكتبة دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٧٧م ، ص ١٧٢.

(٣٠) جلال الدين السيوطي. صحيح الجامع الصغير وزيادته، مرجع سابق،رقم الحديث(٥٥٥٠)،ج٥، ص١٥٥.

(٣١) د. شوقي ياسين الزفزاف. أسس التغذية في الصحة والمرض. مرجع سابق، ص١٦٦-١٦٧.

(٣٢) انظر : (أ) د. شوقي الزفزاف. أسس التغذية في الصحة والمرض. مرجع سابق، ص١٦٢.

(ب) د. محمود بستان. مناهج التربية الصحية، ط١، الكويت، دار القلم، ١٤٠١هـ، ص١٤٠-١٤١.

(٣٣) د. محمود بستان، مناهج التربية الصحية. مرجع سابق، ص ١٤٦.

(٣٤) د. شوقي ياسين الزفزاف. اسس التغذية في الصحة والمرض. مرجع سابق، ص٢٢٧-٢٢٨.

(٣٥)،(٣٦) د. شوقي الزفزاف . أسس التغذية في الصحة والمرض . مرجع سابق ، ص ٢٢٦.

(٣٧) د. عبد الرزاق الشهرستاني . أسس الصحة والحياة. مرجع سابق، ص ١٣٠.

(٣٨) المرجع السابق، ص ١٣٠.

(٣٩) د. عبد العزيز القوصي. أسس الصحة النفسية .ط٢، الكويت، دار القلم، ١٩٧٠م، ص٢٥٨-٢٥٩.

(٤٠) المرجع السابق، ص ٢٧٣.

(٤١) المرجع السابق ، ص٢٦١.

(٤٢) المرجع السابق ، ص٢٥٩.

(٤٣) المرجع السابق ، ص ٣٦٠.

(٤٤) البخاري . صحيح البخاري . مرجع سابق كتاب الأطعمة . ج٦، ص ١٩٦.

(٤٥) د. عبد العزيز القوصي. أسس الصحة النفسية . مرجع سابق ، ص٢٦٦.

(٤٦) البخاري . صحيح البخاري ، مرجع سابق، كتاب الأطعمة، ج٦، ص ٢٠١.

(٤٧) د. عبد الرزاق الشهرستاني . أسس الصحة والحياة . مرجع سابق، ص ٤٥.

(٤٨) مسلم . صحيح مسلم . مرجع سابق، كتاب الطهارة ، ج١، ص ١٤٠.

(٤٩) البخاري . صحيح البخاري . مرجع سابق، كتاب الوضوء، ج١، ص ٤٣.

(٥٠) المرجع السابق ، ص ٤٨-٤٩.

(٥١) المرجع السابق بكتاب الوضوء، ج١، ص ٤٧

(٥٢) المرجع السابق،كتاب الأطعمة، ج٦ ص ١٢٣.

(٥٣) مسلم. صحيح مسلم. مرجع سابق، كتاب الطهارة . ج١، ص ١٥١.

(٥٤) د. محمد بشير حقي. الطب النبوي والطب القديم، ط١، الرياض، شركة الطباعة العربية السعودية، ١٤٠٤هـ، ص ٥١.

(٥٥) مسلم. صحيح مسلم. مرجع سابق، كتاب الطهارة . ج١، ص ١٤٦-١٤٧.

(٥٦) البخاري . صحيح البخاري . مرجع سابق، كتاب الوضوء، ج١، ص ٤٩.

(٥٧) مسلم. صحيح مسلم. مرجع سابق، كتاب الطهارة . ج١، ص ٥٤.

(٥٨) البخاري . صحيح البخاري . مرجع سابق، كتاب الجمعة ، ج١، ص ٢١٦.

(٥٩) المرجع السابق ، كتاب اللباس، ج٧، ص ٥٦.

(٦٠) مسلم. صحيح مسلم. مرجع سابق، كتاب الإيمان ، ج١، ص ٦٥.

(٦١) البخاري . صحيح البخاري . مرجع سابق، كتاب اللباس، ج٧ ، ص ٦٠.

(٦٢) المرجع السابق، ص ٦١.

(٦٣) جلال الدين السيوطي . ضعيف الجامع الصغير وزيادته . مرجع سابق، رقم الحديث (١٦١٦)، ج٢، ص٩٢، رواه الترمذي ، عن سعد، (حديث ضعيف)

(٦٤) مسلم . صحيح مسلم . مرجع سابق ، كتاب الطهارة ، ج١، ص ١٦٢ .

(٦٥)،(٦٦)،(٦٧) البخاري . صحيح البخاري . مرجع سابق ، كتاب الأشربة ، ج٦، ص ٢٥٠ .

(٦٨) انظر: (أ) د. محمود بستان . مناهج التربية الصحية . مرجع سابق، ص ١٤٣-١٤٤ .

(ب) د. شوقي الزفزاف . أسس التغذية في الصحة والمرض . مرجع سابق، ص ٢١٥-٢١٨ .

(٦٩) الإمام الفخر الرازي . التفسير الكبير ، القاهرة ، المطبعة البهية المصرية ، ١٩٣٣م ، ج١٥، ص٢٤ .

(٧٠) البخاري . صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الوضوء، ج١، ص ٥١ .

(٧١) مسلم . صحيح مسلم . مرجع سابق، كتاب الطهارة، ج١، ص ٢٧ .

(٧٢) د. عبد الرحمن محمد عقيل، وآخرون . التثقيف الدوائي. ط١، الرياض، مطابع جامعة الملك سعود، ١٤٠٨هـ، ص١٣٦-١٣٧ .

(٧٣)،(٧٤) مركز أبحاث مكافحة الجريمة . المخدرات والعقاقير المخدرة . الكتاب الرابع، الرياض، شركة الطباعة العربية السعودية، ١٤٠٥هـ، ص ١١٦ .

(٧٥) المرجع السابق، ص ١٢٦ .

(٧٦) المرجع السابق، ص ١٤٠ .

(٧٧)،(٧٨) المرجع السابق ، ص ١٤٤.

(٧٩) المرجع السابق، ص ١٥٢ .

(٨٠) المرجع السابق، ص١٤٩-١٦١.

(٨١)،(٨٢) المرجع السابق ، ص ١٦١-١٦٦ .

(٨٣) المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

(٨٤)،(٨٥) المرجع السابق، ص ١٧١-١٧٢ .

(٨٦) د. عبد الرحمن محمد عقيل، وآخرون . التثقيف الدوائي . مرجع سابق، ص ١٢٥ .

(٨٧) النسائي . سنن النسائي، كتاب الأشربه، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، دون تاريخ، ج٨، ص ٣١٥ .

(٨٨) د. عبد الرحمن محمد عقيل، وآخرون . التثقيف الدوائي . مرجع سابق، ص ١٢٩ .

(٨٩) مركز أبحاث مكافحة الجريمة. المخدرات والعقاقير المخدرة، مرجع سابق، ص ٤٥.

(٩٠) د. عبد الرحمن محمد عقيل، وآخرون. التثقيف الدوائي. مرجع سابق، ص ١٤١.

(٩١) د. محمود بستان. مناهج التربية الصحية. الكويت، دار القلم، ١٤٠١هـ، ص ١١١.

(٩٢) د. عبد الرحمن محمد عقيل، وآخرون. التثقيف الدوائي. مرجع سابق، ص ١٤٢.

(٩٣)،(٩٤) المرجع السابق، ص ٦٦-٦٧

(٩٥) المرجع السابق، ص ١٤٩.

(٩٦)،(٩٧) المرجع السابق، ص ١٤١-١٤٢.

(٩٨)،(٩٩) د. محمد هاشم. الأدوية والقرآن الكريم. مرجع سابق، ص ٦٥-٦٦.

(١٠٠) البخاري. صحيح البخاري. مرجع سابق، كتاب الطب، ج٧، ص ٣١.

(١٠١) مسلم. صحيح مسلم. مرجع سابق، كتاب السلام، ج٧، ص ٢٧.

(١٠٢) المرجع السابق، ج٧، ص ٢٧.

(١٠٣) البخاري. صحيح البخاري. مرجع سابق، كتاب الطب. ج٧، ص ١٧.

(١٠٤) ابن حجر. فتح الباري. بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، دون تاريخ، ج١٠، ص١٦٠.

(١٠٥) المرجع السابق، ج١٠، ص ١٦١.

(١٠٦) د. محمد علي البار. الأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها. ط٢، جدة، دار المنارة، ١٤٠٦هـ، ص ٩٥.

(١٠٧) المرجع السابق، ص ١١٧.

(١٠٨) المرجع السابق، ص ١١٩.

(١٠٩) المرجع السابق، ص ١٥٣-١٥٤.

(١١٠) المرجع السابق، ص ١٣٥.

(١١١) د. مقداد يالجن. منابع مشكلات الأمّة الإسلامية. الرياض، دار عالم الكتب، ١٤١١هـ، ص ٢٠-٢١، نقلاً من كتاب الدكتور محمد علي البار والدكتور محمد أمين، الأيدز وبناء العصر.

(١١٢)،(١١٣) د. محمد علي البار. الأمراض الجنسية، مرجع سابق، ص ١٥١.

(١١٤) المرجع السابق، ص ١٤٦.

(١١٥) المرجع السابق، ص ٢٨٢.

(١١٦) د٠ عبد الرزاق الشهرستاني٠ أسس الصحة والحياة ٠مرجع سابق، ص ٢١٨٠

(١١٧) د٠ محمد علي البار ٠ الأمراض الجنسية ٠مرجع سابق، ص ٢١٥-٣١٧٠

(١١٨) المرجع السابق ، ص ٢٢٥٠

(١١٩) المرجع السابق ، ص ٢٣١٠

(١٢٠) المرجع السابق، ص ٢٦١٠

(١٢١) د٠ عبد الرزاق الشهرستاني٠ أسس الصحة والحياة ٠مرجع سابق ، ص ٣٢٦٠

(١٢٢) د٠ محمد علي البار ٠ الأمراض الجنسية ٠مرجع سابق، ص ٢٦٨-٢٧١.

(١٢٣) المرجع السابق ، ص ٢٧٧٠

(١٢٤) د٠ محمد علي البار ٠الأمراض الجنسية ٠ مرجع سابق ، ص ٢٨٢٠

(١٢٥) د٠ عبد الرزاق الشهرستاني٠ أسس الصحة والحياة٠مرجع سابق، ص ٢٩٧-٢٩٨٠

(١٢٦) المرجع السابق ، ص ٩٨٠

(١٢٧) د٠ عبد العزيز القوصي ٠ أسس الصحة النفسية ٠مرجع سابق، ص ١٧٧٠

(١٢٨) د٠ أحمد فؤاد الأهواني ٠ التربية في الإسلام٠القاهرة ، دار المعارف بمصر ، دون تاريخ ، ص٢١٣-٢١٤٠

(١٢٩) د٠ عبد العزيز القوصي ٠ أسس الصحة النفسية ٠مرجع سابق، ص ٢٠٠-٢٠١٠

(١٣٠) جلال الدين السيوطي ٠ صحيح الجامع الصغير وزيادته٠ مرجع سابق ، رقم الحديث (٥٧٤٤) ، ج٢، ص٢٠٧.

(١٣١) د٠ عبد العزيز القوصي٠ أسس الصحة النفسية ٠مرجع سابق ، ص ٣٧١٠

(١٣٢) محمود مهدي الاستنابولي٠ كيف نربي أطفالنا٠ ط٢، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ، ص٩٥.

(١٣٣) جلال الدين السيوطي٠صحيح الجامع الصغير وزيادته٠مرجع سابق،رقم الحديث (١٠٦)،ج١، ص٨٨.

(١٣٤) د٠ مصطفى فهمي ٠ الصحة النفسية ٠مرجع سابق، ص ٢٠٠

(١٣٥) البخاري ٠ صحيح البخاري ٠ مرجع سابق، كتاب الطب، ج٧، ص ١٢٠

(١٣٦) د٠ محمد بشير حقي ٠ الطب النبوي والطب القديم٠ مرجع سابق ، ص ٨٠

(١٣٧) د٠ محمد هاشم ٠ الأدوية والقرآن الكريم ٠ مرجع سابق ، ص ٦٨-٦٩٠

(١٣٨) البخاري ٠ صحيح البخاري ٠ مرجع سابق ، كتاب الطب ، ج٧ ، ص ١٢٠

(١٣٩) د٠ محمد هاشم ٠ الأدوية والقرآن الكريم ٠ مرجع سابق ، ص ١١٣٠

(١٤٠) المرجع السابق ، ص ١١٢٠

(١٤١) البخاري ٠ صحيح البخاري ٠ مرجع سابق، كتاب الطب، ج٧ ، ص ٣١.

(١٤٢) د٠ محمد هاشم ٠ الأدوية والقرآن الكريم ٠ مرجع سابق ، ص ١١٥٠

(١٤٣) المرجع السابق، ص ١٠٦-١١٠.

(١٤٤) المرجع السابق ، ص ١١٩-١٢٠٠

(١٤٥) المرجع السابق ، ص ١١٧-١١٨٠

(١٤٦) المرجع السابق ، ص ٣٥٠

(١٤٧) المرجع السابق ، ص ٣٢٠

(١٤٨)،(١٤٩) البخاري ٠ صحيح البخاري، مرجع سابق ، كتاب الطب، ج٧، ص ١٣-١٤٠

(١٥٠) المرجع السابق ، ج٧، ص ٢٠٠

(١٥١) د٠ محمد بشير حقي ٠ الطب النبوي والطب القديم ٠ مرجع سابق ، ص ٦٦-٦٧٠

(١٥٢) المرجع السابق ، ص ٦٣-٦٤٠

(١٥٣) مسلم ٠ صحيح مسلم ٠ مرجع سابق، كتاب الطهارة ٠ ج١ ، ص ١٤٠.

(١٥٤) البخاري ٠ صحيح البخاري ٠ مرجع سابق ، كتاب الطب، ج٧ ، ص ١٢-١٣٠

(١٥٥) د٠ عبد الرحمن عقيل وآخرون ٠ التثقيف الدوائي ٠ مرجع سابق ، ص ٣٣-٣٥٠

(١٥٦) الإمام الفخر الرازي، التفسير الكبير ، مرجع سابق ، ج٢١، ص١٦١٠

(١٥٧) د- مقداد يالجن ٠ طريق السعادة ، الرياض ، مطابع البكيرية ، ١٤٠٧هـ ، ص ٥٩٠

(١٥٨) ابن القيم ٠ الروح ٠ بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٣٩٩هـ ، ص ٢٢٠٠

(١٥٩)،(١٦٠) البخاري ٠ صحيح البخاري ٠ مرجع سابق ، كتاب الطب، ج٧ ، ص ٢٢٠

(١٦١) المرجع السابق ، ص ٢٣٠

(١٦٢) المرجع السابق ، ص ٢٤

(١٦٣) المرجع السابق ، كتاب الطب، ج٧ ، ص ٩٩٠

(١٦٤) المرجع السابق، كتاب الدعوات . ج٧، ص ١٦٩.

(١٦٥) د. محمد بشير حقي . الطب النبوي والطب القديم . مرجع سابق ، ص ٩٤.

(١٦٦) جلال الدين السيوطي . ضعيف الجامع الصغير وزيادته. مرجع سابق، رقم الحديث (٥٨٧)، ج١، ص١٧٩، رواه الترمذي وابن ماجة عن أبي سعيد، (الحديث ضعيف جداً)

(١٦٧)،(١٦٨) البخاري . صحيح البخاري . مرجع سابق ، كتاب الطب ، ج٧، ص٦.

(١٦٩) جلال الدين السيوطي . ضعيف الجامع الصغير وزيادته، مرجع سابق، رقم الحديث (٤٧٤)، ج١، ص١٤٨، رواه ابن ماجة عن ابن عباس (الحديث ضعيف».

(١٧٠) البخاري. صحيح البخاري . مرجع سابق، كتاب الطب، ج٧، ص ٣.

(١٧١)، (١٧٢) الكسيس كاريل. الإنسان ذلك المجهول . (تعريب شفيق فريد) ، بيروت ، مكتبة المعارف، دون تاريخ ، ص ١٨٠.

(١٧٣) المرجع السابق ، ص ١٧٩.

(١٧٤) المرجع السابق ، ص ١٨١-١٨٢.

(١٧٥) د. عبد الرحمن محمد عقيل . التثقيف الدوائي . مرجع سابق ، ص ١٨

(١٧٦)،(١٧٧) د. علي محمد زكي . التربية الصحية بين النظرية والتطبيق . مرجع سابق ، ص ١١٥.

(١٧٨) المرجع السابق ، ص ١١٦.

(١٧٩) مسلم . صحيح مسلم . مرجع سابق ، كتاب القدر ، ج٨، ص ٥٦.

(١٨٠) جلال الدين السيوطي . صحيح الجامع الصغير وزيادته. مرجع سابق، رقم الحديث (٤٨٩٢)، ج٤، ص٢٧٧

(١٨١) البخاري. صحيح البخاري . مرجع سابق، الجهاد والسير، ج٣، ص ٢١٥.

(١٨٢) جلال الدين السيوطي. ضعيف الجامع الصغير وزيادته. مرجع سابق، رقم الحديث (٢٧٣١)، ج٣، ص١٠١، رواه أبو نعيم في «الحلية» ، ورواه الديلمي في «مسند الفردوس» عن أبي هريرة، (ضعف جداً)

(١٨٣) جورج شهلا وآخرن، الوعي التربوي . ط٢ ، دون ناشر ، ١٩٧٢م ، ص ٢٧٧.

(١٨٤) د. فاخر عاقل. معالم التربية . ط٢ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٨م ، ص ٧٢.

(١٨٥) جورج شهلا وآخرون . الوعي التربوي . مرجع سابق ، ص ٢٧٩.

(١٨٦) البخاري. صحيح البخاري. مرجع سابق، كتاب الأدب، ج٧، ص ١٠٢.

(١٨٧) جلال الدين السيوطي . صحيح الجامع الصغير وزيادته. مرجع سابق، رقم الحديث (٧١٧٧)، ج٦، ص١٤٨ .

(١٨٨) الترمذي. صحيح الترمذي. ط١، أبواب البر والصلة. القاهرة، المطبعة المصرية بالأزهر، ١٣٥٠هـ، ج٨، ص١٥٧.

(١٨٩) د. عبد العزيز القوصي . أسس الصحة النفسية . مرجع سابق ، ص ٢٧٦.

(١٩٠) المرجع السابق ، ص ٢٧٥.

(١٩١) المرجع السابق . ص ٢٧٧.

(١٩٢) البخاري . صحيح البخاري ، مرجع سابق ، كتاب التهجد ، ج٢، ص ٤٧.

(١٩٣)، (١٩٤) المرجع السابق ، كتاب الدعوات . ج٧ ، ص ١٤٧.

الفصل التاسع

نتائج البحث وتوصياته ومقترحاته

أولاً : نتائج البحث

ثانياً : التوصيات والمقترحات

نتائج البحث

من خلال الدراسة السابقة لدور الأسرة في تربية أولادها في مرحلة البلوغ يمكن حصر نتائج البحث في النقاط التالية:

أولا- إن دور الأسرة المسلمة في تربية البالغين يتميز عن دور الأسر غير المسلمة :

ومن بين تلك المميزات مايأتي :

١- الميزة التي تتميز بها الأسرة المسلمة عن غيرها، هو أن النظم والغايات التي تشكل الحياة الأسرية في المجتمع المسلم تتصف بصفات مغايرة للنظم والغايات التي يعمل بها في المجتمعات الأخرى ، فقد جاء الإسلام بنظام كامل للأسرة، وجعل هذا النظام ذا صلة وثيقة بالعقيدة من حيث الحل والحرمة ليدوم الاستقرار والثبات للأسرة، والمتتبع لنظام الأسرة المسلمة يجد ذلك واضحاً في كيفية اختيار الزوج الأمثل، وفي الحقوق والواجبات المترتبة على الزوجين بعد زواجهما المشروع، وطريقة المعاملة بين أفراد الأسرة. لهذا وغيره فقد تميزت الأسرة المسلمة عن غيرها من الأسر، وبالتالي فإن الأسرة المطبقة منهج الإسلام في حياتها ستكون لامحالة عشاً صالحاً، ومدداً طبيعياً يمد المجتمع الإنساني بفتية وفتيات أقوياء في دينهم، وفي إسلامهم وفي عقيدتهم، وفي أخلاقهم، وفي أعمالهم النافعة الناهضة بأمتهم الإسلامية وبالإنسانية جمعاء.

٢- العمل الدؤوب على تنشئة البالغين على القيم الإسلامية، والنظام التشريعي الإسلامي، حتى يستطيعوا التكيف مع هذا المجتمع، ويسهموا في تنفيذ هذا النظام بدقة عن عقيدة، وقناعة، ويتمسكوا به أينما كانوا.

٣- الإسهام في تحقيق التماسك الاجتماعي الإسلامي، وذلك عن طريق تحقيق التماسك

الأسري في داخل الأسرة، لأن أي بناء اجتماعي قوي يبدأ من بناء الأسرة القويّة.

ثانياً - إن دور الأسرة التربوي في مرحلة البلوغ يتميز عن دورها في بقية مراحل النمو الأخرى :

وذلك لأن مرحلة البلوغ عند الأولاد لها خصائصها ومميزاتها عن بقية مراحل النمو الأخرى -بالرغم من ارتباطها الوثيق بالمرحلة السابقة واللاحقة- فهي تتميز بمايلي:

١- النمو الجسمي:

تزداد سرعة النمو في هذه المرحلة، ويقترب تناسب أعضاء الفرد من تناسب أعضاء الراشد، وتنمو جميع أجزاء الجسم، حيث يزداد نمو الجهاز الهضمي، ونمو الجهاز العضلي، ونمو كافة الأجهزة الداخلية، ويزداد نمو الحواس عند الإنسان ، وتتميز هذه المرحلة بظهور بعض الغدد، وضمور بعض الغدد الأخرى، وتظهر ملامح الرجولة على الذكور، والأنوثة على الإناث.

٢- النمو العقلي:

تعد مرحلة البلوغ من أهم المراحل لتطور الحياة العقلية، حيث يتجه فيها النشاط العقلي نحو التركيز والتبلور، والقدرة على القيام بأنواع معينة من العمليات العقلية تختلف عمّا كانت عليه في مرحلة الطفولة، وتتميز هذه المرحلة بخواص أساسية منها النمو في العمليات العقلية العليا أو (مستوى العمليات الكليّة)، والنمو العقلي العام أو (نمو الذكاء)، ونمو القدرات وتمايزها في هذه المرحلة.

٣- النمو الأخلاقي والاجتماعي:

وفي هذه المرحلة يتضح للبالغ معنى الفضائل والرذائل، مثل الصدق والكذب، والأمانة والخيانة، والعدل والظلم، والكرم والبخل، وتتولد لديه الشفقة والإحسان والرحمة والحنان وسائر العواطف الرقيقة، ويزداد نمو الوازع الداخلي الذي يراقب الفرد فيحكم له أو عليه، أي أنه يستطيع أن يحكم على أعماله بالخير أو الشر، وكذلك ينمو عند البالغ احترام سلطة الجماعة لاسيما جماعة الرفاق، ويبدأ البالغ الالتزام بالقواعد الخلقية والعمل بمقتضاها، ويشعر وبالتدرج أنه مسئول عن أفعاله وأقواله، وفي نهاية هذه المرحلة يترتب الجزاء الخلقي من ثواب وعقاب تبعاً لأفعال البالغ من خير أو شر. أي أنه يتحمل النتيجة، كما يتسع ميدان التفاعل الاجتماعي للفرد في هذه المرحلة، ويتسع الأفق والنشاط الاجتماعي، ويدرك العلاقات القائمة بينه وبين الأفراد الآخرين، ويدرك حقوقه وواجباته، ويقترب بسلوكه من معايير النّاس والمجتمع، ويتقبل العادات والمعايير الاجتماعية الشائعة، ويتقيد بها بغية تحقيق التوافق الاجتماعي.

٤- النمو الإيماني :

ويزداد النمو الإيماني عند البالغ بازدياد معدلات النمو العقلي والأخلاقي والاجتماعي، فيزداد فهم البالغ لمعتقداته، ويزداد فهمه لصفات اللّه، والكون، والحياة، والملائكة، والموت، والجنة والنار .فالبالغ يستطيع أن يدرك صفات اللّه المجردّة، بدلاً من اعتماده في المرحلة السابقة على صفات التشبيه والتجسيم لذات اللّه.

٥- النمو الروحي :

ويزداد النمو الروحي عند البالغ، فيزداد فهمه للعبادات والحكمة من تأديتها، ويتضح له إدراك معاني المجردات مثل الذنب، والتوبة ، والفضيلة والرذيلة، ولم يعد يقتنع في هذه المرحلة بما كان يقتنع به في السابق من إجابات عابرة تقال له عن

القيم، ويزداد نقده لتلك القيم، وفي هذه المرحلة يشعر البالغ أنه مفتقر إلى قوة غيبية تخفف عنه بعضاً من شدائده في حياته، وإحساسه بالذنب، فلايجد سبيلاً أمامه يملأ فراغه النفسي، وقلقه الإنفعالي سوى التعبد.

ثالثا – إن المنهج التربوي الإسلامي الذي تنشئ الأسرة المسلمة أولادها البالغين عليه منهج متميز عن غيره من المناهج التربوية:

وهذه الخصائص والمميزات لهذا المنهج التربوي يمكن اختصارها في ثلاث نقاط رئيسة هي:

١- الأصول الأساسية التي يقوم عليها نظام التربية الإسلامية:

أو بمعنى آخر التصورات والمفاهيم والقضايا الأساسية للتربية الإسلامية، أو ما يسمى بالفلسفة التربوية التي يقوم عليها الإطار النظري للتربية الإسلامية، فالمبادئ التي تقوم عليها نظرة الإسلام إلى الألوهيه، وإلى الحياة، وإلى الكون، وإلى الإنسان، وإلى المجتمع، وإلى المعرفة، وإلى الأخلاق، هي مبادئ متميزة ومخالفة لبقية الأديان والمذاهب والأيدولوجيات الأخرى، ومايترتب على ذلك من طرق دراسة الحقائق، ومايترتب عليها من آثار تربوية.

٢- الإطار النظري للتربية الإسلامية :

فالتربية الإسلامية متميزة في مفهومها وأهدافها وأساليبها ووسائلها، وجوانب تربيتها، ومصادر التعليم والمعرفة التي منها نستخرج المعلومات والحقائق، وأماكن التعلّم، ومراحل التعلّم.

٣- تميز عملية التربية والتعليم نفسها:

ومن بين مميزات التربية الإسلامية أنها تربط بين التربية والتعليم، وبين العلم والعمل، وبين النظرية والتطبيق، وبين الفرد والمجتمع، وهي تقر مبدأ فرضية التعلم، ومبدأ فرضية التعليم، ومبدأ التعليم للجميع، ومبدأ التعليم المجّاني، ومبدأ التعليم مدى الحياة، ومبدأ التربية الذاتية.

رابعا - دور الأسرة المسلمة التربوي يمتد ليشمل أهم جوانب شخصيات أولادها البالغين:

أوضحت الدراسة السابقة أن الأسرة تستطيع الإسهام في تنمية الجوانب الآتية على النحو التالي:

١- الجانب الإيماني :

وتتلخص وظائف الأسرة في هذا الجانب في النقاط التالية :

أ- تكوين العقيدة الراسخة بكل أركانها في نفوس البالغين.

ب- تزويد الأولاد البالغين بكل جوانب العقيدة المتصلة بالأركان الثلاثة، وهي الالهيات، والنبوات، والسمعيات، وبكل جزئية من الجزئيات الداخلة تحت كل ركن من هذه الأركان.

ج- تكوين الرغبة في الاعتقاد لدى البالغين، وتنمية العاطفة الإيمانية.

د- حماية عقائد البالغين من الأفكار المعادية لإيمانهم، ومن عوامل الهدم والانحلال، وحمياتهم من الانسياق وراء الأفكار المضلّة، وتكوين الحصانة الاعتقادية والفكرية والعلمية عندهم.

هـ- علاج مايقع فيه البالغون من انحراف عقدي، أو شك إيماني، أو خروج عن تعاليم الإسلام.

٢- الجانب الروحي:

وتتلخّص وظائف الأسرة في هذا الجانب في النقاط التالية:

أ- تنمية روح البالغين وتزكيتها، وتوجيههم دائماً إلى عبادة اللّه

ب- تكوين الوعي لدى البالغين بأهمية الحياة الروحية وضرورتها للفرد والجماعة.

ج - تعويد البالغين على ممارسة الرياضة الروحيّة بأساليبها في ميادينها المختلفة.

د - تنشئة البالغين على أداء العبادات بروحها لابشكلها.

هـ- حماية روح البالغين من أسباب مرضها وعللها.

و - علاج مايقع فيه البالغون من انحراف وخروج عن طاعة اللّه.

٣- الجانب العقلي :

وتتلخّص وظائف الأسرة في هذا الجانب في النقاط الآتية:-

أ- تكوين عقلية علمية مؤمنة عند البالغين، وتنمية اتجاهات عقلية سليمة.

ب- تدريب البالغين على منهجية التفكير وحلّ مشكلاتهم الحيويّة.

ج - مساعدة البالغين على تنمية وزيادة التحصيل العلمي والمعرفي.

د - توجيه البالغين إلى العلوم والمعارف النافعة.

هـ- تنمية قدرات وميول البالغين وتوجيهها.

٤- الجانب الأخلاقي والاجتماعي :

وتتلخّص وظائف الأسرة المسلمة في هذا الجانب في النقاط الآتية :

أ- تهيئة الجو العائلي الصالح من الناحية الخلقية والاجتماعية.

ب - تزويد البالغين بالمعارف الخلقية والاجتماعية، وتبصيرهم بها عملياً وإقناعهم عقلياً.

ج - تبصير البالغين بمعايير القيم الأخلاقية والاجتماعية.

د- تكوين الشعور بالمسئولية الأخلاقية، والرقابة الإلهية الدقيقة عند البالغين.

هـ- تهذيب دوافع البالغين وإشباعها بالطرق المشروعة.

و - تنميةالعاطفة الأخلاقية والاجتماعية عندهم.

ز - تعويد البالغين على ممارسة الفضائل الخلقية والاجتماعية في حياتهم اليومية.

٥- الجانب الصحي :

وتتلخّص وظائف الأسرة المسلمة في هذا الجانب في النقاط الآتية :

أ- تنمية الوعي الصحي والغذائي بين البالغين، وتزويدهم بالأغذية اللازمة لنمو أجسامهم.

ب- تربية البالغين على اكتساب قواعد النظافة والطهارة بما يحفظ سلامة أجسادهم.

ج - وقاية البالغين من أسباب الأمراض الجسمية والنفسية.

د- مساعدة البالغين في اتخاذ الأساليب والطرق لعلاج أمراضهم واضطراباتهم البدنية والنفسية .

هـ- اتاحة الفرصة للبالغين لمزاولة التمرينات الجسدية في ضوء القيم الإسلامية.

خامسا - يوجد عدد من الأساليب والوسائل التربوية تعين الأسرة على تحقيق وظائفها التربوية :

أوضحت الدراسة عدداً من الأساليب والوسائل التربوية التي تعين الأسرة على تحقيق دورها التربوي ، ومن بينها مايلي:

١- أن تكون الأسرة القدوة الصالحة والمثل الطيب لأولادها البالغين في جميع

جوانب الحياة الإيمانية والروحية والعقلية والأخلاقية والاجتماعية والصحية.

٢- التوجيه الصائب والنصح والإرشاد في كل مناسبة، وكلما دعت الحاجة.

٣- ترغيب البالغين وتحبيبهم لجميع الأعمال والجوانب النافعة والمفيده، وترهيبهم وتنفيرهم عن كل فعل فاسد ومضر.

٤- ضرب الأمثال الجيدة للأولاد، واستخدامها في مجالات الترغيب أو التنفير، وفي مجالات المدح أو الذم.

٥- الاستعانة بالقصص الهادفة التي تحرك الوجدان وتؤثر فيه.

٦- تعويد البالغين على ممارسة الأعمال المرغوبة في شتى مجالات الحياة.

٧- استغلال الأحداث والمواقف والظروف في توجيه الأولاد وإرشادهم.

٨- ملاحظة البالغين، ومراقبة أقوالهم وأفعالهم وتصرفاتهم في شتى جوانب حياتهم.

٩- استخدام أسلوب الحوار الذي يقوم على خطوات منطقية صحيحة في توجيه البالغين نحو الحق والخير.

١٠- معاقبة البالغين إذا لم تجد معهم أساليب اللين في تعديل ما اعوج من سلوكهم، وأن يكون العقاب عقاب تأديب لاعقاب تشف وانتقام.

١١- استغلال أوقات الفراغ عند البالغين، وامتصاص هذا الفراغ واستثماره في أنشطة بناءة ونافعة.

١٢- الاستفادة من الطاقات الموجودة عند البالغين، وتنميتها وتوجيهها في مساراتها الصحيحة.

١٣- استخدام الترحال، والانتقال بالبالغين؛ لتجديد نشاطهم وحيويتهم وإكسابهم العديد من المعارف والمعلومات عن طريق ذلك.

التوصيات والمقترحات

أولاً - التوصيات الخاصة بالأسرة :

في ضوء هذه الدراسة عن دور الأسرة التربوي في تربية أولادها في مرحلة البلوغ يوصي الباحث بما يأتي :

١- على الأسرة المسلمة أن تطبق تعاليم الإسلام وشرعه في شتى مجالات حياتها وأن تقوم حياتها الزوجية من أولها حتى آخرها على منهج الإسلام وتعاليمه . لأنه لاسبيل لتحقيق دور الأسرة المسلمة في تربية أولادها إلا بمراعاة النظم والقوانين الشرعية التي جاء بها الإسلام في تنظيم الأسرة والقيام عليها، لأن كل التشريعات الخاصة بالأسرة وضعت أساساً على نحو يساعد على تربية الأولاد، ولاشك أن انحراف الأسرة وخروجها عن منهج الإسلام له أثره الضار على نمو الأولاد وتنشئتهم.

٢- على الأسرة تحقيق الأمن والوئام والتعاطف والتراحم داخل الأسرة؛ لأن من شروط التربية السليمة للأولاد أن ينشأوا في جو يسوده الأمن والاستقرار، والمودة والرحمة.

٣- أن تجعل الأسرة المسلمة تربية أولادها وتنشئتهم التنشئة الصالحة من أولى مهامها في هذه الحياة، وأن تولي هذا الجانب جلّ اهتمامها، وأن تبذل كل جهد مستطاع لتجعل من تربيتها لأولادها شيئاً مفيداً، وأن لاتتخلى عن دورها التربوي أو تسنده إلى أيّ مؤسّسة أخرى، مهما كانت الظروف، ومهما زاد انشغال الأسرة. وعلى الأسرة المسلمة أن تعي أنه من خلال التربية الصالحة يكون الولد الصالح، وهذا هو الهدف الحقيقي للأسرة، وعليه يتحقق نجاح الأسرة في دنياها وأخراها، ولا تقتصر منفعة الولد الصالح على الأسرة وحدها بل يمتد نفعه إلى الأقارب والأصدقاء والمجتمع والإنسانية عامة.

٤- على الأسرة أن تتعلّم كيف تربي أولادها تربية سليمة وشاملة لجميع جوانب الشخصية الجسمية منها والعقلية والإيمانية والروحية والأخلاقية والاجتماعية، وأن تنظر إلى جوانب شخصية الأولاد على أنها وحدة متكاملة، وأن كل جانب من جوانب

الشخصية يؤثر في بقية الجوانب الأخرى ويتأثر بها، فلاينبغي على الأسرة أن تهتم بجانب دون آخر أو تنمي جانباً على حساب الجوانب الأخرى. ولتحقق الأسرة واجبها في هذا الجانب عليها أن تنمي معارفها التربوية عن طريق اقتناء كتب تربوية، وعن طريق الاتصال بالمربين كلما دعت الحاجة.

٥- ينبغي على الأسرة الابتعاد عن بعض الوسائل الخاطئة في تربية أولادها، مثل استخدام القسوة والشدة والصرامة في معاملة الأولاد، وإثارة الرعب والخوف في نفوسهم، أو المبالغة في تدليلهم والإفراط في التسامح والصفح عنهم، وكذلك المبالغة في تقييد حريتهم ومعاملتهم كأطفال صغار وعدم احترامهم أو الاستهزاء بهم والسخرية منهم أو إذلالهم أو كبتهم أو تخويفهم، وكذلك كثرة التدخل في شؤون حياتهم، والمبالغة في الرقابة وتحديد حركاتهم، وخروجهم من المنزل ورجوعهم إليه، وإرغامهم على الطاعة لمجرد الطاعة، ومن الوسائل الخاطئة أيضاً التمييز بين الأولاد في المعاملة وعدم المساواة بينهم، وإثارة الغيرة في نفوسهم بالمقارنة غير العادلة بينهم وبين أقرانهم. وكذلك تكليف الأولاد بما هو أعلى من استعداداتهم ومستوى نضجهم الجسمي والعقلي.

٦- على الأسرة أن تعمل بكل مافي وسعها وطاقتها حيال إشباع رغبات وحاجات أولادها الجسدية والنفسية بالطرق المشروعة والآداب المرعية، في حدود القيم والضوابط التربوية الإسلامية؛ لأنه إذا لم تشبع حاجات البالغين عضوية كانت أم نفسية فإنهم سوف يلجأون إلى أية وسيلة يشبعون بها حاجاتهم ، وربما تكون تلك الوسيلة غير صالحة ولايقرها المجتمع وبالتالي يبدأ الانحراف والتحلل الخلقي عند البالغين.

٧- على الأسرة أن تتخذ سياسة ثابتة، وأن تراعي استقرار العلاقات المتبادلة، والابتعاد عن التناقض سواء أكان ذلك بين الوالدين وأولادهما أم بين الوالدين نفسيهما أم بين الأسرة والمدرسة.

٨- على الأسرة أن تشجع البالغين في كافة مناشط حياتهم ، وأن تفتح أمامهم سبل التطبيق والتجارب، وأن تشرك الأولاد بقدر الإمكان في النشاطات الاجتماعية

وأن تسند إليهم قسطاً من المسؤولية ، مع مراعاة الفروق الفردية بينهم في الواجبات والأعمال التي يكلفون بها، وأن تنظر إلى شخصية كل بالغ على أنها شخصية فريدة في قدراتها وميولها واتجاهاتها، وأن تمهّد الأسرة لأولادها البالغين مهنهم المستقبلية التي تتناسب مع استعداداتهم وقدراتهم.

٩- ينبغي على الأسرة أن تواجه الميوعة والتحلل والانحراف بين البالغين بكل حزم، وبدون أي تهاون أو مهادنة، والعمل على القضاء بقدر المستطاع على أماكن الفساد، ومنع الأفلام الرخيصة ومحاربتها، ومنع الاختلاط والسفور والتبرج بين الذكور والإناث، والابتذال في الملابس، ومحاربة انتشار المخدرات وتعاطيها، وتوجيه الأولاد إلى الابتعاد عن التدخين وحفلات اللهو، وعن الإفراط في السهر. وعن مخالطة قرناء السوء، وأن تساعدهم على اختيار جماعة الرفاق الصالحين ذوي الدين والاستقامة، وفي التعلّم والتحصيل.

١٠- على الأسرة أن تهيء أولادها للتغيرات والتطورات المتوقعة في حياة مجتمعهم وأن تطبعهم بطباع تتناسب مع العناصر الثقافية ومع المجتمع المتغير المتطور، وعلى الأسرة أن تعي أن الحياة تزداد تعقيداً على مرّ الأيام، وأن كثيراً مما كان ينطبق على الآباء والأمهات في أيامهم قد لاينطبق على الأولاد، فلاينبغي على الأسرة أن تحمل أولادها على جميع طبائع حياتها السابقة. والذي ينبغي على الأسرة مراعاته وأخذ الحيطة له، هو أن لاتتعارض تلك التطورات والتغيرات المستقبلية مع مبادئ الإسلام وقيمه.

١١- على الأسرة أن تكون مكتبة تربوية إسلامية خاصّة، تتضمن كتباً قيمة، تتناسب مع مستواهم الثقافي، وتضم مجلاّت وصحفاً هادفة، وأفلاماً وأشرطة قيّمة، وأن تتابع مايستجد من الكتب التربوية الإسلامية؛ لأن المعارف تنمو في هذا الجانب بسرعة للحاجة الضرورية.

١٢- على الأسرة أن تقيم علاقات طيّبة مع المربين المسلمين وأسرهم، للاستفادة من آرائهم، وطرق وأساليب تربيتهم لأولادهم، وأعمالهم العلمية التربوية الإسلامية.

١٣- ومن أهم التوصيات وأكثرها نفعاً في تربية البالغين، هي أن تهتم الأسرة بتنمية العواطف الإسلامية وبالذات عاطفة الإيمان؛ لأنه لاصلاح ولاتقدّم ولانجاح في تربية أي جانب من جوانب شخصيات البالغين من الناحية الإسلامية، مالم تنمي الأسرة تلك العواطف في نفوس البالغين.

ثانيا - التوصيات الخاصة بالمربين والمصلحين :

إن الحديث عن عملية التربية في أي نظام تربوي يعتريه النقص والقصور إذا لم يشمل الحديث عن الأسرة ودورها التربوي، فهي تؤثر في المؤسسات التعليمية الأخرى وتتأثر بها، فإعطاء الأسرة حقها من الأهمية سيخفف أعباء كثيرة على المؤسّسات الأخرى، كما سيسهم في نجاح العمليات التعليمية التي تؤديها تلك المؤسسات، وفي حالة إغفالها أو تجاهل دورها التربوي ستؤدي إلى عرقلة عملية التربية والتعليم للناشئة ، وربما تهدم ماتبنيه تلك المؤسّسات، فليس هناك أي تطور أو تقدم ناجح في عملية التربية والتعليم بتجاهل الأسرة، كما أنه لايصلح حال التربية والتعليم إلا إذا صلح حال الأسرة، لذا يوصي الباحث المربين والمصلحين بمايأتي:

١- إعداد الآباء والأمهات للأبوة والأمومة من الوجهة السليمة الصالحة، نظراً لأن التربية الأسرية في الوقت الحاضر لم تعد تربية عادية كما كانت عليه في السابق وإنما أصبحت متطورة ومتقدمة وأخذت بعض الدول المتقدمة بتعليم الأبوة والأمومة في المدارس و في المؤسّسات الخاصة، والأسرة المسلمة في وقتنا الحاضر بحاجة إلى فهم ودراية بتربية أولادها بمعناها الدقيق، منهجاً وأسلوباً، وفهماً لمراحل نمو الأولاد وحاجات كل مرحلة من المراحل، وفق تعاليم الإسلام ومنهجه، وخير وسيلة لإعداد الآباء والأمهات لتلك المهنة، التي يجب على كل أب وأم القيام بها، هي جعل التربية الأسرية مادة أساسيّة تدرّس بالمرحلة المتوسطة والثانوية على أقل تقدير.

٢- تثقيف الآباء والأمهات وتنمية معرفتهم بأسس وأساليب الرعاية والتربية السليمتين للأولاد، وذلك عن طريق دورات منظمة للآباء والأمهات تقوم بها بعض المؤسّسات مثل مركز خدمة المجتمع الذي يتبع بعض الجامعات في وقتنا الحاضر، أو عن طريق التوجيه الأسري وذلك بإرسال إخصائيين اجتماعيين لزيارة الأسر وتوجيهها، أو عن طريق المحاضرات والندوات، أو عن طريق مجالس الآباء والأمهات بالمؤسّسات التعليمية، أو عن طريق الأحاديث والبرامج الإذاعية والمقالات والصحف.

٣- إشراك الآباء والأمهات في المناهج التعليمية، ومشاورتهم في ذلك، ووضع الآراء التي يقدمها الآباء والأمهات موضع الاهتمام، وعقد صلات وثيقة بين الجهات المختصة بالمناهج وبين الآباء والأمهات.

٤- تكوين مجلس على مستوى عال لرعاية الأسرة، ويكون له استقراره وصلاحياته ويكون من مهامه وضع السياسة والتخطيط والتوجيه والبرامج المتعلقه بأحوال الأسره -على أن يكون ذلك في ضوء تعاليم الإسلام-، ومن مهامه أيضاً فتح مراكز ومدارس تربوية لتأهيل الشباب لمهنة الأبوة والأمومة، والقيام بإعداد منهج التربية الأسرية وإلزام كافة المدارس المتوسطة والثانوية بتدريسه، ومن مهامه أيضاً إلزام كل زوج -ذكراً كان أم أنثى- يتقدّم للزواج أن يقوم بتعلّم التربية الأسرية قبل أن يلتحق بتلك الوظيفة، ومن عمله أيضاً حمل الأسر التي لاتقوم بواجبها التربوي نحو أولادها على تأدية ذلك، ومعاقبة الأسر التي قد تكون تربيتها الخاطئة سبباً في انحراف الأولاد وجنوحهم.

٥- تشجيع مراكز البحوث والدراسات في الجامعات وغيرها لإجراء البحوث والدراسات في مجالات التربية الأسرية كل فيما يخصه، وأن توفر لها الإمكانات البشرية والمادية والباحث يوصي الجهات المختصة أن تولي البحوث، ذات العلاقة بالتربية الأسرية عناية خاصة، لأن أي بحث يسهم في تحسين التربية الأسرية يؤدي بالتالي إلى تقدم المجتمع وصلاحه ويحفظ له قيمه وأخلاقه.

ثالثا - موضوعات بحوث مقترحة :

من خلال هذه الدراسة يرى الباحث أن الموضوع بحاجة إلى مزيد من بحوث ودراسات أخرى لاحقة، ومن هذه الموضوعات التي يوصي الباحث بدراستها والبحث فيها، الموضوعات الميدانية الآتية:

١- دراسة ميدانية لأوضاع الأسرة المسلمة التعليمية، وأثر ذلك في تربية أولادها.

٢- دراسة للطرق والأساليب التي تتبعها الأسرة المسلمة في إشباع حاجات أولادها.

٣- دراسة الخلافات الأسرية وعواملها وأثارها التربوية.

٤- دراسة عوامل انحراف البالغين وجنوحهم، وأثر الأسرة في ذلك.

٥- دراسة التلاميذ المتفوقين في دراستهم وأساليب تربيتهم الأسرية.

٦- دراسة التلاميذ المتخلفين في دراستهم وأساليب تربيتهم الأسرية.

٧- إصدار سلسلة كتب تربوية أسريّة إسلامية للآباء والأمهات تبيّن دور الأسرة المسلمة في تربية أولادها في كل مرحلة من مراحل العمر.

٨- إصدار سلسلة كتب تربوية إسلامية للبالغين.

٩- إصدار مجلّة تربوية للأسرة المسلمة، تعرض فيها مشكلات أسرية تربوية وحلولها، وغير ذلك من الموضوعات التربوية المتعلقة بجوانب التربية الإسلامية الأساسية.

١٠- إصدار سلسلة أفلام تربوية إسلامية للفيديو، وكذلك أشرطة تسجيل على نحو تساعد الأسر في أداء دورها، وتسهل مهامها التربوية.

وفي الختام أدعو اللّه عز وجل أن يجعل في هذه الدراسة المتواضعة مايفيد أسر المسلمين في تربية الأولاد البالغين. وأدعو اللّه قائلاً : اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، وآخر دعوانا الحمد للّه رب العالمين وصلّى اللّه على سيد المرسلين وعلى أله وأصحابه أجمعين.